الصحابة رضي الله عنهم

رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه

حبهم دينٌ وإيمانٌ وإحسان، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان

تأليف

((أبو إسلام))

صالح بن طه عبد الواحد

إمام وخطيب مسجد إبراهيم الحاج حسن

الأردن - عمان

قرأه وقدَّم له فضيلة الشيخ

علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي

- حفظه الله -

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمدُ لله حقّ حمدِه، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّه وعبدِه، وعلى آله وصحبهِ ووفده، أما بعد:

فلقد اطَّلعْتُ على مواضعَ عديدةٍ من هذا الكتاب النافع «**الصحابة** رضي الله عنهم»؛ فرأيتُهُ يجمعُ أمرين مهمَّين:

الأول: حُسْنُ الجمعِ والتبويب والترتيب.

الثاني: جمال المادة العلميّة، ورفعتُها العليّة.

.. وما ذاك إلا بسبب عظمة الموضوع، وكِبَرِ قَدْره، وجليل مكانتِهِ؛ فهو يتكلم عن الصحابةِ الأبرار؛ أُمناءِ الشريعة، وحُماة الوحي -رضي الله عنهم وأرضاهم-.

وأصلُ هذا الكتاب سلسلةُ خُطَب جُمَعَـةٍ نافعـةٍ، ألقاهـا فضيلة الأخ الشيخ أبي إسلام -زاده الله من فضله- في مسجده المبارك (مسجد إبراهيم الحاج حسن) -في عمّان- ومِن محاسن التوفيق الربّاني أن يكون صدورُ هذا الكتاب النافع في هذه الأيامِ الصعبةِ؛ حيث قَوِيَتْ شوكةُ الروافض، وفُتِّحت لهم الأبواب، ويُسِّرت لهم الأسباب.

وإنّ مِن أشنعِ ما يقومُ عليه دينُ الروافضِ سَبَّ الصحابةِ، بل تكفير أكثرِهم، والتبرُّؤَ منهم..

أَلا قاتَلَ اللهُ كُلَّ من له في ذلك أدنى نصيب، مِن بعيدٍ أو قريب.

فجزى الله أخانا المؤلِّفَ خيراً على هذه الجهود الميمونة، والمسالك المأمونة: التي تُعَظِّمُ في الأُمّةِ حُبَّ الشرع الحكيم، واتِّباعَ النبيِّ الكريم ﷺ، وفضلَ الصَّحب الأمين.

وإنِّي لأَسألُ الله -تعالى- لأخينا الفاضل المزيدَ من الخير، والمزيدَ من البِرَّ، والمزيدَ مِن العلمِ النافعِ والعمل الصالح.

إنّه -سبحانه- سميعٌ مجيبٌ.

وكتبه

علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد

الحلبي الأثري

١٨/ صفر/ ١٤٢٥هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

إنَّ الحمدَ لله نَحْمَدُهُ ونستعينهُ ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهدُ أَنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أما بعدُ؛ فإنَّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكُلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ.

بعد أن انتهينا من الحديثِ عن خيرِ البشرِ محمدٍ ﷺ سنبدأ الحديثَ عن خيرِ البشرِ بعد الأنبياءِ والمرسلينَ ألا وهم أصحابُ محمدٍ ﷺ، ويقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَآهُ الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا، فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْهُ سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ سَيِّئٌ)[1].

(١) حسن: رواه أحمد (١/ ٣٧٩)، والبزار (١٨١٦)، والطبراني في «الكبير» (٨٥٨٢)، [«السلسلة الضعيفة» (٥٣٣)].

فالصحابةُ هم خيرُ البشرِ بعدَ رسولِ الله ﷺ.

• وهمُ المؤمنونَ حقاً: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال].

• وهمُ الصادقونَ: قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحُجُرات].

• وهمُ الرجالُ: قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

– وقال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور].

– الصحابةُ رضي الله عنهم مَنْ سلكَ سبيلَهُم سَعِدَ في الدنيا والآخرة؛ قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ

رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

- ومن سلكَ سبيلاً غيرَ سبيلهم شَقِيَ في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء].

- الصحابةُ رضي الله عنهم حُبُّهمْ دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ.

انطلاقاً مما سبق فسيكون حديثنا عن جُلِّ الصحابةِ رضي الله عنهم أجمعين ليهلِكَ مَنْ هلكَ عن بينةٍ ويحيى من حيّ عن بينة.

كتبه

صالح بن طه عبد الواحد

أبو إسلام

إمام وخطيب مسجد إبراهيم الحاج حسن

عمان-الأردن



فضائلُ الصحابةِ رضي الله عنهم

إنَّ الحمدَ لله، نحمدهُ ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهده اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢)﴾ [آل عمران]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ [النساء]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [الأحزاب].

أما بعدُ،

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهَدْيِ هـديُ محمـدٍ ﷺ، وشرَّ الأمـورِ محدثاتُها، وكُلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكُلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النار.

أيها الأحبةُ عبادَ اللهِ! موعدُنا في هذا اليـومِ -إنْ شـاءَ الله تعـالى- مـعَ سلسلةٍ جديدةٍ منَ المواعظِ بعنوان: «**رجالٌ صدقوا ما عاهدوا اللهَ عليه**».

عبادَ الله! أتدرونَ مَنْ هؤلاءِ الرجالُ؟

هُمْ أصحابُ محمدٍ ﷺ، همُ الرجالُ، وهمُ الصادقون.

- فهمُ الرجالُ حقاً كما وصفهمُ اللهُ في كتابهِ، فقال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

- وقال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور].

أصحاب محمد ﷺ همُ الصادقونَ كما وصفهمُ اللهُ في كتابه، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحُجُرات]، وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر].

فالرجالُ الذينَ صدقوا، هم أصحابُ محمدٍ ﷺ، صدقوا معَ اللهِ، وصدقوا معَ رسولِ اللهِ ﷺ، وصدَقوا مع أنفسِهم، وصدقوا معَ الناسِ.

أصحابُ محمدٍ ﷺ اعتزُّوا بالإسلامِ، فأعزَّهُمُ اللهُ بالإسلامِ. أصحابُ محمدٍ ﷺ حملوا الإسلامَ في قلوبِهم، ففتحوا به قلوبَ العبادِ والبلادَ: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ

عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

عبادَ الله! والذي دفعني للحديثِ عن أصحابِ رسولِ الله ﷺ أمورٌ:

الأمرُ الأولُ: أنّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ همْ خيرُ الناسِ بعدَ الأنبياءِ والمرسلينَ، قال تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾**﴾ [آل عمران:١١٠]، قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (هُمُ الَّذِينَ هَاجَرُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْـمدِينَةِ)[١].

وقال ابنُ كثير -رحمه اللهُ-: (والصحيحُ أنّ هذه الآيةَ عامةٌ في جميعِ كُلِّ قرنٍ بحَسَبِهِ، وخيرُ قرونهم الذين بُعِثَ فيهم رسولُ اللهِ ﷺ ثم الذينَ يَلُونَهُمْ، ثم الذين يلونهم)[٢].

كيفَ لا؟! ورسولُنا ﷺ يقول: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**»[٣].

عبادَ الله! بعد أن انتهينا من الحديث عن خيرِ البشرِ سيدِ ولَدِ آدمَ محمدٍ ﷺ، كانَ من المناسبِ أن نبدأَ في هذا اليومِ بالحديثِ عن خيرِ الناسِ بعدَ الأنبياءِ

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (١/ ٢٧٢)، وابن أبي عاصم في «السُنة» (١٤٨٠)، [«محققو المسند»].

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٨٣).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

والمرسلينَ وهمْ أصحابُ رسولِ الله ﷺ. قومٌ اختارَهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّه ولنصرةِ دينهِ؛ فكانوا خيرَ الصّحْبِ، عزَّروه، ووقَّروه، وأحبُّوه، وتبعُوه، ونصرُوه، وكان ﷺ أحبَّ إليهم من الولدِ والوالدِ بل منَ النفوسِ التي بين الجُنوبِ.

يقولُ عمرُ يوماً لرسولِ الله ﷺ: (يَا رَسُولَ الله، لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، إِلَّا مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لعمر: **«لاَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»**، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ، فَإِنَّهُ الآنَ وَالله! لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«الآنَ يَا عُمَرُ»**)[1].

كيفَ لا؟! والنبيُّ ﷺ يقولُ لهم: **«لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ، وَوَلَدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»**[2].

يقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَآهُ الْمسْلِمُونَ حَسَنًا، فَهُوَ عِنْدَ الله حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْهُ سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ الله سَيِّئٌ)[3].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٦٣٢).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

(٣) **حسن**: رواه أحمد (١/ ٣٧٩)، والبزار (١٨١٦)، والطبراني في «الكبير» (٨٥٨٢)، [«السلسلة الضعيفة» (٥٣٣)].

ويقولُ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما قال: (مَن كان مُسْتَنّاً فَلْيَسْتَنَّ بمَنْ قد ماتَ، أولئكَ أصحابُ محمدٍ ﷺ، كانوا خيرَ هذه الأمةِ؛ أبرَّها قلوباً، وأعمقها علماً. وأقلَّها تكلفاً، قومٌ اختارَهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّه، ﷺ، ونَقْلِ دينه، فتشبَّهوا بأخلاقِهم وطرائِقِهم، فهمْ أصحابُ محمدٍ ﷺ، وكانوا على الهدى المستقيمِ)[1].

الأمرُ الثاني: أنَّ سبيلَ الصحابةِ رضي الله عنهم هو سبيلُ النجاةِ، وهو المنهجُ الحقُّ الذي فيه سعادةُ الدنيا والآخرة، وهو سبيلُ المؤمنينَ الذي أمرَنا اللهُ في كتابهِ باتباعهِ، وأمرَنا النبيُّ ﷺ في سنته بالتمسكِ بهِ، وأن نَعَضَّ عليهِ بالنواجذِ.

والأدلةُ كثيرةٌ جداً في كتابِ ربِّنا، وفي سنةِ نبيِّنا تأمرُ باتباعِ منهجِ الصحابةِ رضي الله عنهم.

أولاً: الأدلةُ منْ كتابِ ربِّنا:

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة]. فكنْ ممن اتبعَ هؤلاءِ الذينَ اتبعوا أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ بإحسانٍ لتكونَ ممنْ رضي الله عنهم.

وقالَ تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يس]. والصحابةُ لم يسألوا أحداً أجراً على دعوتِهم لهذا الدينِ، وهم مهتدونَ بدليل قولهِ

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٠٥)، والخطيب في «تالي التلخيص» (١/ ٣٧١).

تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف:١٠٨]، والصحابةُ رضي الله عنهم قد اتبعوا الرسولَ صلى الله عليه وسلم، وَدَعَوُا الناسَ إلى الإسلامِ، فوجبَ علينا إتباعُهم.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة].

ولا شكَّ ولا ريبَ أنَّ الصحابةَ رضي الله عنهم هم أئمةُ الصادقين؛ فوجبَ علينا ولا ريبَ أن نكونَ معهم -أي: على منهَجِهم-، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران].

قال ابنُ القيمِ رحمَهُ اللهُ: (ووجهُ الاستدلالِ بالآيةِ: أنه تعالى أخبرَ عنِ المعتصمينَ به؛ بأنهم هُدوا إلى الحقِّ. فنقولُ: الصحابةُ رضوانُ اللهِ عليهم معتصمونَ باللهِ فهم مهتدون؛ فاتباعُهم واجبٌ)[1].

وقال تعالى مُحَذِّراً أولئكَ الذين يسلكونَ سبيلاً غيرَ سبيلِ المؤمنينَ -أي: غيرَ سبيلِ الصحابةِ-: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء].

(١) «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (٤/ ١٣٤).

ووجهُ الدلالة: أنَّ الآيةَ جعلَتْ مخالفةَ سبيلِ المؤمنينَ سبباً لتولي سبلِ الضلالِ وَصِلِيِّ جهنم، كما دلَّتْ على أنَّ إتباعَ الرسولِ ﷺ هو مِن أعظمِ أصولِ الإسلامِ، وهو مستلزماً لسلوكِ سبيلِ المؤمنينَ وموجِباً له.

وسبيلُ المؤمنينَ هو: أقوالُ وأفعالُ الصحابةِ رضي الله عنهم، دلَّ على هذا قولُه تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ﴾ [البقرة:٢٨٥]. والمؤمنونَ آنَئِذٍ هـمُ الصحابةُ، ليسَ إلا[1].

وهذا يدلُّ على أنَّ إتباعَ سبيلِ الصحابةِ رضي الله عنهم في فهمِ شرعِ اللهِ؛ واجبٌ، ومخالفتَه ضلالٌ.

وقالَ تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة].

قال ابنُ القيمِ رحمهُ اللهُ: (والصراطُ المستقيمُ هو: صراطُ الأنبياءِ قَبلَ هذه الأمةِ، وصراطُ الصدّيقين والشهداءِ والصالحينَ منها؛ كما قالَ تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء]. فأولئكَ همُ أهلُ النعمةِ والفضلِ، وصراطُهم بمعزلٍ عن أسبابِ الغضبِ وموجباتِ الضلالِ، إذ هو تامٌّ

(١) قاله ابن القيم رحمه الله.

الاستقامةِ لا عوجَ فيه ولا انحرافَ، وسلوكُ الصراطِ المستقيمِ فريضةٌ واجبةٌ على كلِّ مسلمٍ).

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام]. وإنما يكونُ سلوكُ هذا الصراطِ باتباعِ السابقينَ عليه في التحليلِ والتحريمِ والإيجابِ، فيُتبعُ الرسولُ ﷺ في هديهِ وسنتهِ، ويُتّبعُ الصحابةُ فيما اختلفَ فيهِ الناسُ، وتشابَه عليهم، لأنهم المبرَّؤونَ منَ الانحرافِ، القائمونَ المستقيمونَ على سنةِ رسولِ الله ﷺ.

ووجهُ الدلالةِ: أنَّ البراءةَ مِنْ سُبلِ المغضوبِ عليهمْ والضالينَ -في الاعتقادِ والعبادةِ والسياسةِ والأخلاقِ والعباداتِ- شرطٌ للبراءةِ من العذابِ والغضبِ والضلالِ.

وأنَّ هذه البراءةَ تكونُ باتباع صِراطِ السابقينَ الأدلاءِ على الطريقِ، وهمْ من هذه الأمةِ أصحابُ رسولُ اللهِ ﷺ، وهذا يقتضي اتباعهُم واقتفاءُ آثارِهم، ولزومُ هَدْيِهم.

ثانياً: الأدلةُ منَ السنةِ:

عن أبي موسى الأشعريِّ (قال: صَلَّيْنَا الْـمغْرِبَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ، فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «**مَا زِلْتُمْ هُنَا؟**».

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! صَلَّيْنَا مَعَكَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ.

قَالَ: «**أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ**».

قَالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ -وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ- فَقَالَ: «**النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ؛ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ. وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي؛ فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ. وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي؛ فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ**»(١).

عبادَ الله! لقدْ جعَلَ رسولُ الله ﷺ نسبةَ أصحابهِ رضي الله عنهم إلى مَنْ بعدَهُم في الأمةِ الإسلاميةِ كنسبتهِ إلى أصحابهِ، وكنسبةِ النجومِ إلى السماءِ.

وقال النوويُّ: (ومعنى الحديث أنَّ النجومَ ما دامتْ باقيةً، فالسماءُ باقيةٌ، فإذا انكدرتِ النجومُ وتناثرتْ في القيامةِ، وهَنَتِ السماءُ فانفطرَتْ وانشقَّتْ وذهبَت، وقولُه ﷺ: «**وأنا أمنةٌ لأصحابي؛ فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعَدون**» أي: من الفتنِ والحروبِ، وارتدادِ مَنِ ارتدَّ منَ الأعرابِ، واختلافِ القلوبِ، ونحوِ ذلكَ مما أنذَرَ به صريحاً، وقد وقعَ كُلُّ ذلكَ. وقولُه ﷺ: «**أصحابي أمنةٌ لأمتي؛ فإذا ذهبَ أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**» معناهُ: ظهور البدع والحوادثِ في الدين والفتن فيه، وطلوع قرن الشيطانِ، وظهورُ الرومِ وغيرِهم، وانتهالُ المدينة ومكةَ، وغيرُ ذلك. وهذه كلُّها مِنْ معجزاتِه ﷺ)(٢).

فهذا الحديثُ تضمنَ فضيلةَ الصحابةِ رضي الله عنهم على وجهٍ عامٍ، كما اشتملَ على بيانِ منزلتِهم ومكانتِهِمُ العاليةِ في الأمةِ، وأنهم في الأمةِ بمنزلةِ النجومِ في السماءِ،

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٣١).

(٢) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٦/ ٨٣).

فكما أنَّ النجومَ منارٌ لأهلِ الأرضِ ليهتدوا بها في ظلماتِ البرِّ والبحرِ؛ -كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[الأنعام:٩٧]- كذلكَ الصحابةُ يُقتدى بهم للنجاةِ من ظلماتِ الشهواتِ والشُّبهاتِ، ومَنْ أعرضَ عن فَهمِهم فهو في غَيِّهِ يتردَّى في ظلماتٍ بعضُها فوقَ بعضٍ، إذا أخرَج يدَه لم يكدْ يراها.

عن العرباضِ بنِ ساريةَ رضي الله عنه قال :(وَعَظَنَا رسولُ الله ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقَلنا: يَا رَسُولَ اللهِ! كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فأوصِنا قَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تأمّر عليكُم عَبْدٌ حَبَشِيٌّ. وإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمهْدِيِّينَ ،عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**»)[١].

قال ابنُ القيمِ رحمهُ الله: (وقد قرنَ رسولُ الله ﷺ سنةَ أصحابِهِ بسنتهِ، وأمرَ باتباعِها، كما أمرَ باتباع سنتهِ، وبالغَ في الأمرِ بها، حتى أمرَ بأن يُعَضَّ عليها بالنواجذِ، وهذا يتناولُ ما أفتَوْا به، وسنّوه للأمةِ وإنْ لم يتقدَّمْ من نبيِّهم فيه شيءٌ، وإلا كانَ ذلكَ سنتَه)[٢] .

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) ،وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧)].

(٢) إعلام الموقعين (٤/ ١٤٠).

• الصحابةُ ﷺ هم أَوْلى الناسِ برسولِهم ﷺ وسنتهِ فهماً وعملاً ودعوةً، فوجبَ على مَنْ بعدهم: أن يتمسَكَ بمنهجِهم ليكونَ موصولاً برسولِ الله ﷺ ودينِ الله، وإلا فهو كشجرةٍ خبيثةٍ اجْتُثَّتْ من فوقِ الأرضِ ما لها من قرارٍ.

وقال ﷺ في حديثِ الافتراقِ: «**وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً**»: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»[1].

قال ابنُ القيم رحمه الله: (والحديثُ يُبينُ وقوعَ الافتراقِ في الملةِ بعدَه ﷺ، وأنه يكونُ على ثلاثٍ وسبعينَ ملةً، وأنَّ الفِرقَ الُمَثَّلةَ بهذهِ المللِ كلُّها في النارِ، وأنها تنجو فرقةٌ واحدةٌ -رغمَ انتسابِها جميعِها إلى الإسلامِ- هي: مَنْ كانَ على ما كانَ عليه رسولُ الله ﷺ وأصحابُه، وهذا يدُلُّكَ على أنَّ فيصلَ التفريقِ بينَ الحقِّ والباطلِ إنما هو اتباعُ الصحابةِ فيما كانوا عليه؛ لأنَّ كُلَّ الفرقِ المنحرفةِ تنتسبُ إلى السنةِ ولا تجرؤُ على التبرُّئِ منها.

فاتباعُ ما عليه الصحابةُ زمنَ النبوةِ، وما تركَهم عليه رسولُ الله ﷺ هو مناطُ النجاةِ والهدايةِ، وخلافُه مِنْ سبل الفرقِ الهالكةِ التي هي تحتَ الوعيدِ بمخالفَتِها منهجَ الصحابةِ. ولا بدَّ أن يكونَ الوصفُ المؤثرُ في هلاكِ تلكَ الفِرقِ، والذي تعلقَّ به وقوعُهم تحتَ الوعيدِ هو مخالفةُ هديِ الصحابةِ، ما دامَ أنَّ الوصفَ الوحيدَ المؤثرَ في النجاةِ -كما ذُكِرَ في الحديثِ- موافقةُ منهاجِ النبوةِ أو سبيلِ

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو، والطبراني في «الأوسط» (٤٨٨٦) من حديث أنس [«صحيح الجامع» (٥٣٤٣)].

المؤمنينَ الذي كان عليه الصحابةُ. وهذا يقتضي أنَّ اتباعَ منهجِ الصحابةِ وما كانوا عليه، مما تَلَقَّوهُ من كتابِ الله وسنةِ نبيِّه ﷺ واجبٌ؛ يَهْلَكُ بتركِهِ الهالكونَ، ويَسْعَدُ بأخذِهِ الفائزونَ، وهو اتباعُ أقوالِهم وأفعالِهم وأحوالِهم في التدينِ كُلِّه).

الأمرُ الثالثُ: أنَّ الصحابةَ رضي الله عنهم ضربوا لنا مَثَلاً أعلى في كُلِّ مجالاتِ الخيرِ، فلا بدَّ أن نتمسكَ بمنهجِهم.

• في محبتِهم لرسولِ اللهِ ﷺ:

هذه صحابيةٌ جليلةٌ قُتلَ يومَ أُحُدٍ أبوها وأخوها وزوجُها فلما نُعوا لها قالت: كيف فعلَ رسولُ اللهِ ﷺ؟

قيلَ لها: هو على خيرِ ما تُحِبين.

فقالت: دعوني انظرْ إليه.

فلما رأتهُ قالت: كُلُّ مصيبةٍ دونَكَ جللٌ يا رسولَ اللهِ -تريدُ صغيرة-[1].

وهذا صحابيٌّ جليلٌ أَسَرَتْهُ قريشٌ فأخذوه ليقتلوه، فقالَ له أبو سفيانَ: يا زيدُ! أُنْشِدُكَ اللهَ! أتحبُّ أنَّ محمداً مكانَك الآن تُضْرَبُ عنقُهُ وأنتَ جالسٌ في أهلِكَ؟

فقالَ زيدٌ رضي الله عنه: واللهِ! ما أحبُّ أنَّ محمداً في مكانِهِ الذي هو فيه تُصيبُه شوكةٌ تؤذيهِ، وأنا في أهلي.

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ٧٤)، السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٩٩).

فقال أبو سفيانَ: ما رأيتُ أحداً منَ الناسِ يحبُّ أحداً كحُبِّ أصحابِ محمدٍ محمداً![1]

وفي هذا الصحابيِّ يقولُ القائلُ:

أسَرَتْ قريشٌ مسلماً فمضى بلا وجلٍ إلى السَّيّافِ
سألوهُ هل يُرضيكَ أنك سالمٌ ولكَ النبيُّ فدىً مِنَ الإتلافِ
فأجابَ: كلا لا سلمتُ من الرَّدى ويصابُ أنفُ محمدٍ برُعافِ

أين تَربى هؤلاء؟! ثم يأتي في القرنِ العشرينَ خبيثٌ ضالٌّ شيعيٌّ رافضيٌّ يسبُّ هؤلاءِ؟!

وهذا أبو طلحةَ رضي الله عنه يومَ أُحدٍ يرمي أعداءَ الله بسهامهِ. فأشرفَ النبيُّ ﷺ ينظرُ إلى القومِ، فيقولُ أبو طلحةَ: (بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لاَ تُشْرِفْ؛ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِهِم، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ)[2].

ما هذا الحبُّ؟! قومٌ اختارَهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّه، ولنصرةِ دينهِ.

- **في الاستجابةِ للهِ ولرسولهِ ﷺ وفي الشجاعةِ والتضحيةِ والعطاءِ:**

عندما استشارَ النبيُّ ﷺ أصحابَه في غزوة بدرٍ -لَـمَّا لاقوا العدوَّ على غيرِ ميعادٍ وغيرِ استعدادٍ- فقالَ لهم: «**أشيروا عليَّ أيها الناسُ**»، فقامَ أبو بكرٍ الصديقُ

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ٧٩)، السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٦٠).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨١١)، ومسلم (١٨١١).

فقالَ وأحسَن، ثم قامَ عمرُ بنُ الخطابِ فقال وأحسَن، ثم قامَ المِقدادُ بنُ عمرٍو فقال: يا رسولَ الله! امضِ لما أراكَ اللهُ فنحنُ معكَ، والله لا نقولُ لكَ كما قالتْ بنو إسرائيلَ لموسى: اذهبْ أنتَ وربُّكَ فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكنِ اذهبْ أنتَ وربُّك فقاتِلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثَكَ بالحقِّ لو سِرْتَ بنا إلى بَرْكِ الغِماد لجالَدْنا معَك مِنْ دونهِ حتى تبلُغَه.

فقال له رسولُ الله ﷺ خيراً ودعا له.

ثم قالَ رسولُ الله ﷺ: أشيروا عليَّ أيها الناسُ؟ وإنما يريدُ الأنصارَ، فلما قال ذلكَ رسولُ الله ﷺ. قال له سعدُ بنُ معاذٍ: والله لكأنكَ تريدُنا يا رسولَ الله؟ قال: أجل.

قال سعدُ: فقد آمنا بكَ وصدَّقْناك، وشهدْنا أنَّ ما جئتَ به هو الحقُّ، وأعطيناكَ على ذلكَ عهودَنا ومواثيقَنا على السمعِ والطاعةِ لكَ، فامضِ يا رسولَ الله لما أردتَ فنحنُ معك، فوالذي بعثكَ بالحقِّ لو استعرضْتَ بنا البحرَ فخضتَه لخضْناهُ معكَ ما تخلفَ منا رجلٌ واحدٌ، وما نكرَهُ أن تلقى بنا عدوَّنا غداً، إنا لَصُبرٌ في الحرب، صُدْقٌ عندَ اللقاء؛ ولعلَّ اللهَ يُريك منا ما تَقَرُّ به عينُك، فسِرْ على بركةِ الله. فسُرّ رسولُ الله ﷺ بقولِ سعدٍ ونشَّطَه، ثم قال ﷺ: «**سيروا وأبشروا فإنَّ الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظرُ إلى مصارعِ القومِ**»(١).

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٦)، «السيرة النبوية لابن هشام» (٣/ ١٦٢)، «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٨٩-٢٩٠)، «السيرة النبوية الصحيحة» للعمري (ص٣٥٨-٣٥٩).

إنهمُ الرجالُ! إنهم الصادقونَ! اختارهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّهِ، ولحملِ هـذا الـدينِ بعد نبيِّهِ. فوالله لقد أدوا الأمانةَ بعد نبيِّهم، وفتحوا قلوبَ العبـادِ والـبلادَ، وجئنـا نحنُ من بعدهم فضيَّعْنا العبادَ والبلادَ وإنا للهِ وإنا إليه راجعون.

• في الإنفاقِ في سبيلِ اللهِ.

(فهذا عمرُ الفاروقُ رضي الله عنه يأتي بنصفِ مالـهِ إلى رسـولِ الله صلى الله عليه وسلم، فيقـول لـه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟**» فيقولُ عمرُ: مِثْلَهُ يا رسولَ الله.

وهذا أبو بكرٍ رضي الله عنه يأتي بكلِّ مالِه، فيقـولُ لـهُ رسـولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**مَـا أَبْقَيْـتَ لأَهْلِكَ؟**» فيقولُ أبو بكرٍ: **أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ**)[1]

وهذا عثمانُ بنُ عفانَ رضي الله عنه جاءَ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم، بألفِ دينارٍ في ثوبهِ حينَ جهزَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم جيشَ العسرةِ، فصبّها في حجرِ النبـيِّ صلى الله عليه وسلم، فجعـلَ النَّبـيُّ صلى الله عليه وسلم **يُقَلِّبُهَـا** وَهو يَقُولُ: «**مَا ضَرَّ ابن عفانٍ مَا عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ** » يرددُ ذلك مراراً[2].

ثم يأتي في القرنِ العشرينَ مَنْ يسبُّ هؤلاءِ! قاتلَهُمُ اللهُ أنى يؤفكونَ.

وهذا أبو طلحةَ الأنصاريُّ رضي الله عنه عندما سمعَ قولَ اللهِ عز وجـلَّ: ﴿**لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ [آل عمران:٩٢].

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٣٦٧٥)، وأبو داود (١٦٧٨)، والدارمي (١٦٦٠)، [«صحيح سنن أبي داود» (١٤٧٣)].

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٣٧٠١)، وأحمد (٥/ ٦٣)، [«صحيح سنن الترمذي» (٢٩٢٠)].

قامَ إلى رسولِ الله ﷺ، فقالَ: (يـا رسـولَ الله! إنَّ اللهَ تَبـاركَ وتعـالى يقـولُ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمـران:٩٢]، وإِنَّ أَحَـبَّ أَمْـوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا لصَدَقَةٌ لله أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ الله، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ الله حَيْـثُ أَرَاكَ اللهُ)(١).

وهذا كعبُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه عندما تابَ اللهُ عليـهِ. ذهـبَ فجلـسَ بـينَ يـديْ رسولِ الله ﷺ وقال: (يَا رَسُولَ الله! إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَـالِي صَـدَقَةً إِلَى الله وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ)(٢).

أعرفتم صحابةَ رسولِ الله؟ قمةٌ في كُلِّ شيءٍ. نحنُ الآنَ مَنَعْنـا الزكـاةَ، وهـم يأتونَ بكلِّ أموالِهم في سبيلِ الله! ينفقونَ مما يحبونَ.

• في التضحيةِ وطلبِ الشهادةِ في سبيلِ اللهِ.

فهذا أعرابيٌّ أتى النبيَّ ﷺ فآمنَ به واتبعَهُ، فلما كانت غزوةٌ، غـنمَ النبـيُّ ﷺ سبياً فقسَّمَهُ، وقَسَمَ له فجاءَ الأعرابيُّ فقالَ: ما هذا يا رسولَ الله؟

فقال النبيُّ ﷺ: «**قَسَمْتُهُ لَكَ**».

قَالَ الأعرابيُّ: مَا عَلَى هَـذَا اتَّبَعْتُـكَ، وَلَكِنِّـي اتَّبَعْتُـكَ عَـلَى أَنْ أُرْمَـى هَـا هُنَـا -وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ- بِسَهْمٍ، فَأَمُوتَ فَأَدْخُلَ الْـجَنَّةَ.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٤٦١).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٧٥٧)، ومسلم (٢٧٦٩).

فَقَالَ: «**إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ**».

فَلَبِثُوا قَلِيلاً ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ يُحْمَلُ، قَدْ أَصَابَهُ السَهْمُ حَيْثُ أَشَارَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَهُوَ هُوَ؟**».

قَالُوا: نَعَمْ

قَالَ: «**صَدَقَ الله فَصَدَقَهُ**». ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وصَلَّى عَلَيْهِ فَكَانَ فِيمَا ظَهَرَ مِنْ صَلاَتِهِ: «**اللهمَّ هَذَا عَبْدُكَ، خَرَجَ مُهَاجِرًا، فَقُتِلَ شَهِيدًا، أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ**»[1].

وهذا عُميرُ بنُ الحُمامِ رضي الله عنه يومَ بدر؛ عندما قالَ النبيُّ ﷺ لأصحابِهِ: «**قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ**».

قال عُمير: بَخٍ بَخٍ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟**» قَالَ: لاَ وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ إِلَّا رَجَاءَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا.

فقَالَ ﷺ: «**فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا**».

فَأَخْرَجَ عُميرٌ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ! فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ)[2].

الصحابةُ الكرامُ رضي الله عنهم همْ أعلامُ الفضيلةِ، ودعاةُ الهدايةِ، الذين حملوا نورَ الإسلامِ في أنحاءِ المعمورةِ، وأنقذوا البشريةَ من أغلالِ الوثنيةِ، وَأَرْسَوا قواعدَ

(١) **صحيح**: رواه النسائي (١٩٥٣)، والحاكم (٦٥٢٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٣٦)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٠١).

الحقِّ والخيرِ والعدلِ للإنسانيةِ، نشروا كلمةَ الله حتى علتْ في الأرضِ، ورفرفَ علمُ الإسلامِ في الآفاقِ، ولقد بذلوا في سبيلِ ذلك قُصارى جهدهِم، سَهروا من أجلِ تبليغِ كلمةِ الله ونشرِها الليلَ والنهارَ دونَ مللٍ أو كللٍ؛ بل كانوا كما أخبرَ اللهُ عنهم: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران].

لم يميلوا إلى دَعةٍ، ولا أخلَدوا إلى راحةٍ، لم تغرَّهُمُ الحياةُ الدنيا بزخارفِها، ضَحَّوْا بكلِّ غالٍ ورخيصٍ، لكي يُخرِجوا العبادَ من عبادةِ العبادِ إلى عبادةِ ربِّ العبادِ(1).

الأمرُ الرابعُ: أنَّ هناكَ من فِرقِ الضلالةِ كالشيعةِ الشنيعةِ والخوارجِ وغيرِهم ممنْ يقعُ في الصحابةِ الكرامِ رضي الله عنهم بالسبِّ والشتمِ والتكفيرِ، ويتقربُ بذلكَ إلى الله ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة]، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف]:

عبادَ الله! أردنا بهذه الخطبِ أن ندافعَ عن الصحابةِ رضي الله عنهم فهذا واجبٌ على كلِّ مسلمٍ، ونبينُ أنَّ مَنْ سبَّ الصحابةَ فهو مريضُ القلبِ خبيثٌ زنديقٌ.

لقد جاءت الأدلةُ في كتابِ ربِّنا وسنةِ نبيِّنا ﷺ وأقوالِ السَّلَفِ الصالحِ تحرِّمُ سَبَّ الصحابةَ رضي الله عنهم.

---

(1) «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة» (1/ 10).

ففي كتابِ ربِّنا:

قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر].

وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

عبادَ الله! يتبينُ لنا من الآيتين أنَّ الذينَ يَسُبون الصحابةَ ليسوا ممن اتبعوهم بإحسانٍ، والذين يسبونَ الصحابةَ همْ مِنْ مرضى القلوبِ وهم زنادقةٌ.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ [الأحزاب].

والذين يسبونَ أصحابَ رسولِ الله ﷺ يؤذون رسولَ الله ﷺ؛ ومن آذى رسولَ الله؛ فقد آذى اللهَ، ومن آذى اللهَ فهو ملعونٌ -أي: مطرودٌ من رحمةِ الله-.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب].

ووجهُ الدلالة مِنَ الآيةِ على تحريمِ سَبِّ الصحابةِ ﷺ أنهم في صدارةِ المؤمنينَ.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحُجُرات:١٢].

فإذا كانتِ الغيبةُ حرامٌ في حَقِّ أيِّ مسلمٍ؛ فهي في حقِّ الصحابةِ أشدُّ حرمةً. فالويلُ كلُّ الويلِ لمن وقعَ في غيبةِ الصحابةِ ﷺ.

ومن سنةِ نبيِّنا ﷺ:

قال ﷺ: «**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا؛ مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ**»(١).

وقال ﷺ: «**مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي؛ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْـملائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(٢).

أَبشِروا يا معشرَ الشيعةِ والروافضِ والخوارجِ، يا مَنْ يتشدقونَ بسبِّ الصحابةِ أبشِروا بهذا الوعيدِ واللعنةِ -وهي الطردُ من رحمةِ اللهِ-.

وقال ﷺ: «**سِبَابُ الْـمسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»(٣)، فإذا كانَ هذا الوعيدُ يلحَقُ مَنْ سبَّ أيَّ مسلمٍ كان، فما الشأنُ بمنْ يسبُّ خيارَ المسلمينَ والأبرارَ من عبادِهِ المتقينَ وهم الصحابةُ الكرامُ ﷺ؟!

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٤٠) من حديث أبي هريرة، والبخاري (٣٦٧٣) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) **حسن**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٢٧٠٩)، وعبد الله بن أحمد في زوائد «فضائل الصحابة» (٨)، [«السلسلة الصحيحة»(٢٣٤٠)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤).

وقال ﷺ: «**إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَتِ النُّجُومُ فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا**»[1]. أي: أمسكوا ألسنتكم فيما شجَرَ بينهم.

وقال ﷺ: «**أَحْسِنُوا إِلَى أَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[2].

عبادَ الله! الأحاديثُ التي اشتملَتْ على تحريمِ سبِّ الصحابةِ رضي الله عنهم كثيرةٌ؛ فالواجبُ على كلِّ مسلمٍ أن يحذرَ من الوقوعِ في ذلك، ويعتقدُ حرمةَ ذلكَ، وأنه مِن أعظمِ الذنوبِ التي لا يقعُ فيها إلا رافضيٌّ غالٍ، جعلَ للشيطانِ على نفسهِ سبيلاً يتبَعُه في كُلِّ شيءٍ يأمرُه به مما فيه معصيةٌ للهِ -عز وجل-.

والحاصلُ مما تقدم: أنَّ السنَة دلت على أنَّ سبّ الصحابةِ منْ أكبرِ الكبائرِ وأفجرِ الفجورِ، وأنَّ مَنِ ابتُلِيَ بذلك فهو من الذين ضلَّ سعيُهم في الحياةِ الدنيا وهم يحسبونَ أنهم يُحسنونَ صنعاً.

وقد وفَّقَ اللهُ الفرقةَ الناجيةَ -أهلَ السنةِ والجماعةِ- إلى احترامِ الصحابةِ، ومعرفةِ حقِّهم وذِكرِهم بالجميلِ اللائقِ بهم، وحفظوا رسولَ الله ﷺ فيهم حيث اعتقدوا ما دلَّ عليه الكتابُ والسنةُ فيما يجبُ لهم من الحقِّ على الخلقِ بعدَهم، حفِظَ اللهُ أحياءَهم ورحِمَ موتاهُم[3].

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٤٤٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٠٨)، [«السلسلة الصحيحة»(٣٤)].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٢٦)، وابن ماجه (٢٣٦٣)، والنسائي في «الكبرى» (٩٢١٩)، [«السلسلة الصحيحة» (٤٣٠)].

(٣) «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام» (١/ ٨٤٤).

ومنْ أقوالِ السلفِ:

قال إمامُ أهلِ السنةِ أحمدُ بنُ حنبلَ -رحمهُ اللهُ تعالى-: ومنَ الحجةِ الواضحةِ البينةِ المعروفةِ ذِكرُ محاسنِ أصحابِ رسولِ الله ﷺ كلِّهم أجمعين، والكفُّ عن ذكرِ مساوئِهم، والخلافِ الذي شجرَ بينهم؛ فمن سبَّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ أو واحداً منهم، أو تَنَقَّصَ أو طعَنَ عليهم، أو عرَّضَ بعيبِهم، أو عابَ أحداً منهم؛ فهو مبتدعٌ رافضيٌّ خبيثٌ مخالفٌ لا يقبلُ اللهُ منه صرفاً ولا عدْلاً.

بل حبُّهم سنةٌ، والدعاءُ لهم قربةٌ، والاقتداءُ بهم وسيلةٌ، والأخذُ بآثارِهم فضيلةٌ، وأصحابُ رسولِ الله ﷺ هم خيرُ الناسِ؛ لا يجوزُ لأحدٍ أنْ يذكُرَ شيئاً من مساويهم، ولا يطعَنُ على أحدٍ منهم بعيبٍ ولا نقصٍ[1].

وقال الإمامُ الطحاويُّ في عقيدتِه -عقيدةِ أهلِ السنةِ والجماعةِ-: «ونحبُّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ، ولا نفرِّطُ في حبِّ أحدٍ منهم، ولا نتبرأُ من أحدٍ منهم، ونُبغضُ مَنْ يُبغضهم، وبغيرِ الخيرِ يذكرُهم، ولا نذكرُهم إلا بخيرٍ، وحبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ»[2].

اللهمَّ اجْمعنا مع صحابةِ رسولِ الله في الجنة مع نبيِّنا ﷺ.

---

(١) «السنة» للإمام أحمد (ص٧٨).

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٤٦٧).



أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه

أولاً : عقيدةُ أهلِ السنةِ والجماعةِ في أبي بكرٍ رضي الله عنه

أيها الأخوةُ عبادَ الله! قال الله عز وجل: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور]. وهؤلاء الرجال هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم.

موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- مع خليفةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، معَ صِدّيقِ هذه الأمةِ الأكبرِ، مع أبي بكرٍ الصدّيقِ رضي الله عنه. أتعرفونه؟

هو: عبدُ الله بنُ عثمانَ بنِ عامرِ بنِ عمرِو بنِ كعبِ بنِ سعدِ بنِ تيمِ بنِ مرةَ بنِ كعبِ بنِ لؤيِّ بنِ غالبٍ القرشيُّ التيميُّ، يجتمعُ نسبُهُ مع نسَبِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم في مرة ابنِ كعبٍ.

وأبوهُ: أبو قحافةَ، عثمانُ بنُ عامرِ بن عمرٍو.

وأمُّهُ: أمُّ الخيرِ، سلمى بنتُ صخرِ بنِ عامرٍ ابنةُ عمِّ أبيه.

كنيتُه: أبو بكرٍ.

وُلِدَ بعدَ عامِ الفيلِ بسنتينِ وستةِ أشهرٍ.

هو أولُ من آمَنَ مِنَ الرجالِ، أسلمَ أبوهُ وأمُّه وزوجُه وأولادُه -رضي الله عنهم جميعاً-.

وحديثُنا عن أبي بكرٍ رضي الله عنه في هذا اليومِ -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- سيكونُ فقط عن **عقيدةِ أهلِ السنةِ والجماعةِ في أبي بكرٍ الصديقِ** رضي الله عنه.

ينبغي للمسلمِ أنْ يعتقدَ اعتقاداً جازماً لا شكَّ فيهِ ولا ريبَ أنَّ أفضلَ البشرِ بعدَ الأنبياءِ والمرسلينَ هو أبو بكرٍ رضي الله عنه، وهو أفضلُ هذهِ الأمةِ بعدَ نبيِّها صلى الله عليه وسلم.

وقد جاءتِ الأدلةُ من الكتابِ والسنةِ وإجماعِ المسلمينَ على أنَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه هو أفضلُ هذه الأمةِ بعد نبيِّها صلى الله عليه وسلم. ومَنِ اعتقدَ خلافَ ذلك؛ فهو مبتدِعٌ خبيثٌ زنديقٌ رافضيٌّ.

الأدلةُ من كتابِ ربِّنا على فضيلةِ الصديقِ رضي الله عنه:

١- هو الصاحبُ في الغارِ:

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ [التوبة:٤٠].

أجمعَ المسلمونَ على أنَّ المرادَ بالصاحبِ المذكورِ منَ الآيةِ هو أبو بكرٍ الصديقُ رضيَ الله عنه وأرضاه[1].

وقال سفيانُ بن عُيينة: عاتبَ اللهُ المسلمينَ كلَّهم في رسولِ الله ﷺ إلا أبا بكر وحدَه؛ فإنه خرجَ منَ المعاتبةِ، قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠][2].

وقال ابنُ جريرٍ رحمهُ اللهُ تعالى: وإنما عنى اللهُ -جلَّ ثناؤُه- بقوله: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ رسولَ الله ﷺ وأبا بكرٍ رضي الله عنه؛ لأنهما كانا اللَّذين خرجا هاربَيْنِ من قريشٍ إذ همّوا بقتلِ رسولِ الله ﷺ واختفيا في الغار، وقوله: ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ يقول: إذ رسولُ الله وأبو بكرٍ رضي الله عنه في الغارِ. وقوله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ﴾ يقول: إذ يقولُ رسولُ الله ﷺ لصاحبه أبي بكرٍ ﴿لَا تَحْزَنْ﴾؛ وذلكَ أنه خافَ من الطلبِ أنْ يعلموا بمكانهما؛ فجزِعَ منْ ذلك، فقال له رسولُ الله ﷺ لا تحزنْ لأنَّ الله معَنا، والله ناصرُنا؛ فلن يعلمَ المشركون بنا؛ ولن يصلوا إلينا[3].

فالآية دلتْ دلالةً واضحةً على فضلِ أبي بكرٍ رضي الله عنه؛ حيثُ جعلَه اللهُ ثانيَ النبيِّ ﷺ بقوله: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ وما ذلكَ إلا لأنَّ الصديقَ بلغ النهايةَ في الفضلِ رضي الله عنه وأرضاهُ.

---

(١) «الإصابة» (٢/ ٣٣٥)، «تحفة الأحوذي» (١٠/ ١٥٤).

(٢) رواه ابن عساكر (٣٠/ ٩٢)، انظر «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ١٩٩).

(٣) رواه الطبري في تفسيره «جامع البيان» (١٠/ ١٣٦).

٢- هوَ الصدّيقُ الذي صدّقَ رسولَ الله ﷺ في كُلِّ شيءٍ:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزُّمَر].

روى ابنُ جريرٍ رحمه الله تعالى بإسنادِه إلى (عَلِيٍّ رضي الله عنه فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزُّمَر:٣٣] قَالَ: أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه)(١). كيفَ لا؟! وأبو بكرٍ رضي الله عنه كان شعارُه دائماً معَ رسولِ الله ﷺ: (إنْ كان محمدٌ قد قالَ ذلكَ؛ فقد صدَقَ).

٣- هو الصالحُ:

قال تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [التحريم].

ذهبَ كثيرٌ منَ المفسرينَ منهم عبدُ الله بنُ عباسٍ، وابنُ مسعودٍ، وعبدُ الله بنُ عمرَ، ومجاهدٌ، والضحاكُ إلى أنَّ المرادَ بصالحِ المؤمنين أبو بكرٍ وعمرُ رضي الله عنهما(٢).

٤- هو الذي يريدُ ما عندَ اللهِ منَ الأجرِ والثوابِ فقط:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الليل].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره «جامع البيان» (٢٣/ ٣).

(٢) رواه الطبري في تفسيره «جامع البيان» (٢٨/ ١٦٢-١٦٣)، وابن كثير (٧/ ٥٦).

ذكرَ ابنُ جريرٍ الطبريُّ رحمه اللهُ تعالى أن هذه الآيةَ نزلت في أبي بكرٍ رضي الله عنه.

فقد روى بإسناده إلى عامرِ بنِ عبدِ الله بنِ الزبيرِ قالَ: كان أبو بكرٍ يُعتقُ على الإسلامِ بمكةَ، فكانَ يُعتقُ عجائزَ ونساءً إذا أسلمن.

فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: أَيْ بُنَيَّ! أَرَاكَ تُعْتِقُ أُنَاسًا ضُعَفَاءَ! فَلَوْ أَنَّكَ تعتقُ رِجَالاً جلدًا؛ يَقُومُونَ مَعَكَ وَيَمْنَعُونَكَ وَيَدْفَعُونَ عَنْكَ.

قَالَ أبو بكر: أَيْ أَبَتِ! إِنَّمَا أُرِيدُ مَا عِنْدَ اللهِ.

قَالَ: فَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ بَيْتِي أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نزلَتْ فِيهِ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧)﴾ [الليل])[1].

٥- هو الأتقى:

وقال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ (٢١)﴾ [الليل].

هذه الآياتُ ذكرَ الكثيرُ منَ المفسرينَ أنها نزلت في أبي بكرٍ رضي الله عنه.

قال ابنُ كثيرٍ -رحمه الله تعالى-: وقد ذكرَ غيرُ واحدٍ منَ المفسرينَ أنَّ هذه الآياتِ نزلتْ في أبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه؛ حتى إنَّ بعضهم حكى الإجماعَ من المفسرين على ذلك؛ ولا شكَّ أنه داخلٌ فيها وأولى الأمةِ بعمومِها فإنَّ لفظَها؛ لفظُ

(١) رواه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٢٢١)، تفسير ابن كثير (٤/ ٥٢١).

العموم، وهو قولُه تعـالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى (١٧) ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ (١٩)﴾ [الليـل] وأنـه في مقدمـةِ الأمـةِ، وسـابِقُهم في جميـعِ هـذه الأوصافِ، وسائرِ الأوصافِ الحميدةِ؛ فإنه كان صِدّيقاً تقيّـاً كـريماً جـواداً بـذّالاً لأموالِه في طاعةِ مولاهُ ونصرةِ رسولِ الله ﷺ.

فكم من دراهمَ ودنانيرَ بذلها ابتغاءَ وجهِ ربِّـه الكـريمِ؟! ولم يكـن لأحـدٍ مـن الناس عنده مِنَّةٌ يحتاجُ إلى أن يكافئَه بها، ولكنْ كانَ فضلُه وإحسانُه على الـساداتِ والرؤساءِ من سائرِ القبائلِ.

ولهذا قالَ له عروةُ بنُ مسعودٍ -وهو سيدُ ثقيفٍ يومَ صـلحِ الحديبيـةِ-: (أَمَـا وَالله! لَوْلاَ يَدٌ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لأَجَبْتُكَ)[1]. وكان الصديقُ قد أغلـظَ لـه في المقالةِ. فإذا كان هذا حالُه معَ سـاداتِ العـربِ، ورؤسـاءِ القبائـلِ، فكيـفَ بمـن عداهم؟! ولهـذا قـالَ تعـالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ (١٩) إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ (٢٠) وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ (٢١)﴾ [الليل][2].

٦- هو الوقّافُ عند كتابِ اللهِ:

تقولُ عائشةُ رضي الله عنها: (فلما أَنْزَلَ الله بَرَاءَتِي، قَالَ أَبُو بَكْـرٍ الـصِّدِّيقُ رضي الله عنه: وَالله! لاَ أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَـالَ لِعَائِـشَةَ مَـا قَـالَ -وكـان ينفـقُ عـلى

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢)

(٢) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٣١٠-٣١١).

مِسطحٍ لقرابته منه، وفقره- فَأَنْزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور].

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: بَلَى؛ وَاللهِ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ: وَاللهِ لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا)[1].

فانظروا **عبادَ الله!** كيف كان أبو بكرٍ رضي الله عنه وقافاً عند كتابِ اللهِ؟! نعمْ واللهِ! قومٌ اختارهُمُ الله لصحبةِ نبيِّه ونصرةِ دينِه؛ أفضلُهم أبو بكر رضي الله عنه.

ثم بعدَ هذه الآياتِ يأتي مبتدعٌ خبيثٌ زنديقٌ يسبُّ أبا بكرٍ الصديقَ؟!!

ثانياً: الأدلةُ من سنةِ نبيِّنا ﷺ على أنَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه هو أفضلُ هذهِ الأمةِ بعدَ نبيِّها ﷺ:

١- أبو بكرٍ رضي الله عنه ومشاركتُه للنبيِّ ﷺ في معيةِ الاختصاصِ.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠] صريحٌ في مشاركةِ الصديقِ للنبيِّ ﷺ في هذه المعيةِ التي اختُصَّ بها الصديقُ لم يُشرِكْه فيها أحدٌ من الخلقِ .. وهي تدلُّ على أنه سبحانه معهم بالنصرِ والتأييدِ والإعانةِ على عدوِّهم[2].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٢) «منهاج السنة» (٤/ ٢٤٢).

ويقول أنسُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه : حدثني أبو بكرٍ رضي الله عنه فقال: (نَظَـرْتُ إِلَى أَقْـدَامِ الْـمشْرِكِينَ عَلَى رُءُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَـرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ.

فَقَالَ ﷺ : «**يَا أَبَا بَكْرٍ! مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**»)[1].

وهذا الحديثُ تضمنَ منقبةً عظميةً ظاهرةً لأبي بكرٍ رضي الله عنه ، وتلك المنقبـةُ أنـه رضي الله عنه كانَ ثانيَ اثنين ثالثهُما ربُّ العالمين.

٢- هو رضي الله عنه الذي قَدَّمَ نفسَه ومالَه بين يدَيْ رسولِ الله ﷺ :

عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قال: (خَطَبَ رَسُولُ الله ﷺ النَّاسَ وَقَـالَ: «**إِنَّ الله خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدُ مَا عِنْـدَ الله**» قَـالَ: فَبَكَـى أَبُو بَكْرٍ، فَعَجِبْنَا لِبُكَائِهِ؛ أَنْ يُخْبِرَ رَسُولُ الله ﷺ عَنْ عَبْدٍ خُـيِّرَ؛ فَكَـانَ رَسُـولُ الله ﷺ هُوَ الْـمخَيَّرُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْـرٍ، وَلَـوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً غَيْرَ رَبِّي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْـرٍ، وَلَكِـنْ أُخُـوَّةُ الإِسْـلاَمِ وَمَوَدَّتُـهُ، لاَ يَبْقَيَنَّ فِي الْـمسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ**»[2].

وفي هذا الحديثِ فضيلةٌ لأبي بكرٍ رضي الله عنه ؛ حيـثُ كـانَ أعلـمَ الـصحابةِ رضي الله عنهم برسولِ الله ﷺ وبما يقولُه عليهِ الصلاةُ والسلامُ؛ فقد فهمَ أبـو بكـرٍ رضي الله عنه المـرادَ بالعبدِ المخَيَّرِ وأنه الرسولُ ﷺ ؛ فبكى حزناً على فراقِه وانقطاعِ الوحيِ.

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٥٤).

وفي الحديث أيضاً فضيلةٌ لأبي بكرٍ ﷺ؛ فقد بينَ عليه الصلاةُ والسلامُ أنه لو صلُحَ له أن يتخذَ أحداً منَ الناسِ خليلاً لاتخذَ أبا بكرٍ دونَ سواهُ. وقال ﷺ: **«مَا لأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلَّا وَقَدْ كَافَأْنَاهُ ما خلا أَبَا بكْرٍ، فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافِئُهُ اللهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا نَفَعَنِي مَالُ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا من الناسِ خَلِيلاً لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، أَلاَ وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللهِ»**[1].

٣- أبو بكرٍ ﷺ أحبُّ الناسِ إلى رسولِ اللهِ ﷺ:

(عن عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلاَسِلِ فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ ﷺ: «**عَائِشَةُ**».

فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟

فَقَالَ: «**أَبُوهَا**»

قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟

قَالَ: «**ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ**» فَعَدَّ رِجَالاً)[2].

هذا الحديثُ فيه تصريحٌ بعظيمِ فضائلِ أبي بكرٍ وعمرَ وعائشةَ ﷺ وفيه دلالةٌ بينةٌ لأهلِ السنةِ في تفضيلِ أبي بكرٍ، ثم عمرَ على جميعِ الصحابةِ -رضي الله عنهم أجمعين-[3].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٦٦١)، [«صحيح سنن الترمذي» (٢٨٩٤)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤)

(٣) انظر «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٥/ ١٥٣-١٥٤).

٤- أبو بكرٍ رضي الله عنه يشهدُ لهُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بصدقِ الإيمانِ وقوةِ اليقينِ:

يقولُ أبو هريرةَ رضي الله عنه: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ: (بَيْنَمَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ، عَدَا عَلَيْهِ الذِّئْبُ فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي حتى استنقذها منه، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الذِّئْبُ فَقَالَ له: مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ، يَوْمَ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي؟ وَبَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً قَدْ حَمَلَ عَلَيْهَا، فَالْتَفَتَتْ إِلَيْهِ فَكَلَّمَتْهُ فَقَالَتْ: إِنِّي لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا، وَلَكِنِّي خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ.

قَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ الله!

قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «**فَإِنِّي أُومِنُ بِذَلِكَ، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ بْنُ الْـخَطَّابِ** رضي الله عنهما»)[1].

وهذا الحديثُ فيه فضيلةٌ ظاهرةٌ لأبي بكرٍ وعمرَ؛ حيثُ أخبرَ عليه الصلاةُ والسلامُ أنهما يُؤْمنان بذلك ولم يكونا في القومِ عندَ حكايةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ذلك.

قال الإمامُ النوويُّ -عند قولهِ صلى الله عليه وسلم: «**فإني أومنُ به وأبو بكرٍ وعمرُ**»-: قال العلماءُ: إنما قالَ ذلكَ ثقةً بهما؛ لعلمه بصدقِ إيمانهما، وقوةِ يقينهما، وكمالِ معرفتِهما لعظيمِ سلطانِ الله وكمالِ قدرتهِ، ففيه فضيلةٌ ظاهرةٌ لأبي بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما[2].

٥- أبو بكرٍ رضي الله عنه يشهدُ له رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بالصدِّيقية: وهي منزلةٌ تأتي بعد منزلةِ الأنبياءِ وقبلَ منزلةِ الشهداءِ:

قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٦٣)، ومسلم (٢٣٨٨).

(٢) «شرح النووي» (١٥/ ١٥٦).

كيف لا وقد صَعِدَ النبيُّ ﷺ أُحُداً وأبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ، فرجَفَ بهم فقال ﷺ: «**اثْبُتْ أُحُدُ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَان**»[1].

دلَّ هذا الحديثُ على منقبةٍ عظيمةٍ لأبي بكرٍ رضي الله عنه وهي «وصديقٌ» فقد لَقَّبَه النبيُّ ﷺ بهذا اللقبِ الشريفِ.

وكان عليٌّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه يحلفُ أنّ اللهَ -عز وجل- أنزلَ اسمَ أبي بكرٍ من السماءِ (الصديقَ)[2].

٦- أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه الذي غضبَ رسولُ اللهِ ﷺ لغضبه، وحذَّرَ أصحابَه أن يُؤذوهُ ولو بكلمةٍ:

يقول أبو الدرداءِ رضي الله عنه: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ -أي: خاصم-، فَسَلَّمَ -أي على رسولِ الله ﷺ- وَقَالَ: يارسولَ الله! إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ فَقَالَ ﷺ: يَغْفِرُ الله لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ (ثَلاثًا). ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ فَسَأَلَ: أَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لاَ.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٧٥).

(٢) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٩٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ٥٥)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١/ ٧٠)، قال ابن حجر في «فتح الباري» (٧/ ٩) : **رجاله ثقات**.

فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمَ عليه، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ -أي: من الغضبِ- حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! وَالله أَنَا كُنْتُ أَظْلَمُ (مَرَّتَيْنِ)

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي؟ -مَرَّتَيْنِ- فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا**»[1].

قال الحافظُ في (الفتح): وفي الحديثِ من الفوائدِ: فضلُ أبي بكرٍ على جميعِ الصحابةِ رضي الله عنهم وأن الفاضلَ لا ينبغي له أن يُغاضِبَ مَن هو أفضلُ منه[2].

٧- أبو بكرٍ رضي الله عنه يشهدُ لهُ رسولُ اللهِ ﷺ بالجنةِ:

يقول ﷺ: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بنُ أبي وقاصٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بنُ زيدٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ**»[3].

وعن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه أخبرَ أنه توضأَ في بيته ثم خرَج، فقال: (لأَلْزَمَنَّ رَسُولَ الله ﷺ وَلأَكُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا، قَالَ: فَجَاءَ الْمَسْجِدَ فَسَأَلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: خَرَجَ وَوَجَّهَ هَاهُنَا، فَخَرَجْتُ عَلَى إِثْرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ حَتَّى دَخَلَ بِئْرَ

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٦١).

(٢) «فتح الباري» (٧/ ٢٦).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٧٤٧)، وأحمد (١/ ١٩٣)، وابن حبان (٧٠٠٢)، [«صحيح الجامع»(٥٠)].

أَرِيسٍ، فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ -وَبَابُهَا مِنْ جَرِيدٍ- حَتَّى قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ حَاجَتَهُ فَتَوَضَّأَ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى بِئْرِ أَرِيسٍ، وَتَوَسَّطَ قُفَّهَا[1]، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ، وَدَلاَّهُمَا فِي الْبِئْرِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ، فَقُلْتُ: لأَكُونَنَّ بَوَّابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْيَوْمَ. فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَدَفَعَ الْبَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ.

فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ.

فَقَالَ ﷺ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**».

فَأَقْبَلْتُ حَتَّى قُلْتُ لأَبِي بَكْرٍ: ادْخُلْ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يُبَشِّرُكَ بِالْجَنَّةِ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَهُ فِي الْقُفِّ وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبِئْرِ -كَمَا صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ- وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ -وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقُنِي- فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ اللهُ بِفُلاَنٍ خَيْرًا -يُرِيدُ أَخَاهُ- يَأْتِ بِهِ.

فَإِذَا إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟

فَقَالَ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ: هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَسْتَأْذِنُ.

فَقَالَ ﷺ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»

فَجِئْتُ فَقُلْتُ: ادْخُلْ وَبَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ، فَدَخَلَ فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْقُفِّ عَنْ يَسَارِهِ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبِئْرِ.

---

(١) قُفّ البئر: هو الدكة التي تُجعل حولها. وأصل القُفّ: ما غلظ من الأرض وارتفع.

ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ الله بِفُلَانٍ خَيْرًا يَأْتِ بِهِ، فَجَاءَ إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟

فَقَالَ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ، وَبَشِّرْهُ بِالْـجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ**».

فَجِئْتُهُ، فَقُلْتُ لَهُ: ادْخُلْ، وَبَشَّرَكَ رَسُولُ الله ﷺ بِالْـجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُكَ. فَدَخَلَ فَوَجَدَ الْقُفَّ قَدْ مُلِئَ فَجَلَسَ وُجَاهَهُ مِنَ الشِّقِّ الآخَرِ.

قَالَ شَرِيكٌ: قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْـمسَيَّبِ: فَأَوَّلْتُهَا قُبُورَهُمْ)[1].

هذا الحديثُ فيه التصريحُ بفضلِ الثلاثةِ: أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ، ودل على أن أبا بكر أفضلُهم؛ لسبقه بالبشارةِ بالجنةِ، ولجلوسهِ على يمينِ المصطفى ﷺ.

وعندما أخبرَ رسولُ الله ﷺ عن أبوابِ الجنةِ وقال: «**مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَام دُعِيَ مِنْ بَابِ الصِّيَامِ وَبَابِ الرَّيَّانِ**» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: هَلْ يُدْعَى مِنْهَا كُلِّهَا أَحَدٌ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ**»[2].

هذا الحديثُ دلَّ على فضيلةٍ ومنقبةٍ عاليةٍ للصديقِ رضي الله عنه، تضمنَها قولُه ﷺ: «**وأرجو أن تكونَ منهم يا أبا بكر**» ورجاءُ النبيِّ ﷺ واقعٌ محقَّقٌ. وفي هذا دلالةٌ

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٧٤)، ومسلم (٢٤٠٣).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٦٦)، ومسلم (١٠٢٧).

واضحةٌ على فضلِ أبي بكر بعد النبيِّ ﷺ، يقول ابنُ القيمِ رحمه اللهُ في «نونيته»: عن أبوابِ الجنةِ.

وسوف يُدعى المرءُ من أبوابها ... جمعاً إذا وفى حُلى الإيمان
منهم أبو بكر هو الصديق ذا ... ك خليفة المبعوث بالقرآن

٨- أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه السابقُ بالخيراتِ.

يقولُ أبو هريرةَ رضي الله عنه: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟**» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «**فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟**» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «**فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟**» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «**فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟**» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[1].

هذا الحديثُ اشتملَ على فضائلَ ظاهرةٍ للصديقِ رضي الله عنه؛ فإنه كان سباقاً إلى فعلِ الخيراتِ التي تُقَرِّبُ العبدَ من الجنةِ وتزحزحُه عن النارِ.

٩- أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه الذي شهدَ الصحابةُ له بالخيرية والفضلِ عليهم:

يقول ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: (كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رضي الله عنهم)[2].

هذا الحديثُ دلّ على أن أفضليةَ أبي بكرٍ كانت ثابتةً في أيامه عليه الصلاةُ والسلام، وأنه أفضلُ الناسِ بعدَ النبيِّ ﷺ.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٢٨).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٥٥).

قال الحافظُ في «الفتح»: قوله: «كنا نُخيِّر بينَ الناس في زمانِ رسولِ الله ﷺ» أي: نقول: فلانٌ خيرٌ من فلانٍ.

وفي رواية عبيد الله بن عمرَ -في مناقب عثمان-: (كنا لا نعدِلُ بأبي بكر أحداً، ثم عمرَ، ثم عثمانَ، ثم نتركُ أصحابَ رسولِ الله ﷺ فلا نُفاضلُ بينهم) وقوله: (لا نعدلُ بأبي بكر) -أي: لا نجعلُ له مِثلاً- ولأبي داودَ من طريقِ سالمٍ عن ابنِ عمرَ (كنا نقولُ ورسولُ الله ﷺ حيٌّ: أفضلُ أمةِ النبيِّ ﷺ بعده أبو بكر، ثم عمرُ، ثم عثمانُ). زاد الطبراني في رواية: (فيسمعُ رسولُ الله ﷺ ذلك فلا يُنكرُه)[1].

فالحديثُ دلّ على أن أبا بكر أفضلُ الخلقِ بعدَ الرسول ﷺ؛ كما هو مذهبُ أهل السنةِ والجماعةِ.

وهذا أميرُ المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه يشهدُ لأبي بكرٍ بذلك: (عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ: قُلْتُ لأَبِي: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ. قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ. وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانَ؛ قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْـمسْلِمِينَ)[2].

وقال الفاروقُ عمرُ رضي الله عنه: (أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا؛ يَعْنِي بِلاَلاً)[3].

(١) «فتح الباري» (٧/ ١٦).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٧١)

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٥٤).

وقال عليُّ بنُ أبي طالبٍ ﷺ: (خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُـو بَكْـرٍ، وَخَيْرُهَـا بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ عُمَرُ، وَلَوْ شِئْتُ سَمَّيْتُ الثَّالِثَ)[1].

أدلةٌ من الكتابِ والسنةِ تدلُّ على أن الصِّدّيقَ هو أفضلُ الناسِ بعـد الأنبيـاءِ، وأفضلُ هذه الأمةِ بعدَ نبيِّها ﷺ.

أبعدَ هذه الأدلةِ يأتي مبتدعٌ خبيثٌ زنديقٌ رافضيٌّ يسبُّ أبا بكرٍ الصديقَ ﷺ؟!

ثالثاً: وقد أجمعَ الصحابةُ ﷺ، والمسلمون مِنْ بعدِهم سلفاً وخلفاً على أنَّ أفضلَ الصحابةِ والناسِ بعدَ الأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلامُ أبو بكرٍ، ثم عمرُ، ثم عثمانُ، ثم عليٌّ، ثم سائرُ العشَرة، ثم باقي أهلِ بدرٍ، ثم باقي أهلِ أُحُدٍ، ثم باقي أهلِ بيعةِ الرضوانِ، ثم باقي الصحابةِ، هكذا إجماعُ أهلِ الحقِّ، فأبو بكر أفضلُ هذه الأمة بعد نبيِّها ﷺ لا يُنازِعُ في ذلك إلا زائغٌ[2].

وقد نَقَلَ الإجماعَ على أنَّ أفضلَ الناسِ بعـدَ الأنبيـاءِ هـو أبـو بكـر الـصديقُ؛ جماعةٌ من أهلِ العلمِ منهم:

- قالَ الإمامُ الشافعيُّ -رحمه الله تعالى- فيما رواه عنه البيهقيُّ بإسنادِه: (ما اختلفَ أحدٌ من الصحابةِ والتابعين في تفضيلِ أبي بكرٍ وعمرَ، وتقـديمِهما عـلى جميـعِ الصحابةِ..)[3].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده (١/ ١١٠)، [«محققو المسند»].

(٢) انظر «لوامع الأنوار البهية للسفاريني» (٢/ ٣١٤).

(٣) «كتاب الاعتقاد» (ص١٩٢).

• وقال الحافظُ ابنُ حجرٍ رحمه الله تعالى: (ونقل البيهقيُّ في «الاعتقـاد» بـسنده إلى أبي ثورٍ عن الشافعيِّ أنه قال: أجمعَ الصحابةُ وأتباعُهم على أفـضليةِ أبي بكـرٍ، ثم عمرَ، ثم عثمانَ، ثم عليّ)[1].

• وقال النوويُّ رحمه الله تعالى: (اتفقَ أهلُ السنةِ على أنَّ أفضلَهم -أي الـصحابةَ- أبو بكرٍ ثم عمرُ)[2].

• وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية رحمه الله تعالى: (وقد اتفـقَ أهـلُ الـسنةِ والجماعـةِ على ما تواترَ عن عليّ بن أبي طالبٍ أنه قال: خيرُ هذه الأمةِ بعد نبيِّها أبـو بكـرٍ ثم عمرُ)[3].

• قال الإمامُ أبو حنيفَة رحمه الله تعالى: (ونُقِرُّ بأنَّ أفضلَ هذهِ الأمةِ بعد نبيها محمـدٌ عليه الصلاةُ والسلامُ أبو بكرٍ ثـم عمـرُ ثـم عـثمانُ ثـم عـليٌّ رضي الله عـنهم أجمعين)[4].

• وقال الإمامُ أحمدُ رحمه الله تعالى: (وخيرُ الأمةِ بعد النبـيِّ ﷺ أبـو بكـرٍ، وعمـرُ بعدَ أبي بكرٍ، وعثمانُ بعد عمرَ، وعليٌّ بعدَ عـثمانَ ... وهـم خلفـاءُ راشـدونَ مَهديون)[5].

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ١٧)،وانظر«كتاب الاعتقاد» (ص١٩٢).

(٢) «شرح النووي على مسلم» (١٥/ ١٤٨).

(٣) «الوصية الكبرى» (ص٣٢).

(٤) «الفقه الأكبر» (ص١٠٨).

(٥) «طبقات الحنابلة» (١/ ٣٠).

وقال أيضاً رحمه الله: (خيرُ هذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكرٍ الصديقُ)[1].

• وقال ابنُ قدامةَ المقدسيُّ رحمه الله تعالى: (وأفضلُ أمته ﷺ: أبو بكرٍ الصديقُ ثم عمرُ الفاروق، ثم عثمانُ ذو النورين، ثم عليٌّ المرتَضى رضي الله عنهم)[2].

• وقال الإمامُ الذهبيُّ رحمه الله تعالى: (أفضلُ الأمةِ وخليفةُ رسولِ الله ﷺ ومؤنِسُهُ في الغارِ وصدِّيقُه الأكبرُ .. عبد الله بنُ أبي قحافةَ عثمانُ القرشيُّ التميميُّ)[3].

• وقال الحافظُ ابن كثيرٍ رحمه الله تعالى: (وأفضلُ الصحابةِ؛ بل أفضلُ الخلقِ بعد الأنبياءِ عليهم السلام: أبو بكرٍ ثم مِنْ بعدهِ عمرُ بن الخطابِ، ثم عثمانُ بن عفانَ، ثم عليٌّ بنُ أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين)[4].

هذه هي عقيدةُ أهلِ السنةِ والجماعةِ في أبي بكرٍ الصديقِ (وهي الإيمانُ والمعرفةُ بأنَّ خيرَ الخلقِ وأفضلَهم وأعظَمَهم منزلةً عندَ الله -عزّ وجل- بعدَ النبيين والمرسلين: أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه). وهذا هو المذهبُ الحقُّ الذي يلزمُ كُلَّ مسلمٍ أن يعتقدَه ويلتزمَه ويتمسكَ به.

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعلْ في قلوبِنا غِلاً للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم.

---

(١) «مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي» (١/ ١٦٠).

(٢) «لمعة الاعتقاد» (ص٢٥).

(٣) «تذكرة الحفاظ» (١/ ٢).

(٤) «الباعث الحثيث» (ص١٨٣).



أبو بكر الصديق رضي الله عنه

ثانياً: أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه في مكةَ قبلَ إسلامِه، وبعدَ إسلامِه.

ثالثاً: هجرتهُ رضي الله عنه من مكةَ إلى المدينةِ.

عبادَ الله! قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

وهؤلاءِ الرجالُ همْ أصحابُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، قومٌ اختارهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّه ولنُصرةِ دينِه؛ فسعادةُ الدنيا والآخرةِ في اتباعِهم وسلوكِ منهجِهم.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقلنا: ينبغي للمسلمِ أن يعتقدَ اعتقاداً جازماً أنَّ أفضلَ البشرِ بعدَ الأنبياءِ والمرسلينَ هو أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه، وأنه أفضلُ هذهِ الأمةِ بعدَ نبيِّها صلى الله عليه وسلم.

وحديثُنا عن أبي بكرٍ رضي الله عنه في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- سيكونُ فقط حولَ العناصرِ التاليةِ:

العنصرُ الأولُ: أبو بكرٍ رضي الله عنه في مكةَ قبلَ إسلامِه وبعدَ إسلامِه.

العنصرُ الثاني: هجرتُه رضي الله عنه من مكةَ إلى المدينةِ.

• أبو بكرٍ رضي الله عنه في مكةَ قبلَ إسلامِه:

كان أبو بكرٍ الصديقُ في الجاهليةِ مِن وجهاءِ قريشٍ وأشرافِهم، وأحدَ رؤسائِهم وكانوا يستعينونَ به فيما نابهم، وكانت له بمكةَ ضيافاتٌ لا يفعلُها أحدٌ، وكانَ رضي الله عنه من علماءِ الأنسابِ وأخبارِ العربِ، وله في ذلك باعٌ طويلٌ وكان رضي الله عنه أنسبَ قريشٍ لقريشٍ، وأعلمَ قريشٍ بها وبما كانَ فيها من خيرٍ وشرٍّ، وكان رجلاً تاجراً ذا خُلُقٍ ومعروفٍ، محبَّبٍ عندَ الناسِ، وكان رجالُ قومِه يأتونَه ويألَفونه لغيرِ واحدٍ من الأمرِ؛ لعلمِه وتجارتِه وحُسنِ مجالستِه.

قال صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا**»[1].

وقال ابنُ الدُّغُنَّةِ -وهو سيدُ القارةِ (قبيلةٌ)- في وصفِ أبي بكرٍ: (مِثْلُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لاَ يَخْرُجُ وَلاَ يُخْرِجُ؛ إِنَّكَ تَكْسِبُ الْـمعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ)[2].

أبو بكرٍ الصديقُ لم يشربِ الخمرَ في الجاهليةِ:

ولما سُئِلَ عن ذلكَ قال: كنتُ أصونُ عِرضي، وأحفظُ مُروءتي؛ فإنَّ مَنْ شربَ الخمرَ كان مُضَيِّعاً لعِرضِه ومروءتِه[3].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٩٠).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٩٠٥).

(٣) «الرياض النضرة» (٢/ ١٤٦) للمحب الطبري، «تاريخ الخلفاء» للسيوطي (ص٤٩).

وصدقَ والله! فإنَّ الخمرَ هيَ أمُّ الخبائثِ، مَـنْ شرِبَهـا وقـعَ عـلى أُمِّـه وأختِـه وابنتِه وعمتِه وخالتِه.

أبو بكرٍ الصديقُ لم يسجدْ لصنمٍ قطُّ: قالَ ﷺ في جمعٍ منْ أصحابِ رسولِ الله ﷺ: ما سجدتُ لصنمٍ قَطُّ[1].

أبو بكرٍ الصديقُ كانَ يحملُ رصيداً ضخماً من القيمِ الرفيعةِ، والأخلاقِ الحميدةِ والسجايا الكريمةِ في المجتمعِ القرشيِّ قبلَ الإسلامِ، وقد شهدَ له أهلُ مكةَ بتقدُّمِه على غيرِه في عالمِ الأخلاقِ والقيمِ والمُثُلِ، ولم يُعلَمْ أحدٌ من قريشٍ عابَ أبا بكرٍ بعيبٍ ولا انتقصهُ كما كانوا يفعلونَ بضعفاءِ المؤمنينَ، ولم يكنْ له عندهم عيبٌ إلا الإيمانَ باللهِ ورسولِهِ.

• أبو بكرٍ الصديقُ في مكةَ بعدَ إسلامِه:

بُعثَ رسولُ الله ﷺ في مكةَ وأخذ يدعو الناسَ سِراً إلى الإسلامِ، وكان أولَ مَنْ آمنَ منَ الرجالِ أبو بكرٍ الصديقُ ﷺ.

يقول عمارُ بن ياسرٍ: (رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ (أي: في مكة) وَمَا مَعَهُ إِلَّا خَمْسَةُ أَعْبُدٍ وَامْرَأَتَانِ، وَأَبُو بَكْرٍ)[2].

قال ابنُ حجرٍ رحمهَ الله: (وفي الحديثِ دلالةٌ على قِدَمِ إسلامِ أبي بكرٍ ﷺ؛ إذ لم يذكر عمارٌ أنه رأى مع النبيِّ ﷺ من الرجالِ غيرَه. وقد اتفقَ الجمهورُ على أنَّ أبا بكر أولُ مَنْ أسلمَ من الرجالِ)[3].

(١) «التاريخ الإسلامي» لمحمود شاكر.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٦٠)

(٣) «فتح الباري» (٧/ ١٧٠).

ويقول عمرو بنُ عبْسَةَ السُّلَميُّ: (كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ.

فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا؛ فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ. فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ مُسْتَخْفِيًا، جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ؛ فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ.

فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟

قَالَ: «**أَنَا نَبِيٌّ؟**»

فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟

قَالَ «**أَرْسَلَنِي الله؟**»

فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟

قَالَ: «**أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ؟**»

قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟

قَالَ: «**حُرٌّ وَعَبْدٌ**» (قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ)[1]، وهذا دليلٌ على قِدَمِ إسلامِ أبي بكرٍ رضي الله عنه.

و قال ابنُ مسعودٍ :(كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلاَمَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ الله ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلاَلٌ، وَالْمِقْدَادُ)[2].

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٨٣٢).

(٢) **حسن**: رواه ابن ماجه (١٥٠)، وأحمد (١/ ٤٠٤)، وابن حبان (٧٠٨٣)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص١٢١)].

وقال ﷺ: «إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ»[1].

استنبطَ ابنُ كثيرٍ رحمَه الله تعالى من هذا الحديثِ؛ أنَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه هو أولُ الناسِ إسلاماً[2].

هذه أدلةٌ على أن أبا بكرٍ رضي الله عنه هو أولُ مَنْ آمنَ من الرجالِ الأحرارِ.

وبعْدَ أن أسلمَ أبو بكرٍ رضي الله عنه أخذ يدعو الناسَ في مكةَ إلى الإسلامِ فآمنَ على يديه الكثيرُ. وأنفقَ رضي الله عنه مالَه في سبيلِ الله، وأعتقَ رجالاً كانوا يُعذَّبون منهم بلالٌ، وعامرُ بنُ فُهَيرةَ رضي الله عنهما.

تقولُ عائشةُ رضي الله عنها: (أَعْتَقَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه سَبْعَةً مِمَّنْ كَانَ يُعَذَّبُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، مِنْهُمْ بِلاَلٌ، وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ)[3].

وقال عمرُ رضي الله عنه: (أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا،وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا، يَعْنِي بِلاَلاً)[4].

وتقولُ عائشةُ رضي الله عنها: (أَنْفَقَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَرْبَعِينَ أَلْفاً)[5].

كيف لا؟! وهو الذي جاءَ يوماً إلى رسولِ الله ﷺ بكلِّ مالِه، فقال له رسولُ الله ﷺ: («مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟» قال: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ)[6].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٦٠).

(٢) انظر «السيرة النبوية» لابن كثير (١/ ٤٣٤).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٥٢٤١)، والطبراني في «الكبير» (١٠٠٨).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٥٤).

(٥) **صحيح**: رواه ابن حبان (٦٨٥٩)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٧١٨)].

(٦) **حسن**: رواه الترمذي (٣٦٧٥)، وأبو داود (١٦٧٨)، والدارمي (١٦٦٠)، [«صحيح سنن أبي داود» (١٤٧٣)].

ولذلك قالَ ﷺ: «مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ»[1].

وقال ﷺ: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ»[2]، أي: أكثرُهم رحمةً.

فكانَ من رحمته يدعو الناسَ إلى الإسلامِ؛ لينجوا منْ عذابِ اللهِ، وينفقَ مالَه في سبيل الله؛ ليُعتِقَ الذين يعذَّبون في الأرضِ من قِبلِ كفارِ قريشٍ.

ولذلك قالَ اللهُ تعالى في وصفِهِ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١)﴾ [الليل].

أبو بكرٍ الصديقُ في مكةَ بعدَ إسلامِهِ كان يدافعُ عنْ رسولِ الله ﷺ، ويدفَعُ عنه الأذى بكلِّ ما يملكُ من قوةٍ.

سألَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه عَمْرو بْنَ الْعَاصِ قال: أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ الْـمشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي حِجْرِ الْكَعْبَةِ، إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ الله)[3].

وقال عليٌّ رضي الله عنه في خطبته: (أَيُّهَا النَّاسُ! مَنْ أَشْجَعُ النَّاسِ؟ فقَالُوا: أَنْتَ. قَالَ: أَمَا إِنِّي مَا بَارَزَنِي أَحَدٌ إِلَّا أَنْصَفْتُ مِنْهُ -أي: غلبتُه- ؛ وَلَكِنَّهُ أبو بكرٍ لقد

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٩٤)، وأحمد (٢/ ٢٥٣)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٧١٨)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٧٩٠، ٣٧٩١)، وابن ماجه (١٥٤)، وأحمد (٣/ ٢٨١)، **وصححه** ابن حجر وغيره [محققو المسند]

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٨٥٦).

رأيتُ رسولَ الله ﷺ أخذته قريش فهذا يَجُؤُهُ، وهذا يتلقاهُ ويقولونَ له : أَنْتَ تجعلُ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا، فَوَالله مَا دَنَا مِنّا أَحَدٌ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ، يَضْرِبُ هَذَا، ويدفعُ هذا، ويقولُ: وَيْلَكُمْ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ، ثُمَّ بكى عَلِيٌّ رضي الله عنه، ثُمَّ قَالَ: أُنْشِدُكُمُ اللهَ! أَمُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ أفضلُ أَمْ أَبُو بَكْرٍ؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ.

قال عليٌّ رضي الله عنه : والله لَسَاعَةٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَيْرٌ مِنْه؛ ذاكَ رجلٌ يكتمُ إيمانَه، وهذا يُعلنُ إيمانَه)[1].

أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه بعدَ إسلامه، كان يتقي اللهَ بما يضعُ في بطنِهِ.

ومن ورعِ أبي بكرٍ رضي الله عنه تحري الحلالَ من الطعامِ.

تقولُ عائشةُ رضي الله عنها : (كَانَ لأَبِي بَكْرٍ غُلاَمٌ -أي: عبدٌ- يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ -أي: يكسِبُ له- وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ.

فَقَالَ لَهُ الْغُلاَمُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟

قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لإِنْسَانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَا أُحْسِنُ الْكِهَانَةَ، إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ فلَقِيَني فأعطاني بِذَلِكَ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ، فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ)[2].

ويقولُ زيدُ بنُ أرقمَ رضي الله عنه : كان لأبي بكرِ الصديقِ رضي الله تعالى عنه مملوكٌ يغلُّ عليه، فأتاه ليلةً بطعامٍ فتناولَ منه لقمةً.

---

(١) رواه البزار (٧٦١).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٨٤٢).

فقال له الْـمملوك: مالكَ كنتَ تسألُني كلَّ ليلةٍ، ولم تسألني الليلةَ؟

قال أبو بكر: حملني على ذلك الجوعُ، من أينَ جئتَ بهذا؟

قال: مررتُ بقومٍ في الجاهليةِ فرقيتُ لهم ، فوعدوني فلما كان اليومُ مررتُ بهم فإذا عُرسٌ لهم فأعطوني.

قال: إنْ كدتَ أن تهلكَني، فأدخلَ يـدَه في حلْقـه؛ فجعـلَ يتقيـأُ وجعلَـتْ لا تخرجُ. فقيل له: إنّ هذه لا تخرجُ إلا بالْـماءِ، فدعا بطَستٍ مِن ماءٍ فجعـلَ يـشربُ، ويتقيأُ حتى رمى بها.

فقيل له: يرحمُك اللهُ كُلُّ هذا من أجلِ هذه اللقمةِ. قال رضي الله عنه : لو لم تخـرج إلا معَ نفسي لأخرجتُها)[1].

اللهُ أكبرُ يا صدِّيقَ هذه الأمةِ! والله هذا هو الورعُ! .. هذه هي التقوى! .. هذا هو الإيمانُ! .. أشهدُ أنك أفضلُ هذهِ الأمةِ بعدَ نَبيِّها صلى الله عليه وسلم.

فليتقِ اللهَ الذين يأكلونَ الحرامَ بالليـلِ والنهـارِ، ونبتـتْ أجـسادُهم وأجـسادُ أولادِهم منَ الحرامِ.

يرحمُ اللهُ نساءَ السلفِ، كانتِ المـرأةُ إذا خـرجَ زوجُهـا إلى الـسوقِ، أخـذت بِمِنْكَبِه وقالت له: يا أبا فلان: اتقِ الله فينا ولا تأتِنا بمالٍ من حرامٍ؛ فإننا نصبرُ عـلى الجوعِ في الدنيا، ولا نصبرُ على نار جهنمَ يومَ القيامةِ.

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣١)

ولما ضيّقَ الكفارُ على المسلمينَ في مكةَ، بنى أبـو بكـرٍ مـسجداً في دارِه، وقـامَ يصلي فيه ويقرأُ القرآنَ ويبكي.

تقولُ عائشةُ ﷺ في حديثِ الهجرةِ الطويلِ: (ثُمَّ بَدَا لأَبِي بَكْرٍ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيَنْقَذِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْـمشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ، يَعْجَبُونَ مِنْهُ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُـلاً بَكَّـاءً؛ لاَ يَمْلِـكُ عَيْنَيْـهِ إِذَا قَـرَأَ الْقُرْآنَ)[1].

ولما أخبرَ النبيُّ ﷺ قريشاً برحلةِ الإسراءِ والمعراجِ، افْتُتِنَ نـاسٌ كثـيرٌ جـاءوا إلى أبي بكرٍ فذكروا له.

فقال: أشهدُ أنه صادقٌ.

فقالوا: تُصَدِّقهُ أنه أتى الشامَ في ليلةٍ واحدةٍ، ثم رجعَ إلى مكةَ؟!!

قال: نعم إني أصدقُه بأبعدَ من ذلك؛ أصدقُه بخبرِ السماءِ.

الله أكبر! .. إنه الصديقُ الذي كان شعارُه معَ رسولِ الله ﷺ دائـماً: (إن كـانَ محمدٌ قد قالَ ذلكَ فقد صدقَ). هـذا هـو أبـو بكـرٍ الـصديقُ ﷺ في مكـةَ قبـلَ إسلامِه، وبعدَ إسلامه، وصدقَ رسولُ الله ﷺ الذي قالَ: «**خِيَارُكُمْ فِي الْـجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الإِسْلاَمِ إِذَا فَقِهُوا**»[2].

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٧٦).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٣٧٤).

• هجرةُ أبي بكرٍ الأولى من مكةَ :

تقولُ عائشةُ ﭬ : (لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ الله ﷺ طَرَفَيِ النَّهَارِ: بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، فَلَمَّا ابْتُلِيَ الْمسْلِمُونُ، خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الْحَبَشَةِ حَتَّى إذا بَلَغَ بَرْكَ الْغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ -وَهْوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ (وهي قبيلةٌ).

فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟-وهذا دليلٌ على أنَّ أبا بكرٍ كانَ معروفاً عندَ رؤساءِ القبائلِ-.

فَقَالَ أَبُو بَكْر: أَخْرَجَنِي قَوْمِي؛ فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الأَرْضِ وَأَعْبُدُ رَبِّي. قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ: فَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لاَ يَخْرُجُ وَلاَ يُخْرَجُ، إِنَّكَ تُكْسِبُ الْمعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ.

فَأَنَا لَكَ جَارٌ، ارْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبَلَدِكَ ، فَرَجَعَ، وَارْتَحَلَ مَعَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ. فَطَافَ ابْنُ الدَّغِنَةِ عَشِيَّةً فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لاَ يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلاَ يُخْرَجُ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلاً يُكْسِبُ الْمعْدُومَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ،وَيَحْمِلُ الْكَلَّ، وَيُقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ؟!.

فَلَمْ تُكَذِّبْ قُرَيْشٌ بِجِوَارِ ابْنِ الدَّغِنَةِ، وَقَالُوا لِابْنِ الدَّغِنَةِ: مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَلْيُصَلِّ فِيهَا وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ، وَلاَ يُؤْذِنَا بِذَلِكَ، وَلاَ يَسْتَعْلِنْ بِهِ؛ فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا. فَقَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغِنَةِ لأَبِي بَكْرٍ، فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، وَلاَ يَسْتَعْلِنُ بِصَلاَتِهِ، وَلاَ يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِهِ.

ثُمَّ بَدَا لأَبِي بَكْرٍ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيتَقَصَّفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ. وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلاً بَكَّاءً لاَ يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ؛ فَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمشْرِكِينَ؛ فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: إِنَّا كُنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ بِجِوَارِكَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، فَأَعْلَنَ بِالصَّلاَةِ وَالْقِرَاءَةِ فِيهِ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا فَانْهَهُ؛ فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلَ، وَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ بِذَلِكَ فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ، فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ، وَلَسْنَا بِمُقِرِّينَ لأَبِي بَكْرٍ الاِسْتِعْلاَنَ.

تقولُ عائشةُ ﵂: فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَاقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ، فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ وَإِمَّا أَنْ تُرْجِعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي، فَإِنِّي لاَ أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ، وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

تقول ﵂: وَالنَّبِيُّ ﷺ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْمُسْلِمِينَ: «**إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ؛ ذَاتِ نَخْلٍ بَيْنَ لاَبَتَيْنِ، وَهُمَا الْحَرَّتَانِ**» فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ الْمدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ إِلَى الْمدِينَةِ. وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قِبَلَ الْمدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَلَى رِسْلِكَ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي**».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟

قَالَ ﷺ: «**نَعَمْ**».

فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ -وَهُوَ الْخَبْطُ- أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، أي استعداداً للهجرةِ معَ رسولِ اللهِ ﷺ إلى الْـمدينةِ[1].

• أبو بكرٍ رضي الله عنه يُهاجرُ معَ رسولِ اللهِ ﷺ من مكةَ إلى المدينةِ:

تقولُ عائشة: (بَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ. قَالَ قَائِلٌ لأَبِي بَكْرٍ:هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَقَنِّعًا ، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ.

قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأَبِي بَكْرٍ: «**أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ**».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ ﷺ: «فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْـخُرُوجِ».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ.

قَالَ ﷺ: «**بِالثَّمَنِ**».

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٢٩٧).

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحسنَ الْجَهَازِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مَنْ نِطَاقِهَا فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقِين)[1].

• أبو بكرٍ رضي الله عنه مع رسولِ الله ﷺ في الغارِ.

يقولُ أبو بكر: (نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمشْرِكِينَ عَلَى رُءُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ ﷺ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ! مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**»)[2].

وفي ذلكَ يقولُ ربُّ العزةِ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠].

• أبو بكرٍ الصديقُ ورسولُ الله ﷺ في الطريقِ من مكةَ إلى المدينةِ.

قال عازبٌ لأبي بكرٍ: (حَدِّثْنَا كَيْفَ صَنَعْتَ أَنْتَ وَرَسُولُ الله ﷺ حِينَ خَرَجْتُمَا مِنْ مَكَّةَ وَالْمشْرِكُونَ يَطْلُبُونَكُم.

قَالَ أبو بكر رضي الله عنه: (ارْتَحَلْنَا مِنْ مَكَّةَ فَأَحْيَيْنَا -أَوْ سَرَيْنَا- لَيْلَتَنَا وَيَوْمَنَا حَتَّى أَظْهَرْنَا وَقَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ، فَرَمَيْتُ بِبَصَرِي هَلْ أَرَى مِنْ ظِلٍّ فَآوِيَ إِلَيْهِ، فَإِذَا

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٩٠٥).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٨١).

صَخْرَةٌ أَتَيْتُهَا، فَنَظَرْتُ بَقِيَةَ ظِلٍّ لَهَا فَسَوَّيْتُهُ، ثُمَّ فَرَشْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِيهِ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: اضْطَجِعْ يَا نَبِيَّ اللهِ!

فَاضْطَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ. يقولُ أبو بكر: ثُمَّ انْطَلَقْتُ أَنْظُرُ مَا حَوْلِي: هَلْ أَرَى مِنَ الطَّلَبِ أَحَدًا؟ -أي من كفارِ قريشٍ- فَإِذَا أَنَا بِرَاعِي غَنَمٍ يَسُوقُ غَنَمَهُ إِلَى الصَّخْرَةِ، يُرِيدُ مِنْهَا الَّذِي أَرَدْنَا فَسَأَلْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلامُ؟

قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، سَمَّاهُ فَعَرَفْتُهُ.

فَقُلْتُ: هَلْ فِي غَنَمِكَ مِنْ لَبَنٍ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قُلْتُ: فَهَلْ أَنْتَ حَالِبٌ لَنا.

قَالَ: نَعَمْ.

فَأَمَرْتُهُ فَاعْتَقَلَ شَاةً مِنْ غَنَمِهِ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ ضَرْعَهَا مِنَ الْغُبَارِ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ كَفَّيْهِ فَقَالَ هَكَذَا، ضَرَبَ إِحْدَى كَفَّيْهِ بِالأُخْرَى، فَحَلَبَ لِي كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ، وَقَدْ جَعَلْتُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِدَاوَةً عَلَى فَمِهَا خِرْقَةٌ فَصَبَبْتُ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ. فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَافَقْتُهُ قَدِ اسْتَيْقَظَ.

فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللهِ! فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ.

ثُمَّ قُلْتُ: قَدْ آنَ الرَّحِيلُ يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: «**بَلَى**».

فَارْتَحَلْنَا وَالْقَوْمُ يَطْلُبُوننَا فَلَمْ يُدْرِكْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ غَيْرَ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكٍ عَلَى فَرَسٍ لَهُ. فَقُلْتُ: هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا يَا رَسُولَ الله. فَقَالَ: «**لاَ تَحْزَنْ إِنَّ الله مَعَنَا**»[1].

• ووصلَ رسولُ الله ﷺ وأبو بكرٍ إلى المدينةِ.

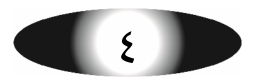
يقول البراءُ بن عازبٍ رضي الله عنه -وهو شاهدُ عيانٍ- (مَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ الله ﷺ)[2].

وهكذا وصلَ أبو بكرٍ رضي الله عنه معَ رسولِ الله ﷺ إلى المدينة.

اللهمَّ ردَّ المسلمينَ إلى دينك رداً جميلاً.

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٥٢).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٩٢٥).



أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه

رابعاً: أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه في المدينةِ قبلَ وفاةِ النبيِّ ﷺ.

خامساً: النصوصُ منَ الكتابِ والسنةِ التي فيها الإشارةُ إلى أنَّ أبا بكرٍ هُو الخليفةُ بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ.

سادساً: أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه عندَ وفاةِ النبيِّ ﷺ.

عبادَ الله! قالَ اللهُ تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

هؤلاء الرجالُ هم أصحابُ محمدٍ ﷺ؛ قومٌ اختارَهم الله لصحبةِ نبيِّه ولنصرةِ دينِه.

يقولُ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: (إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ)[1].

---

(١) حسن: رواه أحمد (١/ ٣٧٩)، والبزار (١٨١٦)، والطبراني في «الكبير» (٨٥٨٢)، [«السلسلة الضعيفة»(٥٣٣)].

إن أفضلَ هذهِ الأمةِ بعد نبيِّها محمدٍ ﷺ هو أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه .

وحديثُنا عن أبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- سيكونُ فقط حولَ العناصرِ التالية:

العنصرُ الأولُ: أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه في المدينةِ قبلَ وفاةِ النبيِّ ﷺ .

العنصرُ الثاني: النصوصُ منَ الكتابِ والسنةِ التي فيها الإشارةُ إلى أنّ أبا بكرٍ هو الخليفةُ بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ .

العنصرُ الثالثُ: أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه عندَ وفاةِ النبيِّ ﷺ .

• أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه في المدينةِ قبلَ وفاةِ النبيِّ ﷺ يضربُ لنا مثلاً أعلى في كُلِّ أبوابِ الخيرِ.

أولاً: أبو بكرٍ رضي الله عنه وعظمةُ إيمانِه باللهِ تعالى:

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ رُؤْيَا؟**» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، رَأَيْتُ كَأَنَّ مِيزَانًا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ فَوُزِنْتَ أَنْتَ وَأَبُو بَكْرٍ فَرَجَحْتَ أَنْتَ بِأَبِي بَكْرٍ، وَوُزِنَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَرَجَحَ أَبُو بَكْرٍ، وَوُزِنَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَحَ عُمَرُ، ثُمَّ رُفِعَ الْمِيزَانُ.

قال: فَرَأَيْنَا الكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ)(١).

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٢٨٧)، وأبو داود (٤٦٣٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٣٦)، [«صحيح الترمذي»(٢٤٠٣)].

وفي رواية قال: (فَاسْتَاءَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**خِلاَفَةُ نُبُوَّةٍ، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ الْـمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ**»)[1].

وفي هذا الحديثِ دلالةٌ على فضيلةِ أبي بكرٍ على عمرَ بنِ الخطابِ، ومَنْ دونَهُ منَ الصحابة.

قال أبو بكرِ بنُ عياشٍ: (ما سبقهم أبو بكرٍ بكثرةِ صلاةٍ ولا صيام، ولكن بشيءٍ وَقرَ في قلبه)[2]. ولهذا قيل: (لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ بِإِيمَانِ أَهْلِ الْأَرْضِ لَرَجَحَ إيمانُ أبي بكرٍ)[3]. وعندما قال الناسُ: سبحانَ الله! ذئبٌ يتكلمُ؟ قال ﷺ: «**فإني أومن بهذا أنا وأبو بكرٍ وعمرُ**»[4].

ثانياً: أبو بكرٍ رضي الله عنه وحِفْظُه لِسرِّ رسولِ اللهِ ﷺ:

عن عبدِ الله بنِ عمرَ رضي الله عنهما: (أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْـخَطَّابِ حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ -وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتُوُفِّيَ بِالْـمدِينَةِ- فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْـخَطَّابِ: أَتَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقَالَ سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، ثُمَّ لَقِيَنِي، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لاَ أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا.

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٣٥)، وأحمد (٥/ ٤٤)، والطيالسي (٨٦٦)، [«ظلال الجنة»(١١٣٥)].

(٢) «نوادر الأصول في أحاديث الرسول» (٣/ ٥٥).

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في زوائده على «فضائل الصحابة» (٦٥٣) عن عمر بن الخطاب.

(٤) **صحيح**: رواه البخاري(٣٤٧١).

قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، فَقُلْتُ إِنْ شِئْتَ زَوَّجْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، وكُنْتُ أَوْجَدَ عليه مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ -أي: أغضبَ- فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ. ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ الله ﷺ فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ؟ قال عمرُ: نَعَمْ.

قَالَ أبو بكر: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ عليَّ إِلَّا أَنِّي كنتُ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ الله ﷺ، وَلَوْ تَرَكَهَا رسولُ الله ﷺ قَبِلْتُهَا)[1].

ثالثاً: أبو بكرٍ رضي الله عنه وأمرُه بالمعروفِ ونهيُه عن المنكرِ:

تقولُ عائشةُ رضي الله عنها: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغَنِّيَانِ بِغِنَاءِ بُعَاثٍ. فَاضْطَجَعَ عَلَى الْفِرَاشِ، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ. فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَانْتَهَرَنِي وَقَالَ: مِزْمَارُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ رسولِ الله ﷺ؟ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «**دَعْهُمَا**».

تقول رضي الله عنها: (فَلَمَّا غَفِلَ -تعني أباها- غَمَزْتُهُمَا فَخَرَجَتَا، وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ)[2].

وفي رواية (دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ! فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ)[3]، وفي روايةٍ قالَ ﷺ لأبي بكر «**يَا أَبَا بَكْرٍ! إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا، وَهَذَا عِيدُنَا**»[4].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٠٠٥).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٩٤٩)، ومسلم (٨٩٢).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٩٨٧)، ومسلم (٨٩٢).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٩٥٢)، ومسلم (٨٩٢).

رابعاً: حرصُه رضي الله عنه على الدعاءِ:

جاء أبو بكرٍ إلى رسولِ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله! (عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاَتِي، قَالَ ﷺ: «**قُلِ: اللهمَّ! إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيم**»)(١).

وقال أبو بكرٍ: (يَا رَسُولَ الله! مُرْنِي بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ، فقَالَ ﷺ: «**قُلِ: اللهمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، قَالَ: قُلْهَا إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ**»)(٢).

وَكان أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه من أحرصِ الناسِ على الدعاءِ -بعد رسولِ الله ﷺ-؛ استجابةً لأمرِ الله تعالى الذي قالَ في كتابه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر:٦٠]. وقال تعالى: ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ [النساء:٣٢].

(وكان رضي الله عنه يقولُ في دعائِهِ: اللهمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عُمْرِي آخِرَهُ، وَخَيْرَ عَمَلِي خَوَاتِمَهُ، وَخَيْرَ أَيَّامِي يَوْمَ أَلْقَاك)(٣).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٥٢٩)، و أبو داود (٥٠٦٧)، والنسائي في «الكبرى» (٧٩٦٦)، [«صحيح سنن الترمذي» (٣٦٣٢)].

(٣) رواه ابن أبي شيبة في« المصنف» (٢٩٥١٠).

وكان رضي الله عنه إذا سمِعَ أحداً يمدحُه منَ الناسِ يقولُ: (اللهمَّ أنتَ أعلمُ بي مِن نفسي، وأنا أعلمُ بنفسي منهم، اللهمَّ! اجعلني خيراً مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تُؤاخذْني بما يقولون)[1].

خامساً: أبو بكرٍ رضي الله عنه وسَبْقُه إلى فعلِ الخيراتِ:

يقول أبو هريرة رضي الله عنه قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟**» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «**فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟**» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «**فَمَنْ أَطْعَمَ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟**» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «**فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟**» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[2].

سادساً: في إنفاقِه رضي الله عنه المالَ في سبيلِ اللهِ:

فهذا عمرُ الفاروقُ رضي الله عنه يأتي بنصفِ مالِهِ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فيقولُ له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: («**مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟**» فيقول عمرُ: مِثْلَهُ يا رسولَ الله، وأما أبو بكرٍ رضي الله عنه فإنه يأتي بكلِّ ماله، فيقولُ له صلى الله عليه وسلم: «**مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟**» فيقولُ أبو بكرٍ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ)[3].

(١) «تهذيب الأسماء» (٢/ ٤٨٠)، و«أسد الغابة» (٢/ ٣٢٤).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٢٨).

(٣) **حسن**: رواه الترمذي (٣٦٧٥)، وأبو داود (١٦٧٨)، والدارمي (١٦٦٠)[«صحيح أبي داود»(١٤٧٣)].

• النصوصُ من الكتابِ والسنةِ التي فيها الإشارةُ إلى أن أبا بكرٍ رضي الله عنه هو الخليفةُ بعدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم :

أولاً : الآياتُ القرآنيةُ التي فيها إشارةٌ إلى خلافةِ الصديقِ رضي الله عنه :

وردت آياتٌ في كتابِ الله عز وجل فيها الإشارةُ إلى أنَّ أبا بكرٍ الصديقَ رضي الله عنه أحقُّ الناسِ من هذه الأمةِ بخلافةِ سيدِ الأولينَ والآخِرين محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وتلكَ الآياتُ هي:

١ - قولُه تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [الفاتحة].

ووجهُ الدلالةِ من هذه الآيةِ أنَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه داخلٌ فيمن أمرَ اللهُ -جلَّ وعلا- عبادَه أن يسألوه الهدايةَ إلى طريقِهم، وأن يسلكَ بهم سبيلَهم، وهمُ الذين أنعمَ اللهُ عليهم وذكرَ منهم الصدِّيقين في قولِه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩﴾ [النساء].

وقد أخبرَ المصطفى صلى الله عليه وسلم أنَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه من الصدِّيقين[1]؛ فدلَّ ذلكَ على أنه واحدٌ منهم بل هو المقدَّم فيهم.

---

(١) **صحيح** : رواه البخاري» (٣٦٨٦).

ولما كانَ أبو بكرٍ رضي الله عنه ممن طريقُهم هو الصراطُ المستقيمُ فلا يبقى أيُّ شكٍّ لدى العاقلِ في أنه أحقُّ خلقِ اللهِ من هذه الأمةِ بخلافةِ المصطفى ﷺ.

٢- قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة].

هذه الصفاتُ المذكورةُ في هذه الآيةِ الكريمةِ أولُ مَنْ تنطبقُ عليه أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه، وجيوشُه من الصحابةِ الذين قاتلوا المرتدينَ، فقد مدحهم اللهُ بأكملِ الصفاتِ.

دلت هذه الآية على خلافةِ أبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه؛ حيثُ حصَلَ في خلافته ما نطقتْ به الآيةُ مِنَ ارتدادِ الكثيرِ منَ العربِ عن الإسلامِ بعدَ وفاةِ النبيِّ ﷺ، وجاهدَهم أبو بكرٍ رضي الله عنه هو والصحابةُ الكرامُ حتى رجعوا إلى الإسلام؛ كما أخبرَ اللهُ تعالى في الآية، وهذا من الأمورِ الغيبيةِ التي أخبرَ بها الربُّ -جلَّ وعلا- قبلَ وقوعِها.

٣- وقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾ [التوبة:٤٠].

قال أبو عبدِ الله القرطبيُّ: قال بعضُ العلماءِ في قولِه تعالى: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ [التوبة:٤٠]. ما يدلُّ على أن الخليفةَ بعد النبيِّ ﷺ أبو بكرٍ

الصديقُ رضي الله عنه لأنَّ الخليفةَ لا يكون أبداً إلا ثانياً، وسمعتُ شيخَنا أبا العباسِ أحمدَ ابنَ عمرَ يقول: إنما استحقَّ الصِّديقُ أن يُقال له ثاني اثنين لقيامِه بعدَ النبيِّ ﷺ بالأمرِ كقيامِ النبيِّ ﷺ به أولاً[1].

٤- وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ﴾ [النور:٥٥].

قال الحافظُ ابن كثيرٍ رحمه الله تعالى: (وقال بعضُ السلفِ! خلافةُ أبي بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما حقٌّ في كتابِ الله ثم تلا هذه الآيةَ)[2].

٥- وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر].

وجهُ دلالةِ الآيةِ على خلافتِه رضي الله عنه أنَّ اللهَ جلّ وعلا سماهم «صادقين»، ومن شهدَ له الربُّ جلّ وعلا بالصدقِ؛ فإنه لا يقعُ في الكذبِ ولا يتخذُه خُلقاً بحالٍ، وقد أطبقَ هؤلاء الموصوفونَ بالصدقِ على تسميةِ الصدّيقِ رضي الله عنه «خليفةُ رسولِ اللهِ ﷺ»؛ ومن هنا كانتِ الآيةُ دالةً على ثبوتِ خلافتِه رضي الله عنه.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ١٤٧-١٤٨).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٥/ ١٢١).

ثانياً: الأحاديثُ التي أشارت إلى خلافةِ أبي بكرٍ رضي الله عنه:

• وأما الأحاديثُ النبويةُ التي جاءَ التنبيهُ فيها على خلافةِ أبي بكرٍ رضي الله عنه فكثيرةٌ مشهورةٌ متواترةٌ وظاهرةُ الدلالةِ إما على وجهِ التصريحِ، أو الإشارةِ؛ ولاشتهارِها وتواتُرِها صارتْ معلومةً من الدينِ بالضرورةِ؛ بحيثُ لا يسعُ أهلُ البدعةِ إنكارَها. ومن هذه الأحاديث:

١- عن جُبَيرِ بنِ مُطْعمٍ قال: أَتَت امْرَأَةٌ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ -كَأَنَّهَا تَقُولُ الْموْتَ- قَالَ ﷺ: «**إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْر**»[1].

اشتملَ هذا الحديثُ على إشارةٍ واضحةٍ في أنَّ الذي يخلفُه على الأمةِ هو أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه. قال ابنُ حزمٍ: (وهذا نصٌّ جليٌّ على استخلاف أبي بكر)[2].

٢- (عَنِ ابْنِ أَبِى مُلَيْكَةَ قال: سَمِعْتُ عَائِشَةَ وَسُئِلَتْ: مَنْ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ مُسْتَخْلِفًا لَوِ اسْتَخْلَفَهُ؟

قَالَتْ: أَبُو بَكْرٍ. فَقِيلَ لَهَا: ثُمَّ مَنْ بَعْدَ أَبِى بَكْرٍ؟ قَالَتْ: عُمَرُ. ثُمَّ قِيلَ لَهَا مَنْ بَعْدَ عُمَرَ؟ قَالَتْ: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، ثُمَّ انْتَهَتْ إِلَى هَذَا)[3].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٥٩)، ومسلم (٢٣٨٦).

(٢) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (١٠٨/٤).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٨٥).

قال النوويُّ: (هذا دليلٌ لأهلِ السنةِ في تقديمِ أبي بكرٍ، ثم عمرَ للخلافةِ معَ إجماعِ الصحابةِ، وفيه دلالةٌ لأهلِ السنةِ أنَّ خلافةَ أبي بكرٍ ليست بنصٍّ منَ النبي ﷺ على خلافته صريحاً، بل أجمعَ الصحابةُ على عقدِ الخلافةِ له وتقديمِه لفضيلته، ولو كانَ هناكَ نصٌّ عليهِ أو على غيرِه لم تقعِ المنازعةُ منَ الأنصارِ وغيرِهم أولاً، ولذكَر حافظُ النصِّ ما معه، ولرجعوا إليه لكن تنازعوا أولاً ولم يكن هناك نصٌّ، ثم اتفقوا على أبي بكرٍ واستقرَّ الأمرُ، وأما ما تدَّعيه الشيعةُ منَ النصِّ على عليٍّ، والوصيةُ إليه فباطلٌ لا أصلَ له باتفاقِ المسلمينَ، والاتفاقُ على بطلانِ دعواهُم مِن زمنِ عليٍّ، وأولُ من كَذَّبهم عليٌّ رضي الله عنه بقوله: (ما عندَنا إلا ما في هذه الصحيفةِ) ولو كانَ عنده نصٌّ لذكرَه، ولم يُنقَلْ أنه ذكَره في يومٍ منَ الأيامِ، ولا أنَّ أحداً ذكرَه له)[1].

٣- وقال حذيفةُ رضي الله عنه: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ جُلُوسًا فَقَالَ: «**إِنِّي لاَ أَدْرِي مَا قَدْرُ بَقَائِي فِيكُمْ فَاقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي. وَأَشَارَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وتمسكوا بِعهَدِ عَمَّارٍ، وَمَا حَدَّثَكُمُ ابْنُ مَسْعُودٍ فَصَدِّقُوهُ**»[2].

فقولهُ ﷺ: «**اقتدوا باللذَين مِنْ بعدي**» أي: بالخليفتين اللذينِ يقومان مِنْ بعدي وهما أبو بكرٍ وعمرُ، وحثَّ على الاقتداءِ بهما، لحُسنِ سيرتِهما وصدْقِ سريرَتِهما، وفي الحديثِ إشارةٌ لأمرِ الخلافةِ[3].

(١) «شرح النووي» (١٥/ ١٥٤-١٥٥).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٧٩٩)، وأحمد (٥/ ٣٨٥)، [«صحيح الجامع»(٢٥١١)].

(٣) انظر «فيض القدير» للمناوي (٢/ ٥٦)، «وتحفة الأحوذي» (١٠/ ١٤٧).

٤- قالتْ عائشةُ رضي الله عنها (قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ فِي مَرَضِهِ: «**ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ، وَأَخَاكِ حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا؛ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ وَيَقُولُ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى. وَيَأْبَى اللهُ وَالْمؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ**»[1].

دلَّ هذا الحديثُ دلالةً واضحةً على فضلِ أبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه، حيث أخبرَ النبيُّ ﷺ بما سيقعُ في المستقبلِ بعد التحاقِهِ بالرفيقِ الأعلى، وأنَّ المسلمينَ يأبونَ عقدَ الخلافةِ لغيرِه رضي الله عنه.

وفي الحديثِ إشارةٌ إلى حصولِ نزاعٍ. ووقعَ كُلُّ ذلكَ كما أخبرَ عليه الصلاةُ والسلام، ثم اجتمعوا على أبي بكر رضي الله عنه[2].

٥- وقال أبو موسى الأشعريُّ رضي الله عنه: (مَرِضَ النَّبِيُّ ﷺ فَاشْتَدَّ مَرَضُهُ، فَقَالَ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**» قَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّهُ رَجُلٌ رَقِيقٌ، إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ.

فقَالَ ﷺ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**» فَعَادَتْ، فَقَالَ: «**مُرِي أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ**» فَأَتَاهُ الرَّسُولُ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ فِي حَيَاةِ رسولِ الله ﷺ)[3].

قال الحافظُ ابن كثيرٍ في «البداية والنهاية»: والمقصودُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قدَّم أبا بكر إماماً للصحابةِ كلِّهم في الصلاةِ التي هي أكبرُ أركانِ الإسلامِ العمليةِ.

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٨٧).

(٢) «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة» (٢/ ٥٤٢).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري(٦٧٨)، ومسلم (٤٢٠).

وَقال أبو الحسنِ الأشعريُّ: (وتقديمُه له أمرٌ معلومٌ بالضرورةِ منَ الدينِ، وتقديمُه له دليلٌ على أنه أعلمُ الصحابةِ وأقرؤُهم)[1].

٦- قولُه ﷺ: «**إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً غَيْرَ رَبِّي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ وَمَوَدَّتُهُ، لاَ يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ**»[2].

فأمْرُهُ ﷺ بسدِّ الأبوابِ جميعِها إلا بابَ أبي بكرٍ فيه إشارةٌ قويةٌ إلى أنه أولُ مَنْ يلي أمرَ الأمةِ بعد وفاتِه عليهِ الصلاةُ والسلامُ.

٧- قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (لَـمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَتِ الأَنْصَارُ: مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، قَالَ: فَأَتَاهُمْ عُمَرُ رضي الله عنه فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قد أَمَرَ أَبَا بَكْرٍ يَؤُمُّ النَّاسَ؛ فَأَيُّكُمْ تَطِيبُ نَفْسُهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه، فَقَالَتِ الأَنْصَارُ: نَعُوذُ بِاللهِ أَنْ نَتَقَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ)[3].

٨- وقال عليٌّ رضي الله عنه: (لَـمَّا قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ نَظَرْنَا فِي أَمْرِنَا فَوَجَدْنَا النَّبِيَّ ﷺ قَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ فِي الصَّلاَةِ، فَرَضِينَا لِدُنْيَانَا مَنْ رَضِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِدِينِنَا؛ فَقَدَّمْنَا أَبَا بَكْرٍ)[4].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري(٦٧٨)، ومسلم (٤٢٠).

(٢)«البداية والنهاية» (٥/ ٢٦٥).

(٣) **حسن**: رواه النسائي (٧٧٧)، وأحمد (١/ ٢١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١٨٨)، والبيهقي في «المدخل إلى السنن» (٣٣)، [«ظلال الجنة» (١١٥٩)].

(٤) رواه الخلال في كتاب «السنة» (٣٣٣)

وقد عَلَّقَ أبو الحسنِ الأشعريُّ على تقديمِ رسولِ الله ﷺ لأبي بكرٍ في الصلاةِ. فقال: وتقديمهُ له أمرٌ معلومٌ بالضرورةِ من دينِ الإسلامِ، قال: وتقديمُه له دليلٌ على أنه أعلمُ الصحابةِ وأقرؤُهم، لِما ثبتَ في الخبرِ المتفقِ على صحتهِ بينَ العلماءِ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**يؤمُّ القومَ أقرؤُهم لكتابِ الله، فإن كانوا في القراءة سواءً؛ فأعلمُهم بالسنةِ، فإن كانوا في السنةِ سواءً؛ فأكبرُهم سناً، فإن كانوا في السن سواءً؛ فأقدمُهم إسلاماً**».

قال ابنُ كثير: وهذا من كلامِ الأشعريِّ رحمهَ اللهُ مما ينبغي أن يُكتبَ بماء الذهبِ ثم قد اجتمعَتِ هذه الصفاتُ كلُّها في الصِّديقِ رضي الله عنه وأرضاهُ[1].

انعقادُ الإجماع على خلافةِ الصديقِ رضي الله عنه :

أجمَع أهلُ السنةِ والجماعةِ سلفاً وخلفاً على أنَّ أحقَّ الناسِ بالخلافةِ بعدَ النبيِّ ﷺ أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه؛ لفضلهِ، وسابقتهِ، ولتقديمِ النبيِّ ﷺ إياهُ في الصلواتِ على جميعِ الصحابةِ، وقد فهمَ أصحابُ النبيِّ ﷺ مرادَ المصطفى عليه الصلاةُ والسلام مِن تقديمهِ في الصلاةِ؛ فأجمعوا على تقديمِه في الخلافةِ، ومتابعتهِ، ولم يتخلفْ منهم أحدٌ، ولم يكنِ الربُّ جَلَّ وعلا ليجمعَهم على ضلالةٍ، فبايَعوه طائعين، وكانوا لأوامره ممتثلينَ، ولم يعارضْ أحدٌ في تقديمِه[2].

(١) «البداية والنهاية» (٥/ ٢٦٥).

(٢) «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة» (٢/ ٥٥٠).

وقد نقلَ جماعةٌ منْ أهلِ العلمِ المعتَبرين، إجماعَ الصحابةِ، ومَنْ جاءَ بعدهم من أهل السنةِ والجماعةِ على أن أبا بكرٍ رضي الله عنه أولى بالخلافةِ من كلِّ أحدٍ، وهذه بعضُ أقوالِ أهلِ العلم.

١- قال الخطيبُ البغداديُّ رحمه اللهُ: أجمعَ المهاجرونَ والأنصارُ على خلافةِ أبي بكرٍ، قالوا له: يا خليفةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ولم يُسمَّ أحدٌ بعدَه خليفةً[١].

٢- وقال أبو الحسنِ الأشعريُّ: أثنى اللهُ عز وجل على المهاجرينَ والأنصارِ والسابقينَ إلى الإسلامِ، وقد أجمعَ هؤلاء الذين أثنى اللهُ عليهم ومدحَهم على إمامةِ أبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه وسَمَّوْهُ خليفةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه وانقادوا له وأقروا له بالفضل[٢].

٣- قال عبدُ الملكِ الجُوَينيُّ: أما إمامةُ أبي بكرٍ رضي الله عنه فقد ثبتتْ بإجماعِ الصحابةِ رضي الله عنهم فإنهم أطبقوا على بذلِ الطاعةِ[٣].

• أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه عندَ موتِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم :

يقولُ أنسُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه : (بينما الْـمسْلِمِينَ فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ مِنْ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ، وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي لَهُمْ، لم يَفْجَأْهُمْ إِلَّا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم قَدْ كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ فِي صُفُوفِ الصَّلاَةِ، ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ، فَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ؛ وَظَنَّ أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الصَّلاَةِ.

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٠/ ١٣٠-١٣١).

(٢) «الإبانة عن أصول الديانة» (ص٦٦).

(٣) «كتاب الإرشاد» (ص٣٦١).

فَقَالَ أَنَسٌ: وَهَمَّ الْـمسْلِمُونَ أَنْ يَفْتَتِنُوا فِي صَلاَتِهِمْ، فَرَحًـا بِرَسُـولِ الله ﷺ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ رَسُولُ الله ﷺ أَنْ أَتِمُّوا صَـلاَتَكُمْ، ثُـمَّ دَخَـلَ الْحُجْـرَةَ وَأَرْخَـى السِّتْرَ)[1].

وماتَ رسولُ الله ﷺ في ذلكَ اليومِ. وجاء أبـو بكـرٍ الـصديقُ وعمـرُ يكلـمُ الناسَ، فلم يلتفتْ إلى شيءٍ حتى دخَل على رسولِ الله ﷺ وهو مُـسَجّى في بيـتِ عائشَة، فكشفَ الثوبَ عن وجههِ وقَبَّله وقال: بأبي أنتَ وأمي يا رسولَ الله! طبتَ حياً وميتاً، والذي نفسي بيده لا يُذيقُكَ اللهُ الموتتين أبـداً. ثـم خـرجَ وعمـرُ رضي الله عنه يكلمُ الناسَ، فقال: اجلسْ يا عمرُ! فأبى عمرُ أن يجلسَ، فلما تكلمَ أبو بكرٍ جلسَ عمرُ.

فأقبلَ الناسُ جميعاً على أبي بكرٍ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ. وَقَـالَ: (أَلاَ مَـنْ كَـانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَـانَ يَعْبُـدُ الله فَـإِنَّ الله حَـيٌّ لاَ يَمُـوتُ وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزُّمَر] وَقَالَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران] فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُون)[2].

لما تأكدَ للناسِ موتُ النبيِّ ﷺ بعدَ خطبـةِ الـصديقِ، اجتمعـتِ الأنـصارُ إلى سـعدِ بـنِ عبـادةَ في سـقيفةِ بنـي سـاعدةَ وجـاءَ المهـاجرونَ وبعـدَ المـشاوراتِ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٤٤٨)، ومسلم (٤١٩).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٦٧).

والمحاوراتِ.. الأنصارُ يقولونَ: منا أميرٌ، ومنكم أميرٌ. وأبو بكرٍ يقـول: (قـريش ولاةُ هذا الأمرِ).

فقامَ عمرُ فقالَ: (يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ! أَلَـسْتُمْ تَعْلَمُـونَ أَنَّ رَسُـولَ الله ﷺ أَمَـرَ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصليَ بالنَّاسِ؟ قالوا: بلى، قال: فَأَيُّكُمْ تَطِيبُ نَفْسُهُ أَنْ يَتَقَـدَّمَ أَبَـا بَكْـرٍ، قالوا: نَعُوذُ بِالله أَنْ نَتَقَدَّمَ أَبَا بَكْر)[1].

(أَخَذَ عمر بيَدِ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: مَنْ لَهُ هَذِهِ الثَّلاَثَةُ؟

﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ مَنْ صَاحِبُهُ؟

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ﴾ مَنْ هُمَا؟

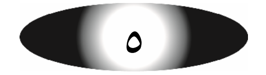
﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] مَعَ مَنْ؟

ثُمَّ بسطَ يدَه فبَايَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: بَايِعوه، فَبَايَعَه النَّاسُ)[2].

اللهمَّ رُدَّ المسلمين إلى دينك رداً جميلاً.

(١) **حسن**: رواه النسائي (٧٧٧)، وأحمد (١/ ٢١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١٨٨)، والبيهقي في «المدخل إلى السنن» (٣٣)، [«ظلال الجنة»(١١٥٩)].

(٢) رواه النسائي في «الكبرى» (٧١١٩)، والبيهقي في سننه (٨/ ١٤٥).



أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه

سابعاً: أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه في ميادينِ الجهادِ:

ثامناً: مواعظُ أبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه:

عبادَ الله! قالَ ربُّنا -جلَّ وعلا- في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

وهؤلاء الرجالُ؛ همْ أصحابُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم؛ قومٌ اختارَهُمُ الله لصحبةِ نبيِّه ونُصرة دِينه؛ حُبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطُغيان، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أي: من بعد الصحابة رضي الله عنهم ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر].

وأفضلُ هذهِ الأمةِ بعدَ نبيِّها محمدٍ صلى الله عليه وسلم أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه.

الذي قالَ فيه النبيُّ صلى الله عليه وسلم: **«لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي. وَقَدْ اتَّخَذَ الله عَزَّ وَجَلَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا»**[1].

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٨٣).

وقال فيه ﷺ: «**مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ، مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ**»[1].

وقال فيه ﷺ يوماً لعمرَ: «**إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي**»[2].

• وحديثُنا عن أبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه في هذا اليومِ -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- سيكونُ حولَ العناصرِ التاليةِ:

العنصرُ الأولُ: أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه في ميادينِ الجهادِ:

العنصرُ الثاني: مواعظُ أبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه:

العنصرُ الأول: أبو بكرٍ الصديق رضي الله عنه في ميادينِ الجهادِ:

قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: (لم يختلفْ أهلُ السِّيرِ في أنَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه لم يتخلف عن رسولِ الله ﷺ في مشهدٍ من مشاهدِه كُلِّها)[3].

عباد الله! تعالَوا بنا لنعيشَ معَ حياةِ الصديقِ رضي الله عنه الجهاديةِ معَ رسولِ الله ﷺ، لنرى كيفَ جاهدَ الصديقُ بنفسِه ومالِهِ ورأيِهِ ولسانِهِ في نصرةِ هذا الدينِ العظيمِ الذي جاءَ به محمدٌ ﷺ، نقولُ على سبيلِ المثالِ:

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٩٤)، وأحمد (٢/ ٢٥٣)، [«السلسلة الصحيحة»(٢٧١٨)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٦١).

(٣) «أسد الغابة» (٣/ ٣١٨).

أولاً: أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه في غزوةِ بدرٍ الكبرى:

١- في مشورةِ الحربِ: كانَ رضي الله عنه في المقدِّمةِ.

لما بلغَ النبيَّ ﷺ نجاةُ القافلةِ التي يقودُها أبـو سـفيانَ، وإصرارُ زعـماءِ مكـةَ على قتالِ النبيِّ ﷺ؛ استشارَ رسولُ الله ﷺ أصحابَه في الأمرِ؛ فقامَ أبو بكرٍ فقالَ وأحسنَ، ثم قامَ عمرُ فقالَ وأحسنَ[1].

٢- في أرضِ المعركةِ: كانَ رضي الله عنه بجانبِ رسولِ الله ﷺ.

بعدَ الشروعِ في الأخذِ بالأسبابِ؛ اتجه رسولُ الله ﷺ إلى ربِّه يدعوهُ ويناشدُه النصرَ الذي وعدَه ويقولُ في دعائِه: «**اللهمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَـدْتَنِي، اللهـمَّ إِنْ تُهْلِـكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ أبداً**» فـما زَالَ يـدعو ويـستغيثُ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ، فأخذَه أَبُو بَكْر وردَّه عَلَى مِنْكِبَيْهِ وهو يقولُ: يارسولَ الله! كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ مُنجِزٌ لَكَ مَا وَعَدَكَ. فَـأَنْزَلَ اللهُ عَـزَّ وَجَـلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال][2].

وفي روايةِ ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ يومَ بدر: «**اللهمَّ أُنْـشِدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللهمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ: حَسْبُكَ! فَخَـرَجَ وَهْوَ يَقُولُ:** ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر]»[3].

---

(١) «الثقات» لابن حبان (١/ ١٥٧).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٦٣).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٩٥٣).

٣- أبو بكر رضي الله عنه والأسرى:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (.. فَلَـمَّا أَسَرُوا الْأُسَارَى، قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «**مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى؟**»

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللهِ! هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَـشِيرَةِ: أَرَى أَنْ تَأْخُـذَ مِـنْهُمْ فِدْيَـةً؛ فَتكُونَ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ؛ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ إِلى الْإِسْلَامِ، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: («**مَا تَـرَى يَا ابْنَ الْـخَطَّابِ؟**» قال: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ! مَا أَرَى الَّذِي يراه أَبُـو بَكْـرٍ. وَلَكِنِّـي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا منهم، فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ.. فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَـوِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِلى مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ ... الحديث)[1].

ونزلَ الوحيُ يؤيدُ رأيَ عمرَ رضي الله عنه، الشاهدُ أنَّ أبا بكرٍ دائماً في المقدِّمةِ.

ثانياً: الصديقُ رضي الله عنه في غزوةِ أُحُدٍ:

عندما نزلَ بالمسلمينِ ما نزلَ بعد أن تركَ الرُماةُ الجبلَ، وتفرقَ المـسلمونَ هنـا وهناكَ، وكان ممن ثبتَ عنـدَ رسـولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أبـو بكـرٍ الـصديقُ رضي الله عنه، وبعـضُ الصحابةِ.

وتتضحُ منزلةُ الصديقِ رضي الله عنه في غزوةِ أُحُدٍ؛ من موقفِ أبي سفيانَ بن حـربٍ عندما سألَ فقالَ: (أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: «**لاَ تُجِيبُوهُ**».

فَقَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ -يعني أبا بكرٍ الصديقَ- فقَالَ: «**لاَ تُجِيبُوهُ**».

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٦٣).

فَقَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْـخَطَّابِ؟

فَقَالَ أبو سفيان: إِنَّ هَؤُلاَءِ قُتِلُوا فَلَوْ كَانُوا أَحْيَاءَ لأَجَابُوا؛ فَلَمْ يَمْلِكْ عُمَرُ نَفْسَهُ فَقَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ الله! أَبْقَى الله عَلَيْكَ مَا يُخْزِيكَ)[1].

فهذا يدلُّ على أن خيرَ هذهِ الأمةِ بعدَ نبيها أبو بكرٍ وعمرُ ﭭ وهما أعمدةُ الإسلامِ بعد نبيِّهم.

ثالثاً: أبو بكرٍ ﭬ في الحديبيةِ:

١- في المشورَة:

خرجَ رسولُ الله ﷺ مع أصحابهِ من المدينةِ إلى مكةَ؛ لأداءِ العمرةِ وفي الطريقِ وصلَ الخبرُ إلى رسولِ الله ﷺ؛ أنَّ أهلَ مكةَ جمعوا جموعَهم لصَدِّه عن الكعبةِ، فقالَ ﷺ لأصحابه: «**أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ**» فقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ الله! خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا الْبَيْتِ لاَ تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ وَلاَ حَرْبَ أَحَدٍ، فَتَوَجَّهْ لَهُ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ، قَالَ: «**امْضُوا عَلَى اسْمِ الله**»[2].

٢- في المفاوضاتِ:

جاءت وفودُ قريشٍ لمفاوضةِ النبيِّ ﷺ وكانَ مِنْ بينِ هؤلاءِ الوفودِ: عروةُ بنُ مسعودٍ الثقفيُّ، الذي قالَ لرسولِ الله ﷺ: (يا مُحَمَّدُ! جئتَ لقتالِ قَوْمِكَ، فإن

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٠٤٣).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤١٧٨، ٤١٧٩).

قتلتَهم فهَلْ رأيتَ أَحَداً قبلكَ اجْتَاحَ قومَه -أي أهلَكهم- وَإِنْ كانتِ الأُخْـرَى - يعني هُزمْتَ أنتَ- فَإِنِّي وَاللهِ لأَرَى حواليكَ أَوْباشَاً خَلِيقًا-أي حقيقاً- أَنْ يَفِـرُّوا وَيَدَعُوكَ! فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه لعروةَ بنِ مسعودٍ: امْصُصْ بَظْرَ اللَّاتِ، أَنَحْنُ نَفِـرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ!

فَقَالَ عروةُ : مَنْ هذَا؟ قَالُوا له: هذا أَبُو بَكْرٍ.

فقَالَ عروةُ: واللهِ لَوْلاَ يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي -أي: نعمةٌ- لَمْ أَجْزِكَ بها -أي: لم أُكافئكَ بها- بِهَا لأَجَبْتُكَ)[1] الحديث.

الشاهد مَنِ الذي أجابَ عروةَ؟ إنه أبو بكرٍ الصديقُ.

٣- موقفُه منَ الصلحِ:

عندما وافقَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم على بعضِ شروطِ قريشٍ -الجائرةِ- في صلحِ الحديبيةِ، قال عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه : (فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ أَلَسْتَ نَبِيَّ اللهِ حَقًّا؟ قَالَ: «**بَلَى**».

قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ، وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: «**بَلَى**».

قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟

قَالَ: «**إِنِّي رَسُولُ اللهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهْوَ نَاصِرِي**».

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ.

قَالَ: «**بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ؟!**».

قُلْتُ: لاَ.

قَالَ: «**فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ**».

قَالَ عمر: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ! أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللهِ حَقًّا؟

قَالَ: بَلَى.

قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ، وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟

قَالَ: بَلَى.

قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟.

قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ! إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ وَهْوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ (أي: اتبع قوله وفعله، ولا تخالِفه) فَوَاللهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ.

قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟

قَالَ: بَلَى. أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ آتِيهِ الْعَامَ؟

قُلْتُ: لاَ.

قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ)[1].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

فانظروا **عباد الله!** تكلمَ أبو بكرٍ بنفسِ كلامِ رسولِ الله ﷺ علماً أنـه لم يـسمعْ ولم يعلمْ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال ما قال لعمرَ بنِ الخطابِ، فـإن دلَّ هـذا عـلى شيءٍ فإنما يدلُّ على أنَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه كانَ أكملَ الصحابةِ، وأعرفَهم بأحوالِ رسـولِ الله ﷺ، وأعلمَهم بأمورِ الدينِ، وأشدَّهم موافقةً لأمرِ الله تعـالى وتـصديقاً لرسـولِ الله ﷺ. وكان قلبُه رضي الله عنه على قلبِ رسولِ الله ﷺ؛ من أجلِ ذلكَ اسـتحقَّ هـذَا الرجلُ أن يكونَ صدِّيقَ هذهِ الأمةِ الأكـبرَ، وأنْ يكـونَ أحـبَّ الرجـالِ قاطبـةً إلى قلبِ رسولِ الله ﷺ.

رابعاً: الصديقُ رضي الله عنه في غزوةِ تبوك:

• في غزوةِ تبوكَ طلبَ الصديقُ رضي الله عنه من رسولِ الله ﷺ الدعاءَ للمـسلمينَ، يقولُ عمرُ بنُ الخطـابِ رضي الله عنه: (خَرَجْنَـا إِلَى تَبُـوكَ فِي قَـيْظٍ شَـدِيدٍ، فَنَزَلْنَـا مَنْـزِلاً أَصَابَنَا فِيهِ عَطَشٌ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّ رِقَابَنَـا سَـتَنْقَطِعُ، حَتَّـى أَنَّ الرَّجُـلَ لَيَنْحَـرُ بَعِـيرَهُ، فَيَعْصِرُ فَرْثَهُ فَيَشْرَبُهُ، ثم يَجْعَلُ مَا بَقِيَ عَلَى كَبِدِهِ. فَقَالَ أَبُو بَكْـرٍ الـصِّدِّيقُ رضي الله عنه: يَـا رَسُولَ الله! إِنَّ اللهَ قَدْ عَوَّدَكَ فِي الدُّعَاءِ خَيْرًا، فَادْعُ اللهَ قَالَ ﷺ: «**أَتُحِـبُّ ذَلِـكَ؟**» قَالَ أبو بكر: نَعَمْ، فَرَفَعَ النبي ﷺ يَدَيْـهِ فَلَـمْ يُرْدَّهُمَـا حَتَّـى قَالَـتِ الـسَّماءُ -أي: تهيأت لإنزالِ مائها-، فَأَظَلَّتْ -أي: أنزلت مطراً خفيفاً- ثُمَّ سَـكَبَتْ فَمَلئُـوا مَـا مَعَهُمْ، ثُمَّ ذَهَبْنَا نَنْظُرُ فَلَمْ نَجِدْهَا جَاوَزَتِ الْعَسْكَرَ)[1].

---

(١) **حسن أو صحيح**: رواه ابـن خزيمـة (١٠١)، وابـن حبـان (١٣٨٣)، والحـاكم (٥٦٦)، [«دفـاع عـن الحديث النبوي والسيرة» (٩، ١٠)].

أبو بكرٍ الصديقُ ﷺ في ميادينِ الجهادِ بعدَ وفاةِ النبيِّ ﷺ :

يقول أنسُ بنُ مالكٍ ﷺ : (لَـمّا بُويعَ أَبُو بَكْرٍ فِي السّقِيفَةِ، وَكَانَ الْغَدُ، جَلَسَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى الْـمنْبَرِ. فَقَامَ عُمَرُ بنُ الخطابِ قَبْلَ أَبِي بَكْرٍ، فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِـمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمّ قَالَ: أَيّهَا النّاسُ إنّي كُنْت قُلْت لَكُـمْ بِـالْأَمْسِ مَقَالَـةً مَـا كَانَـتْ، ومّـا وَجَدْتها فِي كِتَابِ الله، وَلَا كَانَتْ عَهْدًا عَهِدَه إلَيّ رَسُولُ الله ﷺ، وَلَكِنّي قَدْ كُنْـتُ أَرَى أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ سَيُدَبّرُ أَمْرَنَا - يَقُولُ يَكُونُ آخِرُنَا- وَإِنّ الله قَدْ أَبْقَى فِـيكُمْ كِتَابَهُ الّذِي بِهِ هُدَى الله ورَسُولِهِ ﷺ فَإِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ هَدَاكُمْ الله لِمَا كَانَ هَدَاهُ لَـهُ، وَإِنَّ اللهَ قَدْ جَمَعَ أَمْرَكُمْ عَلَى خَيْرِكُمْ، صَاحِبِ رَسُولِ الله ﷺ ثَـانِي اثْنَـيْنِ إذْ هُمَـا فِي الْغَارِ فَقُومُوا فَبَايِعُوهُ.

فَبَايَعَ النّاسُ أَبَا بَكْرٍ بَيْعَتَهُ الْعَامّةَ بَعْدَ بَيْعَةِ السّقِيفَةِ. ثم تَكَلّمَ أَبُو بَكْـرٍ، فَحَمِـدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالّذِي هُوَ أَهْلُهُ.

ثُمّ قَالَ: أَمّا بَعْدُ أَيّهَا النّاسُ! فَإِنّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ، وَلَسْتُ بِخَـيْرِكُمْ -وهـذا والله مِنْ تواضعهِ- فَإِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي، وَإِنْ أَسَأْتُ فَقَوّمُـونِي، الـصّدْقُ أَمَانَـةٌ، وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ، وَالضّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقّهُ[1] إنْ شَـاءَ اللهُ، وَالْقَوِيُّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ إنْ شَاءَ الله، لَا يَدَعُ قَـوْمٌ الْجِهَـادَ فِي سَبِيلِ الله إلّا ضَرَبَهُمُ الله بِالذّلّ، وَلَا تَشِيعُ الْفَاحِـشَةُ فِي قَـوْمٍ قَـطُّ إلّا عَمّهُـمُ اللهُ

(١) أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقّهُ: يقال: أرحت على الرجل حقه، إذا رددته عليه.

بِالْبَلَاءِ، أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ، قُومُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ يَرْحَمْكُمُ اللهُ)[١].

أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه وحرصُهُ على إتباعِ النبيِّ ﷺ في كُلِّ شيءٍ بعد توليهِ الخلافة:

بعد أن تولى أبو بكرٍ الخلافةَ حرصَ على إتباعِ النبيِّ ﷺ في كلِّ شيءٍ، ولذلكَ قال: (أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ)[٢].

وقال رضي الله عنه: (... لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ؛ فَإِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ)[٣].

وقال رضي الله عنه: (وَاللهِ! لاَ أَدَعُ أَمْرًا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَصْنَعُهُ فِيهِ إِلَّا صَنَعْتُهُ)[٤].

ولذلكَ عندما أرسلَتْ فاطمةُ رضي الله عنها إلى أبي بكرٍ تسألُه ميراثَها من أبيها ..

فقالَ لها: (...إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إنا معشرَ الأنبياءِ لاَ نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ، إنما يأكلُ آلُ محمدٍ ﷺ منْ هذا المالِ**» وَإِنِّي وَاللهِ لاَ أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْ صَدَقَةِ

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٦/ ٨٢)، وعنه الطبري في تاريخه(٢/ ١٢٠)، وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦/ ٣٠٥-٣٠٦): **إسناده صحيح**.

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ١٨٢)، وأبو عبيد في«الأموال» (٦)، والدينوري في «المجالسة» (١٢٩٠).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٩٢)، ومسلم (١٧٥٩).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٦٧٢٦).

رَسُولِ اللهِ ﷺ عَنْ حَالِهَا الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلأَعْمَلَنَّ فِيهَا بِمَا عَمِلَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَبَى أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَدْفَعَ إِلَى فَاطِمَةَ مِنْهَا شَيْئًا)[1].

وعندما اقترحَ بعضُ الصحابةِ رضي الله عنهم على أبي بكر الصديقِ رضي الله عنه أنْ يُبقيَ جيشَ أسامةَ ولا يُنفِذَه. فقال لهم: (أنا أحبسُ جيشاً بعثهُ رسولُ الله ﷺ! لقد اجترأتُ على أمرٍ عظيم! والذي نفسي بيده لأن تميلَ العربُ أحبُّ إلي من أن أحبسَ جيشاً بعثه رسولُ الله ﷺ).

وفي روايةٍ قالَ لهم: (والذي نفسُ أبي بكر بيده، لو ظننتُ أنَّ السباعَ تخطَّفُني لأنفذتُ بَعْثَ أسامةَ كما أمرَ بهِ رسولُ الله ﷺ، ولو لم يبقَ في القرى غيري لأنفذتُه)[2].

وفي روايةٍ أخرى: (والله لا أَحُلُّ عقدةً عقدها رسولُ الله ﷺ ولو أنَّ الطيرَ تخطَّفُنا، والسباعَ من حولِ المدينة، ولو كانَ الكلابُ جرت بأرجلِ أمهاتِ المؤمنينَ لأجهزتُ جيشَ أسامةَ)[3].

أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه وجهادُه لأهلِ الردةِ:

يقول أبو هريرةَ رضي الله عنه: (لَـمَّا تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَب. قَالَ عُمَرُ: يَا أَبَا بَكْرٍ كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٢٤٠، ٤٢٤١)، ومسلم (١٧٥٩).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٤٥).

(٣) «تاريخ الطبري» (٤/ ٤٥)، «الرياض النضرة» (٢/ ٤٧)، «البداية والنهاية» (٦/ ٣٣٥).

«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا الله عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى الله».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَالله لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمالِ، وَالله لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا -الأنثى من ولَدِ الْمعزِ- كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا. قَالَ عُمَرُ: فَوَالله مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ أَنْ قَدْ شَرَحَ الله صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ)[1].

وكان مما قالَ عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه لأبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه: يا خليفةَ رسولِ الله! تَأَلَّفِ الناسَ وارفقْ بهم. فقال له أبو بكر: رجوتُ نصرتَك، وجئتني بخُذلانك. أجبَّارٌ في الجاهليةِ، وخوَّارٌ في الإسلامِ؟ إنه قد انقطعَ الوحيُ، وتم الدينُ، أَوَينقصُ وأنا حيٌّ؟! أليسَ قد قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إلا بحقِّها**» ومن حقِّها إقامةُ الصلاةِ وإيتاءُ الزكاةِ، والله لو خذلني الناسُ كلُّهم لجاهدتُهم بنفسي[2].

ووضَعَ الصديقُ رضي الله عنه الخطةَ لمحاربةِ المرتدين، وانتصرَ عليهم وردّ الأمورَ إلى نصابها. وكان قولُه وفعلُه هو الحقَّ، وأيدَه اللهُ -تبارَك وتعالى- بالنصرِ المبينِ -فرضيَ الله عنه وعن أصحابهِ الكرامِ-، نشهدُ بأنهم قومٌ اختارَهُمُ اللهُ لنصرةِ دينهِ، ولصحبةِ نبيِّه، وكانَ أفضلَهم أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٩٩)، ومسلم (٢٠).

(٢) «التاريخ الإسلامي» لمحمود شاكر (٣/ ٦٨).

العنصرُ الثاني: مواعظُ الصديقِ رضي الله عنه:

كان الصديقُ رضي الله عنه يجاهدُ بلسانهِ في سبيلِ الله -بالحكمةِ والموعظـةِ الحـسنةِ- كما جاهـدَ بنفـسه ومالـهِ. وذلـك لأنـه سـمعَ رسـولَ الله ﷺ يقـول: «**جَاهِـدُوا الْـمشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ**»[1].

ويقولُ ﷺ: «**الْـمجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي الله**»[2].

ولذلكَ كان أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه يعظُ نفسَه وغيرَه.

دخلَ عمرُ رضي الله عنه على أبي بكرٍ وهو آخذٌ بطرَفِ لسانهِ. (فَقَالَ عُمَرُ: مَـهْ! غَفَـرَ الله لَكَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: هَذَا الَّذِي أَوْرَدَنِي الْـموَارِد)[3].

وقال أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه: يا ليتني شجرةٌ تُعضَدُ، ثم تؤكَلُ[4].

وقال أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه في خطبةٍ له: (حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَـبُوا، وَلا يَدَعُ قَوْمٌ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ الله إِلَّا ضَرَبَهُمُ اللهُ بِـالْفَقْرِ، وَلا ظَهَـرَتِ الْفَاحِـشَةُ فِي قَوْمٍ، إِلَّا عَمَّهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْبَلاءِ)[5].

---

(١) **صـحيح**: رواه أبـو داود (٢٥٠٤)، والنـسائي (٣٠٩٦)، وأحمـد (٣/ ١٢٤)، [«صـحيح الجـامع» (٣٠٩٠)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (١٦٢١)، وأحمد (٦/ ٢٠، ٢٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب»(١٢١٨)].

(٣) **صحيح**: رواه أبو يعلى (٥)، والبزار (٨٤)، [«السلسلة الصحيحة»(٥٣٥)].

(٤) «صفوة الصفوة» (١/ ٢٥١)، و«الرياض النضرة» (٢/ ١٣٧).

(٥) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (١٢٩٠).

وقال أبو بكر رضي الله عنه: (أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ تَغْدُونَ وَتَرُوحُونَ فِي أَجَلٍ مَعْلُومٍ؟ ولا خَيْرَ فِي قَوْلٍ لا يُرَادَ بِهِ وَجْهُ الله -تعالى-، وَلا خَيْرَ فِي مَالٍ لا يُنْفَقُ فِي سَبِيلِ الله عزّوجل، وَلا خَيْرَ فِيمَنْ يَغْلِبُ جَهْلُهُ حِلْمَهُ، وَلا خَيْرَ فِيمَنْ يَخَافُ فِي الله لَوْمَةَ لائِم)[1].

وقال أبو بكر رضي الله عنه: وجدْنا الكرَم في التقوى، والغنى في اليقينِ، والشرفَ في التواضعِ[2].

كيف لا؟! واللهُ -عز وجل- يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجُرات:١٣].

لما حضرَ أبا بكر الموتُ دعا عمرَ رضي الله عنهما فقال له: (اتَّقِ اللهَ يَا عُمَرُ، واعْلَمْ أَنَّ لله عَمَلًا بِالنَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ بِاللَّيْلِ، وَعَمَلًا بِاللَّيْلِ لَا يَقْبَلُهُ بِالنَّهَارِ، وَأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ نَافِلَةً حَتَّى تُؤَدَّى الْفَرِيضَةُ، وَإِنَّمَا ثَقُلَتْ مَوَازِينُ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْحَقَّ فِي الدُّنْيَا وَثِقَلِهِ عَلَيْهِمْ، وَحُقَّ لِمِيزَانٍ يُوضَعُ فِيهِ الْحَقُّ غَدًا أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا، وَإِنَّمَا خَفَّتْ مَوَازِينُ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ فِي الدُّنْيَا وَخِفَّتِهِ عَلَيْهِمْ، وَحُقَّ لِمِيزَانٍ يُوضَعُ فِيهِ الْبَاطِلُ أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَذَكَرَهُمْ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ، وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، فَإِذَا ذَكَرْتَهُمْ قُلْتَ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا أَلْحَقَ بِهِمْ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى ذَكَرَ أَهْلَ النَّارِ، فَذَكَرَهُمْ بِأَسْوَإِ أَعْمَالِهِمْ وَرَدَّ عَلَيْهِمْ أَحْسَنَهُ، فَإِذَا ذَكَرْتَهُمْ قُلْتَ: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا أَكُونَ مَعَ هَؤُلَاء.

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٩).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٤/ ١٤٤).

لِيَكُونَ الْعَبْدُ رَاغِبًا رَاهِبًا، لَا يَتَمَنَّى عَلَى اللهِ وَلَا يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَتِهِ عزوجل، فَإِنْ أَنْتَ حَفِظْتَ وَصِيَّتِي؛ فَلَا يَكُن غَائِبٌ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ الْموْتِ -وَهُوَ آتِيكَ- وَإِنْ أَنْتَ ضَيَّعَتْ وَصِيَّتِي؛ فَلَا يَكُ غَائِبٌ أَبْغَضَ إِلَيْكَ مِنَ الْموْتِ وَلَسْتَ بِمُعْجِزِه)[1].

نسألُ اللهَ العظيمَ أن يجعلَنا وإياكم ممن يحبُّهم ويحبونه.

(١) رواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١١٤).



عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه

أولاً: عقيدةُ أهلِ السنةِ والجماعةِ في عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه :

أيها الأخوةُ عبادَ الله! قال اللهُ عزَّ وجَلَّ : ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب]. وهؤلاءِ الرجالِ همْ أصحابُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم؛ قومٌ اختارَهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّه ونصرةِ دينِهِ.

قالَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه : (من كان مستَنّاً فليستنَّ بمن قد مات، فإنَّ الحيَّ لا تُؤمَنُ عليهِ الفتنةُ، أولئكَ أصحابُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، كانوا واللهِ! أفضلَ هذهِ الأمةِ، أبرَّها قلوباً، وأعمَقَها علماً. وأقلَّها تكلفاً، قومٌ اختارَهُمُ اللهُ لصحبة نبيِّهِ، وإقامةِ دينِهِ، فاعرِفوا لهم فضلَهم، واتَّبِعُوهم في آثارِهم، وتمسَّكوا بما استطعتم من أخلاقِهم، ودينِهم، فإنهم كانوا على الهدى الْمستقيم)(١).

وأفضلُ هذهِ الأمةِ بعد نبيِّها صلى الله عليه وسلم وأبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه هو عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه الفاروقُ؛ الذي فَرَّقَ اللهُ بهِ بينَ الحقِّ والباطلِ.

(١) رواه البغوي في «شرح السنة» (١/ ٢١٤، ٢١٥)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٩)، والقرطبي في «تفسيره» من طريق سنيد (١/ ٦٠) بلفظ: (من كان منكم متأسيا فليتأسى....) وروي باللفظ المذكور عن عبد الله بن عمر رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٠٥)، والخطيب في «تالي التلخيص» (١/ ٣٧١)

يقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (إِنْ كَانَ إِسْلامُ عُمَرَ لَفَتْحًا، وهجرتُه لنصراً، وَإِمَارَتُهُ رَحْمَةً، وَالله! مَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نُصَلِّيَ بِالْبَيْتِ حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ، فَلَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ؛ قَاتَلَهُمْ حَتَّى دَعُوْنَا فَصَلَّيْنَا)[1].

عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه أولُ مَنْ جهرَ بالإسلامِ في مكةَ.

يقولُ ابنُ عباس رضي الله عنهما: (أَوَّلُ مَنْ جَهَرَ بِالإِسْلامِ عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ)[2].

وحديثُنا عنْ عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- سيكونُ فقط عن:

عقيدةُ أهلِ السنةِ والجماعةِ في عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه.

أجمعتِ الأمةُ سلفاً وخلفاً على أنّ أفضلَ البشرِ بعدَ الأنبياءِ وأبي بكرٍ هو عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه.

قال النوويُّ -رحمهُ اللهُ تعالى-: (اتفقَ أهلُ السنةِ على أنَّ أفضَلَهم -أي: الصحابة رضي الله عنهم- أبو بكرٍ ثم عمرُ)[3].

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ -رحمهُ اللهُ تعالى-: (وقد اتفقَ أهلُ السنةِ والجماعةِ على ما تواترَ عن عليٍّ بن أبي طالبٍ أنه قال: خيرُ هذه الأمةِ بعد نبيِّها أبو بكرٍ ثم عمرُ)[4].

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢٧٠)، والطبراني في «الكبير» (٨٨٢٠)

(٢) **حسن**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٨٩٠)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص ١٩٣)].

(٣) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٥/ ١٤٨).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٤٠٦)، و«منهاج السنة النبوية» (٦/ ١٣٧) (٣/ ١٥٣).

فيَنْبَغي للمسلمِ أن يعتقدَ اعتقاداً جازماً أنَّ أفضلَ هذهِ الأمةِ بعدَ نبيِّها محمدٍ ﷺ وأبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه هو عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه، ومَنِ اعتقدَ خلافَ ذلكَ، أو سبَّ عمرَ، أو لعنَهُ؛ فهو مبتدعٌ زنديقٌ خبيثٌ رافضيٌّ؛ عليهِ مِنَ اللهِ ما يستحقُّ.

• وقد وردتِ الأحاديثُ الكثيرةُ والأخبارُ الشهيرةُ بفضائلِ عمرَ رضي الله عنه ومنها:

١- عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه المبشَّرُ بالجنةِ:

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا**» فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ: أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللهِ![1].

وعن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رضي الله عنهما قالَ: قالَ النبيُّ ﷺ: «**رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ خَشَفَةً فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا بِلَالٌ، وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: لِعُمَرَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ**».

فَقَالَ عُمَرُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، أَعَلَيْكَ أَغَارُ؟![2].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٢٤٢).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٧٩).

وعن أنسِ بنِ مالكٍ ﵁ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**دَخَلْتُ الجَنَّـةَ فَـإِذَا أَنَـا بِقَصْرٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا القَصْرُ؟ فقَالُوا: لِشَابٍّ مِنْ قُرَيْشٍ، فَظَنَنْتُ أَنِّي أَنَا هُوَ، فَقُلْتُ: وَمَنْ هُوَ؟ فَقَالُوا: عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ**»(١).

وعن عبدِ الرحمن بنِ عوفٍ ﵁ قال: سمعتُ رسـولَ الله ﷺ يقـول: «**أَبُـو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ**»(٢).

وعن أبي موسى الأشعريِّ ﵁ قال: (كُنْـتُ مَـعَ النَّبِـيِّ ﷺ فِي حَـائِطٍ مِـنْ حِيطَانِ الْـمدِينَةِ -أي: بستان- فَجَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ فَقَالَ النَّبِـيُّ ﷺ: «**افْـتَحْ لَـهُ وَبَشِّرْهُ بِالْـجَنَّةِ**» فَفَتَحْتُ لَهُ فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ، فَبَشَّرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَمِدَ اللهَ، ثُـمَّ جَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْـجَنَّةِ فَفَتَحْتُ لَهُ**» فَإِذَا هُوَ عُمَرُ، فَأَخْبَرْتُـهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ، فَقَالَ لِي: «**افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْـجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ**» فَإِذَا عُثْمَانُ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ رَسُولُ الله ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ ثُمَّ قَـالَ: اللهُ الْـمسْتَعَانُ)(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ١٧٩)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٢٧)، وابن حبان (٦٨٨٧)، [«السلسلة الصحيحة» (١٤٢٣)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٧٤٧)، و أحمد (١/ ١٩٣)، وابن حبان (٧٠٠٢)، [«صحيح الجامع» (٥٠)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٩٣).

فها هوَ رسولُ اللهِ ﷺ يُبشرُ عمرَ بنَ الخطابِ رضي الله عنه بالجنة، ويخبرُه بأنه رأى قصرَه في الجنةِ، ثم يأتي مبتدعٌ زنديقٌ رافضيٌّ خبيثٌ يزعُمُ أنه يتقربُ إلى الله بِسَبِّ عمرَ ولَعْنِه! سبحانَك هذا بهتانٌ عظيم.

٣- عمرُ بن الخطابِ رضي الله عنه الذي أثنى عليه النبيُّ ﷺ ودعا له:

فقالَ: «**لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ**»(١).

وقال ﷺ: «**لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ**» أي: مُلْهَمون «**فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ**»(٢).

وقال ﷺ: «**اللهمَّ أَعِزَّ الإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ: بِأَبِي جَهْلٍ بن هشامٍ، أَوْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ**» يقولُ ابنُ عمرٍ رضي الله عنهما: فَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه)(٣).

وقالَ ﷺ: «**اللهمَّ أَعِزَّ الإِسْلَامَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ خَاصَّةً**»(٤).

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٣٦٨٦)، وأحمد (٤/ ١٥٤)، والحاكم (٤٤٩٥)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٢٧)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٨٩).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٦٨١)، وأحمد (٢/ ٩٥)، وابن حبان (٦٨٨١)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٢٢٥)].

(٤) **حسن**: رواه ابن ماجه (١٠٥)، وابن حبان (٦٨٨٢)، والحاكم (٤٤٨٥)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٢٢٥)].

أبعدَ هذا الثناءِ والدعاءِ من رسولِ الله ﷺ لعمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه ؛ يأتي زنديقٌ خبيثٌ رافضيٌّ يَسُبُّ عمرَ ويَلْعَنُهُ ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ٤﴾ [المنافقون]؟!

٤- عمرُ بنَ الخطابِ رضي الله عنه رجلٌ يخافُ منه الشيطانُ ويهربُ:

كانَ الفاروقُ عمرُ له هيبةٌ في قلوبِ الناسِ، وكانت شياطينُ الجِنِّ والإنسِ تهربُ منه.

عن سعدِ بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه قال: (اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الْـخَطَّابِ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ عَلَى صَوْتِهِ، فَلَـمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الْـخَطَّابِ قُمْنَ فَبَادَرْنَ الْحِجَابَ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ، فَدَخَلَ عُمَرُ وَرَسُولُ الله ﷺ يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ الله!

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلاَءِ اللاَّتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَـمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ، ابْتَدَرْنَ الْحِجَابِ**».

فَقَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ أَحَقُّ أَنْ يَهَبْنَ يَا رَسُولَ الله!

ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: يَا عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ، أَتَهَبْنَنِي وَلاَ تَهَبْنَ رَسُولَ الله ﷺ؟

فَقُلْنَ: نَعَمْ! أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِيهًا يَا ابْنَ الْـخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ**»(١).

والفجُّ: المسلكُ والطريقُ.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٨٣)، ومسلم (٢٣٩٦) واللفظ للبخاري.

وعن بُريدةَ رضي الله عنه قال: (خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ جَاءَتْ جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله إِنِّي كُنْتُ نَذَرْتُ إِنْ رَدَّكَ الله سَالِمًا؛ أَنْ أَضْرِبَ بَيْنَ يَدَيْكَ بِالدُّفِّ وَأَتَغَنَّى. فَجَعَلَتْ تَضْرِبُ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَهِيَ تَضْرِبُ، ثُمَّ دَخَلَ عَلِيٌّ وَهِيَ تَضْرِبُ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ وَهِيَ تَضْرِبُ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَأَلْقَتِ الدُّفَّ تَحْتَ إِسْتِهَا، ثُمَّ قَعَدَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَخَافُ مِنْكَ يَا عُمَرُ، إِنِّي كُنْتُ جَالِسًا وَهِيَ تَضْرِبُ فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَهِيَ تَضْرِبُ، ثُمَّ دَخَلَ عَلِيٌّ وَهِيَ تَضْرِبُ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ وَهِيَ تَضْرِبُ، فَلَمَّا دَخَلْتَ أَنْتَ يَا عُمَرُ أَلْقَتِ الدُّفَّ**»)[1].

وعنْ عائشَة رضي الله عنها قالت: (كَانَ رَسُولُ الله ﷺ جَالِسًا، فَسَمِعْنَا لَغَطًا وَصَوْتَ صِبْيَانٍ، فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ فَإِذَا حَبَشِيَّةٌ تَزْفِنُ وَالصِّبْيَانُ حَوْلَهَا، فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ تَعَالَيْ فَانْظُرِي**» فَجِئْتُ، فَوَضَعْتُ لَحْيَيَّ عَلَى مِنْكِبِ رَسُولِ الله ﷺ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهَا مَا بَيْنَ الْـمَنْكِبِ إِلَى رَأْسِهِ، فَقَالَ لِي: «**أَمَا شَبِعْتِ، أَمَا شَبِعْتِ**» قَالَتْ: فَجَعَلْتُ أَقُولُ: «**لاَ**». لأَنْظُرَ مَنْزِلَتِي عِنْدَهُ. إِذْ طَلَعَ عُمَرُ، قَالَتْ: فَانفضَّ النَّاسُ عَنْهَا: قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنِّي لأَنْظُرُ إِلَى شَيَاطِينِ الجِنِّ والإِنْسِ قَدْ فَرُّوا مِنْ عُمَرَ**» قَالَتْ: فَرَجَعْتُ)[2].

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٣٦٩٠)، وأحمد (٥/ ٣٥٦) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٧٧)، [«السلسلة الصحيحة»(«٢٢٦١»)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٦٩١)، والنسائي في «الكبرى» (٨٩٥٧)، [«المشكاة» (٦٠٣٩)].

٥- عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه الذي وافقَ ربَّه -عز وجل- في وقائعَ متعددةٍ:

كان الفاروقُ عمرُ رضي الله عنه يرى الرأيَ، فينزلُ القرآنُ موافقاً لما رآه.

قال صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ اللهَ جَعَلَ الحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ**». وقَالَ ابْنُ عُمَرَ: مَا نَزَلَ بِالنَّاسِ أَمْرٌ قَطُّ فَقَالُوا فِيهِ: وَقَالَ فِيهِ عُمَرُ -أَوْ قَالَ ابْنُ الخَطَّابِ فِيهِ شَكَّ خَارِجَةُ- إِلَّا نَزَلَ فِيهِ القُرْآنُ عَلَى نَحْوِ مَا قَالَ عُمَرُ[1].

ومنَ الأمثلةِ على ذلكَ:

قال عمرُ رضي الله عنه: (وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلاَثٍ -أي: وقائعَ- فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، فَنَزَلَتْ ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥] وَآيَةُ الحِجَابِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ، فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الحِجَابِ، وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ: عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ)[2].

وقال عمرُ رضي الله عنه: (لَـمَّا مَاتَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولٍ دُعِيَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَلَـمَّا قَامَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَثَبْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَتُصَلِّي عَلَى ابْنِ أُبَيٍّ وَقَدْ قَالَ يَوْمَ كَذَا، وَكَذَا كَذَا وَكَذَا -أُعَدِّدُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ- فَتَبَسَّمَ

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٦٨٢)، وأحمد (٢/ ٩٥)، وابن حبان (٦٨٩٥)، [«صحيح الجامع» (١٧٣٦)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٠٢).

رَسُولُ الله ﷺ وَقَالَ: «**أَخِّرْ عَنِّي يَا عُمَرُ**»، فَلَـمَّا أَكْثَرْتُ عَلَيْـهِ قَـالَ: «**إِنِّي خُـيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ، لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُغْفَـرُ لَـهُ لَـزِدْتُ عَلَيْهَـا**». قَـالَ- أي عمرُ- : فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ ثُمَّ انْصَرَفَ؛ لَمْ يَمْكُثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى نَزَلَـتِ الآيَتَانِ مِـنْ بَـرَاءَةٍ ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [التوبة].

قَالَ عمرُ: فَعَجِبْتُ بَعْدُ مِنْ جُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَئِـذٍ، وَالله وَرَسُـولُهُ أَعْلَمُ)[1].

وقال عمرُ رضي الله عنه : (وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ: فِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، وَفِي الْحِجَابِ، وَفِي أُسَارَى بَدْرٍ)[2].

ووجهُ الاستدلالِ في أُسارى بدرٍ أنَّ أبا بكرٍ رأى رأياً في أُسارى بـدرٍ، وعمـرُ ابنُ الخطابِ رأى خِلافَه، ونزلَ الوحيُ يؤيدُ رأيَ عمرَ.

عن عمرَ بنِ الخطابِ قال: (لَـمَّا نَزَلَت تَحْـرِيمُ الْخَمْـرِ قَـالَ: اللهـمَّ بَـيِّنْ لَنَـا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شِفاءً، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ [البقرة:٢١٩].

قَالَ: فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ. فَقَالَ: اللهمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شِفَاءً، فَنَزَلَتِ الآيَـةُ الَّتِـي فِي النِّـسَاءِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٣٦٦).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٩٩).

[النساء:٤٣] فكَانَ مُنَادِي رَسُولِ الله ﷺ إِذَا أَقَامَ الصَّلاةَ نَادَى: أَنْ لاَ يَقْرَبَنَّ الصَّلاةَ سَكْرَانُ، فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: اللهمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بيَانًا شِفَاءً، فَنَزَلَتِ الآيَةُ الَّتِي فِي الْمائِدَةِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١﴾ [المائدة]

فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، فَلَـمَّا بَلَغَ ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١﴾ قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: انْتَهَيْنَا، انْتَهَيْنَا)[1].

فهذا عمرُ الفاروقُ رضي الله عنه رزقَهُ اللهُ السدادَ في الرأيِ والإصابةَ في القولِ؛ فهو رضي الله عنه المحدَّثُ الملهَم، الذي جعلَ اللهُ الحقَّ على لسانِه وقلبِه. أبعدَ هذا يأتي مبتدعٌ خبيثٌ زنديقٌ رافضيٌّ يسبُّ عمرَ ويلعنُه؟! ﴿سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ١٦﴾ [النور].

يقولُ محمدُ بن سيرينَ: (مَا أَظُنُّ رَجُلاً يَنْتَقِصُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ؛ يُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ)[2].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٠٤٩)، وأبو داود (٣٦٧٠)، والنسائي (٥٥٤٠)، وأحمد (١/ ٥٣) واللفظ له [«صحيح سنن الترمذي» (٣٢٥٥)].

(٢) **صحيح مقطوعاً**: رواه الترمذي (٣٦٨٥)، [«صحيح سنن الترمذي»(٢٩٠٨)].

٦- عمرُ بنُ الخطابِ ﷺ الذي شهدَ لهُ رسولُ اللهِ ﷺ بالشهادةِ وقوةِ الإيمانِ والدينِ والعلمِ:

أما الشهادةُ:

عن أنس بن مالك ﷺ: صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ أُحُدًا، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ؛ فَرَجَفَ بِهِمْ فَقَالَ: «**أَثْبُتْ أُحُدُ! فَإِنَّ عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَان**»(١).

أخبرَ النبيُّ ﷺ بأنَّ عمرَ شهيدٌ، وتحققَ ما قالَه ﷺ؛ فقد ماتَ ﷺ شهيداً على يدِ الظالمِ أبي لؤلؤةَ المجوسي.

أما قوةُ الإيمانِ:

لما قال عمرُ ﷺ (يَا رَسُولَ اللهِ! لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**» فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ وَاللهِ! لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الآنَ يَا عُمَرُ**»(٢).

يقولُ أبو هريرةَ ﷺ سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: (بَيْنَمَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ، عَدَا عَلَيْهِ الذِّئْبُ فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي حَتَّى اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الذِّئْبُ فَقَالَ لَهُ: مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ، يَوْمَ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي؟ وبَيْنَمَا رَجُلٌ يَسُوقُ

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٧٥).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٦٣٢).

بَقَرَةً لَهُ قَدْ حَمَلَ عَلَيْهَا، فالْتَفَتَتْ إِلَيْهِ فَكَلَّمَتْهُ فَقَالَتْ: إِنِّي لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا، وَلَكِنِّـي إِنَّـمَا خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ.

فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ الله!

فَقَالَ النبي ﷺ: «**فَإِنِّي أُومِنُ بِذَلِكَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُبن الخطاب**»[1].

فشهدَ له النبيُّ ﷺ بالإيمانِ الكاملِ.

أما الدينُ:

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: «**بَيْـنَمَا أَنَـا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ عُرِضُوا عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ** (جمع قميص)**، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثَّدْيَ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ اجْتَرَّهُ**».

قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ الله!

قَالَ ﷺ: «**الدِّينَ**»[2].

أما العلم:

قال ﷺ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ شَرِبْتُ -يَعْنِي اللَّبَنَ- حَتَّـى أَنْظُـرَ إِلَى الـرِّيِّ يَجْـرِي فِي ظُفُرِي -أَوْ فِي أَظْفَارِي- ثُمَّ نَاوَلْتُ عُمَرَ**».

فَقَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ؟ قَالَ: «**الْعِلْمَ**»[3].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٧١)، ومسلم (٢٣٨٨) واللفظ له.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٩١)، ومسلم (٢٣٩٠)، واللفظ للبخاري.

(٣) **صحيح** : رواه البخاري (٣٦٨١)، ومسلم (٢٣٩١) واللفظ للبخاري.

عباد الله! أبعدَ هذهِ الشهادةِ من رسولِ الله ﷺ لعمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه يأتي زنديقٌ رافضيٌّ يدَّعي محبة الرسولِ ﷺ ويسبُّ عمرَ! ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف].

٧- عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه الذي يحبُّه اللهُ ورسولُه والصحابةُ والمؤمنونَ.

اللهُ -عز وجل- يحبُّ عمرَ رضي الله عنه ويرضى عنه. قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

وعمرُ وأبو بكر في مقدِّمةِ المهاجرين.

وقال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤]. وعمرُ رضي الله عنه مِنْ أوائلِ هؤلاءِ.

وقال ﷺ: «**اللهمَّ أَعِزَّ الدِّينَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ: أَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، أَوْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ**» يقول ابن عمر رضي الله عنهما: فَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ(١).

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٦٨١)، وأحمد (٢/ ٩٥)، وابن حبان (٦٨٨١) واللفظ له [«المشكاة» (٦٠٣٦)].

ورسولُنا ﷺ يحبُّ عمرَ ؓ، لما سُئِل ﷺ: مَنْ أَحبُّ الناس إليك من الرجال؟ قال: «**أبو بكر**» قيل ثم من؟: قال: «**عمر**»[1].

وهذا أنسٌ ؓ يقول: سأل رجلٌ النبيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ «**وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟**»

قَالَ الرجل: لاَ شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ ﷺ

فَقَالَ ﷺ: «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**».

قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**» قَالَ أَنَسٌ ؓ: فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ)[2].

والمؤمنونَ في كُلِّ مكانٍ وزمانٍ يحبونَ أصحابَ رسولِ الله ﷺ ومنهم أبو بكر وعمرُ؛ فحبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهمْ كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ. فنقولُ للذين يُبغِضونَ أبا بكرٍ وعمرَ: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤٠﴾ [فُصِّلَت].

أما عمرُ في مكةَ قبلَ إسلامِه وبعدَ إسلامِه فهذا الذي سنعرفُه في الجمعةِ القادمةِ -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- إنْ كانَ في العمرِ بقيةٌ.

اللهمَّ انصرِ الإسلامَ وأعِزَّ المسلمين.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٨٨)، ومسلم (٢٦٣٩) واللفظ للبخاري.



عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه

ثانياً: عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه في مكةَ قبلَ إسلامِه وبعدَ إسلامِه.

عبادَ الله! قالَ تعالى: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣)﴾ [الأحزاب]. وقال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧)﴾ [النور].

وهؤلاءِ الرجالُ هم أصحابُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم؛ قومٌ اختارَهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيهِ ونصرةِ دينهِ. حبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ. مَن سلكَ سبيلَهم سَعِدَ في الدنيا والآخرةِ. قالَ تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠)﴾ [التوبة].

وقال صلى الله عليه وسلم: «...**وَستَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فرقة؛ كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، قَالُوا: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»[1].

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو، والطبراني في «الأوسط» (٤٨٨٦) من حديث أنس [«السلسلة الصحيحة» (١٣٤٨)].

وحديثُنا عن عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه في هذا اليوم -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- سيكونُ فقط عن عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه في مكةَ قبلَ إسلامِه وبعدَ إسلامِه.

• عمرُ بنُ الخطابِ في مكةَ قبلَ إسلامِه:

أولاً: اسمُه ونسبُه وكنيتُه ولقبُه:

اسمُه ونسبُه: هو عمرُ بنُ الخطابِ بنِ نفيلِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ عَدِيٍّ بنِ كعبٍ بنِ لؤيٍّ بنِ غالبٍ القرشيُّ العدويُّ[1].

يجتمعُ نسبُه معَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم في كعبِ بنِ لؤيِّ بنِ غالبٍ[2].

ويُكَنَّى أبا حفص.

ولُقبَ بالفاروقِ؛ لأنه أظهرَ الإسلامَ بمكةَ؛ ففرّق اللهُ به بينَ الكفرِ والإيمانِ، ولذلك يقولُ ابنُ عباسٍ: (أَوَّلُ مَنْ جَهَرَ بِالإِسْلامِ عُمَرُ بنُ الْـخَطَّابِ)[3].

ثانياً: مولِدهُ وصفتهُ الخَلْقية:

وُلِدَ عمرُ رضي الله عنه بعدَ عام الفيلِ بثلاثَ عشْرَةَ سنةً[4].

وأما صفتهُ الخَلْقية؛ فكان رضي الله عنه أبيضَ أمهقَ، تعلوه حمرةٌ، حسنَ الخدينِ والأنفِ والعينينِ، غليظَ القدمينِ والكفينِ، مجدولَ اللحمِ، وكان طويلاً جسيماً

---

(١) «محض الصواب في فضائل عمر بن الخطاب» يوسف عبد الهادي المبرد (١/ ١٣١).

(٢)«محض الصواب في فضائل عمر بن الخطاب» يوسف عبد الهادي المبرد (١/ ١٣١).

(٣) **حسن**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٨٩٠)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص١٩٣)].

(٤) «تاريخ الخلفاء» للسيوطي (ص١٣٣).

أصلَع، قد فَرَعَ الناسَ، كأنه راكبٌ على دابـةٍ. وكـان قويـاً شـديداً، لا واهنـاً ولا ضعيفاً. وكان يخضُبُ بالحناءِ، وكان طويلَ السَّبُلَةِ -وهي طَرَفُ الشاربِ- وكـان إذا مشى أسرعَ، وإذا تكلم أسمَعَ، وإذا ضرَب أوجَعَ[1].

سبحانَ الذي خلقك يا عمرُ واختارَك لصحبةِ نبيِّه، ولنصرةِ دينِه!

ثالثاً: حياتهُ في الجاهليةِ:

أَمضى عمرُ بنُ الخطابِ في الجاهليةِ شطراً من حياتِه، ونشأ كأمثالِه مـن أبنـاءِ قريشٍ، يحترمونَ العاداتِ، وامتازَ عليهم بأنه كانَ ممن تعلَّموا القـراءةَ، وقـد حمَـلَ المسؤوليةَ صغيراً، ونشأ نشأةً غليظةً شديدةً لم يعرفْ فيها ألوانَ الترفِ، ولا مظاهرَ الثروةِ، ودفعه أبوه الخطابُ في غلظةٍ وقسوةٍ إلى المراعي يرعى إبِلَهُ. وتركَـتْ هـذه المعاملةُ القاسيةُ من أبيه أثراً سيئاً في نفسِ عمرَ رضي الله عنه، فظلَّ يـذكُرها طِيلـةَ حياتِـه قبلَ الإسلامِ، وبعدَ الإسلامِ.

يقولُ عبدُ الرحمنُ بنُ حاطبٍ: كنتُ معَ عمرَ بنِ الخطابِ بضَجْنانَ -جبلٍ على مسافةِ ٢٥ كم من مكةَ- فقالَ -أي عمرُ-: كنـتُ أرعـى للخطـابِ بهـذا المكـانِ فكان فظاً غليظاً، فكنتُ أرعى أحياناً، وأحتطبُ أحياناً[2].

ويقول سعيدُ بن المسيَّبُ رحمه اللهُ تعالى: (حجّ عمرُ، فلما كانَ بـضجنانَ قـال: لا إلهَ إلا اللهُ العليُّ العظيمُ، المعطي ما شاء لمن يشاءُ، كنت أرعى إبلَ الخطابِ بهـذا

(١) نقلاً من كتاب «فضائل الخطاب» للصلابي (ص١٦).

(٢)رواه ابن عساكر في «تاريخه» (٥٢/ ٢٦٨).

الوادي، في مَدْرعةِ صوفٍ، وكان فظّاً، يُتعبُني إذا عملتُ، ويـضرِبُني إذا قَـصَّرتُ. وقد أمسيتُ أميراً للمؤمنين ليس بيني وبينَ الله أحدٌ! ثم تمثل:

لا شيءَ ممـا تـرى تبقـى بـشاشتُه ... يبقـى الإلـهُ ويفنـى المـالُ والولـدُ

لم تُغـن عـن هرمـزٍ يومـاً خزائنُـه ... والخلدَ قد حاولَتْ عادٌ فما خَلَـدوا

ولا سـليمانَ إذ تجـري الريـاحُ لـه ... والإنـسُ والجـنُّ فـيما بينَهـا تَـرِدُ

أيـنَ الملـوكُ التـي كانـت لعزتهـا ... مِـنْ كـلِّ أوبٍ إليهـا وافـدٌ يفِـدُ

حوضٌ هنالك موردوٌ بـلا كـذبٍ ... لا بدَّ مِنْ وِرْدِه يومـاً كـما وَرَدوا)[1]

ومما امتازَ به عمرُ بنُ الخطابِ في الجاهليةِ قبلَ الإسلامِ ما يلي:

يقولُ الإمامُ الذهبيُّ: (كان -أيْ: عمرُ- مـن أشرفِ قـريشٍ، وإليـه الـسَّفارةُ كانت في الجاهلية، وذلك أن قريشاً كانت إذا وقع بيـنهم حـربٌ، أو بيـنهم وبـين غيرهم؛ بعثوه سفيراً)[2].

وقال ابنُ الجوزيِّ: (كانت السفارةُ إلى عمرَ بنِ الخطابِ، إن وقعت حربٌ بينَ قريشٍ وغيرهم بعثوه سفيراً، أو نافرَهم منافِرٌ، أو فاخَرهم مفـاخرٌ، بعثـوه منـافِراً ومفاخراً، وَرَضُوا به رضي الله عنه)[3].

(١) رواه ابن عساكر في (٥٢/ ٢٦٩).

(٢) انظر: «محض الصواب في فضائل عمر بن الخطاب» يوسف بن عبد الهادي المبرد (ص١٤٢).

(٣) ابن الجوزي: «مناقب عمر» (ص١١).

رابعاً: شِدَّتُهُ وبطْشُهُ بالمسلمينَ:

كانَ عمرُ بنُ الخطابِ مِنْ أشدِّ الناسِ عداوةً للنبيِّ ﷺ، وأكثرِهم إيذاءً وتعذيباً للمسلمين في مكةَ قبلَ إسلامه، حتى يئسَ بعضُ المسلمينَ من إسلامِه لِما رأى مِن غلظتِه وقسوةِ قلبِهِ وقال: لن يُسلِمَ هذا حتى يُسلِمَ حمارُ الخطابِ.

تقول أمُ عبدِ الله بنتُ أبي حثمةَ: (وَاللهِ إِنَّا لَنَتَرَحَّلُ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَقَدْ ذَهَبَ عَامِرٌ (زوجها) فِي بَعْضِ حَاجَتِنَا، إِذْ أَقْبَلَ عُمَرُ فوَقَفَ عَلَيَّ وَهُوَ عَلَى شِرْكِهِ.

تقول رضي الله عنها: وَكُنَّا نَلْقَى مِنْهُ الْبَلاءَ، أَذًى لَنَا وَشِدةً عَلَيْنَا. قَالَتْ: فَقَالَ: إِنَّهُ الانْطِلاَقُ يَا أُمَّ عَبْدِ اللهِ؟

قُلْتُ: نَعَمْ!

وَاللهِ لَنَخْرُجَنَّ فِي أَرْضِ اللهِ؛ آذَيْتُمُونَا وَقَهَرْتُمُونَا حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَنَا مَخْرَجًا.

قَالَتْ: فَقَالَ -أي: عمر-: صَحِبَكُمُ اللهُ!

تقول رضي الله عنها: وَرَأَيْتُ لَهُ رِقَّةً لَمْ أَكُنْ أَرَاهَا، ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ أَحْزَنَهُ فِيمَا أَرَى خُرُوجُنَا.

قَالَتْ: فَجَاءَ عَامِرٌ (زوجُها) مِنْ حَاجَتِنَا.

فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ! لَوْ رَأَيْتَ عُمَرَ آنِفًا وَرِقَّتَهُ وَحُزْنَهُ عَلَيْنَا؟!! قَالَ -أي زوجها-: أَطَمِعْتِ فِي إِسْلاَمِهِ؟! قَالَتْ: قُلْتُ: نَعَمْ! قَالَ: لاَ يُسْلِمُ الَّذِي رَأَيْتِ حَتَّى يُسْلِمَ حِمَارُ الْخَطَّابِ!!

قَالَتْ: يَأْسًا منه لِمَا كَانَ يَرَى مِنْ غِلْظَتِهِ وَقَسْوَتِهِ عَنِ الإِسْلاَمِ)[1].

ويقولُ سعيدُ بنُ زيدٍ رضي الله عنه وهو ابنُ عمِّ عمرَ وزوجُ أختهِ فاطمةَ بنتِ الخطابِ رضي الله عنها: (وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنَّ عُمَرَ لَمُوثِقِي عَلَى الإِسْلاَمِ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ)[2].

وهكذا ربطَ عمرُ سعيداً رضي الله عنه ابنَ عمه وزوجَ أختِه بسببِ إسلامِهِ، ليصدَّه عن دينهِ.

عمرُ بنُ الخطابِ في مكةَ ينشرحُ صدرُه للإسلامِ، ويلينُ قلبُهُ على المسلمين والسببُ:

أولاً: قدرةُ الله عزَّ وجلَّ:

فاللهُ عزَّ وجلَّ على كلِّ شيءٍ قديرٌ؛ يُحيي الأرضَ الميْتَةَ بعدَ موتِها، ويُحيي القلوبَ القاسيةَ بعدَ موتِها. قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد].

وقال تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام]. وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام:١٢٥].

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد «فضائل الصحابة» (٣٧١)، والطبراني في «الكبير» (٢٥/ ٣٠) واللفظ لعبد الله.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٨٦٢).

وقال ﷺ: «**يَا أُمَّ سَلَمَةَ! إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الله؛ فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ**»(١).

وقال ﷺ: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ؛ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ، حَيْثُ يَشَاءُ**»(٢).

ثانياً: دعوةُ النبيِّ ﷺ له:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: («**اللهمَّ أَعِزَّ الدِّينَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ: أَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، أَوْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ**» يقول ابن عمر: فَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه)(٣).

فاستجاب اللهُ لدعاءِ نبيِّه، وأعزَّ الإسلامَ بإسلامِ عمرَ.

ثالثاً: سماعهُ رضي الله عنه القرآنَ منْ رسولِ الله ﷺ ومنَ المسلمينَ:

القرآنُ الكريمُ كلامُ اللهِ -عز وجل- وإن له تأثيراً بليغاً في قلوبِ الخلقِ، ولذلك كانَ ﷺ إذا جاءه رجلٌ منَ المشركينَ في أمرِ الإسلامِ؛ قرأ ﷺ عليه القرآنَ فقط. ولقد كانَ للقرآن تأثيرٌ كبيرٌ في اجتذابِ عمرَ إلى صفِّ المسلمينَ، لأَنَّ عمرَ كان يَتذوقُ الكلامَ البليغَ ويُعجَبُ به.

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٥٢٢)، وأحمد (٦/ ٣١٥)، وأبو يعلى (٦٩٨٦)، [«صحيح الجامع» (٧٨٥٤)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٥٤).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٦٨١)، وأحمد (٢/ ٩٥)، وابن حبان (٦٨٨١) واللفظ له [«المشكاة» (٦٠٣٦)].

قال ابنُ حجرٍ رحمه الله تعالى: (الباعثُ لعمرَ على دخولِهِ في الإسلامِ؛ ما سمعَ في بيتِ أختِه فاطمةَ منَ القرآنِ)[1].

أمَّا قصةُ استماعِ عمرَ القرآنَ يتلوهُ الرسولُ ﷺ في صلاتِه قربَ الكعبةِ وعمرُ مستخفٍ بأستارِها! وكذلك قصتهُ معَ أختِه فاطمةَ حينَ لطمَها لإسلامِها وضرَب زوجَها سعيدَ بنَ زيدٍ، ثم إطلاعُهُ على صحيفةٍ فيها آياتٌ! فلم يثبتْ شيءٌ مِن هذهِ القصصِ من طريقٍ صحيحهٍ، ولذلكَ أعرَضْنا عنها[2].

عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه في مكةَ بعدَ إسلامهِ، وأثرُ ذلكَ على المسلمينَ والمشركينَ:

أولاً: أثرُ إسلامِ عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه على المسلمينَ في مكةَ:

لما أسلمَ عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه ازدادَ المسلمون عزةً إلى عزتِهم وقوةً إلى قوتِهم.

يقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ)[3].

وقال أيضاً: (لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُصَلِّيَ بِالْبَيْتِ حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ؛ فَلَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ قَاتَلَهُمْ حَتَّى تَرَكُونَا نصلي)[4].

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ١٧٦).

(٢) «صحيح السيرة النبوية»، أكرم العمرى (١/ ١٨٠).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٨٤).

(٤) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢٧٠)

وقال: (إِنَّ إِسْلامَهُ كَانَ نَصْرًا)[1] أي: لهذا الدينِ.

وقال ابنُ عباسٍ لعمرَ حينَ طُعِنَ: (فَلَـمَّا أَسْلَمْتَ كَانَ إِسْلامُكَ عِـزًّا، وَأَظْهَـرَ الله بِكَ الإِسْلامَ وَرَسُولَ الله وَأَصْحَابَهُ)[2].

ثانياً: أثرُ إسلامِ عمرَ رضي الله عنه على المشركين في مكةَ:

عبادَ الله! تعالَوا بنا لنستمِعَ إلى ابنِ عمرَ رضي الله عنهما وهو شـاهدُ عيـانٍ يخبرُنـا بـردِّ فعل قريشٍ حينَ أسلم عمرُ بنُ الخطابِ.

يقولُ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: (لَـمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْـخَطَّابِ قَـالَ: أَيُّ قُـرَيْشٍ أَنْقَـلُ لِلْحَدِيثِ؟ قِيلَ لَهُ: جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ الْجُمَحِـيُّ. قَـالَ: فَغَـدَا عَلَيْـهِ، قَـالَ ابـنُ عمـرَ: وَغَدَوْتُ أَتْبَعُ أَثَرَهُ أَنْظُرُ مَا يَفْعَلُ -وَأَنَا غُلامٌ أَعْقِلُ كُلَّمَا رَأَيْتُ- حَتَّى جَـاءَهُ فَقَـالَ: أَمَا عَلِمْتَ يَا جَمِيلُ أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، وَدَخَلْتُ فِي دِينِ مُحَمَّدٍ؟ قَالَ -أي: ابنُ عمـرَ-: فَوَالله مَا رَاجَعَهُ حَتَّى قَامَ يَجُرُّ رِداءَهُ، وَاتَّبَعَهُ عُمَرُ، وَاتَّبَعْتُ أَبِي، حَتَّـى إِذَا قَـامَ عَـلَى بَابِ الْـمسْجِدِ صَرَخَ بِأَعْلَى صَـوْتِهِ: يَـا مَعْـشَرَ قُـرَيْشٍ -وَهُـمْ فِي أَنْـدِيَتِهِمْ حَـوْلَ الْكَعْبَةِ- أَلاَ إِنَّ عُمَرَ قَدْ صَبَأَ، قَالَ: ويَقُولُ عُمَـرُ مِـنْ خَلْفِـهِ: كَـذَبَ، وَلَكِنـي قَـدْ أَسْلَمْتُ وَشَهِدْتُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

وَثَارُوا إِلَيْهِ، فَمَا بَرِحَ يُقَاتِلُهُمْ وَيُقَاتِلُونَهُ حَتَّى قَامَتِ الـشَّمْسُ عَـلَى رُؤوسِـهِمْ، وَطَلَحَ -أي:أعيا- فَقَعَدَ.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٩٨٩)، و الطبراني في «الكبير» (٨٨١٣).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٦٢٣).

وَقَامُوا عَلَى رَأْسِهِ وَهُوَ يَقُولُ: افْعَلُوا مَا بَدَا لَكُمْ، فَأَحْلِفُ بِاللهِ أَنْ لَوْ قد كُنَّا ثَلاثَمِائَةِ رَجُلٍ لَقَدْ تَرَكْنَاهَا لَكُمْ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا لَنَا.

قَالَ ابنُ عمرَ: فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ شَيْخٌ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَيْهِ حُلَّةٌ حِبَرَةٌ وَقَمِيصٌ مُوشىًّ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: صَبَأَ عُمَرُ. فقَالَ: فَمَهْ، رَجُلٌ اخْتَارَ لِنَفْسِهِ أَمْرًا فَمَاذَا تُرِيدُونَ؟ أَتَرَوْنَ بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ يُسْلِمُونَ لَكُمْ صَاحِبَهُمْ؟ هَكَذَا؟ خَلّوا عَنِ الرَّجُلِ.

قَالَ: فَوَاللهِ! لَكَأَنَّمَا كَانُوا ثَوْبًا كُشِطَ عَنْهُ. وقد عرفَ ابنُ عمرَ -فيما بعدُ- مِن أبيه أنَّ الذي أجارَهُ هو العاصُ بنُ وائلٍ السَّهميُّ)(١).

لقَد كانَ ردُّ فعلِ قريشٍ عنيفاً أمامَ حادثةِ إسلامِ عمرَ، حتى سالَ بهمُ الوادي يريدونَ قتلَه، لولا إجارةُ العاصِ له.

عن عبدِ الله بنِ عمرَ عن أبيهِ قالَ: (بَيْنَمَا هُوَ فِي الدَّارِ خَائِفًا إِذْ جَاءَهُ الْعَاصِ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ أَبُو عَمْرٍو عَلَيْهِ حُلَّةُ حِبَرَةٌ وَقَمِيصٌ مَكْفُوفٌ بِحَرِيرٍ -وَهُوَ مِنْ بَنِي سَهْمٍ وَهُمْ حُلَفَاؤُنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ- فَقَالَ لَهُ: مَا بَالُكَ؟ قَالَ عمرُ: زَعَمَ قَوْمُكَ أَنَّهُمْ سَيَقْتُلُونِي أنْ أَسْلَمْتُ -أي: لأجل إسلامي- قَالَ: لاَ سَبِيلَ إِلَيْكَ. قال عمرُ: بَعْدَ أَنْ قَالَهَا أَمِنْتُ.

---

(١) **صحيح**: رواه عبد الله بن أحمد في زوائد «فضائل الصحابة» (٣٧٢)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص١٩١)].

فَلَقِيَ النَّاسَ قَدْ سَالَ بِهِمُ الْوَادِي. فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُونَ؟ فَقَالُوا: نُرِيدُ هَـذَا ابْـنَ الْـخَطَّابِ الَّذِي صَبَأَ. قَالَ: لاَ سَبِيلَ إِلَيْهِ، فَكَرَّ النَّاسُ -أي: رجَعوا-)(١).

ولم يكتفِ عمرُ بذلكَ بل جاءَ إلى النبيِّ ﷺ فقال: (يا رسولَ الله! لا أدعُ مجلساً جلستُه في الكفر إلا أعلنتُ فيهِ الإسلامَ، فأتى الْـمسجدَ وفيه بطونُ قريشٍ متحلقةً، فجعلَ يُعلِنُ الإسلامَ، ويشهدُ أن لا إلـهَ إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله؛ فَثارَ المشركون، فجعلوا يضربونَه ويضربُهم فلما تكاثروا عليه، خلّصَهُ رجلٌ. فقلتُ لعمرَ: مَنِ الرجلُ الذي خلّصَكَ من الْـمشركين؟ قال: ذاكَ العاصُ بنُ وائلٍ السهميُّ)(٢).

عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه يُهاجرُ من مكّة إلى المدينةِ:

يقولُ البراءُ بنُ عازبٍ رضي الله عنه: (أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا -أي: إلى الْـمدينة- مُصْعَبُ ابْنُ عُمَيْرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَكَانوا يُقرئانِ النَّاسَ، فَقَدِمَ بِلاَلٌ، وَسَعْدٌ، وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، ثُمَّ قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْـخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ نفراً مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ، فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْـمدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ الله ﷺ)(٣).

عبادَ الله! تعالَوا بنا لنستمعَ إلى عمرَ رضي الله عنه وهو يحدثُنا عن هجرتِه من مكةَ إلى المدينةِ.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٨٦٤).

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» (١٢٩٣).

(٣) **صحيح** : رواه البخاري (٣٩٢٥).

يقولُ ﷺ : «اتَّعَدْتُ -لما أردنا الهجرة إلى المدينةِ- أنا وعياشُ بنُ أبي ربيعةَ، وهشامُ بنُ العاصِ بنِ وائلٍ السهميُّ التناضُبَ -ضربٌ منَ الشجرِ- مِنْ أضاءَةِ بني غفارٍ -أي: غديرٍ- فوقَ سَرْفٍ -وادٍ من أوديةِ مكةَ-، وقلنا أيُّنا لا يصبحُ عندَها فقد حُبسَ، فليمضِ صاحباهُ، قال: -أي: عمرُ- فأصبحتُ أنا وعياشُ ابنُ أبي ربيعةَ عند التناضُبِ وحُبِسَ عنا هشامُ، وفُتنَ فافتُتِنَ.

يقولُ عمرُ: فلما قدمنا المدينةَ، نزلنا في بني عمرو بن عوفٍ بقباءَ، وخرجَ أبو جهلٍ بنِ هشامٍ، والحارثُ بنُ هشامٍ إلى عياشِ بنِ أبي ربيعةَ -وكان ابنُ عَمِّهما وأخاهما لأمِّهما- حتى قدما علينا المدينةَ -ورسولُ الله ﷺ بمكةَ- فكلماهُ وقالا: إنّ أمَّك قد نَذَرَتْ ألا تمسَّ رأسها مشطٌ حتى تراكَ، فرقَّ لها.

فقلتُ له: يا عياشُ إنه والله إن يريدُك القومُ إلا ليفتنوكَ عن دينِك فاحذرْهم..

فقال: أبرُّ قسمَ أمي، ولي هناك مالٌ فآخُذَهُ.

فقلتُ: والله إنك لتعلمُ أني لَمِنِ أكثرِ قريشٍ مالاً، فلكَ نصفُ مالي ولا تذهب معهما. فأبى عليَّ إلا أن يخرجَ معهما. فلما أبى إلا ذلك قلتُ: أما إذ قدْ فعلت ما فعلتَ؛ فخذ ناقتي هذه فإنها ناقةٌ نجيبةٌ ذلولٌ. فالزمْ ظهَرها، فإن رابَكَ منَ القومِ ريبٌ فانجُ عليها، فخرج عليها معهما، حتى إذا كانوا ببعضِ الطريقِ قالَ له أبو جهلٍ: والله يا أخي لقد استغلظتُ بعيري هذا، أفلا تُعْقِبُني على ناقتِك هذه؟ قال: بلى. قال: فأناخَ وأناخ ليتحوَّلَ عليها، فلما استوَوا بالأرضِ عَدَوا عليه فأوثقاهُ وربطاهُ، ثم دخلا به مكة وفتناهُ فافتُتن.

قال: فكنا نقولُ: ما اللهُ بقابلٍ ممن افتُتن صرفاً ولا عدلاً ولا توبةً؛ قومٌ عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاءٍ أصابهم. قال: وكانوا يقولونَ ذلكَ لأنفسِهم، فلما قدمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ أنزلَ اللهُ تعالى فيهم وفي قولِنا وقولِهم لأنفسِهم: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزُّمَر].

قال عمرُ بنُ الخطابِ: فكتبتُها بيدي في صحيفةٍ، وبعثتُ بها إلى هشامِ بن العاصِ قال: فقال هشامٌ: فلما أتتني جعلتُ أقرؤُها بذي طُوى -وادٍ بمكة- أُصُعِّدُ بها فيه وأصوِّبُ ولا أفهمُها حتى قلتُ: اللهمَّ فَهِّمْنيها.

قال: فألقى اللهُ تعالى في قلبي أنها إنما أُنزلتْ فينا، وفيما كنا نقولُ لأنفسِنا ويقالُ فينا، قال: فرجَعْتُ إلى بعيري فجلسْتُ عليه، فلحِقْتُ برسولِ الله ﷺ)[1].

• أما مواقفُ عمرَ في الإسلامِ فهذا الذي سنعرفُه في الجمعةِ القادمةِ -إنْ شاءَ الله تعالى- اللهمَّ رُدَّ المسلمينَ إلى دينِك رداً جميلاً.

---

(١) انظر «السيرة النبوية الصحيحة»، لأكرم العمرى (١/ ٢٠٤-٢٠٦).



عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه

ثالثاً: مواقفُ عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه في حياةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم:

عبادَ الله! من عقيدةِ أهلِ السنةِ والجماعةِ أنَّ أفضلَ هذه الأمةِ بعدَ نبيِّها محمدٍ صلى الله عليه وسلم وأبي بكرٍ رضي الله عنه هو عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه.

وحديثُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- سيكونُ فقط عن مواقفِ عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه في حياةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم.

عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه له مواقفهُ المتميزةُ في حياةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، والتي تدلُّ على صلابتهِ وشدتهِ وقوتهِ في دينِ الله، كيفَ لا!؟ والرسولُ صلى الله عليه وسلم يقول: «**أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللهِ عُمَرُ..**». الحديث[1].

وقال صلى الله عليه وسلم: «**أَشَدُّ أُمَّتِي فِي أَمْرِ اللهِ عمرُ**»[2].

عبادَ الله! تعالَوا بنا لنعيشَ مع مواقفِ عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه في حياةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم؛ ففيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ.

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٧٩٠)، وابن ماجه (١٥٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨٢٤٢)، [«صحيح الترمذي» (٢٩٨١)].

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢٩١)، والبلاذري في «أنساب الأشراف (الشيخان: أبو بكر وعمر)» (ص٢٢٣) وصححه محقق «محض الصواب» (١٩٨)، وعدَّ الترمذي في سننه هذه الرواية أشهر من سابقتها.

الموقفُ الأولُ: عندما أسلمَ:

لما أسلمَ عمرُ بنُ الخطابِ أتى النبيَّ ﷺ، فقال: (يا رسولَ الله! إني لا أدعُ مجلساً جلستهُ في الكفرِ إلا أعلنتُ فيه الإسلامَ، فأتى الْـمسجدَ وفيه بطونُ قريشٍ متحلقةً، فجعل يُعلنُ الإسلامَ، ويشهدُ أن لا إلـهَ إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله؛ فثارَ المشركون، فجعلوا يضربونه ويضربُهم، فلما تكاثروا عليه، خلّصَه رجلٌ.

يقول ابنُ عمرَ: فقلتُ لعمرَ: مَنِ الرجلُ الذي خلّصَكَ من الْـمشركين؟ قال: ذاكَ العاصُ بنُ وائلٍ السهميُّ)[1]. وهذا إن دلَّ فإنما يدلُّ على شدتهِ وقوتِه وصلابتهِ في دينِ الله.

الموقفُ الثاني: موقفُه رضي الله عنه في غزوةِ بدرٍ الكبرى عندما خاطبَ النبيُّ ﷺ أئمةَ الكفرِ بعد موتهِم، وكذلكَ موقفُه مِنْ أسرى بدرٍ:

بعد أن نصرَ اللهُ المسلمينَ في بدرٍ، وقتلوا سبعينَ صِنديداً من صناديدِ قريشٍ، أمرَ رسولُ الله ﷺ بسحبِ قتلى المشركين إلى آبارٍ ببدرٍ، فَأُلقوا فيها، فلما كانَ ببدرٍ اليومَ الثالثَ وقفَ على أربعةٍ وعشرينَ رجلاً منهم مِن صناديدِ قريشٍ في إحدى الآبارِ، (فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: يَا فُلاَنُ بْنَ فُلاَنٍ، وَيَا فُلاَنُ بْنَ فُلاَنٍ أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ الله وَرَسُولَهُ؟ فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله! مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لاَ أَرْوَاحَ لَهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ**».

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (١٢٩٣).

قَالَ قَتَادَةُ: أَحْيَاهُمُ الله حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ؛ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقِمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا)[1].

وهذا إن دلّ فإنما يدلُّ على أنَّ عمرَ وأصحابَه تَرَبَّوا على أنَّ الموتى لا يسمعون، وهذه هي العقيدةُ الصحيحةُ في الكتابِ والسنةِ. وجاءَ دليلٌ آخرُ أنَّ الميتَ يسمعُ قرعَ نعالِ أصحابهِ إذا وَلَّوا عنه، أما غيرُ ذلكَ فعقيدتُنا أنَّ الموتى لا يسمعونَ بعد موتهم. أما ما يعتقدهُ بعضُ الناسِ أنَّ الموتى يسمعون؛ فتراهم يقفونَ عند القبورِ يَدعُون الموتى، ويستغيثونَ بهم من دونِ الله؛ فهذه عقيدةٌ فاسدةٌ وشركٌ أكبرُ.

وعندما استشارَ الرسولُ ﷺ أبا بكرٍ وعمرَ فيما يصنعُ بالأَسرى؟ فأشارَ أبو بكرٍ بأخذِ الفديةِ منهم، وعللَ ذلك بقوله: (فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلإِسْلاَمِ). وأشار عمرُ بنُ الخطابِ بقتلهم، وعللَ بقوله: (فَإِنَّ هَؤُلاَءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا).

ومالَ النبيُّ ﷺ إلى رأيِ أبي بكرٍ بِقَبولِ الفديةِ، فنزلتِ الآيةُ الكريمةُ في موافقةِ رأيِ عمرَ رضي الله عنه: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنفال][2].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٩٧٦)

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٦٣).

الموقفُ الثالثُ: موقفُه رضي الله عنه في غزوةِ أُحُدٍ عندما نادى أبو سفيان:

في غزوة أُحُدٍ؛ وقفَ أبو سفيانَ -وهو قائدُ المشركينَ في غزوةِ أُحُدٍ- يشمَتُ بالمسلمينَ، ويفخرُ بآلهته، وجعلَ يُنادي: (أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ فَقَالَ ﷺ: «لاَ تُجِيبُوهُ» فَقَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ فقَالَ: ﷺ: «لاَ تُجِيبُوهُ» قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْـخَطَّابِ؟ فَقَالَ أبو سفيان: لقد قُتل هَؤُلاَءِ. فَلَمْ يَمْلِكْ عُمَرُ نَفْسَهُ، فَقَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللهِ، لقد أَبْقَى الله عَلَيْكَ مَا يُخْزِيكَ)[1].

الموقفُ الرابع: موقفُه رضي الله عنه في زعيمِ المنافقينَ عبدِ اللهِ بنِ أُبيٍّ بنِ سَلولٍ:

أولاً: في غزوة بني المصطلق:

يقولُ جابرُ بنُ عبدِ الله الأنصاريُّ رضي الله عنه: (كُنَّا فِي غَزَاةٍ -وهي غزوة بني الْمصطَلَق- فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْـمهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ -أي: ضربه برجله- فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلأَنْصَارِ! وَقَالَ الْـمهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ! فَسَمِعَ ذَلكَ النبيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَا بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْـمهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ ﷺ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ».

فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ بن سلول -زعيم الْـمنافقين- فَقَالَ: أَوَقد فَعَلُوهَا؟ -يقصد بذلك الْـمهاجرين- أَمَا وَاللهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْـمدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ يعني -لعنه الله- بالأعزِّ نفسَه، وبالأذلِّ رسولَ الله ﷺ- فَبَلَغَ ذلك النَّبِيَّ ﷺ.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٠٤٣).

الشاهد: فَقَال عُمَرُ بن الخطاب: يَا رَسُولَ الله! دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**دَعْهُ يا عمر! لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**»[1].

ثانياً: موقفُه رضي الله عنه عندما أرادَ النبيُّ ﷺ أن يصليَ على زعيمِ المنافقينَ:

قال عمرُ رضي الله عنه: (لَـمَّا مَاتَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ دُعِيَ رَسُولُ الله ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَلَـمَّا قَامَ رَسُولُ الله ﷺ وَثَبْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! أَتُصَلِّي عَلَى ابْنِ أُبَيٍّ وَقَدْ قَالَ يَوْمَ كَذَا، وَكَذَا كَذَا وَكَذَا -أُعَدِّدُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ- فَتَبَسَّمَ رَسُولُ الله ﷺ وَقَالَ: أَخِّرْ عَنِّي يَا عُمَرُ! فَلَـمَّا أَكْثَرْتُ عَلَيْهِ قَالَ: «**إِنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ، لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يغْفَرْ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا**».

قَالَ- أي عمر-: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ ثُمَّ انْصَرَفَ؛ فَلَمْ يَمْكُثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى نَزَلَتِ الآيَتَانِ مِنْ بَرَاءَةٌ ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة].

قَالَ عمر: فَعَجِبْتُ بَعْدُ مِنْ جُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَئِذٍ، وَالله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ)[2].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤)، واللفظ للبخاري.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (١٣٦٦).

الموقفُ الخامس: موقفُه ﷺ مع حاطبِ بنِ أبي بلتعةَ ﷺ عندما أرسلَ كتاباً إلى قريشٍ يخبرهُم بغزوِ النبيِّ ﷺ لهم.

يقولُ عليُّ بنُ أبي طالبٍ ﷺ: (بَعَثَنِي رَسُولُ الله ﷺ أَنَا وَالـزُّبَيْرُ وَالْـمِقْدَادُ فَقَالَ ﷺ: «**انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ (خَاخٍ)** -مكان ما بين مكة والْـمدينة وهـو من الْـمدينة أقرب- **فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً** -امرأة في هودج- **مَعَهَا كِتَابٌ مـن حاطـب، فأتوني به**».

قَالَ عليٌّ: فَانْطَلَقْنَا تتعَادَى -أي: تجري- بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَـا رَّوْضَـةَ (خـاخ) فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، فقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ، قَالَتْ: مَـا مَعِـي مِـنْ كِتَـابٌ، فَقُلْنَـا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، قَالَ: فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا -ظفائرها- فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ الله ﷺ، فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نفرٍ مِنَ قـريش.. يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ الله ﷺ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « **مَا هَذَا يَا حَاطِبُ ؟**»

قَالَ: يَا رَسُولَ الله! لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ، ما فعلتُه كُفراً بعـد الإسـلام، ولا ردَّةً عـن الدين بعد إذْ هداني اللهُ إليه، ولكني كُنْتُ امْـرَءًا مُلْـصَقًا فِي قُـرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُـنْ مِـنْ أَنْفُسِهَم، وما من أحدٍ من أصحابك إلا لـه أهـلٌ في قـريش يَحْمُـونَ مالـه وأهلـه، فَأَردتُ إِن فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ أَنْ أَتَّخِذَ بهذ الكتاب عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بها أهـلي ومالي، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « **إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ**».

فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله! دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْـمنَافِقِ.

فَقَالَ ﷺ: «**يا عمر! أوليس قَدْ شَهِدَ بَدْرًا؟ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ الله اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْرًا فقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**» فَأَنْزَلَ الله تبارك وتعالى في حاطب بن أبي بلتعة وكتابه الذي بعث به إلى قريش، سورة الممتحنة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ [الممتحنة]»[1].

الموقفُ السادسُ: موقفُه رضي الله عنه في صلحِ الحُدَيْبِيَةِ:

عندما قَبِلَ الرسولُ ﷺ بعضَ شروطِ قريشٍ الجائرةِ في صلحِ الحديبيةِ، جاءه عمرُ فقالَ: (يَا رَسُولَ الله! أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ، وَهُمْ عَلَى البَاطِلِ؟

قَالَ: «بَلَى»

قَالَ: أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْـجَنَّةِ، وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟

قَالَ ﷺ: «بَلَى». قَالَ: فَعلام نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَلَـم يَحْكُمِ الله بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ ﷺ: «**يَـا ابْـنَ الْــخَطَّابِ إِنِّي رَسُـولُ الله وَلَـنْ يُـضَيِّعَنِي الله أَبَـدًا**» فَانْطَلَقَ عُمَرُ إلى أبي بكر رضي الله عنه مُتَغَيِّظًا ولَمْ يَصْبِرْ حتى أَتَى أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ! أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَهُمْ عَلَى البَاطِلِ؟!

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٢٧٤)، ومسلم (٢٤٩٤)، واللفظ للبخاري.

قَالَ: بَلَى. قَالَ: أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْـجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟

قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَعَلَامَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا، وَنَرْجِعُ وَلَـمَّا يَحْكُمِ الله بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟

فَقَالَ أبو بكر: يَا ابْنَ الْـخَطَّابِ! إِنَّهُ رَسُولُ الله! وَلَنْ يُضَيِّعَهُ الله. فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ بِالْفَتْحِ، فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ فَأَقْرَأَهُ، فَقَالَ عمرُ: يَا رَسُولَ الله أَوَ فَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ ﷺ: نَعَمْ. فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ)(١).

الموقفُ السابعُ: موقفه رضي الله عنه في غزوةِ تبوكٍ:

يقولُ أبو سعيدٍ الخدري رضي الله عنه: (لَـمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ، قَالُوا يَا رَسُولَ الله! لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا -أي:ذبحنا الإبل التي يُسقى عليها-؛ فنأكل وندّهنَّ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**افْعَلُوا**».

فَجَاءَ عُمَرُ بن الخطاب رضي الله عنه فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! لا تفعل؛ إنهم إن فعلوا نفِدَ الظَّهْرُ -وهو ما يُحمَلُ عليه من الإبل- ولا يجدون ما يركبون، وَلَكِنْ يارسول الله! ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، ثُمَّ ادْعُ الله لَهُمْ بِالْبَرَكَةِ، فعسى اللهُ أَنْ يَفعل - أي فعسى الله أن يبارك في الطعام- فَدَعَا رسول الله ﷺ بِنِطَعٍ -أي: بساطٍ من الجلد- فَبَسَطَهُ، وأمرهم أن يأتوا بأزوادهم، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ، وآخرُ يَجِيءُ

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣١٨٢)، ومسلم (١٧٨٥)، واللفظ له.

بِكَفِّ تَمْرٍ، و ثالث يَجِيءُ بِكَسْرَةٍ خبز، حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النِّطَعِ شيءٌ قليلٌ من الزاد، فَدَعَا النبي ﷺ ربه بِالْبَرَكَةِ فِي الطعام، فبارك الله لهـم في الطعـام، فقَـالَ: «**خُـذُوا واملؤا أَوْعِيَتِكُمْ**» فملؤا أَوْعِيَتَهُمْ حَتَّى لم يبق بالجيش وعاءٌ إِلَّا مُلَئ، فَقَالَ رَسُـولُ الله ﷺ: «**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنِّي رَسُولُ الله، لَا يَلْقَى الله بِهِا عَبْـدٌ غَـيْرَ شَـاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنْ الْـجَنَّةِ**»)[1].

الموقفُ الثامنُ: موقفه رضي الله عنه مع أبي هريرةَ رضي الله عنه:

يقولُ أبو هريرةَ رضي الله عنه: (كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رَسُولِ الله ﷺ ومَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فِي نَفَرٍ، فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا؛ فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَـا، وَفَزِعْنَا، وقُمْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ الله ﷺ حَتَّـى أَتَيْـتُ حَائِطًا -أي:بستاناً لِلْأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّارِ- فَدُرْتُ بِهِ، هَلْ أَجِدُ لَهُ بَابًا فَلَمْ أَجِـدْ... فَاحْتَفَزْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ ﷺ: «**أَبُو هُرَيْرَةَ؟**».

فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله!

قَالَ: «**مَا شَأْنُكَ؟**»

قُلْتُ: كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَقُمْتَ فَأَبْطَـأْتَ عَلَيْنَـا، فَخَـشِينَا أَنْ تُقْتَطَـعَ دُونَنَـا؛ فَفَزِعْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مِنْ فَزِعَ،فَأَتَيْتُ هَـذَا الْحَـائِطَ فَـاحْتَفَزْتُ كَـمَا يَحْتَفِـزُ الثَّعْلَـبُ، وَهَؤُلَاءِ النَّاسُ وَرَائِي.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧).

فَقَالَ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! -وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ- اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَه مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**».

فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ عُمَرُ، فَقَالَ -أي: عمر- مَا هَاتَانِ النَّعْلَانِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟

فَقُلْتُ: هَذان نَعْلَا رَسُولِ الله ﷺ بَعَثَنِي بِهِمَا: مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ. فَضَرَبَ عُمَرُ بَيْنَ ثَدْيَيَّ بيده، فَخَرَرْتُ لِأَسْتِي، فَقَالَ -أي: عمر-: ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ!

يقول أبو هريرة: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً، وَرَكِبَنِي عُمَرُ -أي: تبعني- وإِذَا هُوَ عَلَى أَثَرِي فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ «**مَا لَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟**»

قُلْتُ: لَقِيتُ عُمَرَ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعَثْتَنِي بِهِ، فَضَرَبَ بَيْنَ ثَدْيَيَّ ضَرْبَةً فخَرَرْتُ لِأَسْتِي فقَالَ: ارْجِعْ.

فَقَالَ رَسُولُ الله: «**يَا عُمَرُ! مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟**» قَالَ عمر: يَا رَسُولَ الله ! أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ: مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ؟

قَالَ ﷺ: «**نَعَمْ**»، قَالَ عمر: فَلَا تَفْعَلْ؛ فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا، فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ.

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **فَخَلِّهِمْ**)[1].

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٣١).

خشيَ عمرُ أن يتكلَ الناسُ على لا إله إلا اللهُ فلا يعملونَ! -رضي الله عنكَ يـا عمرُ- أشهدُ أنك الفاروقُ! شدةً وصلابةً وحرصاً على دين الله.

الموقفُ التاسعُ: موقفُه ﷺ منَ الرجلِ الذي اعترضَ على قسمةِ رسولِ اللهِ ﷺ في غزوةِ حنينٍ:

يقول جابرُ بنُ عبدِ الله: (أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ الله ﷺ بِالْجِعْرَانَةِ -موضع قريـب من مكة- مُنْصَرَفَهُ مِنْ حُنَيْنٍ -أي: حين انصرافه من حنين- وَفِي ثَوْبِ بِلَالٍ فِضَّةٌ. وَرَسُولُ الله ﷺ يَقْبِضُ مِنْهَا يُعْطِي النَّاسَ. فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! اعْدِلْ. قَـالَ: «**وَيْلَـكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ؟**» لَقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْـخَطَّابِ ﷺ: دَعْنِي يَا رَسُولَ الله! فَأَقْتُلَ هَذَا الْـمنَافِقَ. فَقَـالَ: «**مَعَـاذَ الله! أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْـحَابِي. إِنَّ هَـذَا وَأَصْـحَابَهُ يَقْـرَءُونَ الْقُـرْآنَ لَا يُجَـاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»)[1].

الموقف العاشرُ: موقفُه ﷺ مع هشامِ بنِ حكيمِ بنِ حزامٍ عندما قرأَ القرآنَ بأحرفٍ لم يكنْ يعرفُها عمرُ:

يقول عمر ﷺ: (سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَؤُهَا، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَقْرَأَنِيهَا. وَكِدْتُ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمْهَلْتُـهُ حَتَّى انْصَرَفَ، ثمَّ لَبَّبْتُهُ -أي: أخذتُ بمجامع ردائه في عنقه وجررتهُ به- بِرِدَائِـهِ.

(١) صحيح: رواه مسلم (١٠٦٣).

فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ الله ﷺ فَقُلْتُ: يا رسول الله! إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سورة الفرقان عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتَنِيهَا، فَقَالَ: « **أَرْسِلْهُ** » ثُمَّ قَالَ لَهُ: « **اقرأ** » فَقَرَأْتُ فَقَالَ: «**هَكَذَا أُنْزِلَتْ**» ثُمَّ قَالَ لِي: «**اقْرَأْ**» فَقَرَأْتُ فَقَالَ: «**هَكَذَا أُنْزِلَتْ، إِنَّ هذا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ**»[1].

الموقفُ الحادي عشرَ: موقفُه رضي الله عنه من ابنِ صيادٍ -الذي يُقالُ إنه الدجالُ-:

يقول ابن عمر رضي الله عنهما: (انطلق عمر في رهطٍ من أصحاب النبي ﷺ قِبَلَ ابن صياد -كان أبوه من اليهود ولا يُدْرى من أي قبيلة هو، وهو الذي يقال: إنه الدجال- حتى وجدهُ يلعب مع الغلمان عند أُطُمِ بني مَغَالَةَ، وقد قارب ابن صيادٍ يومئذٍ يحتلمُ، فلم يشعر بشيء حتى ضرب النبي ﷺ ظهره بيده، ثم قال النبي ﷺ: «**أتشهد أنّي رسول الله؟**» فنظر ابن صيادٍ فقال: أشهدُ إنّكَ رسولُ الأميين.

قال ابن صياد للنبي ﷺ: أتشهد أني رسول الله؟

قال له النبي ﷺ: «**آمنت بالله ورسله**».

فقال النبي ﷺ: «**ماذا ترى؟**».

قال ابن صياد: يأتيني صادقٌ وكاذبٌ.

قال النبي ﷺ: «**خُلِّطَ عليكَ الأمر**».

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤١٩)، ومسلم (٨١٨)، واللفظ للبخاري.

قال النبي ﷺ: «**قد خبأت لكَ خبئاً**».

قال ابن صياد: هو الدُّخ.

قال النبي ﷺ: «**اخسأ، فلن تعدوَ قَدْرَك**».

قال عمر: يا رسول الله! ائذن لي فيه؛ أضرب عنقه.

قال النبي ﷺ: «**إن يكن هو** -أي: الدجال- **فلن تُسَلَّطَ عليه** -لأن الذي يُسلط عليه هو عيسى ابن مريم- **وإن لم يكن هو فلا خير لك في قتله؟**»[1].

اللهم أَرِنا الحقَّ حقاً وارزقنا إتباعَه.

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨٩٠)، ومسلم (٢٩٣٠).

٩

عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه

رابعاً: مواقفُ عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه بعد وفاةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم

عبادَ الله! قال تعالى في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

وهؤلاءِ الرجالُ؛ هم أصحابُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، قومٌ اختارهمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّهِ ونصرةِ دينهِ، حبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ. فهنيئاً لمن لقيَ اللهَ تعالى على حبّهم لأنه لا يحبُّهمْ إلا مؤمنٌ، وخابَ وخسرَ مَنْ لقيَ اللهَ وهو يُبغضُهم لأنه لا يبغضُهم إلا منافقٌ، هنيئاً لمن لقيَ اللهَ وهو يسيرُ على منهجِهم وعلى سبيلِهم لأنَّ اللهَ تعالى - يقول: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وخابَ وخسرَ مَن لقيَ الله وهو يسيرُ على منهجٍ غيرِ منهجِهم، وعلى سبيلٍ غيرِ سبيلِهم؛ لأنَّ الله تعالى يقولُ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء].

وأفضلُ هذه الأمة بعدَ نبيها محمدٍ صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديقِ رضي الله عنه؛ الفاروقُ عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه.

• وحديثُنا في هذا اليوم -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- سيكونُ فقط عن مواقفِ عمرَ بن الخطابِ ﵁ بعد وفاةِ النبيِّ ﷺ.

١- موقفُ عمرَ بنِ الخطابِ ﵁ عندما ماتَ رسولُ اللهِ ﷺ.

يقول أنسٌ ﵁: (لما كان اليومُ الذي دخلَ فيه رسولُ الله ﷺ المدينةَ أضاءَ فيها كلُّ شيءٍ، فلما كانَ اليومُ الذي ماتَ فيه أظلمَ منها كُلُّ شيءٍ)[١].

وَعندما وصلَ خبرُ وفاةِ النبيِّ ﷺ إلى عمرَ بنِ الخطابِ ﵁ قامَ صارخاً يقولُ: (إنَّ رجالاً منَ المنافقين يزعمونَ أنَّ رسولَ الله ﷺ ماتَ، وإنَّ رسولَ الله ﷺ ما ماتَ، لكنْ ذهبَ إلى ربِّه كما ذهبَ موسى بنُ عمرانَ، فغابَ عن قومِه أربعينَ ليلةً، ثم رجَع إليهم بعد أن قيلَ قد ماتَ، والله ليرجِعَنَّ رسولُ الله ﷺ فلْيَقْطعن أيدي رجالٍ وأرجلَهم؛ يزعمونَ أنه مات)[٢].

أخذ عمرُ ﵁ يتوعدُ الذينَ يقولون: إنَّ محمداً ﷺ قد ماتَ، وبينما هو كذلكَ إذ جَاء أبو بكرٍ فدخلَ على رسولِ الله ﷺ، فقبّله وقال: طِبتَ حياً وميتاً يا رسولَ الله، ثم خرجَ فخطبَ في الناسِ. فقال: مَنْ كان يعبدُ محمداً فإنَّ محمداً قد مات، ومنْ كانَ يعبدُ اللهَ فإنَّ اللهَ حيٌّ لا يموتُ، قال تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ**

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٦١٨)، وابن ماجه (١٦٣١)، وأحمد (٣/ ٢٢١)، [«صحيح الترمذي» (٢٨٦١)]

(٢) ذُكرت الحادثة كاملة في السيرة النبوية لابن هشام (٦/ ٧٥)، وتاريخ الطبري (٢/ ٢٣٢)، **بإسناد صحيح**، وقد أورد البخاري (٣٤٦٧) الحادثة بدون ذكر مقولة عمر ﵁ كاملة.

قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـًٔاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ [آل عمران].

قال ابنُ عباس: والله! لكأنَّ الناسَ لم يعلموا أنَّ الله أنزلَ هذه الآيَةَ حتى تلاها أبو بكرٍ فتلقَّاها منه الناسُ كُلُّهم، فما أسمعُ بشراً منَ الناسِ إلا يتلوها.

قال عمرُ: واللهِ ما هوَ إلا أن سمعتُ أبا بكرٍ تلاها، فعُقِرْتُ حتى ما تُقلُّني رجلاي، وحتى أهويتُ إلى الأرضِ حين سمعتُه تلاها، وعلمتُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قد ماتَ[1].

موقفه رضي الله عنه في البيعةِ لأبي بكرٍ:

وفي اليومِ التالي بايعَ عمرُ أبا بكرٍ في سقيفةِ بني ساعدةَ، ثم قامَ في المسجدِ- في اليومِ الثاني- فخطبَ بالناسِ، وحثَّهم على بيعةِ أبي بكرٍ، ثم قامَ فبايعَهُ، وتتابعَ الناسُ يبايعونَه البيعةَ العامةَ.

أبو بكرٍ وعمرُ رضي الله عنهما عندَ أمِّ أيمنَ رضي الله عنها:

يقول أنسٌ رضي الله عنه: قال أبو بكرٍ لعمرَ رضي الله عنهما بعد وفاةِ رسولِ الله ﷺ: انطلِقْ بنا إلى أمِّ أيمنَ -وهي حاضنةُ رسولِ الله ﷺ وخادمتُه في طفولته، أعتقَها النبيُّ ﷺ حين كَبِرَ زوجُها زيدُ بنُ حارثةَ رضي الله عنهما- نزورُها كما كانَ رسولُ الله ﷺ يزورُها، فلما انتهينا إليها؛ بكتْ، فقالا لها: ما يُبكيكِ؛ أما تعلمينَ أنَّ ما عندَ الله

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤١٨٧).

خيرٌ لرسولِ الله ﷺ، فقالت: ما أبكي أنْ لا أكونَ أعلمُ أنَّ ما عندَ الله تعالى خيرٌ لرسولِ الله ﷺ، ولكنْ أبكي أنّ الوحيَ قد انقطعَ منَ السماءِ، فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها[1].

عبادَ الله! رسولُنا ﷺ تركَ أمتَه على بيضاءَ، ليلُها كنهارِها لا يزيغُ عنها إلا هالكٌ، وجاءَ أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه فحاربَ المرتدين حيثُ أعادَهم إلى ما كان عليهِ النبيُّ ﷺ.

ولما كانَ من مقاصدِ قيامِ الدولةِ الإسلاميةِ؛ حراسةُ الدينِ، فإنَّ مِنْ أهمِّ ما قامَ به الفاروقُ القيامَ بهذا المقصِدِ، وهو حفظُ أصلِ الدينِ؛ بحملِ الناسِ على العقيدةِ الصحيحةِ الصافيةِ التي تَرَكهمْ عليها رسولُ الله ﷺ، فحاربَ رضي الله عنه شبهاتِ الزائغينَ، وردَّ كيدَ أعداءِ الدينِ؛ الذين يُروجون للعقائدِ المنحرفةِ والخرافاتِ المنكَرةِ التي زينَها لهمُ الشيطانُ، فظنوا أنهم يُحسنون صنعاً. وإليكَ بعضَ المواقفِ التي تشهدُ للفاروقِ حمايتَه لجنابِ التوحيدِ، ومحاربتَه للبدعِ والخرافاتِ، وبالمثال يتضحُ المقالُ:

عمرُ والحجرُ الأسودُ:

لما جاءَ عمرُ بنُ الخطابِ إلى الحجرِ الأسودِ قَبَّلَهُ، ثم قالَ: والله! إني أعلمُ أنكَ حجرٌ لا تضرُّ ولا تنفعُ، ولولا أني رأيتُ رسولَ الله ﷺ يقبلُك ما قبلتُك[2].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٥٤).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٥٢٠)، ومسلم (١٢٧٠).

اللهُ أكبر .. إنه الإتباعُ في أبهى صُوَرِه، وأجملِ معانيه.

قال ابنُ حجرٍ: قال الطبريُّ: إنما قالَ ذلكَ عمرُ؛ لأنَّ الناسَ كانوا حديثي عهدٍ بعبادةِ الأصنامِ؛ فخشيَ أن يَظُنَّ الجهالُ أنَّ استلامَ الحجرِ من بابِ تعظيمِ بعضِ الأحجارِ، كما كانتِ العربُ تفعلُ في الجاهليةِ؛ فأرادَ عمرُ أن يُعَلِّمَ الناسَ أن استلامَه إتباعٌ لفعلِ النبيِّ ﷺ.

ثم قالَ ابنُ حجرٍ: وفي قولِ عمرَ هذا التسليمُ للشارعِ في أمورِ الدينِ، وحسنِ الاتباعِ فيما لم يُكْشَفْ عن معانيها، وهو قاعدةٌ عظيمةٌ في اتباعِ النبيِّ ﷺ فيما يفعلُه، ولو لم يُعلمِ الحكمةُ فيه[1].

عمرُ بنُ الخطابِ، وشجرةُ الرضوانِ:

وهي الشجرةُ التي بايعَ المؤمنون رسولَ الله ﷺ تحتَها: ﴿لَقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨].

أخرَج ابنُ سعدٍ -بإسنادٍ صحيح- عن نافعٍ: أنَّ عمرَ بلغهُ أن قوماً يأتونَ الشجرةَ -شجرةَ الرضوانِ- فَيُصَلون عندها، فتوعدَّهم ثمَّ أمرَ بقطعِها، فقُطعت[2].

(١) «فتح الباري» (٣/ ٥٩٠-٥٩١).

(٢) «مصنف » لابن أبي شيبة (٢/ ١٥٠)، و«الطبقات» لابن سعد (٢/ ١٠٠)، وقال ابن حجر«فتح الباري» (٧/ ٤٤٨) إسناده صحيح.

فهذا موقفٌ لأميرِ المؤمنينَ -عمرَ رضي الله عنه- في حمايةِ جنابِ التوحيدِ، والقضاءِ على مواردِ الفتنِ، حيث قامَ أولئك التابعونَ بعملٍ لم يعملْه الصحابةُ رضي الله عنهم فهو أمرٌ مبتَدَعٌ، وقد يؤدي بعد ذلك إلى عبادةٍ فأمر بها فَقُطعَت[1].

عمرُ بنُ الخطابِ يمنعُ من تتبعَ الأماكنَ للصلاةِ فيها.

ثبتَ بالإسنادِ الصحيحِ عن عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه أنه كانَ في السفرِ فرأى قوماً ينتابونَ مكاناً يُصَلُّون. فقالَ: ما هذا؟ قالوا: مكانٌ صَلَّى فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فقالَ عمرُ: إنما هلكَ مَنْ كانَ قبلَكُم بهذا، إنهمُ اتخذَوا آثارَ أنبيائِهم مساجدَ. مَنْ أدركَتْهُ الصلاةُ فليصَلِّ وإلا فليمْضِ[2].

أي لا تتقصدْ أن تصليَ في مكانٍ بذاتهِ إلا إذا جاءَ في ذلكَ دليلٌ.

عمرُ بنُ الخطابِ والاستسقاءُ بالعباسِ رضي الله عنه.

عن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ رضي الله عنه استسقى بالعباسِ بنِ عبدِ المطلبِ رضي الله عنه، فقالَ: اللهمَّ إنا كُنَّا نتوسلُ إليك بنبيِّنا صلى الله عليه وسلم فَتَسْقِيَنا -أي: بدعائهِ حياً، ولو كانَ يُتوسَّلُ به ميتاً لتوسَّلَ به عمرُ؛ وَلَـمَا احتاجَ عمُّهُ العباسُ ليدعوَ له- وإنا نتوسلُ إليكَ بعمِّ نبيِّنا فاسقِنا[3].

---

(١) المصادر السابقة.

(٢) **صحيح**: رواه عبد الرزاق (٢٧٣٤)، وابن أبي شيبة (٧٥٥٠) في مصنيفهما، [«مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١/ ٢٨١)، و«فتح الباري» لابن حجر (١/ ٥٦٩)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٩٦٤)

فتقدَّمَ العباسُ ودعـا بهـذا الـدعاءِ: (اللهـمَّ إنـه لم ينـزلْ بـلاءٌ إلا بـذنبٍ، ولم يُكشَفْ إلا بتوبةٍ، وقد توجَّهَ القومُ بي إليكَ لمكاني من نبيِّك، وهذهِ أيدينا بالذنوبِ ونواصينا إليك بالتوبةِ؛ فاسقِنا الغيثَ، فأرختِ السماءُ مثلَ الجبالِ حتى أخـصبتِ الأرضُ، وعاشَ الناسُ)(١).

عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه أميرُ المؤمنينَ يحققُ بنفسِه في شكاوى الرعيةِ ضدَّ وُلاتِهم:

ومنَ الأمثلةِ على ذلكَ: **شكوى أهلِ الكوفةِ في سعدِ بنِ أبي وقاصٍ** رضي الله عنه، شكا أهلُ الكوفةِ سعداً إلى أميرِ المؤمنينَ عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه؛ فعزلَه واستعملَ عليهم عماراً، فشكَوا حتى ذكروا أنه لا يُحسنُ يُصلي، فأرسلَ إليه فقالَ: يا أبا إسحاقَ إنَّ هؤلاء يزعمونَ أنك لا تُحسنُ تُصلي. قال أبو إسحاقَ: أمَّا أنا والله فإني كنتُ أصلي بهم صلاةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، ما أخرِمُ عنها؛ أصلي العشاءَ فأركدُ في الأُولَيَيْنِ -أي: أُطيلُ- وَأَخِفُّ فِي الأُخْرَيَيْنِ.

قال عمرُ: ذاك الظنُّ بكَ يا أبا إسحاق، فأرسلَ معه رجلاً -أو رجالاً- إلى الكوفة فسألَ عنه أهلَ الكوفةِ ولم يدعْ مسجداً إلا سألَ عنه ويُثنونَ معروفاً، حتى دخلَ مسجداً لبني عبس، فقامَ رجلٌ منهم يُقالُ له أسامةُ بنُ قتادةَ يُكَنَّى أبا سَعدةَ -وهمُ الذين شكَوا على سعدٍ- قال: أَمَا إذ نشدْتَنا فإنّ سعداً كان لا يسيرُ بالسِّريةِ، ولا يقسمُ بالسَّويةِ، ولا يَعدلُ في القضيةِ.

(١) «فتح الباري» (٢/ ٤٩٧).

قال سعدُ: أَمَا والله! لأدعُونَّ بثلاثٍ: اللهمَّ إنْ كانَ عبدُك هذا كاذباً؛ قامَ رياءً وسمعةً، فأطِلْ عُمُرَهُ، وأطِلْ فقرَهُ، وعرِّضْهُ للفتنِ. وكان بعدُ إذا سُئِلَ -أي هذا الرجل- يقول: شيخٌ كبيرٌ مفتونٌ أصابتني دعوةُ سعدٍ.

قال عبدُ الملكِ: فأنا رأيتُه بعدُ قد سقَطَ حاجباهُ على عينيهِ منَ الكبرِ، وإنه ليتعرضُ للجواري في الطرقِ يغمزُهنَّ)[1].

كيف لا؟ والرسولُ ﷺ يقول: «**اللهمَّ استجبْ لسعدٍ إذا دعاكَ**»[2].

كيف لا؟ وهي دعوةُ مظلومٍ على مَنْ ظلَمه، ودعوةُ المظلومِ مستجابةٌ عندَ الله تعالى. ومعَ ذلك عزلَه عمرُ ووضعَ مكانه عماراً، ووضعَ سعداً مستشاراً عنده في المدينةِ.

عمر بن الخطابِ رضي الله عنه أميرُ المؤمنينَ كان وقافاً عندَ كتابِ الله:

يضربُ لنا الفاروقُ عمرُ رضي الله عنه مثالاً أعلى في الوقوفِ عندَ كتابِ الله.

عنِ ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: (قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ -وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ رضي الله عنه- فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي! لَكَ وَجْهةٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ.

فَلَـمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيْ -وهي كلمة تنبيهٍ وتحملُ معنى التهديدِ- يَا ابْنَ الْـخَطَّابِ فَوَالله مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ -أي: الشيءَ الكثيرَ- وَلاَ تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ رضي الله عنه حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ -أي العقوبةَ-.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٧٢٢).

(٢) **صحيح**: رواه سنن الترمذي (٣٧٥١)، والحاكم (٣/ ٢٨)، [«صحيح الترمذي» (٢٩٥٠)].

فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْـمؤْمِنِينَ! إِنَّ الله تَعَالَى قَـالَ لِنَبِيِّـهِ ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [الأعراف] وَإِنَّ هَذَا مِنْ الْجَاهِلِينَ.

وَالله! مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْـدَ كِتَـابِ الله)[1]. أي عنـدما سمعَ الآية عفا عنه. تربى على يَدَي محمدٍ ﷺ؛ ولذلكَ أعرضَ عن هـذا الإنـسانِ الذي اعتدى عليه بغيرِ حقٍّ.

عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه وعبادتُهُ وجودُهُ:

عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه يقومُ منَ الليل فيصلي.

عن أبي قتادةَ رضي الله عنه: (أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ لِأَبِي بَكْـرٍ: «**مَتَـى تُـوتِرُ؟**» قَـالَ: أُوتِرُ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، وَقَالَ لِعُمَرَ: «**مَتَى تُوتِرُ؟**» قَـالَ: آخِـرَ اللَّيْـلِ، فَقَـالَ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: «**أَخَذَ هَذَا بِالْـحَزْمِ**» وَقَالَ لِعُمَرَ: «**أَخَذَ هَذَا بِالْقُوَّةِ**»)[2].

عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه يُكثرُ من صيامِ التطوعِ، قال زيـادُ بـن حُـدير -رحمـه الله-: رأيتُ عمرَ بنَ الخطابِ أكثرَ الناس صياماً، وأكثرُهم سواكاً[3].

يقولُ ابن عمر رضي الله عنهما: ما رأيتُ أحداً قطُّ بعدَ رسولِ الله ﷺ من حـينِ قُـبضَ أَجَدَّ ولا أجودَ مِن عمر[4].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٦٤٢).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (١٤٣٤)، وأحمد (٣/ ٣٠٩)، وابـن خزيمـة (١٠٨٤)، [«تعليـق الألبـاني عـلى صحيح ابن خزيمة»].

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢٢٠) **بسند صحيح**.

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٣٤٨٤).

يقولُ عمرُ ﵁ أمرنا رسولُ الله ﷺ أن نتصدقَ ووافقَ ذلك عنـدي مـالاً، فقلتُ: اليومَ أسبقُ أبا بكر؛ إنْ سبقتُه يوماً، قال: فجئتُ بنصفِ مالي، فقال رسولُ الله ﷺ: «**مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟**» فيقول عمر: مِثْلَهُ.

وأتى أبو بكرٍ ﵁ بكلِّ ما عنده، فقال رسولُ الله ﷺ: «**مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟**» فقال: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ ، قلت: لا أسبقه إلى شيء أبداً(١).

وعن زيد بنِ أسلمَ عن أبيه قال: (خَرَجْتُ مَعَ عُمَـرَ بْـنِ الْـخَطَّابِ ﵁ إِلَى السُّوقِ فَلَحِقَتْ عُمَرَ امْرَأَةٌ شَابَّةٌ. فَقَالَتْ يَا أَمِيرَ الْـمؤْمِنِينَ، هَلَكَ زَوْجِـي، وَتَـرَكَ صِبْيَةً صِغَارًا وَالله مَا يُنْضِجُونَ كُرَاعًا -وهو ما دون كعب الـشاة- وَلاَ لَهُـمْ زَرْعٌ، وَلاَ ضَرْعٌ، وَخَشِيتُ أَنْ تَأْكُلَهُمُ الضَّبُعُ، وَأَنَا بِنْتُ خُفَافِ بْنِ إِيْـمَاءَ الْغِفَـارِيِّ، وَقَـدْ شَهِدَ أَبِي الْحُدَيْبِيَةَ مَعَ رسـولِ الله ﷺ، فَوَقَـفَ مَعَهَـا عُمَـرُ وَلَمْ يَمْـضِ، ثُـمَّ قَـالَ: مَرْحَبًا بِنَسَبٍ قَرِيبٍ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى بَعِيرٍ ظَهِيرٍ كَانَ مَرْبُوطًا فِي الدَّارِ، فَحَمَلَ عَلَيْـهِ غِرَارَتَيْنِ مَلأَهُمَا طَعَامًا، وَحَمَلَ بَيْنَهُمَا نَفَقَةً وَثِيَابًا ثُمَّ نَاوَلَهَا بِخِطَامِهِ.

ثمَّ قَالَ: اقْتَادِيـهِ فَلَـنْ يَفْنَـى حَتَّـى يَـأْتِيَكُمُ اللهُ بِخَـيْرٍ، فَقَـالَ رَجُـلٌ: يَـا أَمِـيرَ الْـمؤْمِنِينَ أَكْثَرْتَ لَهَا، قَالَ عُمَرُ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ! وَالله إِنِّي لأَرَى أَبَا هَذِهِ وَأَخَاهَـا قَـدْ حَاصَرَا حِصْنًا زَمَانًا فَافْتَتَحَاهُ، ثُمَّ أَصْبَحْنَا نَـسْتَفِيءُ سُـهْمَانَهُمَا فِيـهِ)(٢). هـؤلاء هـمُ الرجالُ الذين فتحوا الدنيا من مشرِقها إلى مغربِها، ونشروا فيها الإسلامَ.

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٣٦٧٥)، وأبو داود (١٦٧٨)، والدارمي (١٦٦٠)، [«صـحيح سـنن أبي داود» (١٤٧٣)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤١٦٠، ٤١٦١).

عبادَ الله! كان عمرُ الفاروقُ دائماً يقولُ: في كُلِّ يوم نقولُ: ماتَ فلانٌ وسيأتي اليومُ الذي يقالُ فيه ماتَ عمرُ[1]. فتحتَ هذا العنوانِ (ماتَ عمرُ) تكونُ الخطبةُ القادمةُ -إنْ شاءَ الله تعالى-.

اللهمَّ أرنا الحقَّ حقاً وارزقنا إتباعَه، وأرنا الباطلَ باطلاً وارزقنا اجتنابَه.

(١)حاشية «رسالة المسترشدين» (ص١١١).



عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه

خامساً: موتُ الفاروقِ عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه :

عبادَ الله! ما زلنا في صددِ الحديثِ عنِ الفاروقِ عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه، وأفضَلِ هذهِ الأمةِ بعدَ نبيِّها محمدٍ ﷺ وأبي بكرٍ رضي الله عنه. الفاروقُ عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه الذي قالَ فيه النبيُّ ﷺ: «**لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرُ**»[1]. عمرُ بنُ الخطابِ الذي قالَ فيهِ النبيُّ ﷺ: «**إِنَّ الله جَعَلَ الحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ**»[2].

عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه الذي قال: (حاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ)[3]. ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨﴾ [الحاقة].

عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه الذي قال: (لو نادى منادٍ منَ السماءِ؛ أيها الناسُ، إنكم داخلونَ الجنةَ كلُّكم أجمعونَ إلا رجلاً واحداً، لخفتُ أن أكونَ هو، ولو نادى

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٣٦٨٦)، وأحمد (٤/ ١٥٤)، والحاكم (٤٤٩٥)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٢٧)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٦٨٢)، وأحمد (٢/ ٥٣) من حديث ابن عمر، و رواه أبو داود (٢٩٦٢) وابن ماجه (١٠٨)، وأحمد (٥/ ١٤٥) من حديث أبي ذر [«صحيح الجامع»(١٧٣٦)].

(٣) **حسن**: رواه أحمد في « الزهد » (٦٢٧) و ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٤٥٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٥٢) واللفظ لابن أبي شيبة [«السلسلة الضعيفة» (١٢٠١)].

منادٍ: أيها الناسُ، إنكم داخلونَ النارَ إلا رجلاً واحداً، لرجوتُ أن أكـون هـو)[1]، خوفٌ ورجاء.

عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه الذي قالَ: (كُلُّ يومٍ يقالُ: ماتَ فلانٌ وفلانٌ، ولا بـدَّ من يومٍ يقالُ فيه: ماتَ عمرُ)[2]. وصدقَ عمـرُ، فـإنَّ اللهَ كَتـبَ المـوتَ عـلى جميعِ الخلائقِ.

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنبياء:٣٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزُّمَر]، وقـال تعـالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنبياء].

وكان الفاروقُ عمرُ يتمثلُ بهذهِ الأبياتِ:

لا شيءَ مما تـرى تبقـى بـشاشتُه ... يبقـى الإلـهُ ويفنـى المـالُ والولـدُ

لم تغـنِ عـن هرمـزٍ يومـاً خزائنُـه ... والخلدَ قد حاولتْ عادٌ فما خَلَـدوا

ولا سـليمانَ إذ تجـري الريـاحُ لـه ... والإنـسُ والجـنُّ فـيما بينهـا تـردُ

أيـنَ الملـوكُ التـي كانـت لعزتِها ... مِـنْ كُـلِّ أوبٍ إليهـا وافـدٌ يفِـد

حوضٌ هنالك مورودٌ بـلا كـذبٍ ... لا بدَّ مـنْ وِرْدِهِ يومـاً كـما وَرَدوا[3]

(١) رواه أبو نعيم «حلية الأولياء» (١/ ٥٣).

(٢) «حاشية رسالة المسترشدين» (ص١١١).

(٣) «ابن عساكر» (٥٢/ ٢٦٩).

وموعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- مع اللقاءِ الأخيرِ من سيرةِ الفاروقِ عمرَ ﵁ وهو بعنوان: موتُ الفاروقِ عمرَ.

كانَ عمرُ بنُ الخطابِ ﵁ يعلمُ يقيناً أنه سيُقتلُ ويلقى اللهَ شهيداً، فقد بَشَّره النبيُّ ﷺ بالشهادةِ في حياتهِ.

عن أنسِ بنِ مالكٍ ﵁: أَنَّ رسولَ الله ﷺ صَعِدَ أُحُدًا، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ؛ فَرَجَفَ فضربه برجلِهِ، وقَالَ: «**أُثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَان**»[1].

وعن ابنِ عمرَ ﵄، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ رَأَى عَلَى عُمَرَ قَمِيصًا أَبْيَضَ، فَقَالَ: «**ثَوْبُكَ هَذَا غَسِيلٌ أَمْ جَدِيدٌ؟**» قَالَ: لاَ بَلْ غَسِيلٌ، قَالَ: «**الْبَسْ جَدِيدًا، وَعِشْ حَمِيدًا، وَمُتْ شَهِيدًا**»[2].

الفاروقُ عمرُ بنُ الخطابِ ﵁ يطلبُ من ربِّه الشهادةَ، فعن زيدِ بنِ أسلمَ عن أبيه عن عمرَ ﵁ قال: (اللهمَّ ارْزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ مَوْتِي فِي بَلَدِ رَسُولِكَ ﷺ)[3].

وقال حذيفةُ بنُ اليمانِ ﵁: (بَيْنَما نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ عُمَرَ إذ قَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْفِتْنَةِ؟ قَالَ: فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ، تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ وَالصَّدَقَةُ وَالأَمْرُ بِالْمعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمنْكَرِ.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٧٥).

(٢) **حسن**: رواه ابن ماجه (٣٥٥٨)، والنسائي في «الكبرى» (١٠١٤٣)، وأحمد (٢/ ٨٨)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٥٢)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (١٨٩٠).

قَالَ -أي:عمر-: لَيْسَ عَنْ هَذَا أَسْأَلُكَ، وَلَكِنِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ؟

قَالَ: لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا بَأْسٌ يَا أَمِيرَ الْـمؤْمِنِينَ، إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا.

قَالَ عُمَرُ: أَيُكْسَرُ الْبَابُ أَمْ يُفْتَحُ؟ قَالَ: بَلْ يُكْسَرُ. قَالَ عُمَرُ: إِذًا لاَ يُغْلَقُ أَبَدًا! قُلْتُ: أَجَلْ!

قُلْنَا لِحُذَيْفَةَ: أَكَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ الْبَابَ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَمَا أَعْلَمُ أَنَّ دُونَ غَدٍ لَيْلَةً، وَذَلِكَ أَنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالأَغَالِيطِ -أي: ليس بالكذب- فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَهُ مَنِ الْبَابُ؛ فَأَمَرْنَا مَسْرُوقًا فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: مَنِ الْبَابُ؟ قَالَ: عُمَرُ)[1].

إشاراتٌ لاقترابِ أجلِ الفاروقِ عمرَ:

ويظهرُ ذلكَ:

أولاً: مِنْ دعائِه رضي الله عنه في آخرِ حَجَّةٍ له:

عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ: (أنَّ عمرَ رضي الله عنه لَـمَّا نفرَ مِنْ مِنًى، أَنَاخَ بِالْأَبْطَحِ فَكَوَّمَ كَوْمَةً من بَطْحَاءَ فألقى عليها طرفَ ثوبِهِ،ثم اسْتَلْقَى عليها، ورفع يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: اللهمَّ كَبِرَتْ سِنِّي، وَضَعُفَتْ قُوَّتِي، وَانْتَشَرَتْ رَعِيَّتِي، فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مُضَيِّعٍ وَلَا مُفَرِّطٍ. ثُمَّ قَدِمَ الْـمدِينَةَ فَخَطَبَ فِي النَّاسِ...

يقولُ سَعِيدٌ: فَمَا انْسَلَخَ ذُو الْحِجَّةِ حَتَّى قُتِلَ عُمَرُ رَحِمَهُ الله)[2].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٠٩٦)، ومسلم (١٤٤)، واللفظ للبخاري.

(٢) رواه مالك في الموطأ (١٥٠٦).

ثانياً: مِنَ الرؤيا التي رآها رضي الله عنه :

قَامَ عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه عَلَى الْـمنْبَرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ ذَكَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَذَكَرَ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ رُؤْيَا لَا أُرَاهَا إِلَّا لِحُضُورِ أَجَلِي؛ رَأَيْتُ كَأَنَّ دِيكًا نَقَرَنِي نَقْرَتَيْنِ، قَالَ: وَذُكِرَ لِي أَنَّهُ دِيكٌ أَحْمَرُ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ امْرَأَةِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنها فَقَالَتْ: يَقْتُلُكَ رَجُلٌ مِنَ الْعَجَمِ.

قَالَ: وَإِنَّ النَّاسَ يَأْمُرُونَنِي أَنْ أَسْتَخْلِفَ؛ وَإِنَّ اللهَ لَمْ يَكُنْ لِيُضَيِّعَ دِينَهُ، وَخِلافَتَهُ الَّتِي بَعَثَ بِهَا نَبِيَّهُ ﷺ، وَإِنْ يَعْجَلْ بِي أَمْرٌ فَإِنَّ الشُّورَى فِي هَؤُلاءِ السِّتَّةِ الَّذِينَ مَاتَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، فَمَنْ بَايَعْتُمْ مِنْهُمْ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا..إلى آخر خطبته رضي الله عنه

قَالَ: فَخَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَأُصِيبَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ لأربعٍ بقينَ من ذي الحجة)[1].

الكلبُ يقتُلُ الفاروقَ عمرَ رضي الله عنه

الكلبُ هو أبو لؤلؤةَ المجوسيُّ، وكانَ عبداً للمُغيرةِ بنِ شعبةَ رضي الله عنه . قال عمرُو بنُ ميمونُ رضي الله عنه : إِنِّي لَقَائِمٌ -أي: في الصفِّ- مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ -أي:عمرُ- إِلَّا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، غَدَاةَ أُصِيبَ، وَكَانَ -أي:عمرُ- إِذَا مَرَّ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ، قَالَ: اسْتَوُوا، فإذا استووا تَقَدَّمَ فَكَبَّرَ، وَرُبَّمَا قَرَأَ سُورَةَ يُوسُفَ، أَوِ النَّحْلَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ١٥)، [«محققو المسند»].

فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ كَبَّرَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ قَتَلَنِي -أَوْ أَكَلَنِي- الْكَلْبُ! حِينَ طَعَنَهُ فَطَارَ الْعِلْجُ -هو الرجلُ من كفارِ العجَمِ- بِسِكِّينٍ ذَاتِ طَرَفَيْنِ، لاَ يَمُرُّ عَلَى أَحَدٍ يَمِينًا، وَلاَ شِمَالاً إِلَّا طَعَنَهُ حَتَّى طَعَنَ ثَلاَثَةَ عَشَرَ رَجُلاً ، مَاتَ مِنْهُمْ سَبْعَةٌ فَلَـمَّا رَأَى ذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْـمسْلِمِينَ طَرَحَ عَلَيْهِ بُرْنُسًا، فَلَـمَّا ظَنَّ الْعِلْجُ أَنَّهُ مَأْخُوذٌ نَحَرَ نَفْسَهُ.

وَتَنَاوَلَ عُمَرُ يَدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَدَّمَهُ -للصلاة بالناس- فَمَنْ يَلِي عُمَرَ فَقَدْ رَأَى الَّذِي أَرَى، وَأَمَّا نَوَاحِي الْـمسْجِدِ فَإِنَّهُمْ لاَ يَدْرُونَ غَيْرَ أَنَّهُمْ قَدْ فَقَدُوا صَوْتَ عُمَرَ، وَهُمْ يَقُولُونَ: سُبْحَانَ الله، سُبْحَانَ الله، فَصَلَّى بِهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ صَلاَةً خَفِيفَةً، فَلَـمَّا انْصَرَفُوا قَالَ عمر: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ! انْظُرْ مَنْ قَتَلَنِي؟ فَجَالَ سَاعَةً، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: غُلاَمُ الْـمغِيرَةِ

قَالَ -أي:عمرُ-: الصَّنَعُ - الذي يعملُ في الصناعةِ-؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: قَاتَلَهُ اللهُ لَقَدْ أَمَرْتُ بِهِ مَعْرُوفًا! الْحَمْدُ لله الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ مَنِيَّتِي بِيَدِ رَجُلٍ يَدَّعِي الإِسْلاَمَ!.

فَاحْتُمِلَ إِلَى بَيْتِهِ فَانْطَلَقْنَا مَعَهُ، كَأَنَّ النَّاسَ لَمْ تُصِبْهُمْ مُصِيبَةٌ قَبْلَ يَوْمَئِذٍ، فَقَائِلٌ يَقُولُ: لاَ بَأْسَ، وَقَائِلٌ يَقُولُ: أَخَافُ عَلَيْهِ، فَأُتِيَ بِنَبِيذٍ-أي تمراتٍ نُبِذَت في الْـماءِ، أي نُقِعَتْ فيه- فَشَرِبَهُ فَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ، ثُمَّ أُتِيَ بِلَبَنٍ فَشَرِبَهُ فَخَرَجَ مِنْ جُرْحِهِ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ مَيِّتٌ فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ وَجَاءَ النَّاسُ يُثْنُونَ عَلَيْهِ)[1].

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٠٠).

يقولُ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (دَخَلْتُ عَلَى عُمَرَ حِينَ طُعِنَ، فَقُلْتُ: أَبْشِرْ بِالْـجَنَّةِ يَا أَمِيرَ الْـمؤْمِنِينَ، أَسْلَمْتَ حِينَ كَفَرَ النَّاسُ، وَجَاهَدْتَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ حِينَ خَذَلَهُ النَّاسُ، وَقُبِضَ رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، وَلَمْ يَخْتَلِفْ فِي خِلاَفَتِكَ اثْنَانِ، وَقُتِلْتَ شَهِيدًا. فَقَالَ عمر: أَعِدْ عَلَيَّ. فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ.

فَقَالَ: وَالله الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، لَوْ أَنَّ لِي مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ صَفْرَاءَ وَبَيْضَاءَ لاَفْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ هَوْلِ الْـمطْلَعِ)[1].

وجاء في رواية البخاري، (أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ الله ﷺ وَرِضَاهُ فَإِنَّ ذَلكَ مِنَ الله جَلَّ ذكرُه، مَنَّ بِهِ عَلَيَّ.

وَأَمَّا مَا تَرَى مِنْ جَزَعِي فَهْوَ مِنْ أَجْلِكَ وَأَجْلِ أَصْحَابِكَ، وَالله لَوْ أَنَّ لِي طِلاَعَ الأَرْضِ ذَهَبًا لاَفْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ عَذَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ أَنْ أَرَاهُ)[2].

(وَجَاءَ رَجُلٌ شَابٌّ فَقَالَ: أَبْشِرْ يَا أَمِيرَ الْـمؤْمِنِينَ بِبُشْرَى الله لَكَ، مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ الله ﷺ، وَقَدَمٍ فِي الإِسْلاَمِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، ثُمَّ وَلِيتَ فَعَدَلْتَ، ثُمَّ شَهَادَة. قَالَ عمر: وَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ كَفَافٌ لاَ عَلَيَّ وَلاَ لِي. فَلَـمَّا أَدْبَرَ إِذَا إِزَارُهُ يَمَسُّ الأَرْضَ.

قَالَ عمرُ: رُدُّوا عَلَيَّ الْغُلاَمَ. قَالَ: ابْنَ أَخِي، ارْفَعْ ثَوْبَكَ؛ فَإِنَّهُ أَنقَى لِثَوْبِكَ وَأَتْقَى لِرَبِّكَ)[3].

---

(١) **جيد**: رواه ابن أبي شيبة (٣٤٤٩٤)، وابن حبان (٦٨٩١)، والحاكم (٤٥١٥)، [«التعليقات الحسان» (٦٨٥٢)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٩٢).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٠٠).

رضي الله عنك يا عمرُ تأمرُ بالمعروفِ وتنهى عـن المنكـرِ، وأنـتَ في أنفاسِـك الأخيرةِ! ثم قالَ عمرُ: (يَا عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ! انْظُـرْ مَـا عَـلَيَّ مِـنَ الـدَّيْنِ، فَحَـسَبُوهُ فَوَجَدُوهُ سِتَّةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا، أَوْ نَحْوَهُ.

قَالَ: إِنْ وَفَّى لَهُ مَالُ آلِ عُمَرَ فَأَدِّهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَإِلَّا فَسَلْ فِي بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْـبٍ، فَإِنْ لَمْ تَفِ أَمْوَالُهُمْ فَسَلْ فِي قُرَيْشٍ، وَلاَ تَعْدُهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ ، فَأَدِّ عَنِّي هَذَا الْـمالَ.

ثم قال عمر: انْطَلِقْ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْـمؤْمِنِينَ فَقُلْ: يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ الـسَّلاَمَ -وَلاَ تَقُلْ أَمِيرَ الْـمؤْمِنِينَ فَإِنِّي لَسْتُ الْيَوْمَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَمِيرًا- وَقُلْ يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْـخَطَّابِ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ. فَسَلَّمَ وَاسْتَأْذَنَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا فَوَجَدَهَا قَاعِدَةً تَبْكِي.

فَقَالَ: يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ بْنُ الْـخَطَّابِ السَّلاَمَ، وَيَسْتَأْذِنُ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ.

فَقَالَتْ: كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي ، وَلأُوثِرَنَّهُ بِهِ الْيَوْمَ عَلَى نَفْسِي. فَلَـمَّا أَقْبَلَ قِيلَ هَـذَا عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ قَدْ جَاءَ.

قَالَ عمرُ: ارْفَعُونِي، فَأَسْنَدَهُ رَجُلٌ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا لَدَيْكَ؟ قَالَ: الَّـذِي تُحِـبُّ يَـا أَمِيرَ الْـمؤْمِنِينَ، أَذِنَتْ.

قَالَ: الْحَمْدُ لله مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ أَهَمُّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنَـا قَـضَيْتُ فَـاحْمِلُونِي، ثُمَّ سَلِّمْ فَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْـخَطَّابِ، فَـإِنْ أَذِنَـتْ لِي فَـأَدْخِلُونِي، وَإِنْ رَدَّتْنِـي رُدُّونِي إِلَى مَقَابِرِ الْـمسْلِمِينَ)[1].

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٠٠).

(وَجَاءَتْ أُمُّ الْـمؤْمِنِينَ حَفْصَةُ وَالنِّسَاءُ تَسِيرُ مَعَهَا، فَلَـمَّا رَأَيْنَاهَا قُمْنَا، فَوَلَجَتْ عَلَيْهِ، فَبَكَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً، وَاسْتَأْذَنَ الرِّجَالُ، فَوَلَجَتْ دَاخِلاً -أي: مُدْخَلاً لأهلِها- لَهُمْ، فَسَمِعْنَا بُكَاءَهَا مِنَ الدَّاخِلِ)[١].

وعن عثمانَ بنِ عفانَ ﷺ قال: (أَنَا آخِرُكُمْ عَهْدًا بِعُمَرَ ﷺ دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِ ابْنِهِ عَبْدِ الله، فَقَالَ لَهُ: ضَعْ خَدِّي بِالأَرْضِ، قَالَ ابن عمر: فَهَلْ فَخِذِي وَالأَرْضُ إِلَّا سَوَاءٌ؟ فقَالَ لهُ عمرُ: ضَعْ رأسي بِالأَرْضِ لاَ أُمَّ لَكَ، فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الثَّالِثَةِ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: وَيْلِي وَوَيْلَ أُمِّي إِنْ لَمْ يَغْفِرِ اللهُ لِي، حَتَّى فَاضَتْ- أي: روحُه-)[٢].

رضي الله عنكَ يا عمرُ. وسبحانَ من خلقك واختارَكَ لصحبةِ نبيِّه.

قالَ: فلما قُبِضَ خرجْنا به فانطلقنا نمشي، فسَلَّمَ عبدُ الله بنُ عمرَ، وقال: يستأذنُ عمرُ بنُ الخطابِ. قالت عائشةُ ﷺ أدخِلوه، فأُدخِلَ فوضع هنالك مَعَ صاحِبَيْهِ[٣].

ماتَ الفاروقُ عمرُ بنُ الخطابِ ﷺ الذي كان يقولُ: كُلَّ يومٍ يُقالُ: ماتَ فلانٌ وفلانٌ، ولا بدَّ مِنْ يومٍ يُقالُ فيه: ماتَ عمرُ. فيا عبدَ الله! يا أيها الغنيُّ! يا أيها التقيُّ! يا أيها الفقيرُ! يا أيها العاصي! هل تذكرتَ الموتَ؟ هل قلتَ لنفسك يوماً

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٠٠).

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٣٦٠)، وعمر بن شبّة في «تاريخ المدينة » (٣/ ٩١٩).

(٣) تكملة حديث البخاري (٣٤٩٧).

لا بدَّ أن يأتيَ اليومُ الذي يقالُ فيه ماتَ فلانٌ، تريدُ بـذلكَ نفـسَك؟ هـل صـليتَ يوماً على جنازةٍ فتذكرتَ أنه سيأتي اليومُ الذي يُصَلَّى عليكَ فيه!

نـسيرُ إلى الآجـالِ في كُـلِّ لحظـةٍ	وأيامُنـا تُطـوى وهـنَّ مراحـلُ
ولم أرَ مثـلَ المـوتِ حَقّـاً	كأنَّه إذا مـا تَخَطَّتْـهُ الأمـانِيُّ باطـلُ
وما أقبحَ التفـريطَ في زمـنِ الـصِّبا	فكيفَ به والشيبُ للرأسِ شـاعلُ
ترحَّلْ منَ الـدنيا بـزادٍ مـنَ التقـى	فعمـرُك أيـامٌ وهـنَّ قلائـلُ

• وحَزِنَ وتألم الصحابةُ جميعاً على موتِ عمرَ.

يقولُ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (إِنِّي لَوَاقِفٌ فِي قَوْمٍ فَـدَعَوُا اللهَ لِعُمَـرَ بْـنِ الْـخَطَّابِ -وَقَدْ وُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ- إِذَا رَجُلٌ مِنْ خَلْفِي قَدْ وَضَعَ مِرْفَقَهُ عَلَى مَنْكِبِي يَقُـولُ: رَحِمَكَ اللهُ، إِنْ كُنْتُ لأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ؛ لأَنِّي كنتُ كَثِيرًا ما كُنْـتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**كُنْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَفَعَلْـتُ وَأَبُـو بَكْـرٍ وَعُمَـرُ، وَانْطَلَقْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ**» فَإِنْ كُنْتُ لأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَهُمَا، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه)[1].

• الصحابةُ رضي الله عنهم يثنونَ على الفاروقِ عمرَ:

يقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (لَوْ أَنَّ عِلْمَ عُمَرَ بْنَ الْـخَطَّابِ رضي الله عنه وُضِعَ فِي كِفَّـةِ الْـمِيزَانِ وَوُضِعَ عِلْمُ أَهْلِ الأَرْضِ فِي كِفَّةٍ لَرَجَحَ عِلْمُ عُمَرَ)[2].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٧٧)، ومسلم (٢٣٨٩) واللفظ للبخاري.

(٢) رواه أبو خيثمة في «كتاب العلم» (٦٠)، و الطبراني في «الكبير» (٨٨٠٨) و البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (٤٤)، واللفظ لأبي خيثمة.

ويقولُ أبو طلحةَ الأنصاريُّ ﷺ: (وَاللهِ! مَا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ مِـنَ الْـمـسْلِمِينَ إِلَّا وَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فِي مَوْتِ عُمَرَ نَقْصٌ فِي دِينِهِمْ وَفِي دُنْيَاهُمْ)[1].

ويقولُ حذيفةُ بنُ اليمانِ ﷺ: (إِنَّمَا كَانَ مَثَلُ الْإِسْلامِ أَيَّامَ عُمَرَ مَثَـلَ مُقْبِـلٍ لَمْ يَزَلْ فِي إِقْبَالٍ، فَلَـمَّا قُتِلَ أَدْبَرَ فَلَمْ يَزَلْ فِي إِدْبَارٍ)[2].

رضي الله عنكَ يا عمرُ وعن صحابة رسولِ الله ﷺ أجمعين.

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٣٧٤).

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٣٧٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٠٢١)، وعبد الله بن أحمد في «زوائد الفضائل» (٤٧٣)، والحاكم (٤٤٨٨) واللفظ لابن سعد.



عثمانُ بنُ عفانَ رضي الله عنه

أولاً: عقيدةُ أهلِ السنةِ والجماعةِ في عثمانَ بنِ عفانَ رضي الله عنه

عبادَ الله! قال اللهُ -عز وجل- في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب]. وهؤلاءِ الرجالُ همْ أصحابُ محمدٍ ﷺ؛ قومٌ اختارَهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّه ولنصرة دِينِهِ، حبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ؛ مَن سلكَ سبيلَهم سَعِدَ في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (مَنْ كانَ مستَنّاً فليستنَّ بمن قد ماتَ، فإنَّ الحيَّ لا تؤمَنُ عليهِ الفتنةُ؛ أولئكَ أصحابُ محمدٍ ﷺ، كانوا والله ! أفضلَ هذه الأمةِ، أبرَّها قلوباً، وأعمَقَها علماً. وأقلَّها تكلفاً، قومٌ اختارَهُمُ الله لصحبةِ نبيِّه ﷺ، وإقامةِ دينِهِ، فاعرفوا لهم فَضْلَهم، واتَّبعوهم في آثارِهم، وتمسَّكوا بما استطعتم من أخلاقِهم، ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى الْـمستقيم)[1].

---

(١) رواه البغوي في «شرح السنة» (١/ ٢١٤، ٢١٥)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٩)، والقرطبي في «تفسيره» من طريق سُنيد (١/ ٦٠) بلفظ: (من كان منكم متأسيا فليتأسى...) وروي باللفظ المذكور عن عبد الله بن عمر رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٠٥)، والخطيب في «تالي التلخيص» (١/ ٣٧١).

وأفضلُ هذهِ الأمةِ بعد نبيِّها محمدٍ ﷺ وأبي بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما هـو عـثمانُ بـنُ عفانَ رضي الله عنه .

أتعرفونه ..؟ إنه الخليفةُ الثالثُ للمسلمين، وأحدُ العَشَرَةِ المشهودِ لهم بالجنة، صحِبَ رسولَ الله ﷺ فأحسنَ صحبتَه، وتُوفي وهو عنه راضٍ، وصحبَ أبا بكرٍ فأحسن صحبتَه، وتُوفي وهو عنـه راضٍ، وصـحبَ الفـاروقَ فأحـسنَ صـحبتَه، وتُوفي وهو عنه راضٍ. ذو النورين، الذي قُتِلَ مظلوماً رضي الله عنه .

خرجَ عليه البُغاةُ الخوارجُ -وهي فرقةٌ ضـالَّةٌ- يكفِّـرونَ المـسلمينَ، خرجـوا عليه واستَحلُّوا دمَه، ولقي اللهَ مظلوماً شهيداً.

• وحديثُنا عنْ أميرِ المؤمنينَ عثمانَ بنِ عفانَ رضي الله عنه في هذا اليـوم -إن شـاءَ اللهُ تعالى- سيكونُ فقط عن.

عقيدةُ أهلِ السنةِ والجماعةِ في أميرِ المؤمنينَ عثمانَ بن عفانَ رضي الله عنه

عقيدةُ أهلِ السنةِ والجماعةِ: أنَّ أفضلَ النـاسِ بعـدَ الـشيخين أبي بكـرٍ وعمـرَ رضي الله عنهما هو أميرُ المؤمنينَ عثمانُ بنُ عفانَ رضي الله عنه .

قالَ إسحاقُ بنُ راهَويه -رحمَه اللهُ تعـالى-: (لم يكـنْ بعـدَ رسـولِ الله ﷺ عـلى الأرضِ أفضلُ مِنْ أبي بكر، ولم يكن بعده أفضلُ من عمرَ، ولم يكن بعدَه أفضلُ مـن عثمانَ، ولم يكن بعد عثمانَ على الأرضِ خيرٌ ولا أفضلُ من علي)[1].

(١) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (٢/ ٢٢٦).

وقد وردتِ الأدلةُ الكثيرةُ على فضلِه رضي الله عنه، وبعضُها دلَّ على أنه أفضلُ الخلقِ بعدَ الشيخين رضي الله عنهما ومن تلكَ الأدلةِ:

١- يقولُ عبدُ الله بنُ عمرَ رضي الله عنهما (كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم لاَ نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم لاَ نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ)(١).

وهذا الحديثُ دلّ على أنَّ عثمانَ رضي الله عنه أفضلُ الناسِ بعدَ أبي بكرٍ الصِّديقِ وعمرَ الفاروقِ رضي الله عنهما.

٢- قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم لأصحابهِ ذاتَ يومٍ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ رُؤْيَا؟**» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، رَأَيْتُ كَأَنَّ مِيزَانًا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ فَوُزِنْتَ أَنْتَ وَأَبُو بَكْرٍ فَرَجَحْتَ أَنْتَ بِأَبِي بَكْرٍ، وَوُزِنَ عُمَرُ وَأَبُو بَكْرٍ، فَرَجَحَ أَبُو بَكْرٍ، وَوُزِنَ عُمَرُ وَعُثْمَانَ، فَرَجَحَ عُمَرُ ثُمَّ رُفِعَ الْـمِيزَانُ، فَرَأَيْنَا الْكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم)(٢).

لقد تضمنَ هذا الحديثُ الإشارةَ إلى ترتيبِ الخلفاءِ الثلاثةِ في الفضلِ، كما تضمنَ الإشارةَ إلى أن ترتيبَهم في الخلافةِ يكونُ على حَسَبِ ترتيبِهم في الفضلِ، وإلى أحقيَّةِ خلافتِهم جميعاً رضي الله عنهم.

وعن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه: (أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم دَخَلَ حَائِطًا وَأَمَرَنِي بِحِفْظِ بَابِ الْحَائِطِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْـجَنَّةِ**» فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ جَاءَ

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٩٧).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٣٤)، والترمذي (٢٢٨٧)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٣٦)، [«صحيح سنن الترمذي» (٢٤٠٣)].

آخَرُ يَسْتَأْذِنُ فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**» فَإِذَا عُمَرُ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ يَسْتَأْذِنُ فَسَكَتَ هُنَيْهَةً ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى سَتُصِيبُهُ**» فَإِذَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ)[1].

قال ﷺ: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ**»[2]. وهذا الحديثُ تضمَّنَ فضيلةَ هؤلاءِ المذكورين وهم أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وأنهم من أهلِ الجنةِ، وفيه معجزةٌ ظاهرةٌ للنبيِّ ﷺ لإخبارِه بقصةِ عثمانَ والبلوى، وأنَّ الثلاثةَ يستمرون على الإيمانِ والهدى[3].

وعن أبي عبدِ الرحمنِ رضي الله عنه (أَنَّ عُثْمَانَ رضي الله عنه حين حُصِرَ؛ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ: أَنْشُدُكُمْ اللهَ، وَلاَ أَنْشُدُ إِلَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَفَرَ رُومَةَ** -وهي عينٌ في المدينةِ اشتراها عثمانُ ووسَّعَها- **فَلَهُ الْجَنَّةُ فَحَفَرْتُهَا؟**» أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ فَجَهَّزْتُهُمْ؟**» قَالَ: فَصَدَّقُوهُ بِمَا قَالَ)[4].

وهذا الحديثُ تضمَّنَ مَنقَبتين عظيمتينِ لذي النورينِ عثمانَ رضي الله عنه؛ شراؤُه رضي الله عنه بئرَ رومةَ، وتجهيزهُ جيشَ العسرةِ الذي خرَج لغزوةِ تبوك، وقد أخبرَ الذي لا ينطقُ عن الهوى أنَّ جزاءه على ذلك أن يكونَ من أصحابِ الجنةِ، وهاتان المنقبتان مِنْ أعلى مناقبِه رضي الله عنه[5].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٩٥)، ومسلم (٢٤٠٣) واللفظ للبخاري.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٧٤٧)، و أحمد (١/ ١٩٣)، وابن حبان (٧٠٠٢)، [«صحيح الجامع»(٥٠)].

(٣) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٥/ ١٧٠-١٧١).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٢٧٧٨).

(٥) «عقيدة أهل السنة والجماعة من الصحابة الكرام» (١/ ٢٦٥).

وعن ثُمامةَ بن حزنٍ القُشَيري قال: (شَهِدْتُ الدَّارَ، حِينَ أَشْرَفَ عَلَيْهِ عُثْمَانُ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِصَاحِبَيْكُمُ اللَّذَيْنِ أَلَّبَاكُمْ عَلَيَّ، قَالَ: فَجِيءَ بِهِمَا فَكَأَنَّهُمَا جَمَلاَنِ أَوْ كَأَنَّهُمَا حِمَارَانِ.

قَالَ: فَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانُ، فقَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ وَالإِسْلاَمِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدِمَ الْـمدِينَةَ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ يُسْتَعْذَبُ غَيْرَ بِئْرِ رُومَةَ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَجْعَلَ دَلْوَهُ مَعَ دِلاَءِ الْـمسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْـجَنَّةِ**»

فَاشْتَرَيْتُهَا مِنْ صُلْبِ مَالِي فَأَنْتُمُ اليَوْمَ تَمْنَعُونِي أَنْ أَشْرَبَ مِنْهَا، حَتَّى أَشْرَبَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ؟ قَالُوا: اللهمَّ نَعَمْ. فَقَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِالله وَالْإِسْلاَمِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْـمسْجِدَ ضَاقَ بِأَهْلِهِ؟ فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ يَشْتَرِي بُقْعَةَ آلِ فُلاَنٍ فَيَزِيدَهَا فِي الْـمسْجِدِ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الجَنَّةِ؟**» فَاشْتَرَيْتُهَا مِنْ صُلْبِ مَالِي، وَأَنْتُمُ اليَوْمَ تَمْنَعُونِي أَنْ أُصَلِّيَ فِيهَا رَكْعَتَيْنِ؟ قَالُوا: اللهمَّ نَعَمْ.

قَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِالله وَالإِسْلاَمِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ عَلَى ثَبِيرِ مَكَّةَ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَأَنَا فَتَحَرَّكَ الجَبَلُ حَتَّى تَسَاقَطَتْ حِجَارَتُهُ بِالحَضِيضِ. قَالَ: فَرَكَضَهُ بِرِجْلِهِ وَقَالَ: «**اسْكُنْ ثَبِيرُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ؟**» قَالُوا: اللهمَّ نَعَمْ. قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ شَهِدُوا لِي وَرَبِّ الكَعْبَةِ: أَنِّي شَهِيدٌ، ثَلاَثاً)[1]. ومع ذلكَ خرجَ البغاةُ عليه!

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٣٧٠٣)، والنسائي (٣٦٠٨)، والدارقطني في «سننه» (٤/ ١٩٩)، وابن حبان (٦٩١٦)، [«إرواء الغليل»(١٥٩٤)].

• وعن عبدِ الرحمنِ بن سَمُرَةَ قال: (جَاءَ عُثْمَانُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِأَلْفِ دِينَارٍ -حِينَ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ- فَنَثَرَهَا فِي حِجْرِهِ. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَلِّبُهَا فِي حِجْرِهِ، وَيَقُولُ: «**مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ**» مَرَّتَيْنِ)[1].

وَ(لَمَّا حُصِرَ عُثْمَانُ وَأُحِيطَ بِدَارِهِ؛ أَشْرَفَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: نَشَدْتُكُمْ بِاللهِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ فِي غَزْوَةِ الْعُسْرَةِ -وهي غزوةُ تبوك-: «**مَنْ يُنْفِقُ نَفَقَةً مُتَقَبَّلَةً؟**» وَالنَّاسُ يَوْمَئِذٍ مُعْسِرُونَ، فَجَهَّزْتُ ثُلُثَ ذَلِكَ الْجَيْشِ مِنْ مَالِي، فَقَالُوا: اللهمَّ نَعَمْ)[2].

فشهادةُ النبيِّ ﷺ له بالجنةِ في شرائِه بئرَ رومة، وحَبْسِها على المسلمين غنيِّهم وفقيرِهم، وزيادتهِ في المسجدِ، وتجهيزِه جيشَ العُسرةِ معَ قولِه ﷺ: «**مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ**».

وهذا كقوله ﷺ: «**وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»[3].

كلُّ هذه الخصالِ المذكورةِ مِنْ أعظمِ مناقبِه رضي الله عنه، وقد ذكرَها يومَ كانَ محصوراً في دارِهِ مِن قِبلِ الزائغين الذين خرجوا عليه بُغْيَةَ الفسادِ في الأرض،

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٣٧٠١)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٢٧٤)، والحاكم (٤٥٥٣)، [«المشكاة» (٦٠٦٤)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٦٩٩)، والنسائي (٣٦٠٩)، وأحمد (١/ ٥٩)، وابن حبان (٦٩١٦) واللفظ له [«صحيح الترمذي» (٢٩١٩)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) واللفظ للبخاري.

وَصَدَّقَهُ بها كبارُ الصحابةِ، وفضلاؤُهم، وهمُ الذين سمعوها من النبيِّ ﷺ مثلُ سعدِ بنِ أبي وقاصٍ وعليٍّ والزبيرِ وطلحةَ -رضيَ اللهُ عنهم أجمعين[1].

تقول عائشةُ ﵂: (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ. فَتَحَدَّثَ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَسَوَّى ثِيَابَهُ. تقولُ: فسألتُ رسولَ اللهِ ﷺ عن ذلك فقال: «**أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْـمَلَائِكَةُ**»[2].

وقال ﷺ: «**أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أمرِ اللهِ عُمَرُ، وَأَشَدُّهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ**»[3] الحديث.

وقد أخبرَ النبيُّ ﷺ أنه إذا نزلَتِ الفتنةُ، فالذي على الهدى هو عثمانُ بنُ عفانَ، وهذا يدلُّ على أنَّ الذين خرجوا عليه من الخوارجِ، كانوا هم على الباطلِ. فالذين قَتلوا عثمانَ، وجاءَ أميرُهم وصَلَّى بالناسِ في المسجدِ النبويِّ؛ فرقةٌ ضالةٌ تكفِّرُ المسلمين، ما زالَ في المسلمينِ حتىَ اليوم مَنْ يحملُ أفكارهم في تكفيرِ المسلمينَ والمجتمعاتِ الإسلامية، ويستحلُّ دماءَهم، فكونوا منهم على حذر.

وقد أمرَ النبيُّ ﷺ الصحابةَ والمسلمينَ إذا نزلتِ الفتنةُ أن يلتفوا حولَ عثمانَ.

---

(١) «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام» (١/ ٢٦٨).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٠١).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٧٩٠)، و«ابن ماجه» (١٥٤)، [«الصحيحة» برقم (١٢٢٤)].

عن كعبِ بن عُجْرَةَ؛ قال: (ذَكَرَ رَسُولُ الله ﷺ فِتْنَةً فَقَرَّبَهَا، فَمَرَّ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ رَأْسُهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**هَذَا يَوْمَئِذٍ عَلَى الْهُدَى**» فَوَثَبْتُ فَأَخَذْتُ بِضَبْعَيْ عُثْمَانَ، ثُمَّ اسْتَقْبَلْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَقُلْتُ: هَذَا؟ قَالَ: «**هَذَا**»)(١).

وقالت عائشةُ رضي الله عنها: (قَالَ رَسُولُ الله ﷺ فِي مَرَضِهِ: «**وَدِدْتُ أَنَّ عِنْدِي بَعْضَ أَصْحَابِي!**»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله! أَلاَ نَدْعُو لَكَ أَبَا بَكْرٍ؟ فَسَكَتَ، قُلْنَا: أَلاَ نَدْعُو لَكَ عُمَرَ؟ فَسَكَتَ. قُلْنَا: أَلاَ نَدْعُو لَكَ عُثْمَانَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» فَجَاءَ عُثْمَانُ فَخَلاَ بِهِ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يُكَلِّمُهُ، وَوَجْهُ عُثْمَانَ يَتَغَيَّرُ.

قَالَ قَيْسٌ: فَحَدَّثَنِي أَبُو سَهْلَةَ مَوْلَى عُثْمَانَ: أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ قَالَ يَوْمَ الدَّارِ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ عَهِدَ إِلَيَّ عَهْدًا، فَأَنَا صَائِرٌ إِلَيْهِ، وَقَالَ عَلِيٌّ فِي حَدِيثِهِ: وَأَنَا صَابِرٌ عَلَيْهِ.

قَالَ قَيْسٌ: فَكَانُوا يُرَوْنَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ)(٢).

اللهم ردّ المسلمين إلى دينك رداً جميلاً.

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١١١)، وأحمد (٤/ ٢٤٣)، واللفظ لابن ماجه [«السلسلة الصحيحة» (٣١١٩)].

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١١٣)، وأحمد (٦/ ٢١٤) واللفظ لابن ماجه [«المشكاة»(٦٠٧٠)].



عثمانُ بنُ عفانَ رضي الله عنه

ثانياً: عثمانُ بنُ عفانَ رضي الله عنه قبلَ إسلامهِ وبعدَ إسلامهِ:

عباد الله! عثمانُ رضي الله عنه هو أفضلُ هذهِ الأمـةِ بعـدَ نبيِّهـا محمـدٍ ﷺ وأبي بكـرٍ وعمرَ رضي الله عنهما.

وحديثُنا في هذا اليوم -إنْ شاءَ الله تعالى- سيكونُ عن عثمانَ بنِ عفـانَ رضي الله عنه قبلَ إسلامِه وبعدَ إسلامِه.

أولاً: اسمُه ونسبتُه وكنيتُه وألقابُه..

اسمه: هو عثمانُ بنُ عفانَ بنُ أبي العاصِ بنُ أميـةَ بـنُ عبـدِ شـمسٍ بـنُ عبـدِ منافٍ، يجتمعُ مَعَ النبيِّ ﷺ في عبدِ منافٍ[1].

كُنيتُه: كان يُكَنّى في الجاهلية أبا عمرٍو، فلما وُلِدَ له من رقيـةَ بنـتِ رسـولِ الله ﷺ سماهُ عبدَ الله، واكتنى به فَكَنَّاهُ المسلمون أبا عبدِ الله[2].

لقبُه: كان عثمانُ رضي الله عنه يُلقّبُ بذي النورين.

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٠٢)، وابن أبي عاصم في«الآحاد والمثاني» (١/ ١٢١).

(٢) «التمهيد والبيان» (ص١٩).

ثانياً: مكانتُه في الجاهليةِ:

كانَ عثمانُ رضي الله عنه في أيامِ الجاهليةِ منْ أفضلِ الناسِ في قومِه، ولقد كانَ عريضَ الجاهِ، ثريّاً، شديدَ الحياءِ، عَذْبَ الكلماتِ، فكانَ قومُه يُحِبونه أشدَّ الحبِّ ويُوَقرونه، لم يسجدْ في الجاهليةِ لصنمٍ قطُّ، ولم يقترفْ فاحشةً قطُّ، ولم يشربْ خمراً قبلَ الإسلامِ. يقول رضي الله عنه: (ما تَغَنَّيْتُ ولا تمنَّيْتُ، ولا مَسَسْت ذَكَري بيميني منذ بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَلاَ شَرِبْتُ خَمْرًا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلاَ فِي إِسْلاَمٍ، ولا زنيتُ في جاهليةٍ ولا في إسلامٍ)[1].

ثالثاً: إسلامُه:

عثمانُ بنُ عفانَ رضي الله عنه منَ السابقينَ الأولينَ إلى الإسلامِ. كانَ رضي الله عنه قد ناهزَ الرابعةَ والثلاثين من عُمُره حين دعاهُ أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه إلى الإسلامِ، ولم يُعرَفْ عنه تلكؤٌ أو تَلَعثُمٌ بل كانَ سَبَّاقاً، أجابَ على الفورِ دعوةَ الصديقِ، فكان بذلكَ منَ السابقين الأولينَ حتى قال أبو إسحاقَ: كان أولَ الناسِ إسلاماً بعدَ أبي بكرٍ وعليٍّ وزيدِ بنِ حارثةَ عثمانُ[2]. فكان بذلكَ رابعَ مَنْ أسلمَ من الرجالِ.

فرحَ المسلمونَ بإسلامِ عثمانَ فرحاً شديداً، وتوثَّقَت بينَه وبينَهم عُرى المحبةِ وأخوةِ الإيمان، وأكرمَه اللهُ تعالى بالزواجِ منْ بنتِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم رقيةَ رضي الله عنها.

(١) رواه البزار في مسنده (٤٤٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٣٠٨).

(٢) «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٢٨٧، ٢٨٨).

رابعاً: هجرتُه:

تعرَّضَ عثمانُ بنُ عفانَ ﷛ بعدَ إسلامهِ للإيذاءِ والتعذيبِ من كفارِ مكـةَ؛ فدفَعَه ذلكَ إلى الهجرتينِ؛ هجرةٍ إلى الحبشةِ ثم إلى المدينةِ، يقولُ ﷛: (أَمَّـا بَعْـدُ فَإِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ، فَكُنْتُ مِمَّنِ اسْتَجَابَ لله وَلِرَسُولِهِ وَآمَنْتُ بِمَا بُعِـثَ بِهِ وَهَاجَرْتُ الْهِجْرَتَيْنِ -وهذا هو الشاهدُ- وَصَـحِبْتُ رَسُـولَ اللهِ ﷺ وَبَايَعْتُـهُ، فَوَاللهِ مَا عَصَيْتُهُ، وَلاَ غَشَشْتُهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ مِثْلُهُ، ثُـمَّ عُمَـرُ مِثْلُـهُ ثُـمَّ اسْتُخْلِفْتُ..)[1].

خامساً: عَفافُهُ:

كانَ عثمانُ ﷛ منْ أعفِّ الناسِ، فلم يعرِفْ طريقَ الفحشاءِ في الجاهليةِ ولا في الإسلامِ.

قال ﷛ عندما حاصرَه البُغاة ليقتلوه: (وَلِمَ يَقْتُلُـونَنِي؟ سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: كُفْرٌ بَعْدَ إِسْلاَمٍ، أَوْ زِنًا بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ قَتْلُ نَفْسٍ بِغَيْرِ نَفْسٍ**» فَوَاللهِ مَا زَنَيْتُ فِي جَاهِلِيَّةٍ، وَلاَ فِي إِسْلاَمٍ قَـطُّ - وهذا هو الشاهدُ على عفافهِ- وَلاَ أَحْبَبْتُ أَنَّ لِي بِـدِينِي بَـدَلاً مُنْـذُ هَـدَانِي اللهُ، وَلاَ قَتَلْتُ نَفْسًا، فَبِمَ تَقْتُلُونَنِي)[2].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٩٦).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٥٠٢)، والترمذي (٢١٥٨)، والنسائي (٤٠١٩) وأحمد (١/ ٦١)، [«إرواء الغليل» (٢١٩٦)].

وقال رضي الله عنه: (ما تغنَّيتُ -منَ الغِناءِ- ولا تمَّنيتُ -من التمني- ولا مسَستُ ذكري بيميني منذ بَايَعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم، وَلاَ شَرِبْتُ خَمْرًا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلاَ فِي إِسْلاَمٍ، ولا زنيتُ في جاهليةٍ ولا في إسلامٍ)[1]. وهذا دليلٌ على عفافِه رضي الله عنه.

سادساً: خوفُه منَ اللهِ وبكاؤه، ومحاسبتُه لنفسِه:

عن هاني مولى عثمانَ قال: (كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ بَكَى حَتَّى تَبتلَّ لِحْيَتُهُ، فَقِيلَ لَهُ: تَذْكُرُ الْـجَنَّةَ وَالنَّارَ، فلاَ تَبْكِي! وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ قَالَ رضي الله عنه: إِنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ**».

وَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**والله مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ**»[2].

قال: وكانَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا فُرِغَ منْ دفنِ الميتِ وقفَ عليهِ ثم قالَ: «**استغفروا لأخيكم وسَلوا له التثبيتَ فإنه الآن يُسأَلُ**»[3]. هذا الذي جعلَ عثمانَ رضي الله عنه يبكي بكاءً شديداً حتى تبتلَّ لحيتُه.

فزوروا القبورَ؛ فإنها تُدمِعُ العينَ، وتُرَقِّقُ القلبَ، وتُذَكِّرُ بالآخرةِ.

---

(١) رواه البزار في مسنده (٤٤٨)، وابن أبي عاصم في «السُنة» (١٣٠٨).

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٢٣٠٨)، وابن ماجه (٤٢٦٧)، وأحمد (١/ ٦٣)، [«صحيح الجامع» (١٦٨٤)].

(٣) **حسن**: رواه أبو داود (٣٢٢١)، والترمذي (٢٣٠٨)، وابن ماجه (٤٢٦٧)، وأحمد (١/ ٦٣)، [«صحيح داود» (٢٧٥٨)].

سابعاً: عبادتهُ وحياتهُ مع القرآن الكريم:

جمعَ عثمانُ بنُ عفانَ رضي الله عنه بينَ العلمِ والعملِ، فكانَ رضي الله عنه مـن المجتهـدين في العبادةِ.

قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما في قولِهِ تعالى: ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٦﴾ [النحل]. قال هو: عثمانُ بنُ عفانَ[1].

وكان رضي الله عنه حافظاً لكتابِ الله، وكانَ المُصْحَفُ لا يكادُ يفارِقُ حِجْرَه فقيل له في ذلكَ، فقال: إنه مبارَكٌ جاءَ به مبارَكٌ[2]. وقالَ رضي الله عنه: (لَـوْ طَهُـرَتْ قُلُـوبُكُمْ لَمَـا شَبِعْتم مِنْ كَلاَمِ ربِّكم)[3]. صدقَ والله.

وقال رضي الله عنه: (حُبِّبَ إليّ منَ الدنيا ثلاثٌ: إشباعُ الجَوْعـانِ، وكِـسْوَةُ العُريـانِ، وتلاوةُ القرآنِ)[4].

روى عـثمانُ رضي الله عنه عـنْ رسـولِ الله صلى الله عليه وسلم قولَـه: «**خَـيْرُكُمْ مَـنْ تَعَلَّـمَ الْقُـرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»[5].

ثامناً: علمُه، وقدرتُهُ على التوجيهِ والتعليمِ:

عثمانُ بنُ عفانَ رضي الله عنه يُعتبرُ من كبارِ علماءِ الصحابةِ في القرآنِ الكريمِ، والسنةِ النبويةِ؛ لأنه لازمَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فاستفادَ من علمِهِ وهديـهِ. وكـان رضي الله عنه قـادراً عـلى

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٧٩).

(٢) «البيان والتبيان» (٣/ ١٧٧).

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد «فضائل الصحابة» (٧٧٥)، و أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣٠٠)

(٤) «إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد» (ص٨٨).

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٥٠٢٧)

تعليمِ غيرِه ما تعلَّمه منْ رسولِ الله ﷺ، فهذا أبو عبدِ الرحمن السُّلَميُ يُحدِّثُنا عن حديثٍ سمَعه مِنْ عثمانَ رضي الله عنه فعمِلَ به، فعن سعدِ بنِ عبيدَة عن أبي عبدِ الرحمنِ السُّلَميِّ عن عثمانَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»[1].

قال أبو عبدِ الرحمن: فذاكَ الذي أقعَدني مقعَدي هذا، وكان يُعلِّمُ الناسَ القرآنَ منذُ أربعينَ سنةً[2].

فإذا أردتَ أن تكونَ من خيرِ الناسِ، فكنْ من أهلِ القرآنِ تعلُّماً وتعليماً. وها هوَ رضي الله عنه دعا يوماً فتوضَّأ أمامَ الناسِ، ثم قالَ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لاَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ فِيهِمَا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[3].

وفي يومٍ آخرَ ومجلسٍ آخرَ، دعا بماء فتوضَّأ أمامَ الناسِ، ثم قال: رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَتَوَضَّأُ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ قَالَ: «**وَمَنْ تَوَضَّأَ وُضُوئِي ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى صَلاةَ الظُّهْرِ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الصُّبْحِ، ثُمَّ صَلَّى الْعَصْرَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلاةِ الظُّهْرِ، ثُمَّ صَلَّى الْمغرِبَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ صَلَّى الْعِشَاءَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلاةِ الْمغْرِبِ، ثُمَّ لَعَلَّهُ أَنْ يَبِيتَ يَتَمَرَّغُ لَيْلَتَهُ، ثُمَّ إِنْ قَامَ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى الصُّبْحَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلاةِ الْعِشَاءِ، وَهُنَّ الْحَسَنَاتُ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٥٠٢٧)

(٢) «الخلافة الراشدة» (ص٤٢).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٥٩)، ومسلم (٢٢٦).

قَالُوا: هَذِهِ الْحَسَنَاتُ، فَمَا الْبَاقِيَاتُ يَا عُثْمَانُ؟ قَالَ: هُنَّ: لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، وَسُبْحَانَ الله، وَالْـحَمْدُ لله، وَالله أَكْبَرُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِالله»(١).

وكان رضي الله عنه يُحَذِّرُ الناسَ من الكذبِ على رسولِ الله ﷺ فيقول: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِباً فَلْيَتَبَوَّأْ بيتاً في النَّارِ**»(٢).

تاسعاً: إنفاقُه في سبيلِ الله:

كان عثمانُ رضي الله عنه من الأغنياءِ الذين أغناهُمُ اللهُ عزَّ وجلَّ، وكان صاحبَ تجارةٍ وأموالٍ طائلة؛ واستخدمَ هذه الأموالَ في طاعة الله عزَّ وجل، وابتغاءَ مرضاتِه. وصارَ رضي الله عنه سَبَّاقاً لكلِّ خيرٍ، ينفق ولا يخشى الفقرَ، ومن نفقاته الكثيرةِ على سبيلِ المثالِ:

١- بئرُ رومة:

عندما قدمَ النبيُّ ﷺ المدينَة وجدَ أنَّ الماءَ العذبَ قليلٌ، وليسَ بالمدينةِ ما يُسْتَعذبُ غيرَ بئرِ رومةَ. فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَجْعَلُ دَلْوَهُ مَعَ دِلاَءِ الْـمسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْـجَنَّةِ**»(٣). فاشتراها عثمانُ رضي الله عنه بعشرين ألفَ درهمٍ، فجعلها للغنيِّ والفقيرِ وابنِ السبيلِ(٤).

---

(١) **حسن لغيره**: رواه أحمد (١/ ٧١)، والبزار (٤٠٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦٦)].

(٢) **حديث صحيح متواتر**: رواه البخاري (١٠٧) من حديث الزبير، ومسلم (٢، ٣، ٤) عن أنس وأبي هريرة والمغيرة.

(٣) **حسن**: رواه الترمذي (٣٧٠٣)، والنسائي (٣٦٠٨)، والدارقطني في «سننه» (٤/ ١٩٩)، [«إرواء الغليل» (١٥٩٤)].

(٤) «فتح الباري» (٥/ ٤٠٨).

٢- توسعةُ المسجدِ النبويِّ:

لما ضاقَ المسجدُ النبويُّ بالمصلين، رَغَّبَ النبيُّ ﷺ بعضَ أصحابِه أن يشتريَ بقعةً بجانبِ المسجدِ، لكي تُزادَ في المسجدِ حتى يتسعَ لأهلِه، فقالَ ﷺ: «**مَنْ يَشْتَرِي بُقْعَةَ آلِ فُلاَنٍ فَيَزِيدَهَا فِي الْـمَسْجِدِ بِخَيْرٍ لَـهُ مِنْهَـا فِي الجَنَّـةِ؟**»(١). فاشتراها عثمانُ بنُ عفانَ رضي الله عنه مِنْ صلبِ مالِهِ ثم أضيفت للمسجدِ.

٣- تجهيزُ جيشِ العسرةِ:

عندما أرادَ رسولُ الله ﷺ الخروجَ إلى غزوةِ تبوك، حثَّ أغنياءَ الصحابةِ على البذلِ لتجهيزِ جيشِ العُسرة، الذي أعدَّه رسولُ الله ﷺ لغزوِ الرومِ. قال ﷺ: «**مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْـجَنَّةُ**»(٢). فجهَّزه عثمانُ رضي الله عنه.

وقال ﷺ: («**مَنْ جَهَّزَ هَؤُلاَءِ غَفَرَ الله لَهُ**» -يَعْنِي جَيْشَ الْعُسْرَةِ- يقول عثمانُ ابنُ عفانَ رضي الله عنه: فَجَهَّزْتُهُمْ حَتَّى لَمْ يَفْقِدُوا عِقَالًا وَلاَ خِطَامًا)(٣). وجاءَ عثمانُ رضي الله عنه إلى النبيِّ ﷺ بألفِ دينارٍ -حين جَهَّزَ جيشَ العسرةِ- فنثَرها في حجرِه، فأخذَ النبيُّ ﷺ يُقَلِّبُهَا فِي حِجْرِهِ وَيَقُولُ: «**مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ**» مَرَّتَيْنِ(٤). رضيَ الله عنك يا عثمان.

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٣٧٠٣)، والنسائي (٣٦٠٨)، والدارقطني في «سننه» (٤/ ١٩٩)، [«إرواء الغليل»(١٥٩٤)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٧٧٨).

(٣) **حسن**: رواه النسائي (٣١٨٢)، وابن حبان (٦٩٢٠)، [محققو المسند].

(٤) **حسن**: رواه الترمذي (٣٧٠١)،و الطبراني في «مسند الشاميين» (١٢٧٤)، و الحاكم (٤٥٥٣)، [«المشكاة» (٦٠٦٤)].

عاشراً: عثمانُ بنُ عفانَ ﷺ في ميادينِ الجهادِ معَ رسولِ اللهِ ﷺ:

كانَ عثمانُ بنُ عفانَ ﷺ من أعمدةِ الدولةِ الإسلاميةِ، فلم يبخلْ بمشورةٍ، أو مالٍ أو رأيٍ، وشهدَ المشاهدَ كُلَّها مَع رسولِ اللهِ ﷺ إلا غزوةَ بدرٍ، فقد تخلفَ عنها بأمرٍ منْ رسولِ اللهِ ﷺ؛ ليبقى بجوارِ زوجتِه رقيةَ بنتِ رسولِ اللهِ ﷺ التي اشتدَّ بها المرضُ عندَ الخروجِ لغزوةِ بدرٍ الكبرى.

وفي صلحِ الحديبيةِ ضربَ عثمانُ بنُ عفانَ مثلاً عظيماً في الشجاعةِ؛ وذلك عندما نزلَ رسولُ اللهِ ﷺ الحديبيةَ رأى مِنَ الضرورة إرسالَ مبعوثٍ خاصٍّ من جانبِهِ إلى قريشٍ يبلغُهم فيها نواياه السليمةَ بعدمِ الرغبةِ في القتالِ، وبحرصِه على احترامِ البيتِ، ومن ثَمَّ أداءِ مناسكِ العمرة، والعودةِ إلى المدينةِ، فوقعَ الاختيارُ في النهايةِ على عثمانَ ﷺ.

فدعا رسولُ اللهِ ﷺ عثمانَ ﷺ فقال له: اذهبْ إلى قريشٍ فأخبرْهم أنَّا لم نأتِ لِقتالِ أحدٍ، وإنما جئنا زُوَّاراً لهذا البيتِ، مُعَظِّمينَ لحُرمته، معنا الهديُ، ننحرُه وننصرفُ. فخرجَ عثمانُ ﷺ حتى أتى بلدح -مكانٍ قريبٍ منْ مكةَ- فوجد قريشاً هناكَ فقالوا له: أينَ تريدُ؟

قال لهم: بعثني رسولُ اللهِ ﷺ إليكم؛ يدعوكُم إلى اللهِ وإلى الإسلامِ. فقالوا له: قد سمعنا ما تقولُ، ولا كانَ هذا أبداً، ولا دخلَها علينا عُنْوَةً، فارجِعْ إلى صاحبِك، فأخبره أنه لا يَصِلُ إلينا، فقامَ إليهم أَبانُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ فرحَّبَ به وأجارَه، وقال: لا تقصُرْ عن حاجتك، ثم نزلَ عن فرسٍ كانَ عليه، فحمَلَ عثمانَ

عليه وَرَدِفَه وراءَه، فدخلَ عثمانُ مكةَ، فأتى أشرافَهم رجلاً رجلاً، فقالوا لـه: إن محمداً لا يدخلُها علينا أبداً.

وعرضَ المشركون على عثمانَ رضي الله عنه أن يطوفَ بالبيتِ فأبى، وقامَ عثمانُ رضي الله عنه بتبليغِ رسالةِ رسولِ الله ﷺ إلى المستضعفين بمكةَ، وبَشَّرَهم بقربِ الفرجِ والمخرَجِ، وتسربتْ شائعةٌ إلى المسلمينَ؛ مفادُها أنَّ عثمانَ قُتل؛ فدعا رسولُ الله ﷺ أصحابَه إلى مبايعته على قتالِ المشركين ومناجَزتهم، فاستجابَ الصحابةُ وبايعوه على الموتِ[1].

وقالَ النبيُّ ﷺ: «**هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ**»[2]. فضربَ بها على يدِه، وكان في وقتِ البيعةِ في مكةَ، ولم يتمكنْ منَ الخروجِ منها[3].

وقد أخبرَنا اللهُ عزَّ وجل في كتابه أنه قد رضيَ عن أصحابِ هذه البيعةِ قالَ تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨]. وقال جابر رضي الله عنه: قَالَ لَنَا رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ: «**أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ، وَكُنَّا أَلْفًا وأربعمائة، وَلَوْ كُنْتُ أُبْصِرُ الْيَوْمَ لأَرَيْتُكُمْ مَوضعَ الشَّجَرَةِ**»[4].

---

(١) ورد ذكر هذا الخبر كاملاً كما في «التمهيد» لابن عبد البر (١٢/ ١٤٨)، و«صحيح السيرة النبوية» (ص٤٠٤).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٩٨).

(٣) **صحيح** :رواه البخاري (٣٤٩٥).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٤١٥٤).

حادي عشر: ماتَ رسولُ اللهِ ﷺ وهو راضٍ عن عثمان رضي الله عنه:

لما طُعِن عمرُ رضي الله عنه وعلمَ الصحابةُ أنه ميتٌ قالوا له: أوْصِ يا أمير المؤمنين، استخلِفْ قالَ: (مَا أَجِدُ أَحَقَّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْ هَؤُلاَءِ النَّفَرِ -أَوِ الرَّهْطِ- الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهْوَ عَنْهُمْ رَاضٍ فَسَمَّى عَلِيًّا وَعُثْمَانَ وَالزُّبَيْرَ وَطَلْحَةَ وَسَعْدًا وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ)[1].

أسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أن يجمَعنا وإياكم معَ رسولِ الله ﷺ ومع عثمانَ والصحابةِ أجمعينَ في جناتِ النعيمِ.

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٠٠).

١٣

عثمانُ بنُ عفانَ رضي الله عنه

ثالثاً: مقتلُ عثمانَ بنِ عفانَ رضي الله عنه

عبادَ الله! يقولُ اللهُ -عز وجل-: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب]. وهؤلاءِ الرجالُ همْ أصحابُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، قومٌ اختارَهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّه ولنصرةِ دينِه. حبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ.

وأفضلُ هذهِ الأمةِ بعدَ نبيِّها محمدٍ صلى الله عليه وسلم وأبي بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما؛ هو عثمانُ بنُ عفانَ رضي الله عنه. أتعرفونه يا عبادَ الله!؟.. إنه ذو النورَين أحدُ السابقينَ الأولينَ للإسلامِ، وأحدُ العشرةِ المبشرينَ بالجنةِ. عثمانُ بنُ عفانَ رضي الله عنه الذي لم يسجدْ في الجاهليةِ لصنمٍ قطُّ، والذي لم يشربِ الخمرَ في الجاهليةِ ولا في الإسلامِ، والذي لم يقترفْ فاحشةَ الزنا في الجاهليةِ ولا في الإسلامِ.

وحديثُنا في هذا اليوم -إنْ شاءَ الله تعالى- سيكونُ عن مقتلِ أميرِ المؤمنينَ عثمانَ رضي الله عنه الذي قُتلَ مظلوماً شهيداً.

وكلامُنا عن مقتلِ أميرِ المؤمنين عثمانَ رضي الله عنه سيكونُ حولَ هذه العناصرِ التاليةِ:

العنصرُ الأولُ: منْ معجزاتِ النبيِّ ﷺ:

العنصرُ الثاني: الشُّبُهاتُ التي تَمسَّكَ بها البُغاة الظلمةُ، فاستحَلوا بها دمَ عثمانَ رضي الله عنه والردُّ عليها.

العنصرُ الثالثُ: قتلوه قتلَهُمُ اللهُ.

العنصرُ الأولُ: من معجزاتِ النبيِّ ﷺ.

أخبرَ النبيُّ ﷺ في حياتِه عن أمورٍ غيبيةٍ ستقعُ في أمتِه، ووقعَتْ كما أخبرَ ﷺ، وهذا من معجزاتِه. ومن الأمورِ التي أخبرَ عنها النبيُّ ﷺ؛ فتنةُ مقتلِ عثمانَ رضي الله عنه وأنه على الحقِّ، وأنه سَيُقتلُ ظلماً، وأمرَ ﷺ المسلمين باتباعِه، ووصفَ ﷺ الذينَ أرادوا خلعَه بالنفاقِ.

يقولُ أبو موسى الأشعريُّ رضي الله عنه: (كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْـمدِينَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْـجَنَّةِ**» فَفَتَحْتُ لَهُ فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ.. ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْـجَنَّةِ**» فَفَتَحْتُ لَهُ فَإِذَا هُوَ عُمَرُ.. ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ، فقال ﷺ: «**افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْـجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ**» فَإِذَا عُثْمَانُ -هذا هو الشاهدُ- فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ رَسُولُ الله ﷺ، فَحَمِدَ الله ثُمَّ قَالَ: اللهُ الْـمسْتَعَانُ)[1].

ويقولُ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: (ذَكَرَ النبيُّ ﷺ فِتْنَةً، فَمَرَّ رَجُلٌ فَقَالَ ﷺ: «**يُقْتَلُ فِيهَا هَذَا الْـمقَنَّعُ يَوْمَئِذٍ مَظْلُومًا**» قَالَ: فَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ)[2].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٩٣).

(٢) **حسن**: رواه أحمد (٢/ ١١٥)، والآجري في «الشريعة» (١٣٧٧) [«السلسلة الصحيحة» (٣١١٨)].

ويقولُ كعبُ بنُ عُجْرَةَ: ذَكَرَ رَسُولُ الله ﷺ فِتْنَةً فَقَرَّبَهَا، فَمَرَّ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ رَأْسُهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**هَذَا يَوْمَئِذٍ عَلَى الْهُدَى**» فَوَثَبْتُ فَأَخَذْتُ بِضَبْعَيْ عُثْمَانَ، ثُمَّ اسْتَقْبَلْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَقُلْتُ: هَذَا؟ قَالَ: «**هَذَا**»(١).

وقالَ ﷺ لأصحابه: («كَيْفَ تَصْنَعُونَ فِي فِتْنَةٍ تَثُورُ فِي أَقْطَارِ الأَرْضِ كَأَنَّهَا صَيَاصِي الْبَقَرِ -أي: قرونها-؟» قَالُوا: نَصْنَعُ مَاذَا يَا نَبِيَّ الله؟

قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِهَذَا وَأَصْحَابِهِ**» قَالَ رجلٌ: فَأَسْرَعْتُ حَتَّى عَطَفْتُ إِلَى الرَّجُلِ؛ قُلْتُ: هَذَا يَا نَبِيَّ الله؟ قَالَ ﷺ: هَذَا فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عنه)(٢).

ويقولُ أبو هريرةَ رضي الله عنه: (سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إِنَّكُمْ تَلْقَوْنَ بَعْدِي فِتْنَةً وَاخْتِلَافًا أَوْ قَالَ: اخْتِلَافًا وَفِتْنَةً**» فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مِنَ النَّاسِ: فَمَنْ لَنَا يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِالأَمِينِ وَأَصْحَابِهِ**» وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى عُثْمَانَ بِذَلِكَ)(٣).

وتقول عائشةُ رضي الله عنها: (أَرْسَلَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ: فَكَانَ مِنْ آخِرِ كلامٍ كَلَّمَهُ أَنْ ضَرَبَ مَنْكِبَهُ وَقَالَ: «**يَا عُثْمَانُ! إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَسَى أَنْ يُلْبِسَكَ قَمِيصًا -وهي الخلافة- فَإِنْ أَرَادَكَ الْمنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعْهُ حَتَّى تَلْقَانِي**» ثلاثاً(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١١١)، وأحمد (٤/ ٢٤٣) واللفظ لابن ماجه [«السلسلة الصحيحة» (٣١١٩)].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٣٥)، وابن حبان (٦٩١٤) واللفظ له [«السلسلة الصحيحة» (٣١١٨)].

(٣) **حسن**: رواه أحمد (٢/ ٣٤٤)، و البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٣٩٣)، [«السلسلة الصحيحة» (٣١٨٨)].

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ٨٦)، والحاكم (٤٥٤٤)، [«صحيح الجامع»(٧٩٤٧)].

وتقولُ عائشةُ رضي الله عنها: (قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**ادْعُوا لِي بَعضَ أَصْحَابِي**» قُلْتُ: أَبُو بَكْرٍ؟ قَالَ: لاَ. قُلْتُ: عمرُ؟ قَالَ: لا، قُلْتُ: عُثْمَانُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، فَلَمَّا جَاءَ، قَالَ: تَنَحَّيْ. فَجَعَلَ يُسَارُّهُ، وَلَوْنُ عُثْمَانَ يَتَغَيَّرُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الدَّارِ وَحُصِرَ، قُلْنَا: يَا أَمِيرَ الْمؤْمِنِينَ، أَلاَ تُقَاتِلُ؟ قَالَ: لاَ، إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ عَهِدَ إِلَيَّ عَهْدًا، وَإِنِّي صَابِرٌ نَفْسِي عَلَيْهِ)[1].

أخبر النبي ﷺ عَنْ فتنةِ مقتلِ عثمانَ رضي الله عنه؛ وهذه من معجزاتِه ﷺ؛ فكانَ عثمانُ بنُ عفانَ رضي الله عنه يعلمُ أنه سيُقتلُ مظلوماً، وأنه ومَنْ معه على الحقِّ، وأنَّ الذينَ خرجوا عليه واستحَلُّوا دمَه هُمْ منَ المنافقين.

العنصرُ الثاني: الشُبُهات التي تَمسَّكَ بها البُغاة والظَّلَمَةُ فاستحَلُّوا قتلَ عثمانَ رضي الله عنه:

أولاً: ما نُسِب إلى عثمانَ رضي الله عنه مِن إيثارِ أقربائه بإسنادِ الولاياتِ إليهم وعَزْلِ كبارِ الصحابة منها، وتوليةِ الأحداثِ منهم ومنحِهِمُ الأموالَ.

أما قولُهم: كان يعزِل كبارَ الصحابةِ، ويُوَلي مكانَهم مَنْ هو أدنى منهم مرتبةً وفضلاً من أقاربهِ؛ مثلَ سعيدِ بنِ العاصِ، وعبدَ الله بنَ عامرٍ، وابنَ أبي السَّرْحِ، ومعاويةَ. فالردُّ على ذلكَ مِنْ سيرةِ رسولِ الله ﷺ وصاحبيه أبي بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما.

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١١٣)، وأحمد (٦/ ٥١)، والحاكم (٤٥٤٣)، [«المشكاة»(٦٠٧٠)].

ففي الصحيح أنَّ رسولَ الله ﷺ ولّى عمرَو بنَ العاصِ رضي الله عنه قيادةَ الجيشِ في غزوةِ ذاتِ السلاسلِ، وكان في جندِ ذلكَ الجيشِ أبو بكرٍ الصديقُ وعمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنهما فسألَ عمرٌو النبيَّ ﷺ: (مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «**عَائِشَةُ**»، قال: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «**أَبُوهَا**»، قال: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**عُمَرُ بنُ الخطابِ**» حتى عَدَّ رِجَالاً)[1]، لم يذكرْ فيهم عمرَو بنَ العاص.

وقد ثبتَ أنَّ النبيَّ ﷺ ردَّ أبا ذرٍّ رضي الله عنه ولم يرغَبْ أن يُوَلِّيَه؛ لعلمِه أنه لا يستطيعُ أن يتحملَ أعباءَ الإمارةِ، وقال له: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ**»[2]. ورفضَ النبيُّ ﷺ أن يعطيَ الإمارةَ أبا ذرٍّ وله منَ الفضلِ ما لَه، وقد قالَ رسولُ الله ﷺ في حقِّه: «**مَا أَقَلَّتِ الغَبْرَاءُ، ولا أَظَلَّتِ الخَضْرَاءُ مِن رجلٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ**»[3].

وقد أبى الصِّديقُ رضي الله عنه أن يعزِلَ خالدَ بنَ الوليدِ، مع إلحاحِ عُمَرَ بنِ الخطابِ عليه بذلك، وكان يحتجُّ لِعَدَمِ عَزله بقوتِه ومقدرتِه على إدارةِ الجيوشِ ويقولُ: (لا أشيمُ سيفاً سلّه اللهُ على الْـمشركينَ)[4]. وهو يرى أنَّ في أصحابِ رسولِ الله ﷺ مَنْ هُو أفضلُ من خالدٍ؛ ولكنْ ليست لهمُ كفاءتُه وقوتُه في قيادةِ الحروبِ.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٣٥٨)، ومسلم (٢٣٨٤).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٢٦).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٨٠١)، وابن ماجه (١٥٦)، وأحمد (٢/ ١٦٣)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٣٤٣)].

(٤) رواه عبد الرزاق (٩٤١٢)، وابن أبي شيبة (٣٣٧٢٥) في مصنفيهما.

وقد كانَ عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه يولّي الرجلَ، ويتركُ مَن هو أفضلُ منه من أهلِ السابقةِ والفضلِ في أصحابِ رسولِ الله ﷺ؛ نظراً إلى القوةِ في العملِ والتبصرِ بالتدبيرِ والسياسةِ، وكان يُقالُ له: مالكَ لا تولي الأكابرَ منْ أصحابِ رسولِ الله ﷺ، فيقول: (إِنِّي لَأَتَحَرَّجُ أَنْ أَسْتَعْمِلَ الرَّجُلَ، وَأَنَا أَجِدُ أَقْوَى مِنْهُ)[1].

وكان الرسولُ ﷺ وخلفاؤه مِنْ بعده أوَل مَنْ أخذَ بمبدأ: التقيُّ الضعيفُ له تقاهُ، وللخليفةِ ضَعْفُهُ، والقويُّ الفاجرُ للخليفةِ قوتُه، وفجورُه على نفسِه؛ لأنَّ التقيَّ الضعيفَ تقواه لنفسِه، وضعفُه للمسلمينَ، والقويُّ الفاجرُ فجورُه لنفسه، وقوتُه للمسلمين[2].

وفي ظلِّ هذه السيرةِ سارَ عثمانُ رضي الله عنه؛ وإذا كانتْ هذه سياسةُ الرسولِ ﷺ والشيخين مِنْ بعده، وقد اتفقَتِ الأمةُ على أنها أحكَمُ سياسةٍ وأقومُها، فأيُّ عيبٍ يلحقُ عثمانَ رضي الله عنه في أن يسيرَ على نهجها! أليس له أسوةٌ في رسولِ الله ﷺ وصاحبيه؟! وهو القائلُ في مستهلِّ خلافته: (أما بعدُ، إني متبعٌ ولستُ بمبتدِعٍ)[3].

أوليسَ له من حقوقِ الخلافةِ والإمامةِ العظمى مثلُ ما كانَ لصاحبَيه أبي بكرٍ وعمرَ؟!

وما الذي يبقى له من معنى السلطانِ إذا حُجِرَ عليه عزلُ أمير، وتوليةُ آخرَ؛ مراعاةً للمصلحةِ التي يجتهدُ فيها الخليفةُ ولا يفقَهُها الدهماءُ منَ الناسِ!

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٣٠٥).

(٢) «السياسة الشرعية» ابن تيمية (ص١٨-٢٤).

(٣) الطبري: «تاريخ الرسل» ٤/ ٤٢٢).

إذا كانَ كذلكَ ظهرَت حجةُ عثمانَ، فعثمانُ يقولُ: إنَّ بني أميةَ كان رسولُ الله ﷺ يستعملُهم في حياتِهِ، واستعملَهم بعده من لا يُتهَمُ فيهم، أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه وعمرُ رضي الله عنه، ولا نعرفُ قبيلةً من قبائلِ قريشٍ: فيها عمالٌ لرسولِ الله ﷺ أكثرَ من بني عبدِ شمسٍ -بني أمية- لأنهم كانوا كثيرين وكان فيهم شرفٌ[1].

• أمّا استعمالُ الأحداثِ وتركُ الكبارِ، فكان لعثمانَ رضي الله عنه في رسولِ الله ﷺ أسوةٌ حسنةٌ؛ فقد جهّزَ رسولُ الله ﷺ جيشاً لغزوِ الرومِ في آخرِ حياتِه، واستعملَ عليه أسامةُ بنُ زيدٍ رضي الله عنه، وسِنُّه دونَ العشرين، وكانَ في جُندِه كبارُ الصحابة، ومنهم أبو بكرٍ وعمرُ رضي الله عنهم[2].

وعندما تُوفي رسولُ الله ﷺ تمسّك الصديقُ رضي الله عنه بإنفاذِ هذا الجيشِ، لكنَّ بعضَ الصحابة رغبوا في تغييرِ أسامَة بقائدٍ أسنَّ منه، فكلَّموا عمرَ في ذلك ليُكلِّمَ أبا بكر، فغضبَ أبو بكر لما سمعَ هذه المقالة، وقال لعمر: يا عمرُ استعملَه رسولُ الله ﷺ، وتأمُرُني أن أعزِلَه![3].

ويقولُ عليٌّ رضي الله عنه: (ولم يولِّ -أي: عثمانُ- إلا رجلاً سَوياً عدلاً، وقد ولّى رسولُ الله ﷺ عتّابَ بنَ أُسيدٍ على مكةَ وهو ابنُ عشرينَ سنةً)[4].

---

(١) ابن تيمية «المنهاج» (٣/ ١٧٥-١٧٦).

(٢) «سيرة ابن هشام» (٤/ ٢٣٨).

(٣) الطبري: «تاريخ الرسل» (٣/ ٢٦٦).

(٤) ابن كثير: «البداية والنهاية» (٧/ ١٨٧).

وخلاصةُ القولِ: إنَّ أقاربَ عثمانَ ﷺ قد تقلَّدَ أغلبُهم مهامَّ الولايةِ في عهدِ رسولِ الله ﷺ وأبي بكر وعمرَ، وكانوا أهلَ نجدةٍ وكفايةٍ، وبَصرٍ بالإمارةِ، وقدرةٍ عليها. فلا يعتدُّ بكلامِ أهلِ الأهواءِ فيهم، إذِ الكلامُ في الناسِ ينبغي أن يقومَ على موازينِ التثبتِ والعدلِ والإنصافِ.

• وأما قولُهم بأنَّ عثمانَ كان يمنحُ أقاربَه المالَ، فيمكنُ القولُ بأنَّ سيرَتَه ﷺ في أقاربِه وذويه تُمثِّلُ جانباً من جوانبِ الإسلامِ الكريمةِ الرحيمةِ؛ لقولـه تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى:٢٣]، وقوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الإسراء:٢٦]. كما أنها تمثلُ جانباً عملياً من سيرةِ المصطفى ﷺ، فقد أعطى النبيُّ ﷺ عمّه العباسَ ما لم يعطِ أحداً عندما وردَ عليه مالٌ منَ البحرين[1]. وولّى علياً وهو ابنُ عمِّه وصهرُه، ولعثمانَ وسائرِ المؤمنينَ في رسولِ الله ﷺ أعظمُ القدوةِ.

يقولُ ابنُ كثيرٍ -رحمَه الله-: (وقد كانَ عثمانُ ﷺ كريمَ الأخلاقِ ذا حياءٍ كثيرٍ، وكرمٍ غزيرٍ، يُؤْثِرُ أهلَه وأقاربَه في الله تأليفاً لقلوبهم منْ متاعِ الدنيا الفاني؛ لعلّه يُرَغِّبهم في إيثارِ ما يبقى على ما يفنى، كما كانَ النبيُّ ﷺ يُعطي أقواماً ويدَعُ آخرين إلى ما جُعل في قلوبهم من الهدى والإيمان. وقد تعنّتَ عليهِ ﷺ بسبب هذهِ الخصلةِ أقوامٌ، كما تعنَّت بعضُ الخوارجِ على رسولِ الله ﷺ في الإيثارِ)[2].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤١١).

(٢) ابن كثير: «البداية والنهاية» (٧/ ٢٠١).

وكان عثمانُ ﷺ قبلَ أن يليَ الخلافةَ شديدَ البِرِّ بقرابته كثيرَ البذلِ لهم وللمسلمين، حتى قالَ: (ولقد كنتُ أعطي العطيةَ الكبيرةَ الرغيبةَ من صُلْب مالي أزمانَ رسولِ الله ﷺ وأبي بكرٍ وعمرَ ﷺ وأنا يومئذٍ شحيحٌ حريصٌ، أَفَحِينَ أتيتُ على أسنانِ أهل بيتي، وفَنيَ عُمري، وودَّعتُ الذي لي من أهلي، قال الملحدونَ ما قالوا!)[1].

ثانياً: ما نُسِبَ إليه مِن أشياءَ استحدثَها وخالفَ بها مَنْ سبقَه في زعمِهم كجمعهِ القرآنَ في مُصحفٍ واحدٍ، وإتمامِه الصلاةَ بمِنى، وزيادةِ الأذانِ الثاني يومَ الجمعة وغيرِها.

فأما إحراقُه المصاحفَ وجمعُ الناسِ على مصحفٍ واحدٍ فيعتبرُه العلماءُ العارفونَ منقبةً لعثمانَ ﷺ؛ لأنه حَسَم مادةَ الخلافِ بينَ المسلمين، وجَمَعَهم على مُصحفٍ واحدٍ. يقولُ ابنُ العربيِّ: (وأما جمعُ القرآنِ فتلكَ حسنتُهُ العظمى، وخصلتُه الكبرى .. وحَسَمَ مادةَ الخلافِ فيها، وكان نفوذُ وعدِ الله بحفظِ القرآنِ على يَديه، حسبما بيّناه في كتبِ القرآن وغيرِها)[2].

وهذا أبو هريرةَ ﷺ يدخُلُ على عثمانَ بعد نسخِ المصاحفِ فيقولُ له: (أصبتَ وَوُفِّقْتَ..)[3].

(١) الطبري: «تاريخ الرسل» (٤/ ٣٤٨).

(٢) ابن العربي: «العواصم» (ص٦٦).

(٣) ابن عساكر: «تاريخ دمشق» (ص٢٣٧).

وأما إتمام عثمانَ رضي الله عنه الصلاةَ بمنى فهو أمرٌ ثابتٌ: أخرجَ الإمامُ البخاريُّ من طريقِ ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: (صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِمِنًى رَكْعَتَيْنِ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَمَعَ عُثْمَانَ صَدْرًا مِنْ إِمَارَتِهِ ثُمَّ أَتَمَّهَا)[1].

ويجيبُ عثمانُ رضي الله عنه عن ذلك: (ألا وإني قَدِمْتُ بلداً فيه أهلي، فأتممْتُ لهذين الأمرين: الإقامةُ واتخاذُ الأهلِ)[2]. ونقلَ الحافظُ ابنُ حجرِ عن الزهريِّ قال: إنما صلى عثمانُ بمنى أربعاً لأنّ الأعرابَ كانوا كَثُروا في ذلك العام: فأحبَّ عثمانُ أن يُعَلِّمُهم أنَّ الصلاةَ أربعُ[3].

وأما قولُهم أنه زادَ الأذانَ الثاني يومَ الجمعة وهو بدعةٌ، فيجابُ على ذلك بأنَّ سنةَ الخلفاءِ الراشدين من سنة النبيّ ﷺ، وروى الإمامُ البخاريُّ من طريقِ السائبِ بن يزيدَ : أنَّ عثمانَ رضي الله عنه زادَ الأذانَ الثاني في خلافتِه لّما كَثُرَ الناسُ بالمدينة[4].

وفي رواية ابنِ ماجَة والنَّسائيِّ: (فَأَذَّنَ بِالزَّوْرَاءِ -دارٍ بالسوقِ- قَبْلَ خُرُوجِهِ؛ لِيُعْلِمُ النَّاسَ أَنَّ الْجُمُعَةَ قَدْ حَضَرَتْ)[5].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٠٨٢)، ومسلم (٦٩٤) واللفظ للبخاري.

(٢) الطبري: «تاريخ الرسل» (٤/ ٤٤٦).

(٣) ابن حجر: «الفتح» (٢/ ٥٧١).

(٤) **صحيح** :رواه البخاري (٨٧٠).

(٥) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١١٣٥)، وأبو داود (١٠٨٧)، والنسائي (١٣٩٢)، والطبراني في «الكبير» (٦٦٤٣)، واللفظ للطبراني، [«الأجوبة النافعة» (٢)].

فَعُلِمَ بذلكَ أنَّ المصلحَةَ اقتضت زيادةَ الأذانِ الثاني ليعمَّ الإخبارُ، نظراً لاتساعِ المدينةِ وكثرةِ مَنْ فيها، وإلا لو كانَ الأمرُ خلافَ السنةِ؛ لأنكرَ عليه كبارُ الصحابةِ وهم موجودون في المدينةِ. كما أنَّ علياً رضي الله عنه لم يأمرْ بإزالةِ هذا الأذانِ لّما صارَ خليفةً، على أنَّ ما فعلَه عثمانُ منَ النداءِ الثاني اتفقَ عليه أهلُ المذاهبِ الأربعةِ، وغيرُهم منَ العلماءِ، كما اتفقوا على ما سنَّه أيضاً عمرُ رضي الله عنه مِنْ جمعِ الناسِ في رمضانَ على إمامٍ واحدٍ[1].

ثالثاً: ما اعتُرِضَ عليهِ في أحوالهِ الشخصيةِ:

مثلُ تغيبهِ يومَ بدرٍ، وفرارِه في أُحُدٍ، وعدمُ شهوده بيعةَ الرضوانِ.

لقد ردّ على هذهِ الاعتراضاتِ عبدُ الله بنُ عمرَ رضي الله عنهما في نصٍّ صحيحٍ رواهُ الإمامُ البخاريُّ من طريقِ عثمانَ بنِ موهب.

قال: (جَاءَ رَجُلٌ مَنْ أَهْلِ مِصْرَ حَجَّ الْبَيْتَ فَرَأَى قَوْمًا جُلُوسًا. فَقَالَ: مَنْ هَؤُلاَءِ الْقَوْمُ؟ قَالَ: هَؤُلاَءِ قُرَيْشٌ، قَالَ: فَمَنِ الشَّيْخُ فِيهِمْ؟ قَالُوا: عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ، قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ! إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ شَيْءٍ فَحَدِّثْنِي عنه، هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ وَلَمْ يَشْهَدْ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ الرجلُ: اللهُ أَكْبَرُ.

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: تَعَالَ أُبَيِّنْ لَكَ: أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ؛ فَأَشْهَدُ أَنَّ الله عَفَا عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ، يشير إلى قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ

(١) ابن تيمية: «المنهاج» (٣/ ٢٠٤).

ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٥٥﴾ [آل عمران]
وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ؛ فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ الله ﷺ وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ**» وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَه رَسُولُ الله ﷺ . وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ بِيَدِهِ الْيُمْنَى: «**هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ**» فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: «**هَذِهِ لِعُثْمَانَ**»، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: اذْهَبْ بِهَا الآنَ مَعَكَ)[1].

العنصرُ الثالث: فقتلوه فقتَلَهُمُ اللهُ:

عبادَ الله! معَ أنَّ هذه الشبهاتِ التي تمسَّك بها البُغاةُ الظَّلَمةُ باطلةٌ؛ فقد جاءوا من كُلِّ مكانٍ، وحاصروا أميرَ المؤمنينَ في دارِهِ بالمدينة، وطلبوا منه أن يخلَعَ نَفَسه من الخلافةِ، أو القتلَ. فدخلَ عبدُ الله بنُ عمرَ على أميرِ المؤمنينَ عثمانَ رضي الله عنه يَدْعَمُ موقفَه لئلا يتنازلَ عن الخلافةِ، ويخلعَ نفسَه تحتَ ضغطِ الحِصار؛ وذلكَ مخافةَ أن يكونَ أسوةً لمن سيأتي بعدَه، كلما كرِهَ ناسٌ أميرَهم أو إمامَهم خلعوه، يقول نافعُ مولى ابنِ عمرَ: (دخلَ ابنُ عمرَ على عثمان وعندَه المغيرةُ بنُ الأخنسِ -له صحبة- فقال:انظر ما يقولُ هؤلاءِ، يقولون: اخلَعْها ولا تقتلْ نفسَك. فقال ابنُ عمرَ: إذا خلعتها ، أمخلَّدٌ أنتَ في الدنيا؟ قال: لا ، قال: فإن لم تخلعها ، هل يزيدونَ على أن يقتلوكَ؟ قال: لا . قال: فهل يملكونَ لكَ جنةً أو ناراً؟ قال: لا . قال: فلا أرى أن تخلَع قميصاً قَمَّصَكَهُ اللهُ فتكونَ سنةً، كلما كرِهَ قومٌ خليفَتهم أو إمامَهم قتلوه)[2].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٩٨).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٦٥٦)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٦٦).

ولذلك رأى عثمانُ رضي الله عنه أنَّ الخيرَ في الصبرِ والثباتِ، وأن يبيعَ نفسَه بصلاحِ دينِه، فجادَ بنفسِه لله. ولذلك لما حُصِرَ، قال الصحابةُ: (يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلاَ تُقَاتِلُ؟ قَالَ: لاَ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَهِدَ إِلَيَّ عَهْدًا، وَإِنِّي صَابِرٌ نَفْسِي عَلَيْهِ)[1].

والنبيُّ صلى الله عليه وسلم قال لعثمانَ رضي الله عنه: «**يا عثمانُ! عسى الله أن يُقَمِّصَكَ قميصاً من بعدي، فإنْ أرادَكَ المنافقونَ على خلعِه فلا تخلَعْه**» يقول له ذلكَ ثلاثاً[2].

وفي الحديثِ دلالةٌ واضحةٌ على أنَّ هؤلاءِ الخوارجَ لم يكونوا طلابَ عدلٍ وحقٍّ؛ وإنما هم قومٌ مَردوا على النفاقِ، يستترونَ تحتَ شعارِ الإصلاحِ، والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ، ولا يُعرَف في عصرٍ من عصورِ الإسلامِ جماعةٌ، أو طائفةٌ أشدُّ خطراً على الإسلامِ والمسلمينَ من المنافقين.

واستمرَّ الحِصارُ الظالمُ من البُغاةِ الظلمةِ، ومنعوا عنه الماءَ، ومنعوه من أن يصلِّي في المسجدِ النبويِّ، وأشرَف عثمانُ رضي الله عنه على الذين حصروه، فقال لهم: (وَلِمَ تقْتُلُونَنِي؟ وقد سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «**لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: كُفْرٌ بَعْدَ إِسْلاَمٍ، أَوْ زِنًا بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ قَتْلُ نَفْسٍ بِغَيْرِ نَفْسٍ**» فَوَاللهِ مَا زَنَيْتُ فِي جَاهِلِيَّةٍ، وَلاَ فِي إِسْلاَمٍ قَطُّ، وَلاَ أَحْبَبْتُ أَنَّ لِي بِدِينِي بَدَلاً مُنْذُ هَدَانِي الله، وَلاَ قَتَلْتُ نَفْسًا، فَبِمَ يَقْتُلُونَنِي)[3].

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١١٣)، و أحمد (٦/ ٥١)، والحاكم (٤٥٤٣)، [«المشكاة» (٦٠٧٠)].

(٢) **صحيح** :رواه الترمذي (٣٧٠٥)، وابن ماجه (١١٢)، و أحمد (٦/ ٧٥) [«ظلال الجنة » (١١٧٢)].

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٥٠٢)، والترمذي (٢١٥٨)، والنسائي (٤٠١٩)، وأحمد (١/ ٦١)، [«إرواء الغليل» (٢١٩٦)].

وطالما كانَ عثمانُ ﷺ يُطِلُّ على المحاصِرين؛ يخاطِبُهم ويذَكِّرُهم بمواقفِه معَ رسولِ اللهِ ﷺ؛ لعلهم يَلينون، لكنهم لم يفعلوا.

عن أبي عبدِ الرحمن السُلَميِّ قال: (لَـمَّا حُصِرَ عُثْمَانُ وَأُحِيطَ بِدَارِهِ؛ أَشْرَفَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: نَشَدْتُكُمْ بِاللهِ؛ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ حِينَ انْتَفَضَ بِنَا حِرَاءُ قَالَ: «**اثْبُتْ حِرَاءُ! فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ**؟!» قَالُوا: اللهمَّ نَعَمْ. قَالَ: نَشَدْتُكُمْ بِاللهِ؛ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ فِي غَزْوَةِ الْعُسْرَةِ: «**مَنْ يُنْفِقُ نَفَقَةً مُتَقَبَّلَةً**؟» وَالنَّاسُ يَوْمَئِذٍ مُعْسِرُونَ مُجْهَدُونَ، فَجَهَّزْتُ ثُلُثَ ذَلِكَ الْجَيْشِ مِنْ مَالِي؟!

فَقَالُوا: اللهمَّ نَعَمْ. ثُمَّ قَالَ: نَشَدْتُكُمْ بِاللهِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رُومَةَ لَمْ يَكُنْ يُشْرَبُ مِنْهَا إِلَّا بِثَمَنٍ، فَابْتَعْتُهَا بِمَالِي، فَجَعَلْتُهَا لِلْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ وَابْنِ السَّبِيلِ؟! فَقَالُوا: اللهمَّ نَعَمْ)[1].

وقُبيلَ مقتلِهِ رأى عثمانُ ﷺ في المنامِ اقترابُ أجلِه، فاستسْلمَ لأمرِ اللهِ.

روى الحاكمُ بإسنادٍ صحيح إلى ابنِ عمرَ ﷺ أنَّ عثمانَ أصبحَ يُحدِّثُ الناسَ قال: (إِنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْـمنَامِ، فَقَالَ: يَا عُثْمَانُ أَفْطِرْ عِنْدَنَا، فَأَصْبَحَ عُثْمَانُ صَائِمًا، وقُتِلَ مِنْ يَوْمِهِ)[2].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٦٩٩)، والنسائي (٣٦٠٩)، وأحمد (١/ ٥٩)، و ابن حبان (٦٩١٦) واللفظ له، [«صحيح الترمذي» (٢٩١٩)].

(٢) **صحيح**: رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٠٨٥)، والحاكم في «المستدرك» (٤٥٥٤).

ويتسوَّرُ الخوارجُ عليه دارَه، وتتوزعُ سيوفُهم دماءَه الطاهرةَ، وهو يقرأ كتابَ الله، فكانت أولُ قطرةٍ قَطَرتْ من دمهِ على هـذه الآيـة ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١٣٧﴾ [البقرة]. فما ماتَ منهم رجلٌ سَوِيّاً[1]. والله ما اشترَكَ أحـدٌ في قتلِ عثمانَ إلا دَمَّرَهُ اللهَ؛ فإنَّ اللهَ عز وجل لم يهمِلِ الظالمينَ، بل أذلَّهـم، وأخـزاهم، وانتقَم منهم، فلم ينجُ منهم أحـدٌ، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۝١٠٢﴾ [هود].

وبعد أن قتلوه -قتلَهُمُ اللهُ- تبينَ للناسِ مقصَدَهم. (نادى بعضُهم على بعضٍ بعد قتلِ عثمانَ بالسَّطْوِ على بيتِ المالِ، فسمعهم خزنـةُ البيـتِ فقـالوا: يـا قـومُ! النجا! النجا! فإنَّ هؤلاءِ القومَ لم يَصْدُقُوا فيما قالوا؛ -مِنْ أنّ قصدَهم قيـامُ الحـقِّ والأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكر، وغيرُ ذلـك ممـا ادَّعَـوا أنهـم قـاموا لأجلـه- وكَذَبوا، إنما قصدُهُمُ الدنيا[2].

فهذا رجلٌ يطوفُ حولَ الكعبةِ بعد مقتلِ عـثمانَ مِـنْ هـؤلاءِ البُغـاة فيقـولُ: اللهم اغفرْ لي، ولا أظنُّ أنك تغفرُ لي، فقال له رجلٌ: ما هـذا الـدعاءُ يـا عبـدَ الله. فقال له: لقد نَذَرْتُ إن قَدَرْتُ على عثمانَ أن أَلْطُمَه بيدي، فلما قُتِلَ عـثمانُ ودخَـلَ الناسُ يُصَلُّون عليه وهو على سريرِه، فالتمسْتُ خَلوةً فكشفْتُ عـن وجـهِ عـثمانَ

(١)رواه عبد الله بن أحمد في «فضائل الصحابة» (٨١٧)،و ابن أبي عاصـم في «الزهـد» (ص١٢٨)، وسـنده صحيح.

(٢) ابن كثير: «البداية والنهاية» (٧/ ١٨٩).

بعد موته ولطمتُه على وجههِ فيبِسَتْ يدي -أي: شُلَّتْ-. فهذا رجلٌ شَلَّ اللهُ يـدَه لأنه لطمَ عثمانَ بعد موته، فما ظنكم بمنْ سَلَّ سيفَه وقتلَ عثمانَ.

قتلوه قتلَهُمُ الله. اللهمَّ أرنا الحقَّ حقاً وارزقنـا إتباعـه، وأرِنـا الباطـلَ بـاطلاً وارزقنا اجتنابه.

١٤

علي بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه

أولاً: عقيدةُ أهلِ السنةِ والجماعةِ في أميرِ المؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه:

عبادَ الله! يقولُ الله عز وجل: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب]. وهؤلاء الرِّجالُ هم أصحابُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، قومٌ اختارَهُمُ الله لصحبةِ نبيِّه ولنصرةِ دينِه.

قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (مَنْ كان مُستَنّاً فليستن بمن قد مات، فإنَّ الحيَّ لا تؤمَنُ عليه الفتنة؛ أولئكَ أصحابُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، كانوا والله! أفضلَ هذهِ الأمةِ، أبرَّها قلوباً، وأعمقَها علماً. وأقلّها تكلفاً، قومٌ اختارَهُمُ الله لصحبةِ نبيِّه صلى الله عليه وسلم، وإقامةِ دينِه، فاعرفوا لهم فضلَهم، واتَّبعوهم في آثارِهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقِهِم، ودينِهِم، فإنهم كانوا على الهدى الْـمستقيم)[1].

وقال ابنُ مسعودٍ أيضاً: (إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، وابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ

---

(١) رواه البغوي في «شرح السنة» (١/ ٢١٤، ٢١٥)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٩)، والقرطبي في «تفسيره» من طريق سنيد (١/ ٦٠) بلفظ: (من كان منكم متأسيا فليتأسى....) وروي باللفظ المذكور عن عبد الله بن عمر رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٠٥)، والخطيب في «تالي التلخيص» (١/ ٣٧١).

قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ)(١).

فأصحاب محمدٍ ﷺ، همْ أفضلُ هذهِ الأمةِ بعد نبيِّها محمدٍ ﷺ حبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان.

وموعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ الله تعالى- مع الخليفةِ الرابعِ أميرِ المؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه .. أتعرفونه؟ هو ابنُ عمِّ رسولِ الله ﷺ وزوجُ ابنته فاطمةَ رضي الله عنها وهو أحدُ العشرةِ المشهودِ لهم بالجنة، وهو أولُ مَنْ أسلمَ من الغلمان، ولقد توفي رسولُ الله ﷺ وهو عنه راضٍ.

وحديثُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- سيكونُ عن عقيدةِ أهلِ السنةِ والجماعةِ في أميرِ المؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه

مِن عقيدةِ أهلِ السنةِ والجماعةِ: أنَّ أفضلَ هذه الأمةِ بعدَ نبيِّها محمدٍ ﷺ وأبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ رضي الله عنهم أجمعين هو عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه .

قال الإمامُ الشافعيُّ رحمه الله تعالى: (وأجمعَ الصحابةُ وأتباعُهم على أفضليةِ أبي بكرٍ ثم عمرَ ثم عثمانَ ثم عليٍّ رضي الله عنهم أجمعين)(٢).

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (١/ ٣٧٩)، والبزار (١٨١٦)، والطبراني في «الكبير» (٨٥٨٢)، [«السلسلة الضعيفة»(٥٣٣)].

(٢) «فتح الباري» (٧/ ١٧).

وقال ابنُ كثيرٍ رحمه الله تعالى: (وأفضلُ الصحابةِ بل أفضلُ الخلقِ بعدَ الأنبياءِ عليهِمُ السلامُ؛ أبو بكرٍ ثم عمرُ ثم عثمانُ ثم عليٌّ رضي الله عنهم أجمعين)[1].

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية: (اتفقَ عامةُ أهلِ السنةِ من العلماءِ والعُبّادِ والأمراءِ والأجنادِ على أن يقولوا: أبو بكرٍ، ثم عمرُ، ثم عثمانُ، ثم عليٌّ)[2].

ولقد وردتِ الأحاديثُ الكثيرةُ والأخبارُ الشهيرةُ التي دلَّتْ على فضلِ عليٍّ ابنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه ومنها:

١- قالَ رسولُ الله ﷺ يومَ خيبر: «**لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلاً يَفْتَحُ الله عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ الله وَرَسُولُهُ**» **قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا؟ فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا؟ فَقَالَ:** «**أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟**» فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ الله يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ الله ﷺ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ.

فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ الله أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟

فَقَالَ: «**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ الله فِيهِ؛ فَوَالله لأَنْ يَهْدِيَ الله بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرُ النَّعَمِ**»[3].

---

(١) «الباعث الحثيث» (ص١٨٣).

(٢) «الوصية الكبرى» (ص٣٣).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦) واللفظ للبخاري.

هذا الحديثُ تضمنَ منقبةً ظاهرةً لأميرِ المؤمنينَ عليٍّ ﷺ وهـي قولُـه ﷺ: «**يفتحُ اللهُ على يَدَيه يحبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبُّه اللهُ ورسولُه**».

٢- خَرَجَ رسولُ الله ﷺ إِلَى تَبُوكَ وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا، فَقَالَ -أي: علِيٌّ ﷺ- أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ؟ قَالَ ﷺ: «**أَلاَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّه لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي**»[1].

وهذا الحديثُ فيه فضيلةٌ عظمى لعليٍّ ﷺ تضمَّنها قولُه ﷺ: «**أَلاَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّه لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي**»، حيث بَيَّنَ عليه الصلاةُ والسلامُ منزلةَ عليٍّ منه، ومكانتَه العظيمةَ عنده عليه الصلاةُ والسلامُ.

وهذا الحديثُ مما تعلقتْ به بعضُ فرقِ الضلالِ في أنَّ الخلافةَ كانت حقاً لعليٍّ ﷺ وأنه ﷺ وَصَّى له بها، والحديثُ لا حجةَ فيه بل فيه إثباتٌ فضيلةٍ لعليٍّ. وليسَ فيه دلالةٌ لاستخلافهِ بعدَه لأنَّ النبيَّ ﷺ إنما قالَ هذا لعليٍّ حينَ استخلَفه في المدينةِ في غزوةِ تبوك، ويؤيدُ هذا أنَّ هارونَ المشبَّهَ بهِ لم يكن خليفةً بعدَ موسى، بل توفي في حياةِ موسى، وموسى استخلَف هارونَ حين ذهبَ لميقاتِ ربِّه للمناجاة.

٣- وجاءَ رَسُولُ الله ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِي الْبَيْتِ فَقَالَ: «**أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ؟**» قَالَتْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، فَغَاضَبَنِي فَخَرَجَ فَلَمْ يَقِلْ عِنْدِي.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤) واللفظ للبخاري.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لإِنْسَانٍ «**انْظُرْ أَيْنَ هُوَ؟**» فَجَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هُوَ فِي الْـمَسْجِدِ رَاقِدٌ. فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهْوَ مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ وَأَصَابَهُ تُرَابٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَمْسَحُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ: «**قُمْ أَبَا تُرَابٍ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ**»[1].

في هذا الحديثِ منقبةٌ ظاهرةٌ لأميرِ المؤمنينَ عليٍّ رضي الله عنه، وبيانُ علوِّ منزلته عندَ النبيِّ ﷺ؛ وذلكَ أنه عليه الصلاةُ والسلامُ مشى إلى عليٍّ رضي الله عنه، ودخلَ المسجدَ، ومسحَ الترابَ عن ظهره، واسترضاه تلطفاً به؛ لأنه كان وقعَ بينه وبينَ فاطمَة شيءٌ فخرجَ إلى المسجدِ واضطجَع فيه، وكنّاه النبيُّ ﷺ بأبي ترابٍ، وكانت هذه التسميةُ أحبَّ شيءٍ إليه رضي الله عنه.

٤- ومن مناقبه رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ جعلَ محبته علامةَ الإيمان، وجعل بغضه علامةَ النفاق. قال عليٌّ رضي الله عنه: (وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ: «**أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ**»)[2].

ففي هذا الحديثِ منقبةٌ ظاهرةٌ لعليٍّ رضي الله عنه وهذا جارٍ في الصحابةِ جميعاً، فمحبتُهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان. وأما الحروبُ الواقعةُ بينهم، فإنْ وقعَ من بعضهم بغضٌ لبعضٍ، فذاكَ من غيرِ هذه الجهةِ، بل للأمرِ الطارئِ الذي اقتضى المخالفةَ، ولذلك لم يحكُمْ بعضُهم على بعضٍ بالنفاق،

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٤١)، ومسلم (٢٤٠٩).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٧٨).

وإنما كان حالُهم في ذلك حالَ المجتهدين في الأحكام؛ للمصيبِ أجران، وللمخطئ أجرٌ واحدٌ[1].

٥- ومن مناقبه رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ: «**مَنْ آذَى عَلِيًّا فَقَدْ آذَانِي**»[2].

وقام رجلٌ فقال: (يَا رَسُولَ الله! الْـم تَرَ أَنَّ عَلِيًّا صَنَعَ كَذَا وَكَذَا، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم -وَالْغَضَبُ يُعْرَفُ فِي وَجْهِهِ- فقَالَ: «**مَا تُرِيدُونَ مِنْ عَلِيٍّ (ثَلاثًا) إِنَّ عَلِيًّا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَهُوَ وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي**»[3].

وقال صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ كُنْتُ وَلِيَّهُ فَعَلِيٌّ وَلِيُّهُ**»[4].

قال عليٌّ رضي الله عنه: (أَنْشُدُ اللهَ كُلَّ امْرِئٍ سَمِعَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم **يَقُولُ** يَوْمَ غَدِيرِ (خُمٍّ) -وهو موضعٌ بينَ مكةَ والْـمدينةِ- لَـمَّا قَامَ! فَقَامَ أُنَاسٌ فَشَهِدُوا أَنَّهُمْ سَمِعُوهُ يَقُولُ: «**أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى النَّاسِ بِالْـمؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟ قَالُوا**: بَلَى يَا رَسُولَ الله! فقَالَ صلى الله عليه وسلم: **مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ، فَإِنَّ هَذَا مَوْلاَهُ، اللهمَّ وَالِ مَنْ وَالاَهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ**»)[5].

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٦٣).

(٢) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٣/ ٤٨٣)، و ابن حبان (٦٩٢٣)، و الحاكم (٤٦١٩)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٢٩٥)].

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٧١٢)، و النسائي في «الكبرى» (٨٤٧٤) و أحمد (٤/ ٤٣٧)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٢٢٣)].

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٣٥٠)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٤٤)، والبزار (٤٣٥٤)، [«صحيح الجامع» (٦٥٢٤)].

(٥) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٣٧٠)، و ابن حبان (٦٩٣١) واللفظ له [«السلسلة الصحيحة»(١٧٥٠)].

٦- ومن مناقبهِ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ بشرهُ بالجنةِ ودعا له. قالَ رسولُ الله ﷺ: «**النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ**»(١)... الحديث.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه (أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ عَلَى حِرَاءٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ، فَتَحَرَّكَتْ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اهْدَأْ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ**»(٢).

وقال عليٌّ رضي الله عنه: (بَعَثَنِي رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الْيَمَنِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! إِنَّكَ تَبْعَثُنِي إِلَى قَوْمٍ هُمْ أَسَنُّ مِنِّي لأَقْضِيَ بَيْنَهُمْ. قَالَ: «**اذْهَبْ، فَإِنَّ الله تَعَالَى سَيُثَبِّتُ لِسَانَكَ، وَيَهْدِي قَلْبَكَ**»)(٣).

٧- ومِن مناقبه رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال له: «**أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ**»(٤).

• والناسُ معَ أميرِ المؤمنين عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه طرفان ووسط؛ طرفٌ أفرَطوا في حُبِّه وغَلَوا فيه، حتى أنهم رفعوه إلى منزلةِ الربوبيةِ، فَدَعَوْه من دونِ الله وحلفوا به .. وهذا ضلالٌ مبينٌ. وطرفٌ آخر فرّطوا فيه، بل عادوهُ وكفّروه، وهذا أيضاً ضلالٌ مبين. والوسَط هم أهلُ السنةِ والجماعةِ فقد وضعوه في مكانه الذي

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٤٩)، وأحمد (١/ ١٨٨)، وأبو يعلى (٩٧١)، [«صحيح الجامع» (٤٠١٠)].

(٢) **صحيح** : رواه مسلم (٢٤١٧).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٨٨)، و الطيالسي (٩٨)، وأبو يعلى (٢٩٣)، [«إرواء الغليل» (٢٥٠٠)].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٤٢٥١).

وضعه الشرعُ فيه. فهو ابنُ عَمِّ رسولِ الله ﷺ، وهو أولُ مَنْ أسلمَ من الغِلمان، وهو الخليفةُ الرابعُ للمسلمينَ بعد أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ رضي الله عنهم وهو أحدُ العَشْرةِ المبشرينَ بالجنةِ، وهو الذي ماتَ الرسولُ ﷺ وهو عنه راضٍ.

قال الإمامُ الطحاويُّ -رحمه الله تعالى-: (ونحبُّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ ولا نُفرِّطُ في حُبِّ أحدٍ منهم -وهذا ردٌّ على الطرفِ الأولِ-. ولا نتبرأُ مِن أحدٍ منهم -وهذا ردٌّ على الطرفِ الثاني- ونبغضُ مَن يُبغضهم، وبغيرِ الخيرِ يذكُرُهم، ولا نذكُرهم إلا بخيرٍ، وحبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان، ونثبتُ الخلافةَ بعدَ رسولِ الله ﷺ أولاً لأبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه تفضيلاً له، وتقديماً على جميعِ الأمةِ، ثم لعمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه، ثم لعثمانَ رضي الله عنه، ثم لعليِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه، وهمُ الخلفاءُ الراشدونَ، والأئمةُ المهدِيون)[1].

وقد جاءَ الشرعُ يحذِّرُ منَ الغُلُوِّ في محبةِ الصالحين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾ [النساء:١٧١].

والغُلوُّ: هو الإفراطُ بالتعظيمِ بالقولِ والاعتقادِ. أي لا ترفعوا المخلوق عن منزلته التي أنزله الله، فَتُنزلوه المنزلةَ التي لا تنبغي إلا لله، والخطابُ -وإن كانَ لأهلِ الكتابِ- فإنه عامٌ يتناولُ جميعَ الأمةِ؛ تحذيراً لهم أن يفعلوا بنبيهم ﷺ فعلَ

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٤٦٧).

النصارى في عيسى، واليهودُ في عُزيرٍ، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد]، ولهذا قال النبيُّ ﷺ: «**لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُه**»[1].

حذَّر النبيُّ ﷺ منْ أن نرفَعَه من منزلةِ العبوديةِ إلى منزلةِ الربوبيةِ والألوهيةِ؛ كما فعلَ النصارى في عيسى ابنِ مريم. فكلُّ مَنْ دعا نبياً أو ولياً من دونِ الله فقد اتخذه إلهاً، وضاهى النصارى في شركِهم، وضاهى اليهودَ في تفريطِهم، فإنَّ النصارى غَلَوا في عيسى عليه السلام، واليهودُ عادَوْه وسبُّوه وتَنَقَّصوه، فالنصارى أفرطوا واليهودُ فرَّطوا. قال تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ﴾ [المائدة:٧٥]. ففي هذه الآية وأمثالها الردُّ على اليهود والنصارى.

وقالَ ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ**»[2].

أما سمعتم من يقولُ من جَهَلةِ المسلمينَ: يا محمدُ أمطِر علينا المطرَ! يا عليّ أنزلْ علينا الرحمةَ! فماذا تركوا لربِّ العالمين!

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٤٤٥)، وأحمد (١/ ٤٧) واللفظ لأحمد.

(٢) **صحيح**: رواه النسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وأبو يعلى (٢٤٢٧)، [«السلسلة الصحيحة»(١٢٨٣)].

فإِنَّ الذي يُنزلُ المطرَ، والذي يرحَمُ العباد هو الله تبارَك وتعالى وحدَه.

اللهمَّ قد بلغت، اللهمَّ فاشهد، اللهمَّ قد بلغت، اللهمَّ فاشهد، اللهمَّ قد بلغت، اللهمَّ فاشهد.

اللهمَّ ردَّ المسلمين إلى دينك رداً جميلاً.

١٥

عليٌّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه

ثانياً: مواقفُ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه في حياةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم.

عبادَ الله! موعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ الله تعالى- مع .. مواقفِ أميرِ المؤمنين عليِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه في حياةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم:

الموقفُ الأولُ: إسلامُه رضي الله عنه:

كان عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه يتربى في حِجرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فلما بُعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم دعا علياً إلى الإسلامِ؛ فأسلمَ فكانَ رضي الله عنه أولَ مَنْ أسلمَ من الغلمانَ، وأبو بكر أولَ مَنْ أسلمَ من الرجالِ.

عن زيدِ بنِ أرقمَ قال: (أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مَعَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: فَذَكَرْت ذَلِكَ لِلنَّخَعِيِّ فَأَنْكَرَهُ، وَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مَعَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم)[1].

الموقفُ الثاني: عندما تُوفي والدُه أبو طالبٍ على الشرك:

أبو طالبٍ عمُّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، ووالدُ عليِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه. حَرِصَ النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يموتَ عمُّه على الإسلامِ، فقال له عندَ الموت: يا عم! قلْ: لا إلهَ إلا الله، فقالَ له أبو جهل: أترغبُ عن ملةِ عبدِ المطلبِ، فماتَ أبو طالبٍ على الشركِ.

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٣٧١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٩١٠)، [«صحيح السيرة» (١١٨)].

يقولُ عليُّ بنُ أبي طالب ﷺ قلتُ للنبيِّ ﷺ: (إِنَّ عَمَّكَ الشَّيْخَ الضَّالَّ قَدْ مَاتَ فقَالَ ﷺ: «**اذْهَبْ فَوَارِ أَبَاكَ، ثُمَّ لاَ تُحْدِثَنَّ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي**» فَذَهَبْتُ فَوَارَيْتُهُ، وَجِئْتُهُ فَأَمَرَنِي فَاغْتَسَلْتُ، وَدَعَا لِي)[1].

الموقفُ الثالثُ: عندَ هجرةِ النبيِّ ﷺ:

لما قررتْ قريشٌ قتلَ رسولِ الله ﷺ أذنَ اللهُ لرسولِهِ بالهجرةِ إلى المدينةِ، ذهبَ رسولُ الله ﷺ إلى أبي بكرٍ يخبرُه أنَّ اللهَ أذنَ له بالهجرةِ، فقامَ النبيُّ معَ أبي بكرٍ بالإعدادِ الدقيقِ للهجرةِ المباركةِ، وأمر النبيُّ ﷺ علياً أن ينامَ في فراشِه تلكَ الليلةَ، وخرجَ النبيُّ ﷺ وأبو بكرٍ إلى الغارِ، ووقفَ شبابُ قريشٍ أمامَ دارِ النبيِّ ﷺ ليقتلوه.

وفي الصباحِ كانتِ المفاجأةُ أنْ خرجَ عليهم عليُّ بنُ أبي طالبٍ ﷺ، فَجُنَّ جنونُهم، وطارَتْ عقولُهم، وأخذوا يبحثونَ هنا وهناك عن رسولِ الله ﷺ وأبي بكرٍ الصديق، حتى أنهم وصلوا إلى الغارِ الذي بداخله رسولُ الله ﷺ وأبو بكرٍ، وحتى أنَّ أبا بكر قالَ: يا رسولَ الله! لو نظرَ أحدُهم تحتَ قدَميه لرآنا، فقالَ له النبيُّ ﷺ: يا أبا بكرٍ ما ظَنُّكَ باثنين اللهُ ثالثُهما، وقال له: يا أبا بكر لا تحزَنْ؛ إنَّ اللهَ معنا.

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٢١٤)، و النسائي (٢٠٠٦)، وأحمد (١/ ١٣١)، [«السلسلة الصحيحة» (١٦١)].

الموقفُ الرابعُ: في غزوةِ بدرٍ الكبرى:

١- في الطريقِ إلى بدرٍ لم يكن معهم من الخيلِ إلا فَرَسان،

فرسٌ للمِقدادِ بنِ الأسودِ، وفرسٌ للزبيرِ بنِ العوام، وكان معهم سبعونَ بعيراً يعتقبُ الرجلان والثلاثةُ على البعيرِ الواحدِ، حتى رسولُ الله ﷺ كانَ له زميلان يعتقبان معه بعيراً.

يقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ كُلُّ ثَلاَثَةٍ عَلَى بَعِيرٍ، كَانَ أَبُو لُبَابَةَ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ زَمِيلَيْ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: وَكَانَتْ عُقْبَةُ رَسُولِ الله ﷺ -أي: دورهُ ليَمْشيَ- فَقَالاَ نَحْنُ نَمْشِي عَنْكَ يا رسولَ الله -ليظلَّ راكباً- فَقَالَ ﷺ: «**مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى** -أي على الْمشي- **مِنِّي، وَلاَ أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الأَجْرِ مِنْكُمَا**»)[1].

٢- في أرضِ المعركة:

التقى الجمعانِ جيشُ الكفرِ وجيشُ الإسلامِ.

يقول عليٌّ رضي الله عنه: (تَقَدَّمَ يَعْنِي عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَتَبِعَهُ ابْنُهُ الوليدُ وَأَخُوه شيبةُ بنُ ربيعة، فَنَادَى مَنْ يُبَارِزُ؟ فَانْتَدَبَ لَهُ شَبَابٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: لاَ حَاجَةَ لَنَا فِيكُمْ إِنَّمَا أَرَدْنَا بَنِي عَمِّنَا.

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (١/ ٤١١)، والنسائي في «الكبرى» (٨٨٠٧)، والطيالسي (٣٥٤)، [«السلسلة الصحيحة»(٢٢٥٧)].

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قُمْ يَا حَمْزَةُ، قُمْ يَا عَلِيُّ، قُمْ يَا عُبَيْدَةُ بْنَ الْـحَارِثِ**» فقام حَمْزَةُ إِلَى عُتْبَةَ، وَقمتُ إِلَى شَيْبَةَ، وَقامَ عُبَيْدَةُ إلى الْوَلِيدِ، فقتل حمزةُ عتبةَ، وقتلتُ شيبةَ، وأما الوليدُ وعبيدةُ فاختلفا ضَرْبَتَينِ فَأَثْخَنَ كُلُّ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، ثُمَّ مِلْنَا عَلَى الْوَلِيدِ فَقَتَلْنَاهُ، وَاحْتَمَلْنَا عُبَيْدَة)[1].

عن قيسِ بنِ عباد قال: (سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ يُقْسِمُ قَسَمًا؛ إِنَّ هَـذِهِ الآيَـةَ ﴿**هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ**﴾ [الحج:١٩] نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ بَرَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ: حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ وَعُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ وَعُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدُ بْنِ عُتْبَةَ)[2].

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ في الفتح (٧/ ٢٩٨): (فيه فضيلةٌ ظاهرةٌ لحمزةَ وعليٍّ وعبيدةُ بن الحارثِ رضي الله عنه)[3].

الموقفُ الخامسُ: في صلحِ الحديبية:

عن البراءِ رضي الله عنه قال: (لَـمَّا اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ذِي الْقَعْدَةِ فَأَبَى أَهْلُ مَكَّـةَ أَنْ يَدَعُوهُ يَدْخُلُ مَكَّةَ، حَتَّى قَاضَاهُمْ عَلَى أَنْ يُقِيمَ بِهَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، فَلَـمَّا كَتَبُوا الْكِتَابَ، كَتَبُوا: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله. قَالُوا: لاَ نُقِرُّ بِهَذَا، لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ الله مَا مَنَعْنَاكَ شَيْئًا، وَلَكِنْ أَنْتَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله، فَقَالَ: «**أَنَا رَسُولُ الله، وَأَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِ الله**» ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ: «**امْحُ رَسُولَ الله؛ أي: امحُ هـذه الكلمـة الْـمكتوبةَ في**

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٦٦٥)، والبيهقي في السنن (٩/ ١٣١)، [«صحيح سنن أبي داود»(٢٣٩٢)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٩٦٩)، ومسلم (٣٠٣٣) واللفظ للبخاري.

(٣) **متفق عليه** : رواه البخاري (٣٧٥١)، ومسلم (٣٠٣٣).

الكتابِ» قَالَ عَلِيٌّ: لاَ وَالله لاَ أَمْحُوكَ أَبَدًا، فَأَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ الْكِتَابَ وَلَيْسَ يُحْسِنُ يَكْتُبُ، فَكَتَبَ هَذَا مَا قَاضَى مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله: لاَ يُدْخِلُ مَكَّةَ السِّلاَحَ إِلَّا السَّيْفَ فِي الْقِرَابِ، وَأَنْ لاَ يَخْرُجَ مِنْ أَهْلِهَا بِأَحَدٍ إِنْ أَرَادَ أَنْ يَتْبَعَهُ، وَأَنْ لاَ يَمْنَعَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَدًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُقِيمَ بِهَا، فَلَمَّا دَخَلَهَا وَمَضَى الأَجَلُ أَتَوْا عَلِيًّا فَقَالُوا: قُلْ لِصَاحِبِكَ: اخْرُجْ عَنَّا فَقَدْ مَضَى الأَجَلُ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ...) الحديث[1].

وللنسائيِّ من طريقِ علقمةَ بنِ قيسٍ عن عليٍّ رضي الله عنه قال: (كُنْتُ كَاتِبَ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ، فَكَتَبَ: هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله، فَقَالَ سُهَيْلٌ: لَوْ عَلِمْنَا أَنَّهُ رَسُولُ الله مَا قَاتَلْنَاهُ، امْحُهَا. فَقُلْتُ: هُوَ وَالله رَسُولُ الله ﷺ وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُكَ، لاَ وَالله لاَ أَمْحُوهَا)[2].

الموقفُ السادسُ: في غزوةِ خيبرَ:

قال رسولُ الله ﷺ يومَ خيبر: «**لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلاً يَفْتَحُ الله عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ الله وَرَسُولُهُ**» قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا؟ فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا؟ فَقَالَ ﷺ: «**أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟**» فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ الله يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ الله ﷺ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٢٥١).

(٢) رواه النسائي في «الكبرى» (٨٥٧٦).

فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ! أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟

فَقَالَ: «**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ -أي: يحذِّرهم من غَدرِ وخيانـةِ اليهودِ- ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ؛ فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**»[1].

وخرج عليُّ بـنُ أبي طالـبٍ إلى حـصونِ خيـبرَ ليفتحَهـا، فلـما وصـلَ إلى أولِ حصنٍ؛ خرجَ إليه مرحبُ وهو مَلِك اليهودِ والذي يُعدُّ فيهم بالألفِ، وأخذ يخطِرُ بسيفه -أي يرفعُه مرةً ويضعُه أخرى- ويقول:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ

شَاكِي السِّلَاحِ[2] بَطَلٌ مُجَرَّبُ[3]

إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

فخرج له علي فقال -وهذا هو الشاهد-

أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ -وحيدرةُ اسمٌ للأسد-

كَلَيْثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ الْـمنْظَرَهْ

أُوفِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ -أي: اقتل الأعداءَ قتلاً واسعاً ذريعاً-

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦) واللفظ للبخاري.

(٢) أي تامِّ السلاح.

(٣) أي مجرب بالشجاعة وقهر الفرسان.

قَالَ: فَضَرَبَ رَأْسَ مَرْحَبَ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ كَانَ الْفَتْحُ عَلَى يَدَيْهِ، فدبَّ الرعبُ في قلوبِ اليهودِ)[1].

الموقفُ السابعُ: في فتحِ مكةَ:

لما عزمَ رسولُ الله ﷺ على غزو قريشٍ ودخولِ مكة وتجهزَ لذلك، وأمرَ أصحابَه فتجهزوا، بادرَ حاطبُ بنُ أبي بلتعةَ رضي الله عنه بالكتابةِ إلى قريشٍ يخبرُهم ببعضِ خبرِ رسولِ الله ﷺ، إلا أنَّ الوحيَ من السماءِ كانَ إلى رسولِ الله ﷺ أسبقَ منَ الكتابِ إلى قريشٍ، فبعثَ رسولُ الله ﷺ منْ أصحابِه مَنْ أتاهُ بهذا الكتابِ الذي بُعِثَ إلى قريشٍ.

عباد الله! تعالوا بنا لنستمعَ إلى عليِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه وهو يخبرُنا الخبرَ لأنه هو الذي قامَ بهذه المهمة الصعبةِ مع بعضِ الصحابةِ.

يقولُ عليٌّ رضي الله عنه (بَعَثَنِي رَسُولُ الله ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرُ وَالْمقْدَادُ بْنُ الأَسْوَدِ فقَالَ ﷺ: «**انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ -مكانٌ بينَ مكة والْمدينةِ وهو إلى الْمدينة أقرب- فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ من حاطبٍ فأتوني به**».

قال عليٌّ: فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةِ خاخٍ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ؛ فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ الله ﷺ فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نفرٍ من قريشٍ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ الله ﷺ.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٠٧).

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « **مَا هَذَا يَا حَاطِبُ ؟** »

قَالَ: يَا رَسُولَ الله! لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ! ما فعلتُه كفراً بعدَ الإسلامِ ولا ردَّةً عن الدينِ بعدَ إذ هداني الله إليه، ولكني كُنْتُ امْرَءًا مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ ما مِنْ أحدٍ من أصحابك إلا له أهلٌ من قريشٍ يَحْمُونَ ماله وأهله، فَأَردتُ إن فاتني ذلك من النسبِ ؛ أن أتخذَ بهذا الكتاب عندهم يداً يحمونَ بها أهلي ومالي.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إنه قد صَدَقَكُمْ**».

فقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه : يَا رَسُولَ الله دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْـمنَافِقِ، فقَالَ ﷺ: «**يا عمرُ أوليس شَهِدَ بَدْرًا؟ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ الله اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»[1].

الموقفُ الثامنُ: في غزوةِ تبوك:

في يوم الخميسِ من شهرِ رجبٍ منَ السنةِ التاسعةِ للهجرةِ خرج رسولُ الله ﷺ منَ المدينة قاصداً غزوَ الروم، واستخلفَ على المدينةِ محمدَ بنَ مسلمةَ رضي الله عنه، وخَلَّفَ علياً رضي الله عنه على أهله فناله المنافقون بألسنتهم، قالوا: ما خلَّفه إلا استثقالاً له وتخففاً منه، فسمعها عليٌّ فأخذَ سلاحَه وانطلقَ يعدو خلفَ رسولِ الله ﷺ حتى أتاهُ. فقال: يَا رَسُولَ الله! قال الْـمنَافِقونَ: إِنَّمَا خَلَّفْتَنِي اسْتِثْقَالاً لِي، وتخففاً

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) واللفظ للبخاري.

مني، فَقَالَ ﷺ: «**كذبوا كذبوا، ارجع فَاخْلُفْني في أهـلي وأهلِـكَ، أَمَـا تَـرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي** »[1].

وفي رواية البخاري: قَالَ يَا رَسُولَ اللهِّ: تُخَلِّفُنِي فِي النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟ فَقَـالَ: « **أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»[2].

اللهمَّ ردَّ المسلمين إلى دينهم رداً جميلاً.

(١) بهذا اللفظ رواه البزار (١١٩٤)، وابن أبي عاصم في « السنة » (١٣٣١).

(٢)**متفق عليه**: رواه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤) واللفظ له.

١٦

عليٌّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه

ثالثاً: فتنةُ الخوارجِ ومقتلُ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عز وجل في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب]. وهؤلاءِ الرجالُ هم أصحابُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، قومٌ اختارَهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّه ونصرةِ دينِه.

يقولُ الإمامُ الطحاويُّ رحمه الله تعالى في عقيدةِ أهلِ السنةِ والجماعةِ: (ونحبُّ أصحابَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ولا نُفرِّطُ في حُبِّ أحدٍ منهم ولا نتبرأُ من أحدٍ منهم، ونُبغضُ مَن يُبغضُهم، وبغيرِ الخيرِ يذكُرهم، ولا نذكُرهم إلا بخير، وحبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان، ونثبتُ الخلافةَ بعدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أولاً لأبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه تفضيلاً له وتقديماً على جميعِ الأمةِ، ثم لعمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه، ثم لعثمانَ رضي الله عنه، ثم لعليِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه، وهمُ الخلفاءُ الراشدونَ، والأئمةُ المهديون)[1].

وحديثُنا في هذا اليومِ -إنْ شاء الله تعالى- سيكونُ عن فتنةِ الخوارجِ، ومقتلِ أميرِ المؤمنين عليِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه.

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٤٦٧).

وسيكون حولَ العناصرِ التاليةِ:

العنصرُ الأولُ: موقفُ المؤمنِ مِنَ الفتنِ عامةً، ومما وقعَ بينَ الصحابةِ خاصةً.

العنصرُ الثاني: الخوارجُ والشبهاتُ التي تعلقوا بها، والردُّ عليها.

العنصرُ الثالث: قتلوه قتلَهمُ اللهُ.

العنصرُ الأولُ: موقفُ المؤمنِ مِنَ الفتنِ عامةً ومما وقعَ بينَ الصحابةِ خاصةً:

أخبرَ النبيُّ ﷺ عن فتنٍ ستقعُ بعدَه، كقطعِ الليلِ المظلمِ، تموجُ بالناسِ موجَ البحرِ، يصبحُ الرجلُ مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبحُ كافراً، يبيع دينَه بعرَضٍ من الدنيا، يمرُّ الرجلُ على قبرِ الرجلِ يتمنى أن يكونَ مكانه.

قال ﷺ: «**تَكُونُ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْـمظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ أَقْوَامٌ دِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**»(١).

وقال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَتَلَ، وَلَا يَدْرِي الْـمقْتُولُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قُتِلَ**»(٢).

وقال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْقَبْرِ، فَيَتَمَرَّغَ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ، وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلَّا الْبَلَاءُ**»(٣). أي من شدةِ البلاءِ والفتنِ.

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٢١٩٧)، والحاكم (٨٣٥٥)، [«السلسلة الصحيحة» (٨١٠)].

(٢) **صحيح**: رواه أبو هريرة (٢٩٠٨).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٥٧).

يُبينُ لنا رسولُ الله ﷺ ما يجبُ على المسلمِ إذا نزلتِ الفتنُ، وماجت بالناس موجَ البحرِ. المطلوبُ من المؤمنِ إذا نزلتِ الفتنُ أن لا يكونَ رأساً فيها، وأن لا يشاركَ فيها بسلاحٍ أو بلسانٍ أو بيدٍ.

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«سَتكُونُ فِتَنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فيها خَيْرٌ مِنَ الْـماشِي، وَالْـماشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، فَمَنْ وَجَدَ فيها مَلْجَأً، أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِه»**[1].

قال الحافظُ ابنَ حجرٍ: (ففي الحديثِ تحذيرٌ من الفتنةِ والحثُّ على اجتنابِ الدخولِ فيها، وأن شرَّها يكون بحسَبِ التعلقِ بها)[2].

وعن أبي بَكْرةَ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«إِنَّهَا سَتكُونُ فِتَنٌ، أَلَا ثُمَّ تكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْـماشِي فِيهَا، وَالْـماشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنْ السَّاعِي إِلَيْهَا، أَلَا فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ»**.

فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله! أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ وَلَا أَرْضٌ، قَالَ ﷺ: **«يَعْمَدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّه عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ، ثُمَّ لِيَنْجُ إِنْ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ»**[3].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٧٠٨٢)، ومسلم (٢٨٨٦) واللفظ للبخاري.

(٢) «فتح الباري» (١٣/ ١٣).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٨٧).

وقال ﷺ في الفتنة: «**كَسِّرُوا فِيهَا قِسِيَّكُمْ، وَقَطِّعُوا فِيهَا أَوْتَارَكُمْ، وَالزَمُوا فِيهَا أَجْوَافَ بُيُوتِكُمْ، وَكُونُوا كَابْنِ آدَمَ**»[1]. -أي هابيل- المقتولُ. فالواجبُ على المسلمِ أن يعتزلَ الفتنَ، وأن لا يشاركَ فيها، وأن لا يكونَ رأساً فيها.

وأما ما يجبُ على المسلمِ تجاهَ ما وقعَ بينَ الصحابةِ ﭫ: فعليه أن يمسكَ لسانه، لأن الصحابةَ ﭫ في ذلك بين مجتهدٍ مصيبٍ فله أجران، ومجتهدٍ مخطئ فله أجرٌ واحدٌ، ونقولُ رضي الله عنهم جميعاً. فإن ذُكِرَ أمامَ المسلمِ عليّ فَلْيَقُلْ رضي الله عنه وإذا ذُكرَ له أبو بكرٍ فَلْيَقُلْ رضي الله عنه وإذا ذُكِرَ مُعاويةَ فَلْيَقُلْ رضي الله عنهم جميعاً. ولما سُئل عليٌّ ﭬ عن قتلى يوم صفينَ قال: (قَتْلاَنَا وَقَتْلاَهُمْ فِي الْجَنَّةِ)[2].

وقال عليُّ بنُ أبي طالبٍ ﭬ: (إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ من الذين قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر])[3].

فالواجبُ على المسلمِ أن يسلكَ في اعتقادِه فيما حصلَ بينَ الصحابةِ الكرامِ ﭫ مسلكَ الفرقةِ الناجيةِ أهلِ السنةِ والجماعةِ، وهو الإمساكُ عما حصلَ بينهم

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٢٠٤) و أبو داود (٤٢٥٩) وابن ماجه (٣٩٦١)، وأحمد (٤/٤٠٨)، واللفظ للترمذي [«صحيح الجامع» (١٢٢١)].

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٨٨٠).

(٣) رواه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٢٩٩).

ﷺ، ولا يخوضُ فيه إلا بما هو لائقٌ بمقامهم، ومنْ أقوالِ أهلِ السنة والجماعة فيما وقعَ بين الصحابةِ من الحروب.

١- سُئل عمرُ بنُ عبدالعزيزِ عن القتالِ الذي حصلَ بينَ الصحابةِ، فقال: (تِلْكَ دِمَاءٌ طهَّرَ اللهُ يَدَيَّ منْهَا، أفلا أُطهِّرُ منها لساني، مَثَلُ أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ مثلُ العيونِ، ودواءُ العيونِ تركُ مَسِّها)[١].

٢- وقيل للإمام أحمدَ: ما تقولُ فيما كانَ بين عليٍّ ومعاويةَ رضي الله عنهما قال: ما أقولُ فيهم إلا الحسنى[٢].

٣- وسأل رجلٌ الإمامَ أحمدَ بنَ حنبلَ عما جرى بين عليٍّ ومعاوية رضي الله عنهما فقرأ: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [البقرة][٣].

٤- وقال الإمامُ النوويُّ -رحمه الله تعالى- عند قولِه ﷺ: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتلُ والمقتولُ في النارِ**»: (واعلمْ أنَّ الدماءَ التي جرت بينَ الصحابةِ رضي الله عنهم ليستْ بداخلةٍ في هذا الوعيدِ، ومذهبُ أهلِ السنةِ والحقِّ إحسانُ الظنِّ بهم، والإمساكُ عما شجرَ بينهم، وتأويلُ قتالهم، وأنهم مجتهدون

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٥/ ٣٩٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١١٤)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٩٠٩).

(٢) «مناقب الإمام أحمد»، لابن الجوزي (ص١٦٤).

(٣) «مناقب الإمام أحمد»، لابن الجوزي (ص ١٢٦).

متأوِّلون؛ لم يقصدوا معصيةً، ولا محضَ الدنيا، بل اعتقدَ كُلُّ فريقٍ أنه المُحِقُّ ومخالفُه باغٍ، تَوجَّبَ عليه قتالُه ليرجعَ إلى أمرِ اللهِ، وكان بعضُهم مُصيباً، وبعضُهم مخطئاً معذوراً في الخطأ)[1].

٥- وقال شيخُ الإسلامِ ابن تيميَة رحمه الله تعالى في صددِ عَرضه لعقيدةِ أهلِ السنةِ والجماعةِ فيما شجرَ بينَ الصحابةِ: (ويُمسكونَ عما شجَرَ بينَ الصحابةِ ويقولون: إنَّ هذه الآثارَ المرويةَ في مساويهم منها ما هو كذبٌ، ومنها ما قد زيد فيه ونُقِصَ وغُيِّر عن وجههِ، والصحيحُ منه: هم فيه معذورون؛ إما مجتهدون مصيبونَ، وإما مجتهدون مخطئون)[2].

٦-وقال الحافظُ ابنُ حجرٍ رحمه الله تعالى حاكياً للإجماعِ على وجوبِ المنعِ من الطعنِ على واحدٍ من الصحابة بسببِ ما حصلَ بينهم، ولو عُرفَ المحِقُّ منهم حيثُ قال: (واتفقَ أهلُ السنة على وجوبِ منعِ الطعن على أحدٍ من الصحابةِ بسببِ ما وقع لهم من ذلك ولو عُرِف المحقُّ منهم؛ لأنهم لم يقاتلوا في تلكِ الحروبِ إلا عن اجتهاد، بل ثبتَ أنه يُؤْجَر أجراً واحداً، وأن المصيبَ يؤجرُ أجرَين)[3].

فالواجبُ على المسلمِ نحوَ ما وقعَ بين الصحابةِ أن يسلكَ سبيلَ أهلِ السنةِ والجماعة الذي بَيَّنَهُ الله في كتابهِ. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ -أي:

(١) «شرح النووي» (١٨/ ١١).

(٢) «العقيدة الواسطية مع شرح محمد خليل هراس» (ص١٧٣).

(٣) «فتح الباري» (١٣/ ٣٤).

من بعدِ الصحابة رضي الله عنهم - ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر].

• وقد جاءتِ الأدلةُ تُحَرِّمُ سبَّ الصحابةِ رضي الله عنهم منها:

١- قولُه تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ووجهُ دلالةِ الآيةِ على تحريمِ سَبِّهم؛ أنَّ اللهَ تعالى رضي عنهم مطلقاً .. والرضى من الله صفةٌ قديمةٌ فلا يرضى إلا عن عبدٍ عَلِمَ أنه يوافيه على موجباتِ الرضى، ومَنْ رضي اللهُ عنه لم يَسْخط عليه أبداً.

٢- وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب].

ووجهُ دلالة الآيةِ على تحريمِ سبِّ الصحابةِ رضي الله عنهم لأنهم في صدارةِ المؤمنين، فإنهم المواجَهون بالخطابِ، فمن سَبَّهم أو كفّرهم فقد توعَّده الله بالعذابِ المهينِ.

وقد دلتِ السنةُ النبويةُ المطهرةُ على تحريمِ سبِّ الصحابة، أو التعرضِ لهم بما فيه نقصٌ:

١- قالَ ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»[1].

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٧٣) من حديث أبي سعيد الخدري، ورواه مسلم (٢٥٤٠) من حديث أبي هريرة واللفظ لمسلم.

وقال ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي..**»[1].

٢- وقال ﷺ: «**مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْـملائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِـينَ**»[2].

فأبشروا يا من تسبون أصحابَ رسولِ الله ﷺ بلعنـةِ اللهِ والملائكـةِ والنـاسِ أجمعينَ إلى يومِ القيامة.

٣- وقال ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي**»[3].

٤- وقال ﷺ: «**سِبَابُ الْـمسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»[4].

٥- وقال ﷺ: «**إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَتِ النُّجُـومُ فَأَمْـسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا**»[5].

فهذه أدلةٌ تبينُ أنَّ سبّ الصحابةِ من أكبرِ الكبـائرِ وأفجـرِ الفجـورِ، وأنَّ مـن ابتُلي بذلكَ فهو منَ الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يَحسبون أنهم يُحـسنون صُنعاً.

العنصرُ الثاني: الخوارجُ والشبهاتُ التي تعلقوا بها، والردُّ عليها:

الخوارجُ فرقةٌ ضالةٌ أخبرَنا عنها رسولُ اللهِ ﷺ وحَذَّرنا منها ووصفهم لنا:

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٤١).

(٢) **حسن**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٢٧٠٩)، [«السلسلة الصحيحة»(٢٣٤٠)].

(٣) **حسن**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٢٧٠٩)، [«صحيح الجامع»(٥١١١)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤).

(٥) **صحيح لغيره**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٤٢٧)، [«السلسلة الصحيحة»(٣٤)].

يقولُ أبو سعيدٍ الخدريُّ رضي الله عنه: (بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ، وَهْوَ يَقْسِمُ قِسْمة، إذ أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ -وَهوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! اعْدِلْ، فَقَالَ ﷺ: «**وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ**».

فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله! ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ. فَقَالَ ﷺ: «**دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ..**» الحديث[1].

وقال ﷺ: «**يَخْرُجُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ -وَلَمْ يَقُلْ مِنْهَا- قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاَتَكُمْ مَعَ صَلاَتِهِمْ، فَيَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حُلُوقَهُمْ -أَوْ حَنَاجِرَهُمْ- يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»[2].

فهذه أدلةٌ فيها ذمٌّ واضحٌ لفرقةِ الخوارجِ، وقد وصفهمْ ﷺ بأنهم طائفةٌ مارقةٌ، وأنهم يتشددون في الدين في غيرِ موضعِ التشديد، وأنهم يبالغون في الصلاةِ وقراءةِ القرآن لكنهم لا يقومون بحقوقِ الإسلامِ، وهم يقاتلون أهلَ الحقِّ، وأهلُ الحقِّ يقاتلونهم.

ومن صفاتهمُ الذميمةِ التي ذمَّهم بها رسولُ الله ﷺ؛ أنهم ليس لهم من الإيمانِ إلا مجردُ النطقِ به، وأنهم أصحابُ عقولٍ رديئةٍ وضعيفةٍ، وأنهم عندما يقرءون القرآنَ يظنون -لشدة ما بلغوا إليه من سوءِ الفهم- أنه لهم، وهو عليهم.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) واللفظ للبخاري.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٩٣١)، ومسلم (١٠٦٤).

يقول عليٌّ رضي الله عنه سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقـول: «سَـيَخْرُجُ فِي آخِـرِ الزَّمَـانِ؛ أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ -في الفتح لابن حجر (صغارُ السنِّ شبابٌ)- سُـفَهَاءُ الأَحْـلاَمِ -أي: ضعفاءُ العقولِ- يَقُولُونَ مِنْ خَـيْرِ قَـوْلِ الْبَرِيَّـةِ -أي: مـن القـرآنِ، وكـانَ أولَ كلمةٍ خرجوا بها قولُهم: لا حكَـم إلا لله، وانتزعوهـا مـن القـرآنِ، وحملوهـا على غيرِ محملها- لاَ يُجَاوِزُ إِيمانُهم حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ الـسَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»[1].

ومن صفات الخوارجِ الذميمةِ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أخـبر أنهـم مـن شرِّ الخلـقِ والخليقةِ.

قال ﷺ: «**إنّ ناساً مـن أمتـي سـيماهمُ التحليـقُ، يقـرءون القـرآن لا يجـاوزُ حلوقَهم، يمرقون من الدينِ -أو من الإسلام- كما يمرقُ السهمُ مـن الرميـة، هـم شرُّ الخلقِ والخليقةِ**»[2].

ومن صفاتِ الخوارجِ القبيحةِ، التي كانت ذمـاً وعـاراً مُـشيناً للخـوارج، أنَّ الرسولَ ﷺ حرِصَ على قتلهم إن هم ظهروا، وأخبرَ عليه الصلاةُ والـسلامُ أنـه لو أدرَكهم لأبادهم بالقتلِ، إبادةَ عادٍ وثمود، وأخبرَ عليه الصلاةُ والسلامُ بأن مَنْ قتلهم له أجرٌ عندَ اللهِ تعالى يومَ القيامة.

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦) واللفظ لمسلم.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٦٧)، والطيالسي (٤٤٨) واللفظ له.

قال ﷺ: «**إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كما يمُرقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَاد**»(1).

قال ﷺ: «**يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لاَ يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ؛ فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْراً لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(2).

ووصفَهُمُ النبيُّ ﷺ بأنهم كلابُ النارِ؛ قال ﷺ: «**الْـخَوَارِجُ كِلاَبُ النَّارِ**»(3).

• بعد قضيةِ التحكيمِ التي كانت بين عليِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه ومعاويةَ رضي الله عنه، تعلقَ الخوارجُ ببعضِ الشبهات الباطلةِ، فذهبَ إليهم عبدُ الله بنُ عباسٍ رضي الله عنهما وردّها عليهم فرجعَ مَنْ رجع منهم وبقيَ من بقي منهم في ضلالهِ.

فتعالَوا إلى ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما يخبرُنا الخبرَ.

يقولُ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (لما خرَجتِ الحَرورية -وهمُ الخوارج- اعتزلوا في دارهِم وكانوا ستةَ آلافٍ. فقلتُ لعليٍّ رضي الله عنه: يا أميرَ المؤمنين أبردْ بالظهرِ لَعلي آتي هؤلاءِ القومِ فأُكلِّمَهم، قالَ: إني أخافُ عليكَ، قلتُ: كلا.

(1) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٤٣٢)، ومسلم (١٠٦٤) واللفظ للبخاري.

(2) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٩٣٠)، ومسلم (١٠٦٦) واللفظ للبخاري.

(3) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٧٣)، وأحمد (٤/ ٣٥٥) من حديث ابن أبي أوفى، ورواه الترمذي (٣٠٠٠) وأحمد (٥/ ٢٥٠) من حديث أبي أمامة [«صحيح الجامع»(٣٣٤٧)].

قال: فقمتُ وخرجتُ ودخلتُ عليهم في نصفِ النهارِ، وهم قائلونَ فسلمتُ عليهم، فقالوا: مرحباً بكَ يا ابنَ عباسٍ فما جاءَ بكَ؟

قلتُ لهم: أتيتكُمْ مِن عندِ أصحابِ رسولِ الله ﷺ وصهرِه، وعليهم نزلَ القرآنُ، وهم أعلمُ بتأويلِهِ منكم، وليسَ فيكم منهم أحدٌ؛ لأبلغَكُم ما يقولون وتخبروني بما تقولون.

قلت: أخبروني ماذا نَقِمتم على أصحابِ رسولِ الله ﷺ وابنِ عمِّه؟

قالوا: ثلاثٌ. قلتُ: وما هنَّ؟

قالوا: أما إحداهنَّ فإنه حكَّمَ الرجالَ في أمرِ الله، وقال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٥٧]، ما شأنُ الرجالِ والحكمُ؟ فقلتُ هذه واحدةٌ.

قالوا: وأما الثانية فإنه قاتلَ ولم يسبِ ولم يغنمْ، فإنْ كانوا كفاراً سلَبهم، وإن كانوا مؤمنين ما أحلَّ قتالهم، قلتُ: هذه اثنانِ فما الثالثة؟

قالوا: إنه محى نفسَه عن أميرِ المؤمنينَ فهو أميرُ الكافرينَ.

قلتُ: هل عندكم شيءٌ غيرَ هذا؟ قالوا: حسبُنا هذا.

قلتُ: أرأيتُم إن قرأتُ عليكم من كتابِ الله، ومن سنةِ نبيِّه ﷺ ما يردُّ قولَكم أترضون؟ قالوا: نعم.

قلتُ: أما قولُكم حكَّم الرجالَ في أمرِ الله، فأنا أقرأُ عليكم في كتابِ الله؛ أن قد صيَّر اللهُ حكمَه إلى الرجالِ في ثَمنِ ربعِ درهَم، فأمرَ اللهُ الرجالَ أن يحكُموا فيه قال

تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ ﴾ [المائدة:٩٥]، فأنشدْتُكم بالله تعالى أحكمُ الرجالِ في أرنبٍ ونحوِها من الصيدِ أفضلُ، أم حكمُهم في دمائِهم وصلاحِ ذاتِ بينهِم، وأنتم تعلمونَ أنَّ الله لو شاءَ لحكَمَ ولم يُصيِّرْ ذلك إلى الرجال؟ قالوا: بل هذا أفضل.

وفي المرأةِ وزوجِها قال الله عز وجل: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ ﴾ [النساء:٣٥] فأنشدتُكُمْ بالله، حُكمُ الرجالِ في صلاحِ ذاتِ بينهِم، وحقنِ دمائِهم أفضلُ من حكمِهم في امرأةٍ؟ أخرجتُ من هذه؟ قالوا: نعم.

قلت: وأما قولُكم قاتلَ ولم يسبِ ولم يغنم، أَفتسْبُون أمَّكُم عائشةَ، وتستحِلُّون منها ما تستحلُّون منْ غيرها وهي أمُّكُم؟! فإن قلتم إنا نستحلُّ منها ما نستحلُّ من غيرها؛ فقد كفرتم، ولئن قلتم ليست بأمِّنا؛ فقد كفرتم؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾ [الأحزاب:٦]. فأنتم تدُورون بين ضلالتين، فَأْتوا منها بمخرج.

قلت: أخرجتُ من هذه؟ قالوا: نعم.

وأما قولُكم محى اسمَه من أميرِ المؤمنين، فأنا آتيكُم بمن ترضَوْن، وأراكم قد سمعتم أنَّ النبيَّ ﷺ يومَ الحديبيةِ صالحَ المشركين فقال لعليٍّ رضي الله عنه: اكتبْ هذا ما صالح عليه محمدٌ رسولُ الله ﷺ.

فقال المشركون: لا واللهِ ما نعلمُ أنك رسولُ الله ، لو نعلمُ أنك رسولُ الله لأطعناك فاكتبْ محمدُ بنُ عبدِ الله. فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**امحُ يا عليُّ رسولَ الله، اللهمَّ إنك تعلمُ أني رسولك، امحُ يا عليّ واكتبْ هذا ما صالَحَ عليهِ محمدُ بنُ عبدِ الله**» فوالله لرسولُ الله ﷺ خيرٌ من عليٍّ، وقد محا نفسَه ولم يكن محوُه ذلكَ يمحوه من النبوةِ.

خرجتُ من هذا؟ قالوا: نعم. فرجعَ منهم الفان وخرجَ سائرُهم -أي: على عليّ بن أبي طالب- فقُتِلوا على ضلالتِهم، فقتلهم المهاجرونَ والأنصار[1].

العنصر الثالث: قتلوه قتلهم الله:

ومن الملاحظِ أن التحكيمَ كان سبباً مباشراً في الخلافِ بين عليٍّ رضي الله عنه والخوارج، وقد انتهى أمرُهم إلى أن قاتلَهمْ فهزمهم في موقعةِ النَّهروان، وهزمهم هزيمةً نكراءَ، فبيتوا أن يقتلوه، فما أمكنهم إلا أن اغتالوه، فاستُشْهدَ رضي الله عنه في صلاة الفجرِ من يومِ الجمعةِ لسبعٍ بقينَ من شهرِ رمضانَ، حين طعنَه -أشقى الآخرين- عبدُ الرحمن بن مُلجم الخارجي، وكلَّفَ الخوارجُ مَنْ يقتلُ معاويةَ وعمرَو بن العاص فأخطأهما[2].

---

(١) **حسن**: رواه النسائي في «الكبرى» (٨٥٧٥)، والحاكم (٢٦٥٦)، وابن زنجويه في «الأموال»(٥١٦)، والبيهقي في السنن(٥/ ١٧٩)، [«الصحيح المسند من فضائل الصحابة» (٣٠٨)]

(٢) «تحقيق موقف الصحابة في الفتنة» (٢/ ٢٣٥).



عليٌّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه

رابعاً: مواعظُ أميرِ المؤمنين عليِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه

عباد الله! قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠]، وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح].

وقال ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي..**»[1] الحديث.

وقال ﷺ: «**مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْـملائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»[2].

وقال الإمامُ الطحاويُّ -رحمه الله تعالى- في عقيدةِ أهلِ السنةِ والجماعةِ: (ونحبُّ أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ ولا نفرطُ في حبِّ أحدٍ منهم ولا نتبرأُ من أحدٍ منهم، ونُبغضُ مَنْ يُبغضهم، وبغيرِ الخيرِ يذكرُهم ولا نذكرُهم إلا بخيرٍ، وحبُّهم

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٤١).

(٢) **حسن**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٢٧٠٩)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٣٤٠)].

دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان، ونُثبتُ الخلافةَ بعدَ رسولِ الله ﷺ أولاً لأبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه تفضيلاً له وتقديماً على جميعِ الأمةِ، ثم لعمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه، ثم لعثمانَ رضي الله عنه، ثم لعليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه، وهمُ الخلفاءُ الراشدونَ، والأئمةُ المهديون)[1].

وموعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- مع: مواعظِ أميرِ المؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه.

حبُّ الدنيا ونسيانُ الآخرةِ سببٌ لكلِّ شرٍّ؛ ولذلكَ كانَ أميرُ المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه يحذّرُ الناسَ في مواعظِهِ من حبِّ الدنيا، والركونِ إليها، ومن نسيانِ الآخرة.

أولاً: مواعظُه رضي الله عنه في التحذيرِ من فتنةِ الدنيا:

قيل لعليٍّ رضي الله عنه: (صفْ لنا الدنيا؟

قال: ما أصفُ من دارٍ أولها عناءٌ، وآخرها فناءٌ، وحلالُها حسابٌ، وحرامها عقابٌ، من استغنى بها فُتِنَ، ومنَ افتقرَ فيها حزن)[2].

وسُئِلَ رضي الله عنه عنِ الدنيا فقالَ: أطيلُ أم أَقْصر؟ فقيلَ: أقصِرْ، فقال: (حَلاَلُهَا حِسَابٌ، وَحَرَامُهَا عَذَابٌ؛ فَدَعُوا الْحَلاَلَ لِطُولِ الْحِسَابِ، وَدَعُوا الْحَرَامَ لِطُولِ الْعَذَابِ)[3].

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٤٦٧).
(٢) «الكامل» لابن المبرد(١/ ١٢٥)، وابن عبد ربه في «العقد الفريد»(٣/ ١٣٠).
(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (٢٦١)، والدينوري في المجالسة (٤٢١).

وصدقَ واللهِ! فقد قالَ رسولُ الله ﷺ: (**قُمْتُ عَلَى بَابِ الْـجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا الْـمَسَاكِينُ** -أي:الفقراءُ- **وَأَصْحَابُ الْجِدِّ** -أي: الحظِّ والغنى- **مَحْبُوسُونَ** -أي: للحساب- **غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ**)[1].

وقال ﷺ: «**يَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ الْـجَنَّةَ قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِمِائَةِ عَامٍ**»[2].

وذلك لأنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ**» منها: «**وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَا أَنْفَقَهُ**»[3].

وقال عليٌّ رضي الله عنه: (الدنيا جيفةٌ، مَن أرادها فليصبرْ على مخالطةِ الكلابِ)[4]. وصدقَ ! رضي الله عنه فإن النبيَّ ﷺ قال: «**الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرَ اللهِ تعالى، وَمَا وَالاَهُ، وَعَالِماً ومُتَعَلِّماً**»[5].

مَرَّ رسولُ الله ﷺ بالسوقِ، وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ -أي: جانبيه- فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟**» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «**أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟**» قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥١٩٦)، ومسلم (٢٧٣٦).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٥٣)، وابن ماجه (٤١٢٢)، وأحمد (٢/ ٤٥١)، [«صحيح الترغيب والترهيب»(٣١٨٩)].

(٣) **حسن لغيره**: رواه البزار (٢٦٤٠)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٦١)، [«صحيح الترغيب والترهيب»(١٢٧)].

(٤) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٣٨)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٤/ ٢٧).

(٥) **حسن**: رواه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٤)].

كَانَ عَيْبًا؛ إِنَّهُ أَسَكُّ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ! فَقَالَ ﷺ: «**فَوَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ**»(١).

وخطبَ أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه فقال: (أَلا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّمَا الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ، يَأْكُلُ مِنْهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَإِنَّ الْآخِرَةَ وَعْدٌ صَادِقٌ، يَحْكُمُ فِيهَا مَلِكٌ قَادِرٌ، ألا إِنَّ الشَّيْطَانَ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ [البقرة]

أَيُّهَا النَّاسُ! أَحْسِنُوا فِي أعمارِكُمْ، تُحْفَظُوا فِي أعقابِكُمْ؛ فَإِنَّ اللهَ وَعَدَ جَنَّتَهُ مَنْ أَطَاعَهُ، وَأَوْعَدَ نَارَهُ مَنْ عَصَاهُ، إِنَّهَا نَارٌ لا يَهْدَأُ زَفِيرُهَا، وَلا يُفَكُّ أَسِيرُهَا، وَلا يُجْبَرُ كَسِيرُهَا، حَرُّهَا شَدِيدٌ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَمَاؤُهَا صَدِيدٌ، وَإِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ، فإِنَّ اتِّبَاعَ الْهَوَى يَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وإِنَّ طُولَ الأَمَلِ يُنْسِي الآخِرَةَ)(٢).

وقال رضي الله عنه: (إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا اتَّخَذُوا الْأَرْضَ بِسَاطًا، وَالتُّرَابَ فِرَاشًا، وَالْمَاءَ طِيبًا، أَلَا مَنِ اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سلا عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ رَجَعَ عَنِ الْمُحرمَاتِ، ومن طلبَ الجنةَ سارعَ إلى الطاعاتِ، وَمَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا هَانَتْ عَلَيْهِ الْمصائب)(٣).

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٥٧).

(٢) رواه الدينوري في المجالسة (١٢٩٣) وعنه ابن عساكر (٤٢/ ٤٩٨).

(٣) رواه الدينوري في المجالسة (٢٧٧)، وابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (٢٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٧٩).

ثانياً: مواعظه رضي الله عنه في الموتِ وما بعدَ الموتِ:

ها هو أميرُ المؤمنين عليٌّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه يُـذكّرُ النـاسَ بـالموتِ ومـا بعـد الموتِ.

قال عليٌّ رضي الله عنه: أيها اللاهي الغارُّ بنفسه، كأني بك وقد أتاك رسولُ ربِّـك، لا يقرعُ لك باباً، ولا يهابُ لك حجاباً ولا يقبلُ منك بدلاً، ولا يأخـذُ منـك كفـيلاً، ولا يرحمُ لك صغيراً، ولا يوقرُ لك كبيراً حتى يُوديكَ إلى قعرٍ مظلمة، أرجاؤهـا موحشةٌ، كفعله بالأممِ الخاليةِ والقرونِ الماضيةِ.

أين مَن سعى واجتهدَ، وجمع وعَدَّد، وبنى وشيّد، وزخرفَ ونجَّدْ، وبالقليـل لم يقنعْ، وبالكثير لم يُمَتَّعْ؟ أين من قادَ الجنودَ، ونشر البنودَ؟ أضحوا رفاتاً تحت الثرى أمواتاً، وأنتم لِكأسهم شاربون، ولسبيلهم سالكون[1]. وصـدقَ رضي الله عنه فـإنَّ الله عـز وجـل يقـول لرسـوله ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزُّمَـر]، وجبريـلُ عليه السلام يقول لمحمدٍ ﷺ: «**يَا مُحَمَّدُ! عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ**»[2]، وكان عمر رضي الله عنه يقول:

لا شيءَ ممـا تـرى تبقـى بـشاشتُه ... يبقـى الإلـهُ ويفنـى المـالُ والولـدُ
لم تُغـنِ عـن هُرمُـزٍ يومـاً خزائنُـه ... والخلدَ قد حاولت عادٌ فما خَلَـدوا
ولا سـليمانَ إذ تجـري الريـاحُ لـه ... والإنـسُ والجـنُّ فـيما بينهـا تَـرِدُ

---

(١) «العقد الفريد» (٤/ ٦٤).

(٢) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٢٧٨)، و الحاكم (٧٩٢١)، [«السلسلة الصحيحة» (٨٣١)].

أيـنَ الملـوكُ التـي كانـت لعزتهـا مـنْ كُـلِّ أوبٍ إليهـا وافـدٌ يَفـدُ
حوضٌ هنالك مورودٌ بـلا كـذبٍ لا بـدَّ مـنْ وِرده يومـاً كـما وردوا

وقال عليٌّ رضي الله عنه: اعلموا أنكم ميتون، ومبعوثون من بعدِ الموتِ وموقوفـونَ على أعمالِكم ومجْزيون بها. فلا تَغُـرَّنَّكُمُ الْحَيَـاةُ الـدُّنْيا؛ فَإِنَّهَـا دَارٌ بِـالْبَلاءِ مَحْفُوفَـةٌ، وَبِالْفَنَاءِ مَعْرُوفَةٌ، وَبِالْغَدْرِ مَوْصُوفَةٌ، وَكُلُّ مَا فِيهَا إِلَى زَوَالٍ، وَهِيَ بَيْنَ أَهْلِهَـا دُوَلٌ وَسِجَالٌ، لا تدومُ أهوالُهـا، ولَـنْ يَـسْلَمَ مِـنْ شَرِّهَـا نُزَّالُهَـا، بَيْـنَمَا أَهْلُهَـا فِي رَخَـاءٍ وَسُرُورٍ؛ إِذْ هُمْ مِنْهَا فِي بَلاءٍ وَغُرُورٍ.

ثم قالَ رضي الله عنه: واعلموا أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ زهرةِ الدُّنْيَا عَلى سَـبِيلِ مَـنْ قَـدْ مَضَى، مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَارًا، وَأَشَدَّ مِنْكُمْ بَطْشًا، وَأَعْمَرَ دِيَارًا، وَأَبْعَدَ آثَـارًا؛ فَأَصْبَحَتْ أَموالهم هَامِدَةً مِنْ بَعْدِ نقلـتهم، وَأَجْـسَادُهُمْ بَالِيَـةً، وَدِيَـارُهُمْ خَالِيَـةً، وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً، -أي: مُحِيت وزالت- وَاسْتُبْدِلُوا بِالْقُـصُورِ الْـمـشَيَّدَةِ، وَالـنَّمَارِقِ الْـممَهَّدَةِ؛ الصُّخُورَ وَالأَحْجارَ فِي الْقُبُورِ..

فُجِعَ بِهِمُ الأَحْبَابُ، وَسَكَنُوا التُّرَابَ، وَظَعِنُوا فَلَيْسَ لَهُمْ إِيَابٌ، هَيْهَاتَ! هَيْهَاتَ ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون]، وَكَأَنْ قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنَ الْبِلَى، والوَحدة فِي دَارِ الْـمثوى، وَارْتُهِنْتُمْ فِي ذَلِكَ الْـمضْجَعِ، وَضَمَّكُمْ ذَلِكَ الْـمسْتَوْدَعِ؛ فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ قَدْ تَنَاهَتِ الأُمُورُ، وَبُعْثِرَتِ الْقُبُورُ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ، وأُوقفتم لِلتَّحْصِيلِ بَيْنَ يَدَيْ الْمَلِكِ الجَلِيلِ، فَطَارَتِ الْقُلُوبُ لإِشْفَاقِهَا مِنْ سَالِفِ الذُّنُوبِ، وَهُتِكَتْ عَنْكُمُ الْحُجُبُ

وَالأَسْتَارُ، وَظَهَرَتْ مِنْكُمُ الْعُيُوبُ وَالأَسْرَارُ، هُنَاك ﴿تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [غافر:١٧]، ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ۝٣١﴾ [النجم]، ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩﴾ [الكهف]. جَعَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ عَامِلِينَ بِكِتَابِهِ، مُتَّبِعِينَ لأَوْلِيَائِهِ، حَتَّى يُحِلَّنَا وَإِيَّاكُمْ دَارَ الْـمُقَامَةِ مِنْ فضله، إِنَّهُ حُمَيْدٌ مَجِيدٌ)[1].

ابنَ آدم!

مَثِّلْ وقوفَك يومَ العرضِ عُريانا ... مستوحشاً قلقَ الأحشاءِ حيرانا

والنارُ تلهَبُ من غيظٍ ومن حَنَقٍ ... على العصاةِ وربُّ العرشِ غضبانا

اقرأ كتابَك يا عبدي على مَهَلٍ ... فهل ترى فيه حرفاً غيرَ ما كانا

لَـمَّا قرأتَ ولم تنكرْ قراءتَه ... إقرارَ من عرفَ الأشياءَ عِرفانا

نادى الجليلُ خذوه يا ملائكتي ... وامضُوا بعبدٍ عصى للنار عطشانا

المجرمونَ غداً في النارِ يلتهبوا ... والمؤمنونَ في دار الخلدِ سكانا

• وخطبَ عليٌّ رضي الله عنه فحمِدَ اللهَ وأثنى عليه، وذكرَ الموتَ فقال: (عبادَ الله! الْـموتُ ليس منه فوتٌ، إن أقمتم له أخذَكم، وإن فررتم منه أدرَكَكم، فالنجا النجا، والوحا الوحا -أي: الإسراعَ والعجلةَ- إن وراءكم طالبٌ حثيثٌ: القبرُ،

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الزهد (٢٠٣)، والدينوري في المجالسة (٢١٣٠).

فاحذروا ضَغْطَته وظلمَتَه ووَحْشته، ألا وإنَّ القبرَ حفرةٌ من حُفرِ النارِ، أو روضةٌ من رياضِ الجنةِ، ألا وإنه يتكلمُ في كُلِّ يوم ثلاثَ مراتٍ فيقولُ: أنا بيتُ الظُلْمةِ، أنا بيتُ الدودِ، أنا بيتُ الوحشةِ، ألا وإنَّ وراءَ ذلكَ يومٌ يشيبُ فيه الصغيرُ، ويُسكَرُ فيهِ الكبيرُ ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج:٢]، ألا وإنَّ وراءَ ذلك ما هوَ أشدُّ منه، نارٌ حرُّها شديدٌ، وقعرُها بعيدٌ، وحُلِيُّها ومقامِعُها من حديدٍ، وماؤها صديدٌ، وخازنُها مالكٌ، ليس لله فيه رحمةٌ، ثم بكى وبكى الْمسلمون حولَه، ثم قال: ألا وإنَّ من وراءِ ذلك جنةٌ عرضُها السمواتُ والأرضُ أعدت للمتقينَ، أجارَنا اللهُ وإياكم من العذابِ الأليمِ)[1].

أما واللهِ لو علمَ الأنامُ ... لِما خُلقوا لَما هجعوا وناموا

لقد خُلِقوا لأمرٍ لو رأته ... عيونُ قلوبِهم تاهُوا وهامُوا

مماتٌ، ثم قبرٌ، ثم حشرٌ ... وتوبيخٌ وأهوالٌ عظامُ

ليومِ الحشرِ قد عملت رجالٌ ... فصلّوا منْ مخافتِه وصاموا

ونحنُ إذا أُمرْنا أو نُهينا ... كأهلِ الكهفِ أيقاظٌ نيامُ

ودخلَ عليٌّ رضي الله عنه المقابرَ فقالَ:

(يَا أَهْلَ الْقُبُورِ! يَا أَهْلَ الْبَلَاءِ! يَا أَهْلَ الْوَحْشَةِ! مَا الْخَبَرُ عِنْدَكُمْ؟ فَإِنَّ الْخَبَرَ عِنْدَنَا: أما المنازلُ فقد سُكنت، وأما الأموالُ فقد قُسِّمت، وأما الأزواجُ فقد

(١) رواه الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (٧١٨).

نُكحت، هذا خبرُ ما عندنا، فَمَا الْخَبَرُ عِنْدَكُمْ؟ ثم قَالَ: والذي نفسي بيده! لَوْ أُذِنَ لَهُمْ فِي الْجَوَابِ لأخبروا: إنَّ خيرَ الزادِ التقوى)[1].

وَخطبَ عليٌّ رضي الله عنه بالكوفةِ فقالَ: أيها الناس! (إنَّ أخوفَ ما أَخَافُ عَلَيْكُمَ: طُولُ الأَمَلِ، وَاتِّبَاعُ الْهَوَى؛ فَأَمّا طُولُ الأَمَلِ فيُنْسِي الآخِرَةِ، وَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، ألا إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ مُدْبِرَةً، وَالآخِرَةَ مُقْبِلَةٌ، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، ولا تكونوا من أبناءِ الدنيا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلاَ حِسَابَ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلاَ عَمَلَ)[2].

قال علي رضي الله عنه: (ليسَ الخيرُ أن يكثُرَ مالُك وولدُك، ولكنَّ الخيرَ أن يكثرَ عملُك، وأن يعظُمَ حِلمُك، وأن تبادرَ في عبادةِ ربِّك، فإن أحسنتَ حَمِدْتَ الله، وإن أسأت استغفرتَ الله، ولا خيرَ في الدنيا إلا لأحدِ رجلين: رجلٌ أذنب ذنباً فهو يتداركُ ذلك بالتوبةِ، أو رجلٌ يسارعُ في الخيراتِ)[3].

وقال عليٌّ رضي الله عنه من جمعَ ستَّ خصالٍ، لم يدعْ للجنة مطلباً ولا عن النارِ مهرباً.

من عرفَ اللهَ فأطاعهُ، وعرفَ الشيطانَ فعصاهُ، وعرفَ الحقَّ فاتَّبعه، وعرفَ الباطلَ فاتقاه، وعرفَ الدنيا فرفضَها، وعرفَ الآخرةَ فطلبها[4].

اللهمَّ أرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

(١) رواه الدينوري في المجالسة (٢٧٨).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٤٩٥)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (٨٨١).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٧٥).

(٤) «تنبيه الغافلين» (ص١٨٣).

١٨

عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ رضي الله عنه

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عز وجل في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب]. وهؤلاء الرجالُ هم أصحابُ محمدٍ ﷺ، قومٌ اختارهَمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّه ولنُصرةِ دينه.

قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (إِنَّ الله نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ؛ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ وابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ؛ فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ)[1].

وموعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- مع رجلٍ منْ هؤلاء الرجالِ الذين اختارَهُمُ الله لصحبة نبيِّه ولنصرةِ دينهِ. مع الصحابيِّ الجليلِ: **عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ** رضي الله عنه.

وهو من كبارِ الصحابةِ ومنَ السابقين الأولين إلى الإسلامِ، وهو منَ الذين هاجروا الهجرتين. كان اسمُهِ في الجاهليةِ عبدُ عمرٍو، أو عبدُ الكعبةِ؛ فسماه النبيُّ ﷺ عبدَ الرحمنِ.

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (١/ ٣٧٩)، والبزار (١٨١٦)، والطبراني في «الكبير» (٨٥٨٣)، [«السلسلة الضعيفة»(٥٣٣)].

وحديثُنا عن عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ رضي الله عنه سيكونُ حولَ العناصرِ التالية:

العنصرُ الأول: مناقبُه رضي الله عنه.

العنصرُ الثاني: مواقفُه رضي الله عنه **في الإسلام**.

العنصر الثالث: مواعِظهُ رضي الله عنه.

العنصر الأول: مناقبُهُ رضي الله عنه:

أولاً: هو أحدُ العَشْرةِ المشهودِ لهم بالجنةِ في الحديثِ الذي يرويه هو رضي الله عنه.

يقول عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ رضي الله عنه: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدُ بنُ أبي وقاصٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بنُ زيدٍ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ**»[1].

ثانياً: ومِنْ مناقبِه رضي الله عنه أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم دعا اللهَ له أن يَسْقِيَهُ من سلسبيلِ الجنةِ.

تقول أمُ سلمةَ رضي الله عنها: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول لأزواجه: «**إِنَّ الَّذِي يَحْنُو عَلَيْكُنَّ بَعْدِي لَهُوَ الصَّادِقُ الْبَارُّ، اللهمَّ اسْقِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ مِنْ سَلْسَبِيلِ الْجَنَّةِ**»[2].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٧٤٧)، وأحمد (١/ ١٩٣)، وابن حبان (٧٠٠٢)، [«صحيح الجامع» (٥٠)].

(٢) **حسن لغيره**: رواه أحمد (٦/ ٢٩٩)، و الطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٦٣٦)، و الحاكم (٥٣٥٧)، [«محققو المسند»].

وتقول عائشةُ ﵂ : كانَ رسولُ الله ﷺ يقول: (إِنَّ أَمْرَكُنَّ لَمِمَّا يُهِمُّنِي بَعْدِي، وَلَنْ يَصْبِرَ عَلَيْكُنَّ إِلَّا الصَّابِرُونَ، ثم قالت ﵂ لأبي سلمة ابن عبد الرحمنِ بن عوفٍ ﵄ : فَسَقَى الله أَبَاكَ مِنْ سَلْسَبِيلِ الجَنَّةِ، تُرِيدُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، وَقَدْ كَانَ وَصَلَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَالٍ بِيعَتْ بِأَرْبَعِينَ أَلْفًا)(١).

ثالثاً: ومن مناقبهِ ﷺ أنه أحدُ الستةِ أصحابُ الشورى الذين أخبرَ عمرُ ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ تُوفي وهو عنهم راضٍ. قال الصحابةُ لعمرَ ﷺ وهو في فراش الموت: (أَوْصِ يَا أَمِيرَ الْمؤْمِنِينَ، اسْتَخْلِفْ. قَالَ: مَا أَجِدُ أَحَقَّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْ هَؤُلاَءِ النَّفَرِ -أَوِ الرَّهْطِ- الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ وَهْوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، فَسَمَّى عَلِيًّا وَعُثْمَانَ وَالزُّبَيْرَ وَطَلْحَةَ وَسَعْدًا وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ)(٢).

رابعاً: ومن مناقبهِ ﷺ أنّ النبيَّ ﷺ دافعَ عنه بنفسِه.

عن أبي سعيد ﷺ قال: كانَ بينَ خالدِ بنِ الوليدِ وبينَ عبدِ الرحمن بنِ عوفٍ شيءٌ. فسبَّهُ خالدٌ، فلما بلغَ ذلك إلى النبيِّ ﷺ قال: «**لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»(٣).

خامساً: ومن مناقبه ﷺ إِخبارُ النبيِّ ﷺ بأنه شهيدٌ:

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٣٧٤٩)، وأحمد (٦/ ٧٧)، والحاكم (٥٣٦٠)، [«السلسلة الصحيحة» (١٥٩٤)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٠٠).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٤١).

عن سعيدِ بن زيدٍ رضي الله عنه قالَ: (أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ أَنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**اثْبُتْ حِرَاءُ! فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدٌ**» وَعَدَّهُمْ: رَسُولُ الله ﷺ، وأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَابْنُ عَوْفٍ، وَسَعِيدُ ابْنُ زَيْدٍ)[1].

سادساً: ومن مناقبِهِ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ صلى خلفه ركعةً من صلاةِ الفجرِ في غزوةَ تبوك.

يقولُ المغيرةُ بنُ شعبةَ رضي الله عنه: غزوتُ معَ رسولِ الله ﷺ بتبوك قال: (فَتَبَرَّزَ رَسُولُ الله ﷺ قِبَلَ الْغَائِطِ، فَحَمَلْتُ مَعَهُ إِدَاوَةً قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَيَّ أَخَذْتُ أُهَرِيقُ عَلَى يَدِهِ مِنْ الْإِدَاوَةِ، وَغَسَلَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ، ثُمَّ ذَهَبَ يُخْرِجُ جُبَّتَهُ عَنْ ذِرَاعَيْهِ فَضَاقَ كُمَّا جُبَّتِهِ، فَأَدْخَلَ يَدَيْهِ فِي الْجُبَّةِ، حَتَّى أَخْرَجَ ذِرَاعَيْهِ مِنْ أَسْفَلِ الْجُبَّةِ، وَغَسَلَ ذِرَاعَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ عَلَى خُفَّيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ.

قَالَ الْمغِيرَةُ: فَأَقْبَلْتُ مَعَهُ حَتَّى نَجِدَ النَّاسَ قَدْ قَدَّمُوا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ فَصَلَّى لَهُمْ، فَأَدْرَكَ رَسُولُ الله ﷺ إِحْدَى الرَّكْعَتَيْنِ، فَصَلَّى مَعَ النَّاسِ الرَّكْعَةَ الْآخِرَةَ، فَلَمَّا سَلَّمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ قَامَ رَسُولُ الله ﷺ يُتِمُّ صَلَاتَهُ، فَأَفْزَعَ ذَلِكَ الْمسْلِمِينَ فَأَكْثَرُوا التَّسْبِيحَ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاتَهُ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ قَالَ: «**أَحْسَنْتُمْ أَوْ قَالَ: قَدْ أَصَبْتُمْ**» يُغْبِطُهُمْ أَنْ صَلَّوُا الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا)[2].

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٣٧٥٧)، و أبو داود (٤٦٤٨)، و ابن ماجه (١٣٤)، وأحمد (١/ ١٨٨)، [«السلسلة الصحيحة»(٨٧٥)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٤).

العنصر الثاني: مواقفُه رضي الله عنه في الإسلامِ:

أولاً: موقفهُ رضي الله عنه عندما قَدِمَ المدينةَ مهاجراً من مكةَ. يقول أنسٌ رضي الله عنه: (قَدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ -أي الْـمدينةَ- فَآخَى رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ - وَكَانَ كَثِيرَ الْـمَالِ- فَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ عَلِمَتِ الأَنْصَارُ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالاً، سَأَقْسِمُ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَطْرَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ؛ فَأُطَلِّقَهَا حَتَّى إِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا.

فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عوفٍ: بَارَكَ الله لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، أَيْنَ سُوقُكُمْ؟ فَدَلُّوهُ عَلَى السُوقِ، فَلَمْ يَرْجِعْ يَوْمَئِذٍ حَتَّى أَفْضَلَ شَيْئًا مِنْ سَمْنٍ وَأَقِطٍ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى جَاءَ رَسُولَ الله ﷺ وَعَلَيْهِ وَضَرٌ مِنْ صُفْرَةٍ -أي: به أثرُ صفرةٍ- فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَهْيَمْ؟**» يعني -ما هذا- فقَالَ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ.

فَقَالَ: «**مَا سُقْتَ فِيهَا؟**» قَالَ: وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ ﷺ: «**أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ**»)[1].

ففي الحديثِ دليلٌ على أنَّ:

١- الزوجُ هو الذي يحددُ المهرَ (كم سقتَ فيها).

٢- مشروعيةُ الوليمةِ.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٧٨٠، ٣٧٨١)، ومسلم (١٤٢٧)، واللفظ للبخاري.

ثانياً: موقفهُ ﭬ في غزوة بدرٍ الكبرى، وقد كانَ في الصفوفِ الأولى في أرضِ المعركةِ:

يقول عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ ﭬ: (إِنِّي لَوَاقِفٌ يَوْمَ بَدْرٍ فِي الصَّفِّ، نَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بَيْنَ غُلامَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ، حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ لَوْ كُنْتُ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا. فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا، فَقَالَ: يَا عَمِّ، هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، وَمَا حَاجَتُكَ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّهُ سَبَّ رَسُولَ الله ﷺ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ رَأَيْتُهُ لَمْ يُفَارِقْ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا. قَالَ: فَغَمَزَنِي الْآخَرُ، فَقَالَ لِي مِثْلَهَا.

قَالَ: فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، قَالَ: فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يزولُ فِي النَّاسِ، فَقُلْتُ لَهُمَا: أَلا تَرَيَانِ؟ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي تَسْأَلانِ عَنْهُ، فَابْتَدَرَاهُ، فَاسْتَقْبَلَهُمَا، فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَأَخْبَرَاهُ، فَقَالَ: «**أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟**» فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ، قَالَ ﷺ: «**هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟**» قَالا: لَا، فَنَظَرَ رَسُولُ الله ﷺ، فِي السَّيْفَيْنِ فَقَالَ: «**كِلاكُمَا قَتَلَهُ**»[1].

ثالثاً: موقفه ﭬ عندما خرجَ عمرُ بنُ الخطابِ ﭬ إلى الشامِ:

عن عبدِ الله بنِ عباسٍ؛ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ -هي قريةٌ في طَرَفِ الشام مما يلي الحجاز- لَقِيَهُ أَهْلُ الأَجْنَادِ -المرادُ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣١٤١)، ومسلم (١٧٥٢)، وأحمد (١/ ١٩٢) واللفظ لأحمد.

بالأجنادِ هنا: مدنُ الشامِ الخمس- أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ. فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِيَ الْـمهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ. فَدَعَوْتُهُمْ، فَاسْتَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ. فَاخْتَلَفُوا. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتَ لأَمْرٍ، وَلاَ نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ وَلاَ نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ.

فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي. ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِيَ الأَنْصَارَ فَدَعَوْتُهُمْ لَهُ، فَاسْتَشَارَهُمْ فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْـمهَاجِرِينَ. وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلاَفِهِمْ.

فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي.

ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ، فَدَعَوْتُهُمْ فَلَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهِ رَجُلاَنِ. فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلاَ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ. فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ إِنِّي مُصْبِحٌ -أي: راجعٌ- عَلَى ظَهْرٍ. فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ.

فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ الله؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ (وَكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُ خِلاَفَهُ) نَعَمْ: نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ الله إِلَى قَدَرِ الله... قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ، فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي مِنْ هَذَا عِلْمًا. سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ**» قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ عُمَرُ بْنُ الْـخَطَّابِ ثُمَّ انْصَرَفَ[1].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٧٢٩)، و مسلم (٢٢١٩) واللفظ لمسلم.

رابعاً: موقفُه رضي الله عنه في الإنفاقِ في سبيلِ الله:

وعن أبي سلمةَ، (أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ أَوْصَى بِحَدِيقَةٍ لأُمَّهَاتِ الْـمؤْمِنِينَ بِيعَتْ بِأَرْبَعِمِائَةِ أَلْفٍ)[1].

وعن أم بكرٍ (أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ بَاعَ أَرْضًا لَهُ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَسَّمَ فِي فُقَرَاءِ بَنِي زُهْرَةَ، وَفِي ذِي الْحَاجَةِ مِنَ النَّاسِ، وَفِي أُمَّهَاتِ الْـمؤْمِنِينَ)[2].

العنصرُ الثالثُ: مواعظُه رضي الله عنه :

محاسبتُه لنفسِه رضي الله عنه دائماً.

كان عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ رضي الله عنه معَ كثرةِ ماله وإنفاقِه في سبيلِ الله يحاسبُ نفسَه دائماً. قال عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ رضي الله عنه: (ابْتُلِينَا مَعَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم بِالضَّرَّاءِ فَصَبَرْنَا، ثُمَّ ابْتُلِينَا بِالسَّرَّاءِ بَعْدَهُ فَلَمْ نَصْبِرْ)[3].

وَالإنسان يُبتلى في هذه الدنيا بالسراءِ والضراءِ، ابتلى اللهُ سليمانَ عليه السلام بالسراءِ فشكرَ، فقال الله عنه: (نعمَ العبدُ). وابتلى أيوبَ بالضراءِ فصبر، فقال اللهُ عنه: (نعم العبدُ) والرسولُ صلى الله عليه وسلم يقول: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْـمؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ له خير،**

(١) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٣٧٥٠)، [«صحيح سنن الترمذي»(٢٩٤٩)].

(٢) **حسن الإسناد**: رواه أحمد (٦/ ١٣٥)، وابن راهويه في المسند (١٧٥٥)، [«محققو المسند»].

(٣) **حسن الإسناد**: رواه الترمذي (٢٤٦٤)، والضياء في «الأحاديث المختارة» (٣/ ١٢٣/ رقم ٩٢٤)، [«صحيح سنن الترمذي»].

وَلَيْسَ ذَلكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَـهُ، وَإِنْ أَصَـابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[1].

أُتي عبد الرحمنِ بنُ عوفٍ رضي الله عنه يوما بطعامِه وكان صائماً، فقال:(قُتِلَ مُصْعَبُ ابْنُ عُمَيْرٍ -وَكَانَ خَيْرًا مِنِّي- فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مَا يُكَفَّنُ فِيهِ إِلَّا بُرْدَةٌ، وَقُتِلَ حَمْزَةُ -وهو خَيْرٌ مِنِّي- فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مَا يُكَفَّنُ فِيهِ إِلَّا بُرْدَةٌ. لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ عُجِّلَتْ لَنَا طَيِّبَاتُنَا فِي حَيَاتِنَا الدُّنْيَا، ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي)[2] (حتى تركَ الطعامَ)[3].

فيا أيها الغنيُّ الـذي تتقلـبُ في نعـمِ الله! احـذرْ أن تكـونَ قـد عُجّلـت لـك الطيباتُ في الدنيا فتحرَمَ منها في جناتِ النعيم. واتقِ اللهَ في مـالِ الله، وانفـقْ عـلى الفقراءِ والمساكينِ، واعرفْ حَقَّ الله في هذا المال؛ لتكونَ كما كانَ الصحابةُ؛ المالُ في أيديهم وليسَ في قلوبهم، وكانوا يقولون به هكذا وهكذا في سبيل الله.

أسألُ اللهَ أن يجعلَنا وإياكم من المحبين لصحابةِ رسـولِ الله ﷺ، وأن يجمَعَنـا بهم في جناتِ النعيم.

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٩٩).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (١٢٧٤).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (١٢٧٥).

١٩

سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ رضي الله عنه

عبادَ الله! يقولُ اللهُ -عزَّ وجلَّ-: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب]. وهؤلاءِ الرجالُ همْ أصحابُ محمدٍ ﷺ، قومٌ اختارَهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّه ونصرةِ دينهِ، حبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ، مَنْ سلكَ سبيلَهم سَعِدَ في الدنيا والآخرة. قالَ تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقالَ ﷺ: «**وَستَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً، مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»[(١)].

وقال ابنُ مسعود رضي الله عنه: (من كان مستَنّاً فليستنَّ بمن قد مات، فإنَّ الحيَّ لا تُؤَمنُ عليه الفتنةُ، أولئك أصحابُ محمدٍ ﷺ، كانوا والله أفضلَ هذهِ الأمةِ، أبرَّها قلوباً، وأعمَقها علماً، وأقلَّها تكلفاً؛ قومٌ اختارهمُ الله لصَحبةِ نبيِّه ﷺ، وإقامةِ دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارِهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقِهم، ودينِهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)[(٢)].

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو، والطبراني في «الأوسط» (٤٨٨٦) من حديث أنس [«صحيح الجامع» (٥٣٤٣)].

(٢) رواه البغوي في «شرح السنة» (١/ ٢١٤، ٢١٥)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٩)، والقرطبي في «تفسيره» من طريق سنيد (١/ ٦٠) بلفظ: (من كان منكم متأسيا فليتأسى....) وروي باللفظ المذكور عن عبد الله بن عمر رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٠٥)، والخطيب في «تالي التلخيص» (١/ ٣٧١).

وموعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- مع رجلٍ من هؤلاءِ الرجالِ الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه، مع صحابيٍّ من الصحبِ الكرامِ رضي الله عنهم ..

أتدرونَ من هو يا عبادَ الله؟! .. إنه: **سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ. أبو إسحاقَ القرشيُّ،** من كبارِ الصحابةِ، ومن السابقينَ الأولينَ للإسلامِ، أسلمَ وكان عمرُه سبعَ عشْرَةَ سنةً، وهو أحدُ العَشَرةِ المبشرين بالجنة، وهو أولُ من رمى بسهمٍ في سبيلِ الله.

وحديثُنا عن سعدِ بنِ أبي وقاصٍ رضي الله عنه سيكونُ حولَ العناصرِ التاليةِ:

العنصرُ الأولُ: مناقبُه رضي الله عنه .

العنصرُ الثاني: مواقفُه رضي الله عنه **في الإسلام**.

العنصر الثالث: مواعظُه رضي الله عنه .

العنصرُ الأول: مناقبه رضي الله عنه :

أولاً: أنهُ أحدُ العشرةِ المشهودِ لهم بالجنة. قال صلى الله عليه وسلم: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الْـجَنَّةِ، وَعُمَـرُ فِي الْـجَنَّةِ ، وَعُثْمَانُ فِي الْـجَنَّةِ ، وَعَلِيٌّ فِي الْـجَنَّةِ**» إلى أن قال صلى الله عليه وسلم: «**وَسَـعْدُ بْـنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْـجَنَّةِ**»[1].

ثانياً: ومن مناقبِه رضي الله عنه أنه أحدُ الستةِ أصحابِ الشورى الذين أخـبرَ عمـرُ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تُوفي وهو عنهم راضٍ.

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٧٤٧)، وأحمد (١/ ١٩٣)، وأبو يعلى (٨٣٥)، واللفظ له [«صـحيح الجـامع» (٥٠)].

قال الصحابةُ رضي الله عنهم لعمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه وهو في فراشِ الموتِ: أَوْصِ يَا أَمِيرَ الْـمُؤْمِنِينَ، اسْتَخْلِفْ. قال رضي الله عنه: (مَا أَجِدُ أَحَقَّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْ هَؤُلاَءِ النَّفَرِ -أَوِ الرَّهْطِ- الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ وَهْوَ عَنْهُمْ رَاضٍ. فَسَمَّى عَلِيًّا وَعُثْمَانَ وَالزُّبَيْرَ وَطَلْحَةَ، وَسَعْدًا وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ)[1].

ثالثاً: ومن مناقبِه رضي الله عنه إخبارُ النبيِّ ﷺ بأنه شهيدٌ، فعَنْ سعيدِ بنِ زيدٍ رضي الله عنه قال: (أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ أَنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: اثْبُتْ حِرَاءُ! فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ، وَعَدَّهُمْ رَسُولُ الله ﷺ، أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَابْنُ عَوْفٍ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ)[2].

رابعاً: ومن مناقبِه رضي الله عنه أنه أولُ من رمى بسهمِه في سبيلِ الله؛ لمجاهدةِ أعداءِ الله وإعلاءِ كلمةِ الله.

يقول سعدُ بنُ أبي وقاصٍ رضي الله عنه: (إِنِّي لأَوَّلُ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ الله، وَكُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَمَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَنَا لَيَضَعُ -أي: عند قضاءِ الحاجةِ- كَمَا يَضَعُ الْبَعِيرُ أَوِ الشَّاةُ مَا لَهُ خِلْطٌ -أي: لا يختلِطُ بعضُه ببعضٍ لجفافِه..) الحديث[3].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٠٠).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٤٩)، وابن ماجه (١٣٤)، وأحمد (١/ ١٨٨)، وابن حبان (٦٩٩٣)، واللفظ لابن ماجه [«صحيح الجامع» (١٣٢)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٢٨).

خامساً: ومن مناقبِه رضي الله عنه أنه من السابقينَ الأولينَ للإسلامِ.

يقول سعدُ بنُ أبي وقاصٍ رضي الله عنه: (لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَأَنَا ثُلُثُ الإِسْلاَمِ)(١)، أي: هو الرجلُ الثالثُ في الإسلامِ بعدَ أبي بكرٍ وخديجةَ رضي الله عنهما(٢).

ويقولُ سعدُ بنُ أبي وقاصٍ رضي الله عنه: (مَا أَسْلَمَ أَحَدٌ إِلَّا فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَسْلَمْتُ فِيهِ، وَلَقَدْ مَكَثْتُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَإِنِّي لَثُلُثُ الإِسْلاَمِ)(٣).

سادساً: ومن مناقبِه رضي الله عنه أنَّ اللهَ تعالى أثنى عليه في كتابه، وأخبر أنه من الذين يدعون ربهم بالغداةِ والعشيِّ يريدون وجهَهُ.

يقولُ سعدُ بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه: (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا، قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ، وَبِلَالٌ، وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقَعَ. فَحَدَّثَ نَفْسَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام:٥٢])(٤).

وقال سعدٌ رضي الله عنه: (فِيَّ نَزَلَتْ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الأنعام:٥٢])(٥).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٢٦).

(٢) **صحيح** : رواه البخاري (٣٥٢٠).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٢٧).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤١٣).

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤١٣).

سابعاً: ومن مناقبه رضي الله عنه أنه كان مُجابَ الدعاءِ مشهوراً بذلك، وسببُ ذلك أنَّ النبيَّ ﷺ دعا اللهَ له بأن يكونَ مجابَ الدعوةِ، فقال ﷺ: «**اللهُـمَّ اسْـتَجِبْ لِـسَعْدٍ إِذَا دَعَاكَ**»(١).

ومن الأمثلةِ على ذلك:

أولاً: دعا سعدُ بن أبي وقاص رضي الله عنه على رجلٍ ظلمَه فاستجابَ اللهُ له.

(شَكَا أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه فَعَزَلَهُ وَاسْـتَعْمَلَ عَلَـيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ! إِنَّ هَؤُلاَءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لاَ تُحْسِنُ تُصَلِّي. قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا وَاللهِ فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مَا أَخْرِمُ عَنْهَا، أُصَلِّي صَلاَةَ الْعِشَاءِ فَأَرْكُـدُ فِي الأُولَيَـيْنِ -أي أُطيل- وَأُخِفُّ فِي الأُخْرَيَيْنِ.

قَالَ عمرُ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ. فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُـلاً - أَوْ رِجَـالاً- إِلَى الْكُوفَةِ فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ، وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلَّا سَـأَلَ عَنْـهُ، وَيُثْنُـونَ مَعْرُوفًـا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ ، يُقَالُ لَهُ: أُسَامَةُ بْنُ قَتَـادَةَ يُكْنَـى أَبَا سَعْدَةَ، قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالـسَّرِيَّةِ وَلاَ يَقْـسِمُ بِالـسَّوِيَّةِ وَلاَ يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ.

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٧٥١)، وابن حبان (٦٩٩٠)، والحاكم (٦١١٨)، [«المشكاة» (٦١١٦)].

قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللهِ لأَدْعُوَنَّ بِثَلاَثٍ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالْفِتَنِ.

وَكَانَ هذا الرجل بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ؛ أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ.

قَالَ عَبْدُ الْـمَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الْكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ)[1].

فاستجابَ اللهُ لسعدٍ.. كيف لا؟! والرسولُ ﷺ قال: «**اللهمَّ استجبْ لسعدٍ إذا دعاك**».

كيف لا؟! وهي دعوةُ مظلومٍ على ظالِـمه.

العنصرُ الثاني: مواقفهُ رضي الله عنه في الإسلامِ:

أولاً: موقفُه رضي الله عنه في الولاءِ والبراءِ.

سعدُ بنُ أبي وقاص رضي الله عنه كما قُلنا من السابقينَ الأولينَ للإسلامِ وكان بارّاً بأمه. قالت له أمُّه عندما أسلم: ما هذا الدينُ الذي أحدثتَ؟ والله لا آكلُ ولا أشربُ حتى ترجعَ إلى ما كنتَ عليه أو أموتَ؛ فتُعَيَّرُ بذلك أبدَ الدهرِ، يُقال: يا قاتلَ أُمِّه. وقالت له أيضاً: أليسَ اللهُ يأمرُك بصلةِ الرَّحم، وبرِّ الوالدين؟ والله لا

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٧٥٥).

آكلُ طعاماً ولا أشربُ شراباً، حتى تكفر بمحمدٍ، وقال له أيضاً: زَعَمْتَ أنَّ الله وصَّاك بوالدَيك، وأنا أُمُّك وأنا آمُرُك بهذا. ومكثت أمُّه على ذلك ثلاثاً حتى غُشيَ عليها مِنَ الجهدِ، فقامَ ابنٌ لها يُقالُ له عُمارةُ، فسقاها، فجعلت تدعو على سعدٍ ، وسعدٌ ثابتٌ على دينهِ لا يستجيبُ لها، فَأَنْزَلَ اللهُ قرآناً يُتلى إلى يومِ القيامةِ يؤيدُ موقفَ سعدٍ في عدمِ طاعتهِ لأمِّه في الكفرِ باللهِ، ويأمرُ اللهُ عزوجل الولدَ أن يصاحبَ والديه في الدنيا بالمعروفِ معَ عدمِ الطاعةِ لهم في الكفرِ أو الشركِ أو المعصيةِ؛ لأنه لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ. قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [لقمان])[1].

ثانياً: موقفُه رضي الله عنه في الإنفاقِ في سبيلِ اللهِ:

يقولُ سعدُ بنُ أبي وقاصٍ رضي الله عنه: جاءني النبيُّ ﷺ يعودُني عامَ حَجّةِ الوداعِ من وجعٍ اشتدَّ بي، فقلتُ: يا رسولَ الله! إني قدْ بلَغَ بي من الوجعِ ما ترى، وأنا ذو مالٍ ولا يرثُني إلا ابنةٌ لي، أفأتصدقُ بثُلُثيْ مالي؟

قال: «**لا**». قلتُ: فالشَّطرُ -أي: النصفُ- يا رسولَ الله؟ فقال: «**لا**». قلتُ: فالثلثُ يا رسولَ الله؟ قال: «**الثلثُ والثلث كثيرٌ -أو كبيرٌ- إنك إن تذرْ ورثتَك**

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٤٨).

أغنياءَ خيرٌ من أن تذَرَهم عالةً -أي: فقراءَ- يتكففونَ الناسَ، وإنك لن تُنفقَ نفقةً تبتغي بها وجهَ الله إلا أُجِرْت عليها، حتى ما تجعلُ في فِيِّ امرأتِك» [1]. الشاهدُ موقفُه وهو يريدُ أن يُخرِجَ مالَه في سبيلِ الله.

ثالثاً: موقفُه ﷺ في حِراستِهِ للنبيِّ ﷺ، قبل نزولِ قولِهِ تعالى: ﴿**وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ**﴾ [المائدة:٦٧].

تقولُ عائشةُ ﷺ: (سَهِرَ رَسُولُ الله ﷺ مَقْدَمَهُ الْـمَدِينَةَ لَيْلَةً -وكان ذلك بسبب التهديدات التي تصلُ إلى المسلمينَ من كفارِ مكة بعد الهجرةِ- فَقَالَ ﷺ: لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ. قَالَتْ فَبَيْنَما نَحْنُ كَذَلِكَ سَمِعْنَا خَشْخَشَةَ سِلَاحٍ -أي: صوتَ سلاحٍ- فَقَالَ ﷺ: «**مَنْ هَذَا؟**» قَالَ: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا جَاءَ بِكَ؟**» قَالَ: وَقَعَ فِي نَفْسِي خَوْفٌ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَجِئْتُ أَحْرُسُهُ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ الله ﷺ، ثُمَّ نَامَ) [2].

وفي هذا الحديث منقبةٌ عظيمةٌ لسعدٍ ﷺ، وأنه من الصالحينَ. وأَكرِمْ بها مِن منقبةٍ؛ إذِ الصالحون يتولاهمْ ربُّ العالمين؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف]، ولقد حظي ﷺ بمفخرةٍ عظيمةٍ وهي حراستُه للنبيِّ ﷺ ودعاؤُه عليه الصلاةُ والسلامُ له.

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٣٣)، ومسلم (١٦٢٨).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤١٠).

رابعاً: موقفُه رضي الله عنه في الدفاعِ عن رسولِ الله ﷺ في غزوةِ أُحُد:

في غزوةِ أُحُدٍ حاولَ المشركون أن يصلوا إلى رسولِ الله ﷺ، فقام الصحابة الكرامُ حولَ رسولِ الله ﷺ؛ يدافعونَ عنه بكلِّ ما عندَهم من قوةٍ، ومن هؤلاء سعدُ بنُ أبي وقاصٍ رضي الله عنه.

قام سعدُ بن أبي وقاص بين يدي رسولِ الله ﷺ يردُّ المشركين عنه، ونثلَ رسولُ الله ﷺ له كِنانتهُ، وجمعَ له أَبويه ولم يجمعْهُما لغيرِه، وقال ﷺ: «**ارْمِ سَعْدُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**»[1].

وقال سعدٌ رضي الله عنه: (لَقَدْ جَمَعَ لِي رَسُولُ الله ﷺ أَبَوَيْهِ يَوْمَ أُحُدٍ)[2].

وَ(كَانَ رَجُلٌ مِنْ الْـمُشْرِكِينَ قَدْ أَحْرَقَ الْـمُسْلِمِينَ -أي: أثخنَ فيهم وعمل فيهم عملَ النارِ- فَقَالَ لَهُ النبيُّ ﷺ -أي: لسعد-: ارْمِ. فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، قَالَ سعدٌ: فَنَزَعْتُ لَهُ بِسَهْمٍ -أي: رميته بسهم- لَيْسَ فِيهِ نَصْلٌ فَأَصَبْتُ جَنْبَهُ فَسَقَطَ، فَانْكَشَفَتْ عَوْرَتُهُ. فَضَحِكَ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى نَوَاجِذِهِ -أي: ضحكَ رسولُ الله ﷺ لقتِله عدِّوه، لا لانكشافِه)[3].

العنصرُ الثالث: مواعظُه رضي الله عنه:

من مواعظِه لأولادِه:

قال سعدٌ رضي الله عنه لابنه: (يا بُني! إياك أن تلقى بعدي أحداً هو أنصحُ لك مني. إذا أردتَ أن تُصلي فأحسِنِ الوضوءَ، وصلِّ صلاةً ترى أنك لاَ تُصلي بعدَها أبداً.

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٠٥٥)، وابن ماجه (١٣٠)، واللفظ له.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٠٥٦)، ومسلم (٢٤١٢)، واللفظ لمسلم.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤١٢).

وإياك والطمعَ؛ فإنه حاضرُ الفقرِ، وعليكَ بالإياسِ -أي: مما في أيدي الناسِ-؛ فإنه الغنى، وإياك وما يُعتَذَرُ منه من القولِ والعملِ، وافعل ما بدا لك)[(١)].

وقال سعدٌ رضي الله عنه أيضاً لابنه: يا بنيَّ! إياكَ والكبرَ، وليكن فيما تستعينُ به على تركِه علمُك بالذي منه كنتَ، والذي إليه تصيرُ، وكيفَ الكبرُ معَ النطفةِ التي منها خُلقتَ، والرحمِ التي منها قُذِفْتَ، والغذاءِ الذي به غُذِّيتَ[(٢)].

وسمعَ رضي الله عنه ابناً له يدعو؛ وهو يقول: اللهمَّ إني أسألُكَ الجنةَ ونعيمَها وإستبرَقها ونحواً من هذا، وأعوذُ بكَ من النارِ وسلاسِلها وأغلالِها. فقال سعدٌ لابنه: لقد سألتَ الله خيراً كثيراً، وتعوذتَ بالله من شرٍّ كثير، وإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنه سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ**»، وقرأ هذه الآية: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف]، وإنَّ بحسبِكَ أن تقولَ: اللهمَّ إني أسألكَ الجنةَ وما قرَّبَ إليها من قولٍ أو عمل[(٣)].

هؤلاء قومٌ اختارهُمُ الله لصحبةِ نبيه ولنصرة دينه رضي الله عنهم أجمعين، وجمَعنا الله وإياكم معهم ومع نبيِّنا في جناتِ النعيمِ.

---

(١) رواه أحمد في كتاب الزهد (١٠٠٩).

(٢) «العقد الفريد» (٢/ ١٨٥).

(٣) **حسن صحيح**: رواه أبي داود (١٤٨٠)، و أحمد (١/ ١٧٢)، [«صحيح أبي داود» (١٦١٦)].

٢٠

أبو عبيدةَ بنُ الجرَّاحِ رضي الله عنه

عبادَ الله! يقولُ الله عز وجل: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

الصحابةُ رضي الله عنهم قومٌ اختارَهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيه ولنصرةِ دينهِ، حبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ، أثنى الله عليهم في كتابه فقال تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التوبة:١١٧].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل:٥٩]. قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ اصْطَفَاهُمُ اللهُ لِنَبِيِّهِ)[١]. وأثنى النبيُّ صلى الله عليه وسلم في سنته على أصحابِه، فقال صلى الله عليه وسلم: «**النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ؛ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ**»[٢].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٩٨).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٣١).

وقال ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثْتُ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» قال أبو هريرة: وَاللهُ أَعْلَمُ أَذَكَرَ الثَّالِثَ أَمْ لَا)[1].

قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله تعالى: (قال حمادُ بن سلمة عن أيوبِ السُّختيانيِّ أنه قال: مَنْ أحبَّ أبا بكرٍ فقد أقامَ الدينَ، ومن أحبَّ عمَر فقد أوضحَ السبيلَ، ومن أحبَّ عثمانَ فقد استنار بنورِ الله، ومن أحبَّ علياً فقد استمسَكَ بالعُروةِ الوثقى، ومن قال الحسنى في أصحابِ رسولِ الله ﷺ فقد برئَ منَ النفاقِ)[2].

وَموعدنا في هذا اليوم إن شاءَ الله تعالى معَ رجلٍ من هؤلاءِ الرجالِ الذين اختارَهُمُ الله لصحبةِ نبيه ونصرةِ دينه، مع صحابيٍّ جليلٍ من الصحبِ الكرامِ .. أتدرونَ من هو يا عبادَ الله!؟ إنه: **أبو عبيدةَ بنُ الجراحِ** رضي الله عنه. من كبارِ الصحابةِ، ومنَ السابقينَ الأولينَ إلى الإسلامِ.

وحديثُنا عن أبي عبيدةَ رضي الله عنه سيكونُ حولَ العناصرِ التالية:

العنصرُ الأول: مناقبُه رضي الله عنه.

العنصرُ الثاني: مواقفُه رضي الله عنه **في الإسلام**.

العنصرُ الثالث: مواعظُه رضي الله عنه.

العنصرُ الأولُ: مناقبُه رضي الله عنه :

أولاً: من مناقبِه رضي الله عنه أنه أحدُ العَشَرَةِ المشهودِ لهم بالجنة؛ قال ﷺ: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ**..» إلى أن قال ﷺ: «**وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ**»[3].

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٣٤).

(٢) «البداية والنهاية» (٨/ ١٣).

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٣٧٤٧)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٩٤)، وأحمد (١/ ١٩٣)، وأبو يعلى (٨٣٥)، [«صحيح الجامع» (٥٠)].

ثانياً: ومن مناقبهِ رضي الله عنه أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قرنه في المدحِ بالشيخين أبي بكر وعمرَ رضي الله عنهما . قال صلى الله عليه وسلم : «**نِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو بَكْرٍ، نِعْمَ الرَّجُلُ عُمَرُ، نِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ**»[1].

ثالثاً: ومن مناقبه رضي الله عنه أنه أحبُّ الناسِ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بعدَ الشيخين:

عن عبدِ الله بن شقيقٍ قال: قلتُ لعائشةَ رضي الله عنها : (أَيُّ أَصْحَابِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم كَانَ أَحَبَّ إِلَيه؟ قَالَتْ: أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَتْ: عُمَرُ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَتْ: ثُمَّ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ. قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: فَسَكَتَتْ)[2].

رابعاً: ومن مناقبِهِ رضي الله عنه أنه صالحٌ للخلافةِ، وأهلٌ لها:

عن أبي مُلَيْكَةَ قال: (سَمِعْتُ عَائِشَةَ رضي الله عنها سُئِلَتْ: مَنْ كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم مُسْتَخْلِفًا لَوْ اسْتَخْلَفَهُ؟ قَالَتْ: أَبُو بَكْرٍ، فَقِيلَ لَهَا: ثُمَّ مَنْ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَتْ: عُمَرُ، ثُمَّ قِيلَ لَهَا: مَنْ بَعْدَ عُمَرَ؟ قَالَتْ: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ثُمَّ انْتَهَتْ إِلَى هَذَا)[3].

ولذلك لما كانَ يومُ السقيفةِ، قال أبو بكر: (بَايِعُوا عُمَرَ أَوْ أَبَا عُبَيْدَةَ، فَقَالَ عُمَرُ: بَلْ نُبَايِعُكَ أَنْتَ، فَأَنْتَ سَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم)[4].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٣٧)، والترمذي (٣٧٩٥)، وأحمد (٢/ ٤١٩)، [«السلسلة الصحيحة» (٨٧٥)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٦٥٧)، والنسائي في «الكبرى» (٨٢٠١)، وابن ماجه (١٠٢)، وأحمد (٦/ ٢١٨)، [«صحيح ابن الترمذي»(٢٨٩١)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٨٥).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٦٧).

وقال عمرُ بنُ الخطابِ ﷺ حين احتُضِرَ: (لو كان أبو عبيدة حياً لبايعته)[1].
ولما ولي عمرُ ﷺ إمرة المؤمنين، عزلَ خالدَ بنَ الوليد عن إمْرةِ الشامِ وولّاها أبا عبيدة[2].

خامساً: ومن مناقبه ﷺ أن الفاروقَ عمرَ ﷺ كان يكرهُ مخالفتَه فيما يراه، وأنه كان جليلَ القدْرِ عنده:

يقولُ ابنُ عباسٍ ﷺ: لما خرجَ عمرُ بنُ الخطابِ ﷺ إلى الشامِ وأُخبرَ أنَّ الوباءَ قد وقعَ بها؛ فجمعَ أصحابَ رسولِ الله ﷺ واستشارَهم فاختلَفوا، فرأى عمرُ رأي مَن رأى الرجوعَ فرجَع، (فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ الله؟

فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ! وَكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُ خِلَافَهُ -أي: كان يكرهُ أن يخالفَ أبا عبيدةَ في أمرٍ من الأمورِ- نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ الله إِلَى قَدَرِ الله...) الحديث[3].

قال الحافظ -رحمه الله تعالى- (وذلك دالٌّ على جلالةِ أبي عبيدة عندَ عمرَ)[4].

سادساً: ومن مناقبه ﷺ أنه أمينُ هذهِ الأمةِ:

قال ﷺ: «**لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ، وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْـجَرَّاحِ**»[5].

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٢٩٩)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٣٤٣)، والخلال في «كتاب السنة» (٣٤٤).

(٢) **صحيح** :رواه أحمد (٤/ ٩٠) ، [«السلسلة الصحيحة»(١٨٢٦)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢١٩).

(٤) «الإصابة» (٢/ ٢٤٤).

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٤٣٨٢)

وقال ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيَّتُهَا الأُمَّةُ؛ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ**»(١).

وفي رواية أخرى: عن أنسٍ رضي الله عنه أنَّ أهلَ اليمنِ قدِموا على رسولِ الله ﷺ، فقالوا: ابعثْ معنا رجلاً يُعلِمُنا السنةَ والإسلامَ. قال: فأخذَ بيدِ أبي عبيدةَ، فقال: «**هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ**»(٢).

وعن حذيفةَ رضي الله عنه قال: (جَاءَ أَهْلُ نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله! ابْعَثْ إِلَيْنَا رَجُلًا أَمِينًا. فَقَالَ: لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ، حَقَّ أَمِينٍ. قَالَ: فَاسْتَشْرَفَ لَهَا النَّاسُ -أي: تطلَّع إلى الولايةِ ورغبَ فيها كلُّ واحدٍ، حرصاً على أن يكونَ هو الأمينُ الموعودُ في الحديثِ، لا حرصاً على الولايةِ من حيثُ هي-. قَالَ: فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ)(٣).

سابعاً: ومن مناقبِه رضي الله عنه أن وفاتَه كانت شهادةً في سبيلِ الله؛ فقد ماتَ في الطاعونِ الذي حصلَ بأرضِ الشام زمنَ الفاروقِ رضي الله عنه، وقد أخبرَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ أن من كانت وفاتُه بسببِ هذا الداءِ فإنه شهيدٌ، ومنْ ماتَ في سبيلِ الله فهو شهيدٌ، وقد جمعَ اللهُ لأبي عبيدةَ بينَ هذين الوَصْفين.

قال رسولُ الله ﷺ: («**مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟**» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله! مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ الله فَهُوَ شَهِيدٌ، قَالَ: «**إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ**»، قَالُوا: فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٧٤٤)، ومسلم (٢٤١٩).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٣٨٠)، ومسلم (٢٤١٩) واللفظ له.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٢٥٤)، ومسلم (٢٤٢٠)، واللفظ له.

اللهِ؟ قَالَ: «مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ»)[1]. (وقد اتفقَ العلماءُ على أن أبا عبيدةَ ماتَ في طاعونِ عمواسَ بالشامِ سنةَ ثماني عشرة)[2].

العنصرُ الثاني: مواقفُه رضي الله عنه:

الموقفُ الأول: في الولاءِ والبراءِ..

قتلَ أبو عبيدةَ بنُ الجراحِ أباه في غزوةِ بدرٍ الكبرى، لأنه كانَ على الشركِ. قال ابنُ كثير: قال سعيدُ بن عبدِ العزيزِ وغيرُه، أُنزلت هذه الآية: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ﴾ الآية [المجادلة:٢٢] في أبي عبيدة عامر بن الجراح، حين قتل أباه يوم بدر[3].

الموقف الثاني:

في غزوةِ «أُحُدٍ» حين هُزِم المسلمونَ وطَفِقَ صائحُ المشركين يُنادي: دُلُّوني على محمدٍ .. دُلوني على محمد .. فكانَ أبو عبيدَة أحد النَّفرِ العشَرة الذينَ أحاطوا بالرسولِ ﷺ ليَذُودوا عنه -أي: ليدفعوا عنه- بصُدُورهم رماحَ المشركينَ، فلما انتهتِ المعركةُ، كانَ الرسولُ ﷺ قد كُسِرتْ رباعيتُه وشُجَّ جبينُهُ، وغارَتْ في وجنتهِ حَلَقتانِ من حِلَقِ درعهِ، فأقبلَ عليه الصدّيقُ يُريدُ انتزاعَها من وَجْنتيه.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩١٥).

(٢) «الإصابة» (٢/ ٢٤٥).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ١٥٤)، والحاكم (٣/ ٢٩٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٢٧)، انظر ابن كثير في «التفسير» (٤/ ٣٣٠).

فقال له أبو عبيدة: أُقسِمُ عليك أن تترَكَ ذلكَ لي. فتركَهُ، فخشي أبو عبيـدَة إن اقتلعَها بيده أن يُؤلِمَ رسولَ الله ﷺ، فعضَّ على أولاهما بثنيتـه عـضّاً قويـاً محكـماً فاستخرَجها، ووقعَتْ ثنيتهُ، ثم عضَّ على الأخرى بثنيتِهِ الثانية فاقتلَعها، فسقطت ثنيتُهُ الثانيةُ. قال أبو بكر: (فكان أبو عبيدة من أحسن النـاس هـتماً)[1]. نعـمْ والله إنهم رجالٌ اختارهُمُ الله لصحبةِ نبيِّه، ولنصرةِ دينهِ.

الموقف الثالث: عندما نزلَ الطاعونُ بأرضِ الشامِ وهو فيها:

كتـب الفـاروق عمـرُ بـنُ الخطـابِ رضي الله عنه إلى أبي عبيـدةَ رضي الله عنه حـينَ وقـعَ الطاعونُ: (إِنَّهُ قَدْ عَرَضَتْ لِي حَاجَةٌ، وَلاَ غِنَى بِي عَنْكَ فِيْهَا، فَعَجِّلْ إِلَيَّ، فَلَـمَّا قَـرَأَ الكِتَابَ قَالَ: قد عَرَفْتُ حَاجَةَ أَمِيْرِ الْمُؤْمِنِيْنَ، إِنَّهُ يُرِيْدُ أَنْ يَسْتَبْقِيَ مَنْ لَيْسَ بِبَاقٍ.

وكَتَبَ: إِنِّي قَدْ عَرَفْتُ حَاجَتَكَ، فَحَلِّلْنِي مِنْ عَزِيْمَتك، فَإِنِّي فِي جُنْدٍ مِنْ أَجْنَادِ الْمُسْلِمِيْنَ، لاَ أَرْغَبُ بِنَفْسِي عَنْهُم.

فَلَمَّا قَرَأَ عُمَرُ الكِتَابَ، بَكَى، فَقِيْلَ لَهُ: مَاتَ أَبُو عُبَيْدَةَ؟

قَالَ: لاَ، وَكَأَنْ قَدْ؟ فَتُوُفِّيَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَانْكَشَفَ الطَّاعُوْنُ)[2].

الموقفُ الرابع: في الإنفاقِ في سبيلِ الله:

روى مالكُ الدارِ (أَنَّ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَخَذَ أَرْبَعَمِائَةِ دِينَارٍ، فَجَعَلَهَـا فِي صُرَّةٍ، فَقَالَ لِلْغُلامِ: اذْهَبْ بها إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ، ثُمَّ تَلَهَّ سَاعَةً فِي الْبَيْتِ حَتَّى تَنْظُـرَ مَـا يَصْنَعُ.

---

(١) رواه الطيالسي (٦)، و«الحاكم» (٣/ ٢٩٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٧٥).

(٢) رواه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ٣٠٥)، والشاشي في «مسنده» (٥٦٦)

قال: فَذَهَبَ بِهَا الْغُلامُ، فَقَالَ: يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْـمُؤْمِنِينَ: اجْعَلْ هَذِهِ فِي بَعْضِ حَاجَتِكَ. فَقَالَ: وَصَلَهُ اللهُ وَرَحِمَهُ، ثُمَّ قَالَ: تَعَالِي يَا جَارِيَةُ: اذْهَبِي بِهَذِهِ السَّبْعَةِ إِلَى فُلانٍ، وَبِهَذِهِ الْخَمْسَةِ إِلَى فُلانٍ، حَتَّى أَنْفَذَهَا.

فَرَجَعَ الْغُلامُ إلى عمرَ وَأَخْبَرَهُ، فَوَجَدَهُ قَدْ أَعَدَّ مِثْلَهَا إِلَى مُعَاذِ بن جَبَلٍ، فَقَالَ: اذْهَبْ بِهَا إِلَى مُعَاذِ بن جَبَلٍ، وَتَلَهَّ ساعةً فِي الْبَيْتِ، حَتَّى تَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ، فَذَهَبَ بِهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْـمُؤْمِنِينَ: اجْعَلْ هَذَا فِي بَعْضِ حَاجَتِكَ. فَقَالَ: رَحِمَهُ اللهُ وَوَصَلَهُ، تَعَالِي يَا جَارِيَةُ: اذْهَبِي إِلَى بَيْتِ فُلانٍ بِكَذَا، وَاذْهَبِي إِلَى بَيْتِ فُلانٍ بِكَذَا، فَاطَّلَعَتِ امْرَأَةُ مُعَاذٍ، فَقَالَتْ: نَحْنُ وَاللهِ مَسَاكِينُ فَأَعْطِنَا، وَلَمْ يَبْقَ فِي الْخِرْقَةِ إِلا دِينَارَانِ فَدَفع بِهِمَا -أي رمى بهما إِلَيْهَا-، فَرَجَعَ الْغُلامُ إِلَى عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، فسُرَّ بذلك وَقَالَ: إِنَّهُمْ إِخْوَةٌ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ)[1].

ولذلكَ قال عمرُ بنُ الخطابِ يَوْمًا لِمَنْ حَوْلَهُ: تَمَنَّوْا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَتَمَنَّى لَوْ أَنَّ هَذِهِ الدَّارَ مَمْلُوءَةٌ ذَهَبًا، فَأُنْفِقَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: تَمَنَّوْا، فَقَالَ رَجُلٌ: أَتَمَنَّى لَوْ أَنَّهَا مَمْلُوءَةٌ لَؤْلُؤًا و زَبَرْجَدًا أَوْ جَوْهرًا؛ فَأُنْفِقَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأَتَصَدَّقَ، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: تَمَنَّوْا، فَقَالُوا: مَا نَدْرِي يَا أَمِيرَ الْـمُؤْمِنِينَ.

فقَالَ عُمَرُ: أَتَمَنَّى لَوْ أَنَّ هذه الدارَ مَمْلُوءَةٌ رِجَالاً مِثْلَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَحُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ)[2].

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٣٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٣٧).

(٢) رواه أحمد في «الفضائل» (١٢٨٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٠٢)، والحاكم في «المستدرك» (٥٠٠٥).

العنصرُ الثالث: مواعظُه ﷺ :

قال أبو عبيدةَ بنُ الجراحِ: (أَلاَ رُبَّ مُبَيِّضٍ لِثِيَابِهِ مُدَنِّسٌ لِدِينِهِ، أَلاَ رُبَّ مُكْـرِمٍ لِنَفْسِهِ وَهُوَ لَهَا مُهِينٌ، ادرؤوا الـسَّيِّئَاتِ الْقَـدِيمَاتِ بِالْحَـسَنَاتِ الْحَـدِيثَاتِ، فَلـو أَنَّ أَحَدَكُمْ عملَ من السيئاتِ مابينه وبَيْنَ السَّماءِ ثُمَّ عَمِلَ حَسَنَةً لَعلَـتْ فـوقَ سَـيِّئَاتِهِ حَتَّى تغمرهُنَّ)(١).

وصدقَ واللهِ أبو عبيدَة بنُ الجراح؛ فإنَّ اللهَ تعـالى قـال: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾ [هود:١١٤].

وقال اللهُ عزَّ وجلَّ في الحديث القدسي: « **يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّماءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً** »(٢).

وقالَ ﷺ: « **أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟**

قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْـمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْـخُطَا إِلَى الْـمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»(٣).

---

(١) رواه أحمد في «الزهد» (١٠١٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٦٢١)، وأبو نعيم في «حلية الأوليـاء» (١/ ١٠٢).

(٢) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٣٥٤٠) عن أنس، وراوه أحمد (٥/ ١٦٧)، والدارمي (٢٧٨٨) عـن أبي ذر [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦١٦)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥١).

وقال أبو عبيدة رضي الله عنه :(التهلُكةُ: هو أنْ يذنبَ، ثم لا يعملَ بعده خيراً حتى يَهْلِكَ)[1].

وقال: (مَثَلُ قَلْبِ الْـمُؤْمِنِ مَثَلُ الْعُصْفُورِ يَتَقَلَّبُ كَذَا مَرَّةً وَكَذَا مَرَّةً)[2].

وصدقَ والله! فإن القلبَ سُمي قلباً لكثرةِ تقلبه، ولذلك كانَ النبيُّ ﷺ يقول: «**اللهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»[3].

وقال أبو عبيدة رضي الله عنه : (وَدِدْتُ أَنِّي كَبْشٌ فَذَبَحَنِي أَهْلِي فَأَكَلُوا لَحْمِي، وَحَسَوْا مَرَقِي)[4].

أتدرون لِمَ يا عباد الله؟! خوفاً من الحسابِ، خوفاً من الوقوفِ بين يدي الله، يقول ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا وسَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلاَ يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**، فمن لم يجد فبكلمةٍ طيبةٍ»[5].

اللهمَّ رُدَّ المسلمين إلى دينِك رداً جميلاً.

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٣/ ٢١).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٦٢٣).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٨٣)، والترمذي (٢١٤٠)، وأحمد (٣/ ١١٢)، [«صحيح الجامع» (٧٩٨٧)].

(٤) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٤١٣)،و عبد الله في «زوائد الزهد» (١٠١٩) .

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦)، واللفظ للبخاري.

٢١

الزبيرُ بنُ العوامِ رضي الله عنه

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عز وجل في كتابه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح].

فهمُ الرجالُ، كما قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب]. وقال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور].

وهمُ الصادقونَ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحُجرات]. وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر].

وهم المؤمنونَ حقاً، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال].

أصحابُ محمدٍ ﷺ قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه ولنصرة دينه، حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان.

يقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، وابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ؛ فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ؛ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ)(١).

أصحابُ محمدٍ ﷺ، من تمسَّكَ بمنهجهم وسلكَ سبيلَهم سَعِدَ في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْـخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْـمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»(٢).

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (١/ ٣٧٩)، والبزار (١٨١٦)، والطبراني في «الكبير» (٨٥٨٢)، [«السلسلة الضعيفة» (٥٣٣)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٦٧٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧)].

وقال ﷺ: «**وَستَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فرقة، كُلُّهُـمْ فِي النَّـارِ إِلَّا مِلَّـةً وَاحِدَةً، قيل: ما هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: هي التي تكـون عـلى مَـا أَنَـا عَلَيْـهِ اليـومَ وَأَصْحَابِي**»[1].

ومن تركَ منهجهَم وسبيلَهم واتبعَ سبلَ الشيطانِ، شقيَ في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾**﴾ [النساء].

• وموعدُنا في هذا اليومِ -إن شاء الله تعالى- مع رجـلٍ مـن هـؤلاءِ الرجـالِ، وصحابيٍّ من الصحبِ الكرامِ، أتدرون من هـو؟ إنـه: **الـزبيرُ بـنُ العـوام** رضي الله عنه. أتعرفونه يا أمةَ الإسلامِ؟! هو: الزبيرُ بن العوامِ بن خويلدٍ الأَسْديُّ القرشي.

- أمه: صفيةُ بنتُ عبدِ المطلبِ، عمةُ رسولِ الله ﷺ.
- وعمتهُ خديجةُ بنتُ خويلدٍ رضي الله عنها زوجةُ رسولِ الله ﷺ.
- وزوجتُه أسماءُ بنتُ أبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه.

• وحديثُنا عن الزبيرِ بنِ العوامِ رضي الله عنه سيكونُ عن: مناقبِهِ، ومواقفهِ، ومواعظهِ.

أما مناقبُه وفضائلُه فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: أنه من المشهودِ لهم بالجنةِ: قال ﷺ: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الْـجَنَّةِ، وَعُمَـرُ فِي الْــجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْـجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْـجَنَّةِ، وطلحةُ في الجنةِ، والزبيرُ في الجنةِ..**»[2].

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو، والطبراني في «الأوسط» (٤٨٨٦) من حديث أنس [«السلسلة الصحيحة» (١٣٤٨)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٧٤٧)، وأحمد (١/ ١٩٣)، وأبو يعلى (٨٣٥)، واللفظ له [«صحيح الجامع» (٥٠)].

ثانياً: ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ شهدَ له بأنه يموتُ شهيداً، يقولُ أبو هريرةَ رضي الله عنه: (كان رسولُ الله ﷺ عَلَى حِرَاءٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَة، فَقَالَ ﷺ: «**اهْدَأْ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ**»)[1].

وقد حصلَتْ له الشهادةُ كما أخبرَ النبيُّ ﷺ، فإنه لما كانَ يومُ الجملِ ذكَّرهُ عليٌّ بما ذكَّرهُ به، فرجعَ عن القتالِ وكرَّ راجعاً إلى المدينة .. وفي الطريق قتلهُ ابن جَرْمُوز لعنَه الله، واجتزَّ رأسَهُ، وذهب به إلى عليّ رضي الله عنه، -ورأى أن ذلك يحصلُ له به حظوةٌ عندهُ- فاستأذن، فقال عليٌّ: (لا تأذنوا لَهُ، وَبَشِّرُوهُ بِالنَّارِ)[2]. وفي رواية: قيل لعليٍّ: إن قاتلَ الزبيرِ على البابِ، فقال عليٌّ: (ليدخُلَنَّ قَاتِلُ ابْنِ صَفِيَّةَ النَّارَ)[3]. الشاهدُ أنَّ الزبيرَ لقيَ اللهَ شهيداً.

ثالثاً: ومن مناقبهِ رضي الله عنه أنه كان ممن استجابَ لله والرسولِ من بعدِ ما أصابهم القرحُ يومَ أُحُدٍ. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [آل عمران].

قالت عائشةُ رضي الله عنها لعروةَ بنِ الزبيرِ رضي الله عنهما: (يَا ابْنَ أُخْتِ! كَانَ أَبُوكَ مِنْهُمْ: الزُّبَيْرُ، وَأَبُو بَكْرٍ؛ لَمَّا أَصَابَ رَسُولَ الله ﷺ مَا أَصَابَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَانْصَرَفَ عَنْهُ

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤١٧).

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» (٧٣٧٧)، والحاكم (٥٥٧٨)

(٣) **حسن**: رواه أحمد (١/ ١٠٣)، والطيالسي (١٦٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١٨٦)، والحاكم (٥٥٧٩)، [«محقق المسند»].

الْـمُشْرِكُونَ، خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا؛ فقَالَ ﷺ: «**مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ؟**» فَانْتَدَبَ مِـنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلاً قَالَت: كَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَالزُّبَيْرُ)[1].

رابعاً: ومن مناقبه رضي الله عنه أنه حـواريُّ رسـولِ الله ﷺ، قـال ﷺ: «**إِنَّ لِكُـلِّ نَبِـيٍّ حَوَارِيًّا، وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ**»[2].

والحواريُّ هو الناصرُ المخلِصُ، ولذلك سمعَ عبدُ الله بـنُ عمـرَ رضي الله عنه رجـلاً يقول: أنا ابن الحواري، فقال: (إِنْ كُنْتَ مِنْ وَلَدِ الزُّبَيْرِ وَإِلَّا فَلاَ)[3].

خامساً: ومن مناقبهِ رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ فَداه بأبويه.

ففي غزوة الأحزاب عندما غدرت بنو قريظةَ، ونقضوا عهـدَهم، قـال النبـيُّ ﷺ لأصحابه: «**مَنْ يَأْتِي بَنِي قُرَيْظَةَ؛ فَيَأْتِيَنِي بِخَبَرِهِمْ؟**» فَانْطَلَقَ الزبيرُ رضي الله عنه، فَلَـمَّا رَجَع، قال له النبيُّ ﷺ: «**فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**»[4].

و كذلكَ في معركةِ أُحـدٍ قـال الـزبيرُ رضي الله عنه: (جَمَعَ لِي النبـيُّ ﷺ أَبَوَيْـهِ يَـوْمَ أُحُدٍ)[5].

سادساً: ومن مناقبه رضي الله عنه أنَّ أميرَ المؤمنين عثمانَ بنَ عفانَ رضي الله عنه شهدَ له بالخيرية، وأنه كانَ من أحبِّ الناسِ إلى رسولِ الله ﷺ:

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٠٧٧).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٨٤٧).

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ١٠٦)

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٢٠).

(٥) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٢٣)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٠٢٨)، وأحمد (١/ ١٦٤)، [«صحيح ابـن ماجه(١٢٠)»].

لما أصابَ عثمانَ بنَ عفانَ ﵁ رعافٌ شديدٌ، حتى حبسَه عن الحجِّ وأوصى؛ (فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ: اسْتَخْلِفْ. قَالَ: وَقَالُوهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: وَمَنْ؟ فَسَكَتَ فَدَخَلَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: اسْتَخْلِفْ، فقَالَ عُثْمَانُ: وَقَالُوا؟ فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ فَسَكَتَ، فَلَعَلَّهُمْ قَالُوا: إنه الزبَيْرُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ عثمان ﵁ :وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَخَيْرُهُمْ مَا عَلِمْتُ، وَإِنْ كَانَ لأَحَبَّهُمْ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ)[1]. وفي رواية أخرى قال: (أَمَا وَالله إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ خَيْرُكُمْ ثَلاَثًا)[2].

• أما مواقفُه ﵁ في الشجاعةِ والإقدامِ فحدِّثْ فيها ولا حرجَ.

أولاً: في غزوة بدرٍ الكبرى:

قالُ الزبيرُ ﵁ : (لَقِيتُ يَوْمَ بَدْرٍ عُبَيْدَةَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَهْوَ مُدَجَّجٌ -أي بالسلاح- لاَ يُرَى مِنْهُ إِلَّا عَيْنَاهُ، فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ بِالْعِتْرَةِ فَطَعَنْتُهُ فِي عَيْنِهِ فَمَاتَ. قال الزبير: لَقَدْ وَضَعْتُ رِجْلِي عَلَيْهِ فَكَانَ الْجَهْدُ أَنْ نَزَعْتُهَا -يعني: الحربة- فلقَدِ انْثَنَى طَرَفُهَا)[3].

ثانياً: في غزوةِ الأحزابِ:

يقولُ جابرٌ ﵁ (قَالَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ الأَحْزَابِ: «**مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟**» فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟**» فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧١٧).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧١٨).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٩٩٨).

قَالَ ﷺ: «**مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟**» فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**»)[1].

ويقولُ الزبيرُ رضي الله عنه: قالَ رسولُ الله ﷺ يومَ الأحزابِ: («**مَنْ يَأْتِي بَنِي قُرَيْظَةَ فَيَأْتِينِي بِخَبَرِهِمْ؟**» فَانْطَلَقْتُ، فَلَمَّا رَجَعْتُ جَمَعَ لِي رَسُولُ الله ﷺ أَبَوَيْهِ، فَقَالَ: «**فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**»)[2].

ثالثاً: أما في وقعةِ اليرموكِ:

قال أصحابُ رسولِ الله ﷺ للزبيرِ يومَ اليرموكِ: (أَلاَ تَشُدُّ؛ فَنَشُدُّ مَعَكَ؟ فَقَالَ: إِنِّي إِنْ شَدَدْتُ كَذَبْتُمْ. فَقَالُوا: لاَ نَفْعَلُ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ حَتَّى شَقَّ صُفُوفَهُمْ فَجَاوَزَهُمْ وَمَا مَعَهُ أَحَدٌ ثُمَّ رَجَعَ مُقْبِلاً، فَأَخَذُوا بِلِجَامِهِ، فَضَرَبُوهُ ضَرْبَتَيْنِ عَلَى عَاتِقِهِ بَيْنَهُمَا ضَرْبَةٌ ضُرِبَهَا يَوْمَ بَدْرٍ. قَالَ عُرْوَةُ: كُنْتُ أُدْخِلُ أَصَابِعِي فِي تِلْكَ الضَّرَبَاتِ أَلْعَبُ وَأَنَا صَغِيرٌ)[3]. وهذا يدلُّ على أنه رضي الله عنه كان شجاعاً مِقداماً في تسديدِ الضربات لجيوشِ الشركِ والضلالِ. ولقد أبلى رضي الله عنه في يومِ اليرموكِ، وفي جميع الغزوات التي غزاها بلاءً حسناً.

• أما مواعظه رضي الله عنه:

قال الزبير رضي الله عنه لابنه: (لا تجادلِ الناسَ بالقرآن، فإنك لا تستطيعُهم ولكن عليكَ بالسُّنّةِ)[4].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤١١٣).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٢٠).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٩٧٥).

(٤) رواه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٦٠٢).

أتدرونَ لمَ يا عبادَ الله؟ لأنَّ السنةَ موضِّحةٌ ومبينةٌ للقرآنِ، فاللهُ أمرنـا فقـط في كتابه ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ولكن كيفَ نصلي؟ جاءتِ السنةُ وبينتْ لنا كيف نـصلي، واللهُ أمرَنا في كتابِهِ ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النساء:٧٧] ولكن كيفَ نزكي؟ جـاءت الـسنة وبينَت لنا كيف نزكي. واللهُ أمرنا في كتابه بذكرِه وتسبيحِه ولكـن كيـفَ نـذكُره؟ جاءتِ السنة وبينتْ لنا كيف نذكره.

ولذلك يجبُ على من أصـدرَ حكـماً في ديـنِ الله أن يـأتيَ بالأدلـةِ مـنَ القـرآنِ والسنةِ، وأن يفهمَ الأدلةَ بفهم سلفِ الأمةِ، وبعد ذلك يُـصدرُ حكمَـه فإنـه -إن شاءَ الله- لا يخطئُ الحقَّ أبداً، ولكن إذا جاء بالأدلـةِ مـنَ القـرآنِ وحـدَه، أو مـن السنةِ وحدَها، فربما لا يكفي لبيانِ الحق. مثلاً إذا سأله سائلٌ فقالَ: الميتـةُ حـرامٌ؟ فقال له: نعمْ الميتةُ كُلُّها حرامٌ، واستدلَّ منَ القـرآن بقولـه تعـالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ [المائدة:٣] وهذا حكمٌ خاطئ، ولا بدَّ أن يأتيَ بالسنة.

فقد جاءتِ السُنة تبينُ أنه أُحِلَّ لنا ميتتان؛ السمكُ والجرادُ. فنقولُ: نعمْ الميتـةُ حرامٌ إلا السمكَ والجرادَ، وبذلك نصيبُ الحق.

وقال الزبيرُ رضي الله عنه: (مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَبِيئَـةٌ مِـنْ عَمَـلٍ صَـالِحٍ فَلْيَفْعَلْ)[١].

ولما حضرَ يومَ الجمل، جعل الزبيرُ يوصي ابنَه عبدَ الله بِدَيْنِه، ويقول: (يَا بُنَـيِّ إِنْ عَجَزْتَ عَنْهُ فِي شَيْءٍ فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ بمَوْلاَيَ.

---

(١) رواه هناد في «الزهد» (٨٧٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٦٢٥).

قَالَ عبد الله: فَوَاللهِ مَا دَرَيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّى قُلْتُ: يَا أَبَتِ مَنْ مَوْلاَكَ؟ قَالَ: اللهُ.

قَالَ: فَوَاللهِ مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبَةٍ مِنْ دَيْنِهِ إِلَّا قُلْتُ: يَا مَوْلَى الزُّبَيْرِ! اقْضِ عَنْهُ دَيْنَهُ، فَيَقْضِيَهِ)[1].

وقال له ابنه يوماً: (مَا لِيَ لاَ أَسْمَعُكَ تُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَمَا أَسْمَعُ ابْنَ مَسْعُودٍ، وَفُلاَنًا وَفُلاَنًا؟

فقَالَ الزبير: أَمَا إِنِّي لَمْ أُفَارِقْهُ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً: «**وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»)[2].

اللهمَّ رُدَّ المسلمينَ إلى دينك رداً جميلاً.

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣١٢٩).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (١٠٧)، وابن ماجه (٣٦)، واللفظ له.

٢٢

طلحةُ بنُ عُبيدِ اللهِ رضي الله عنه

عباد الله! يقول الله عز وجل في كتابـه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب]. وهـؤلاءِ الرجالُ همُ أصحابُ محمدٍ ﷺ؛ قومٌ اختارهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيه ونصرةِ دينه.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى في عقيدته: (ونحبُّ أصحابَ رسـولِ الله ﷺ، ولا نفرطُ في حـبِّ أحـدٍ مـنهم، ولا نتـبرأُ مـن أحـدٍ مـنهم، ونـبغضُ مـن يبغضُهم، وبغـير الخـيرِ يـذكرُهم، ولا نـذكرُهم إلا بخـيرٍ، وحـبُّهم ديـنٌ وإيـمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان)[1].

وموعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ اللهُ تعـالى- مـع رجـلٍ مـنْ هـؤلاءِ الرجـالِ، وصحابيٍّ من الصحبِ الكرامِ ... أتدرونَ من هو؟ هو **طلحةُ بنُ عبيـدِ الله** رضي الله عنه .. أتعرفونه؟

هو طلحةُ بنُ عبيدِ اللهِ بن عثمانَ التيمـيِّ القـرشيِّ، أبـو محمـدٍ، مـنَ الـسابقينِ الأولين إلى الإسلامِ، أسلمَ على يدِ أبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه، وكان يقالُ له: طلحـةُ الجود، وطلحةُ الخيرِ، وطلحةُ الفياض.

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٥٢٨).

وحديثنا عن طلحةَ بنِ عُبيدِ الله رضي الله عنه سيكون عن: مناقبهِ ومواقفهِ ومواعظهِ، أما مناقبهُ وفضائلهُ فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: أنَّ رسولَ الله ﷺ شهدَ له بالجنةِ. قالَ رسولُ الله ﷺ: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ**» الحديث[1].

وفي غزوةِ أُحدٍ قالَ ﷺ: «**أَوْجَبَ طَلْحَةُ**»[2].

ثانياً: ومن مناقبه رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ أخبرَ أنه يموتُ شهيداً.

عن أبي هريرة رضي الله عنه (أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ عَلَى جَبَلِ حِرَاءٍ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اسْكُنْ حِرَاءُ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ**». وَعَلَى الجبل النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنهم)[3].

وقال ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ الله**»[4].

ثالثاً: ومن مناقبه رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ تُوفي وهو عنه راضٍ:

لما نامَ الفاروقُ عمرُ على فراشِ الموتِ، قال له الصحابة: أَوْصِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! اسْتَخْلِفْ! قال رضي الله عنه: (مَا أَجِدُ أَحَقَّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْ هَؤُلاَءِ النَّفَرِ -أَوِ

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٧٤٧)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٩٤)، وأحمد (١/ ١٩٣)، وأبو يعلى (٨٣٥)، [«صحيح الجامع» (٥٠)].

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٣٧٣٨)، وأحمد (١/ ١٦٥)، وأبو يعلى (٦٧٠)، [«السلسلة الصحيحة» (٩٤٥)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤١٧).

(٤) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٣٧٣٩)، وابن ماجه (١٢٥)، والطيالسي (١٧٩٣)، [«السلسلة الصحيحة» (١٢٦)].

الرَّهْطِ- الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ وَهْوَ عَنْهُمْ رَاضٍ. فَسَمَّى عَلِيًّا وَعُثْمَانَ وَالزُّبَيْرَ وَطَلْحَةَ، وَسَعْدًا وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ..)[1].

قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى: (بابُ ذكرِ طلحةَ بنِ عبيدِ الله، وقال عمر: تُوفي النبيُّ ﷺ وهو عنه راضٍ)[2].

رابعاً: ومن مناقبهِ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ أخبرَ أن طلحةَ ممن قَضى نحبَه ووفَّى لله بما نَذره على نفسِه من القتالِ في سبيلِهِ ونصرةِ دينهِ.

عن موسى بن طلحة قال: (دَخَلْتُ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ: أَلاَ أُبَشِّرُكَ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**طَلْحَةُ مِمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ**»)[3].

وعن طلحةَ قال: (إنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ الله ﷺ قَالُوا لأَعْرَابِيٍّ جَاهِلٍ: سَلْهُ عَمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ مَنْ هُوَ؟ -وَكَانُوا لاَ يَجْتَرِئُونَ عَلَى مَسْأَلَتِهِ يُوَقِّرُونَهُ وَيَهَابُونَهُ- فَسَأَلَهُ الأَعْرَابِيُّ فَأَعْرَض عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَأَعْرَض عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَأَعْرَض عَنْهُ. ثُمَّ إِنِّي اطَّلَعْتُ مِنْ بَابِ الْـمَسْجِدِ وَعَلَيَّ ثِيَابٌ خُضْرٌ، فَلَمَّا رَآنِي رَسُولُ الله ﷺ قَالَ: «**أَيْنَ السَّائِلُ عَمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ؟**» قَالَ الأَعْرَابِيُّ: أَنَا يَا رَسُولَ الله، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**هَذَا مِمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ**»)[4].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٠٠).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣/ ١٣٦٣).

(٣) **حسن**: رواه الترمذي (٣٧٤٠)، وابن ماجه (١٢٦، ١٢٧)، [«السلسلة الصحيحة» (١٢٥)].

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٢٠٣)، والبزار (٩٤٣)، وأبو يعلى (٦٦٣)، [«صحيح الجامع» (٦٩٩٨)].

وكان طلحةُ بنُ عبيدِ الله رضي الله عنه ضمنَ جماعةٍ منَ الصحابةِ نذَروا إذا لَقوا حرباً ثبتوا حتى يستشهدوا، وقد ثبتَ طلحةُ يومَ أُحد وبذل جهدَه حتى شُلَّت يدُه، ووقى بها النبيَّ صلى الله عليه وسلم.

خامساً: ومن مناقبهِ رضي الله عنه حرصُه على معرفةِ الحق، والتعلم منْ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم:

قال طلحة رضي الله عنه: (يَا رَسُولَ الله! كَيْفَ الصَّلاةُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: «**قُلْ: اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»)[1].

وقال طلحةُ رضي الله عنه: كنا نصلي والدوابُّ تمرُّ بين أيدينا، فذكرنا ذلكَ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال: «**مثلُ مُؤْخِرَةِ الرَّحل تكونُ بين يدَي أحدِكم، ثم لا يضُّره ما مرَّ عليه**»[2].

ودخلَ عمرُ على طلحةَ يوماً فرآه كئيباً، فقال: (مَا لَكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ كَئِيبًا، لَعَلَّهُ سَاءَتْكَ إِمْرَأَةُ ابْنِ عَمِّكَ؟ يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ قَالَ: لَا، وَأَثْنَى عَلَى أَبِي بَكْرٍ. وَلَكِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: كَلِمَةٌ لَا يَقُولُهَا عَبْدٌ عِنْدَ مَوْتِهِ إِلا فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَتَهُ، وَأَشْرَقَ لَوْنُهُ. فَمَا مَنَعَنِي أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْهَا إِلا الْقُدْرَةُ عَلَيْهَا حَتَّى مَاتَ.

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: إِنِّي لَأَعْلَمُهَا. فَقَالَ لَهُ طَلْحَةُ: وَمَا هِيَ؟ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: هَلْ تَعْلَمُ كَلِمَةً هِيَ أَعْظَمُ مِنْ كَلِمَةٍ أَمَرَ بِهَا عَمَّهُ: لَا إِلَهَ إِلا اللهُ؟ فَقَالَ طَلْحَةُ: هِيَ وَاللهِ هِيَ)[3].

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي (١٢٩٠)، وأحمد (١/ ١٦٢)، وأبو يعلى (٦٥٣) [«فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم» (٦٨)].

(٩٥) **صحيح** : رواه مسلم (٤٩٩).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ١٦١)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٩٣٩)، وأبو يعلى (٦٥٥)، [«محققو المسند»].

أما مواقفُه رضي الله عنه .

أولاً: موقفُه في البذلِ والتضحيةِ والشجاعةِ والإقدامِ والدفاعِ عن رسولِ الله ﷺ ويظهرُ ذلك جلياً في غزوةِ أحدٍ.

أبلى طلحةُ بنُ عبيدِ الله رضي الله عنه يومَ أُحُدٍ بلاءً حسناً، ولذلك كانَ الصحابةُ يقولون عن يومِ أُحُدٍ: ذاك يومٌ كلُّه لطلحةَ[1].

قال جابرٌ رضي الله عنه: (لَـمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَوَلَّى النَّاسُ، كَانَ رَسُولُ الله ﷺ فِي نَاحِيَةٍ فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، وَفِيهِمْ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ الله، فَأَدْرَكَهُمْ الْـمُشْرِكُونَ، فَالْتَفَتَ رَسُولُ الله ﷺ وَقَالَ: مَنْ لِلْقَوْمِ؟ فَقَالَ طَلْحَةُ: أَنَا، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ كَمَا أَنْتَ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ: أَنَا يَا رَسُولَ الله! فَقَالَ: أَنْتَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ثُمَّ الْتَفَتَ فَإِذَا الْـمُشْرِكُونَ، فَقَالَ: مَنْ لِلْقَوْمِ؟ فَقَالَ طَلْحَةُ: أَنَا، قَالَ: كَمَا أَنْتَ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ: أَنَا، فَقَالَ: أَنْتَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ. ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَلِكَ وَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ، فَيُقَاتِلُ قِتَالَ مَنْ قَبْلَهُ حَتَّى يُقْتَلَ، حَتَّى بَقِيَ رَسُولُ الله ﷺ وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ الله، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: مَنْ لِلْقَوْمِ؟ فَقَالَ طَلْحَةُ: أَنَا.

---

(١) رواه الطيالسي (٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٨٧)، وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (كان أبوبكر رضي الله عنه إذا ذكر يوم أُحد بكى ثم قال: ذاك كلّه يوم طلحة)، وانظر «فتح الباري» (٧/ ٣٦١).

فَقَاتَلَ طَلْحَةُ قِتَالَ الْأَحَدَ عَشَرَ حَتَّى ضُرِبَتْ يَدُهُ فَقُطِعَتْ أَصَابِعُهُ.

فَقَالَ: حَسِّ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَوْ قُلْتَ: بِسْمِ الله، لَطَارت بك الْمَلَائِكَةُ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إليك ثُمَّ رَدَّ اللهُ الْمُشْرِكِينَ**»)[1].

وعن إسماعيل بن قيسٍ قالَ: (رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ شَلاًّءَ وَقَى بِهَا النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ)[2].

وعن الزبيرِ قال: (كَانَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ دِرْعَانِ، فَنَهَضَ إِلَى الصَّخْرَةِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَأَقْعَدَ طَلْحَةَ تَحْتَهُ، فَصَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ حَتَّى اسْتَوَى عَلَى الصَّخْرَةِ. قَالَ: فَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**أَوْجَبَ طَلْحَةُ**»)[3] أي فعل فعلاً أوجب الجنة.

وعن عائشةَ وأم إسحاقَ بنتي طلحةَ قالتا: (جُرِحَ أَبُوْنَا يَوْمَ أُحُدٍ أَرْبَعاً وَعِشْرِيْنَ جِرَاحَةً، وَقَعَ مِنْهَا فِي رَأْسِهِ شَجَّةٌ مُرَبَّعَةٌ، وَقُطِعَ نِسَاهُ -يَعْنِي العِرْقَ- وَشُلَّتْ أُصْبُعُهُ، وَكَانَ سَائِرُ الجِرَاحِ فِي جَسَدِهِ، وَغَلَبَهُ الغَشْيُ، وَرَسُوْلُ الله ﷺ مَكْسُوْرَة رَبَاعِيَّتُهُ، مَشْجُوْجٌ فِي وَجْهِهِ، قَدْ عَلاَهُ الغَشْيُ، وَطَلْحَةُ مُحْتَمِلُهُ يَرْجِعُ بِهِ القَهْقَرَى، كُلَّمَا أَدْرَكَهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ، قَاتَلَ دُوْنَهُ حَتَّى أَسْنَدَهُ إِلَى الشِّعْبِ)[4].

(١) **حسن**: رواه النسائي (٣١٤٩)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٧٩٦)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٠٦٣).

(٣) **حسن**: رواه الترمذي (٣٧٣٨)، وأحمد (١/ ١٦٥)، والبزار (٩٧٢)، والحاكم (٥٦٠٢)، [«السلسلة الصحيحة» (٩٤٥)].

(٤) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢١٧).

وقال الزبيرُ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ يومئذ -أي: يومَ أحد- (أَوْجَبَ طَلْحَةُ -أي: عملَ عملاً أوجبَ له الجنة- حِينَ صَنَعَ بِرَسُولِ الله ﷺ مَا صَنَعَ -يَعْنِي: حِينَ بَرَكَ لَهُ طَلْحَةُ، فَصَعِدَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى ظَهْرِهِ-)(١).

ثانياً: موقفُه في الجودِ والكرمِ والإنفاقِ في سبيلِ الله، والمسارعةِ لفعل الخيرات:

(باع طلحة بنُ عبيدِ الله أرضاً له بسبعمائة ألفٍ، فباتَ ليلَةً عنده ذلكَ المال، فبات أرِقاً -من مخافةِ ذلك المال- حتى أصبحَ ففرَّقه)(٢).

(جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى طَلْحَةَ يَسْأَلُهُ، فَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِرَحِمٍ، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ لَرَحِمٌ مَا سَأَلَنِي بِهَا أَحَدٌ قَبْلَكَ، إِنَّ لِي أَرْضاً قَدْ أَعْطَانِي بِهَا عُثْمَانُ ثَلاثَمَائَةِ أَلْفٍ، فَاقْبِضْهَا، وَإِنْ شِئْتَ بِعْتُهَا مِنْ عُثْمَانَ، وَدَفَعْتُ إِلَيْكَ الثَّمَنَ.فَقَالَ: الثَّمَنُ، فَأَعْطَاهُ)(٣).

وعن عبدِ الله بن شدادٍ: (أَنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي عُذْرَةَ ثَلَاثَةً أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَأَسْلَمُوا، فَقَالَ ﷺ: «**مَنْ يَكْفِينِيهِمْ**؟» قَالَ طَلْحَةُ: أَنَا، فَكَانُوا عِنْدَ طَلْحَةَ، فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْثًا، فَخَرَجَ فيه أَحَدُهُمْ، فَاسْتُشْهِدَ. قَالَ: ثُمَّ بَعَثَ بَعْثًا، فَخَرَجَ فِيهِ آخَرُ فَاسْتُشْهِدَ، قَالَ: ثُمَّ مَاتَ الثَّالِثُ عَلَى فِرَاشِهِ.

قَالَ طَلْحَةُ: فَرَأَيْتُ هَؤُلاءِ الثَّلاثَةَ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدِي فِي الْجَنَّةِ، فَرَأَيْتُ الْمَيِّتَ عَلَى فِرَاشِهِ أَمَامَهُمْ، وَرَأَيْتُ الَّذِي اسْتُشْهِدَ أَخِيرًا يَلِيهِ، وَرَأَيْتُ الَّذِي اسْتُشْهِدَ أَوَّلَهُمْ آخِرَهُمْ. قَالَ: فَدَخَلَنِي مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ.

---

(١) **حسن**: رواه بهذا اللفظ أحمد (١/ ١٦٥)، [«السلسلة الصحيحة» (٩٤٥)].

(٢) رواه أحمد في «الزهد» (٧٧٧)، وفي «الفضائل» (١٢٩٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٨٩).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٣١).

قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**وَمَا أَنْكَرْتَ مِنْ ذَلِكَ؟ لَيْسَ أَحَدٌ أَفْضَلَ عِنْدَ الله مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَمَّرُ فِي الإِسْلامِ؛ لِتَسْبِيحِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَهْلِيلِهِ**»)[1].

(ابْتَاعَ طَلْحَةُ بِئْرًا بناحِيَةِ الجَبَلِ، ونَحَرَ جَزُورًا، فَأَطْعَمَ النَّاسَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَنْتَ طَلْحَةُ الْفَيَّاضُ**»)[2].

أما مواعظه رضي الله عنه فمنها:

١- قال طلحةُ رضي الله عنه: (لا تُشاوِر بخيلاً في صلةٍ، ولا جباناً في حربٍ، ولا شاباً في جارية)[3].

٢- وقال رضي الله عنه: من أرادَ أن يُقلَّ من معرفةِ الناسِ لعيوبه، فليجلسْ في بيته، فمن خالطَ الناسَ سُلِبَ دينَهُ ولا يشعرُ، ولذلك جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: (يَا رَسُولَ الله! مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**»)[4].

٣- وقال رضي الله عنه، إنا لنجدُ بأموالنا ما يجدُ البخلاءُ، لكننا نتصبرُ[5].

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (١/ ١٦٣)، وعبد بن حميد (١٠٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٤٢٣)، [«السلسلة الصحيحة» (٦٥٤)].

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (٦٢٢٤) من حديث سلمة بن الأكوع، ورواه الحاكم (١٤٠٤)، وأبو نعيم في «معجم الصحابة» (٣٥٦) من حديث موسى بن طلحة بن عبيد الله.

(٣) رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٣٩٢).

(٤) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٤٠٦)، وأحمد (٥/ ٢٥٩)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٧١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٧٤١)].

(٥) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٣٣).

والمعنى: أن الكريمَ يجدُ من الرغبةِ في الحرصِ على المالِ والتمسكِ به كـما يجـد البخيلُ، ولكنَّ الكريمَ يُلزم نفسَه، ويتجاوزُ رغباتِها، فيبذلُ أموالَه، ويـصبِّر نفـسه على ذلك.

اللهمَّ فقهنا في ديننا.

٢٣

سعيدُ بن زيدٍ رضي الله عنه

عباد الله! يقولُ اللهُ عز وجل: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب]. وهؤلاء الرجال هم أصحاب محمد ﷺ قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه، حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

فَمَنْ أراد النجاةَ فعليه أن يسلكَ سبيلَهم، ويفهمَ الإسلامَ بفهمهم:

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال ﷺ: (**«وَستَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً؛ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»**)[1].

وقال ابنُ مسعود رضي الله عنه: (من كان منكم مستَنّاً فليستن بمن قد مات، فإن الحيّ لا تُؤمن عليه الفتنة؛ أولئك أصحابُ محمد ﷺ كانوا والله أفضلَ هذه الأمة، أبرَّها قلوباً، وأعمقَها علماً، وأقلَّها تكلفاً، قومٌ اختارهُمُ الله لصحبةِ نبيِّه

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو، والطبراني في «الأوسط» (٤٨٨٦) من حديث أنس [«السلسلة الصحيحة» (١٣٤٨)].

ﷺ، وإقامةِ دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارِهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم، ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)[1].

وقال الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى-: (قال حمادُ بنُ سلمةَ عن أيوبِ السختياني، أنه قال: من أحبَّ أبا بكرٍ فقد أقامَ الدين، ومن أحب عمرَ فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمانَ فقد استنار بنور الله، ومن أحبَّ علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الحسنى في أصحابِ رسولِ الله ﷺ فقد برئ من النفاق)[2].

وموعدُنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع رجلٍ من هؤلاء الرجالِ، وصحابيٍّ من الصحبِ الكرامِ .. أتدرون من هوَ يا عباد الله؟ إنه **سعيدُ بنُ زيد** رضي الله عنه. أتعرفونه؟

هو سعيدُ بن زيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفيلٍ القرشيُّ العَدَويُّ، أبو الأعورِ، كان أبوه زيدُ بنُ عمرِو بنِ نفيلٍ أحدَ الحنفاءِ الذين طلبوا دينَ الحنيفية دينَ إبراهيمَ عليه السلام، قبل أن يُبعث النبيُّ عليه الصلاة والسلام، وكان لا يذبَحُ للأصنامِ، ولا يأكلُ الميتةَ والدَم، وكان يقولُ لقومه: (يَا مَعَشرَ قُرَيْشٍ! وَاللهِ لا آكلُ ما ذُبِحَ لغيرِ الله، والله ما أحدٌ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ غَيْرِي)[3].

---

(١) رواه البغوي في«شرح السنة» (١/ ٢١٤، ٢١٥)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٩)، والقرطبي في «تفسيره» من طريق سنيد (١/ ٦٠) بلفظ: (من كان منكم متأسيا فليتأسى....) وروي باللفظ المذكور عن عبد الله بن عمر ، رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٠٥)، والخطيب في «تالي التلخيص» (١/ ٣٧١)

(٢) «البداية والنهاية» (٨/ ١٣).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري معلقاً (٣٨٢٨)، ووصله ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٣٨٠) النسائي في «الكبرى» (٨١٨٧)، والحاكم (٥٨٥٩)، [«فقه السيرة» (٨٤)].

عن أسماءَ بنتِ أبي بكر قالت: (رَأَيْتُ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ قَائِمًا مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ، يَقُولُ: يَا مَعَشَرَ قُرَيْشٍ! وَاللهِ مَا مِنْكُمْ عَلَى دِينِ إِبْـرَاهِيمَ عليه السلام غَـيْرِي، وَكَانَ -أي: زيدُ بنُ عمرو- يُحْيِي الْـمَوءودَةَ -أي: يمنَعُ مِنْ قتلِها -يَقُولُ لِلرَّجُـلِ -إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ ابْنَتَهُ-: أَنَا أَكْفِيكَهَا مَؤُنَتَها فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا تَرَعْرَعَتْ قَالَ لأَبِيهَـا: إِنْ شِئْتَ دَفَعْتُهَا إِلَيْكَ، وَإِنْ شِئْتَ كَفَيْتُكَ مَؤُنَتَهَا)[1].

وأخرجَ البخاريُّ أنَّ ابنَ عمرَ يُحدِّث عن رسـولِ اللهِ ﷺ، أنـه لَقِـيَ زَيْـدَ بْـنَ عَمْرِو أَسْفَلِ بَلْدَحَ -وادٍ قَبلَ مكة من جهةِ الغـربِ- قبـلَ الـوحي فَقَـدَّمَ إلى زيـد سُفرةً فيها لحمٌ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَسْتُ آكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ -توهم زيدٌ أن اللحمَ المقدَم إليه من جنسِ ما حرَّم اللهُ، ومن المقطوع به أن بيتَ محمـدٍ ﷺ لا يأكلُ ذبائحَ الأصنامِ، ولكن أراد الاستيثاقَ لنفسِه، والإعلانَ عـن مذهبـه- عَـلَى أَنْصَابِكُمْ، وَلاَ آكُلُ إِلَّا مَا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ، وكان يعيـبُ عـلى قـريشٍ ذبـائحهم وَيَقُولُ: الشَّاةُ خَلَقَهَا اللهُ، وَأَنْزَلَ لَهَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءَ، وَأَنْبَتَ لَهَا مِـنَ الأَرْضِ الكـلأَ، وأنتم تَذْبَحُونَهَا عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللهِ)[2].

هذا هو زيدُ بنُ عمرِو بنِ نفيلٍ والدِ الـصحابيِّ الجليـلِ الـذي نحـن في صـدد الحديث عنه:

---

(١) **صـحيح**: رواه البخـاري معلقـاً (٣٨٢٨)، ووصـله ابـن سـعد في «الطبقـات» (٣/ ٣٨٠) النـسائي في «الكبرى» (٨١٨٧)، والحاكم (٥٨٥٩)، [«فقه السيرة» (٨٤)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٨٢٦).

• وحديثُنا عن سعيدِ بن زيدِ ﷺ سيكونُ عن مناقبهِ ومواقفهِ.

أما مناقبُه وفضائلُه فهي كثيرة منها:

أولاً: أنه كانَ من السابقين الأولين إلى الإسلام.

يقولُ سعيدُ بنُ زيدِ ﷺ: (وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنَّ عُمَرَ لَمُوثِقِي عَلَى الإِسْلاَمِ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عُمَرُ)[1].

وفي هذا الحديثِ يظهرُ لنا:

١- أنَّ سعيدَ بنَ زيدِ منَ السابقين الأولينَ إلى الإسلامِ.

٢- أنَّ إسلامَه كان قبلَ إسلامِ الفاروقِ ﷺ.

٣- أنه عُذِّبَ في اللهِ، وثبتَ على إسلامه.

قال أبو عبدِ اللهِ الحاكمُ: (أسلمَ سعيدُ بنُ زيدِ بنِ عمروٍ قبلَ أن يدخلَ رسولُ اللهِ ﷺ دارَ الأرقم، وقبلَ أن يدعوَ فيها الناسَ إلى الإسلامِ)[2].

ثانياً: من مناقبه ﷺ، شهادةُ النبيِّ ﷺ له بالجنة.

قال سعيدُ بنُ زيدٍ ﷺ: (أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنِّي سَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ: عَشْرَةٌ فِي الْجَنَّةِ: النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ،

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٨٦٢).

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٤٠٥)، و الحاكم (٣/ ٤٣٨)

وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ. وَلَوْ شِئْتُ لَسَمَّيْتُ الْعَاشِرَ.

قال: فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ فَسَكَتَ. قَالَ: فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ فَقَالَ: هُوَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ)[1].

وقال سعيدُ بنُ زيدٍ ﷺ: (كَانَ رَسُولُ الله ﷺ عَاشِرَ عَشَرَةٍ، فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي الْجَنَّةِ، فَقِيلَ لَهُ: مَنِ التَّاسِعُ؟ قَالَ: أَنَا)[2].

ثالثاً: ومن مناقبه ﷺ أن النبيَّ ﷺ أخبرَ بأنه من الشهداء:

يقولُ سعيدُ بن زيدٍ ﷺ: (أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ أَنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: اثْبُتْ حِرَاءُ! فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ، وَعَدَّهُمْ: رَسُولُ الله ﷺ، و أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَابْنُ عَوْفٍ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ)[3].

رابعاً: من مناقبه ﷺ أنه كان إذا اعتُدي عليه التجأ إلى الله، واستدلَّ بما سمع من رسولِ الله ﷺ.

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٤٨)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٩٥)، وابن حبان (٦٩٩٣)، واللفظ لأبي داود [«صحيح الجامع» (٤٠١٠)].

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٣٣)، [«تخريج الطحاوية» (٧٢٧ و٧٢٨)]

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٧٥٧)، وابن ماجه (١٣٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٩٠)، وأحمد (١/ ١٨٨)، واللفظ لابن ماجه [«السلسلة الصحيحة» (٨٧٥)].

ادَّعت أروى بنت أُويسٍ أنَّ سعيدَ بنَ زيدٍ أَخَذَ شَيْئًا مِـنْ أَرْضِـهَا، فَخَاصَـمَتْهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ. فَقَالَ سَعِيدٌ ﷺ: أَنَا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّـذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ ؟! قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنْ الْأَرْضِ ظُلْمًا طُوِّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ**».

فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لَا أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا.

فَقَالَ سعيدُ: اللهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَعَمِّ بَصَرَهَا، وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا، قَالَت: فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، ثُمَّ بَيْنَمَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ[1].

ولا عجبَ في ذلك، فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «**وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْـمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الله حِجَابٌ**»[2].

وقال ﷺ: «**اتَّقُوا دَعَوَاتِ الْـمَظْلُومِ فَإِنَّهَا تَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ كَأَنَّهَا شَرَارٌ**»[3].

وقال ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ تُسْتَجَابُ دَعْوَتُهُمْ: الْوَالِدُ وَالْـمُسَافِرُ وَالْـمَظْلُومُ**»[4].

ابنَ آدم:

لا تظلمِنَّ إذا ما كنتَ مقتدراً	فالظلمُ يرجعُ عقباه إلى الندمِ
تنام عيناك وَالمظلوم منتبهٌ	يدعو عليكَ وعينُ الله لم تنم

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٦١٠).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩)، واللفظ له.

(٣) **صحيح**: رواه الحاكم (٨١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٢٨)].

(٤) **حسن**: رواه أحمد (٤/ ١٥٤)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٤٧٨)، [«صحيح الجامع» (٣٠٤٩)].

أما مواقفُه فمنها:

موقفُه في الدفاعِ عنْ أصحابِ رسولِ الله ﷺ:

عن رباحِ بنِ الحارثِ قال: (كُنْتُ قَاعِدًا عِنْدَ فُلاَنٍ فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ وَعِنْدَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ، فَجَاءَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، فَرَحَّبَ بِهِ وَحَيَّاهُ وَأَقْعَدَهُ عِنْدَ رِجْلِهِ عَلَى السَّرِيرِ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ يُقَالُ لَهُ قَيْسُ بْنُ عَلْقَمَةَ فَاسْتَقْبَلَهُ فَسَبَّ وَسَبَّ، فَقَالَ سَعِيدٌ: مَنْ يَسُبُّ هَذَا الرَّجُلُ؟ قَالَ: يَسُبُّ عَلِيًّا.

قَالَ سعيدٌ: أَلاَ أَرَى أَصْحَابَ رَسُولِ الله ﷺ يُسَبُّونَ عِنْدَكَ ثُمَّ لاَ تُنْكِرُ وَلاَ تُغَيِّرُ، أَنَا سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ -وَإِنِّي لَغَنِيٌّ أَنْ أَقُولَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَقُلْ فَيَسْأَلَنِي عَنْهُ غَدًا إِذَا لَقِيتُهُ-: أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ وعليٌّ في الجنة، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ، وَتَاسِعُ الْـمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ، لَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيَهُ لَسَمَّيْتُهُ.

قَالَ: فَضَجَّ أَهْلُ الْـمَسْجِدِ يُنَاشِدُونَهُ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ الله ﷺ! مَنِ التَّاسِعُ؟

قَالَ: نَاشَدْتُمُونِي بِالله، وَاللهُ عَظِيمٌ، أَنَا تَاسِعُ الْـمُؤْمِنِينَ وَرَسُولُ الله ﷺ الْعَاشِرُ، ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ يَمِينًا قَالَ: وَالله لَمَشْهَدٌ شَهِدَهُ رَجُلٌ يُغَبَّرُ فِيهِ وَجْهُهُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، أَفْضَلُ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ، وَلَوْ عُمِّرَ عُمُرَ نُوحٍ عليه السلام)[1].

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٥٠)، وأحمد (١/ ١٨٧)، وابن أبي عاصم في السنة (١٤٣٣)، [«صحيح سنن ابن ماجه» (١٣٣)].

فَحُبُّ الصحابةِ دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ، فالواجبُ على المؤمنِ: إذا سمع أحداً ينالُ أو يسبُّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ؛ أن يدافعَ عنهم؛ لأنَّ الأدلةَ من الكتابِ والسنةِ جاءت تحرِّمُ سبَّ أصحابِ رسولِ الله ﷺ.

فمنَ القرآنِ:

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأحزاب].

ومن السنة:

قال ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»(١).

وقال ﷺ: «**مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(٢).

وقال ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي**»(٣).

وقال ﷺ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٤٠).

(٢) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٢٧٠٩)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٣٤٠)].

(٣) **حسن**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٧٠١٥)، والعقيلي في الضعفاء (٢/ ٢٦٤)، [«صحيح الجامع» (٥١١١)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤).

وقال ﷺ: «**إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَتِ النُّجُومُ فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا**»(١).

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً.

(١) **صحيح لغيره**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٤٤٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/١٠٨)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٤)].

٢٤

حمزةُ بنُ عبدِ المطلب رضي الله عنه

عبادَ الله! يقولُ اللهُ -عز وجل- في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

وهؤلاءِ الرجالُ همْ أصحابُ محمدٍ ﷺ؛ قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه ولنصرة دينه، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ﴾ [النمل:٥٩]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: الذين اصطفى هم أصحاب محمد ﷺ، اصطفاهم الله لنبيه[1].

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ -رحمه الله تعالى- قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ﴾ [النمل:٥٩]. قال طائفةٌ منَ السلفِ، هم أصحابُ محمدٍ ﷺ. ولا ريب أنهم أفضلُ المصْطَفَيْنَ منْ هذه الأمة التي قالَ اللهُ فيها: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر].

---

(١) «تفسير جامع البيان» (٢٠/ ٢).

فأمةُ محمدٍ ﷺ الذين أورثوا الكتابَ بعدَ الأمتين قبلهم -اليهودِ والنصارى- وقد أخبرَ اللهُ تعالى أنهم الذين اصطفى، وتواتر عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**خَيْرُ الناسِ الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثْتُ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(١). ومحمدٌ ﷺ وأصحابُه؛ هم المصْطَفَوْنَ من المصْطَفَيْنَ من عبادِ الله(٢).

وموعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شَاءَ اللهُ تعالى- مع رجلٍ منْ هؤلاءِ الذين اصطفاهُم الله لصحبةِ نبيِّه ولنصرةِ دينهِ .. أتدرون من هو يا عبادَ الله؟ هو: **حمزةُ ابنُ عبدِ المطلبِ** رضي الله عنه . أتعرفونه يا أمة الإسلام؟! إنه حمزةُ بنُ عبدِالمطلبِ بنُ هاشمٍ بنُ عبدِ منافٍ، القرشيُّ، الهاشميُّ، المكيُّ، ثم المدنيُّ، البدريُّ، الشهيدُ، أسدُ الله، وأسدُ رسولِهِ، عمُّ رسولِ الله ﷺ وأخوهُ منَ الرَّضاعة. قال ﷺ: «**حَمْزَةُ بنُ عبدِ المطلبِ أَخِي مِنْ الرَّضَاعَةِ**»(٣).

لما أسلم حمزةُ بنُ عبدِ المطلبِ رضي الله عنه علمت قريشٌ أنَّ رسولَ الله ﷺ قد امتنعَ، وأنَّ حمزةَ سيمنعُهُ، فكفُّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه(٤).

وحديثُنا عن حمزةَ بنِ عبدِ المطلبِ رضي الله عنه سيكونُ عن مناقبِه وعن استشهادِه في غزوةِ أُحُد. أما مناقبُه فهي كثيرةٌ منها:

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٣٤).

(٢) «منهاج السنة» (١/ ١٥٦).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٤٤٨).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٠٤).

أولاً: أنّ أولَ لواءٍ عقدَه رسولُ اللهِ ﷺ حينَ قدمَ المدينةَ كان لعمِّه حمزةَ بنِ عبدِ المطلب رضي الله عنه.

لما أذنَ اللهُ تعالى لرسولِهِ ﷺ في القتالِ؛ أخذَ ﷺ يبعثُ سراياه إلى الجهاتِ المختلفةِ؛ لمقاصدَ عاليةٍ، وحكمٍ غاليةٍ، وكان أولُ لواءٍ عقدَه الرسولُ ﷺ لحمزةَ ابنِ عبدِ المطلبِ، بعثه في ثلاثين رجلاً من المهاجرين خاصةً يعترضونَ عيراً لقريش، وكانت تلك العيرُ قادمةً منَ الشامِ، وفيها أبو جهلِ بنِ هشامٍ في ثلاثِمائة رجلٍ من قريش، فانتهى حمزةُ ومَنْ معه إلى سيفِ البحرِ منْ ناحيةِ العيص، فلقي أبا جهلٍ ومَنْ معه من الكفارِ واصطفوا للقتالِ، وسلّوا سيوفَهم، إلا أن مجدي بنَ عمرَ الجهنيّ كان حليفاً للفريقين فمشى بينهما وحجزهم، فلم يحصل قتالٌ في هذهِ السريةِ[1].

ثانياً: ومن مناقبهِ رضي الله عنه أنه كان في مقدمةِ المبارزين في غزوة بدرٍ الكبرى:

يقول عليٌّ رضي الله عنه: (تَقَدَّمَ -يَعْنِي عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ- وَتَبِعَهُ ابْنُهُ وَأَخُوهُ فَنَادَى: مَنْ يُبَارِزُ؟ فَانْتَدَبَ لَهُ شَبَابٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَأَخْبَرُوهُ. فَقَالَ: لاَ حَاجَةَ لَنَا فِيكُمْ، إِنَّمَا أَرَدْنَا بَنِي عَمِّنَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قُمْ يَا حَمْزَةُ، قُمْ يَا عَلِيُّ، قُمْ يَا عُبَيْدَةُ بْنَ الْحَارِثِ، فَأَقْبَلَ حَمْزَةُ إِلَى عُتْبَةَ، وَأَقْبَلْتُ إِلَى شَيْبَةَ، وَاخْتُلِفَ بَيْنَ عُبَيْدَةَ وَالْوَلِيدِ ضَرْبَتَانِ، فَأَثْخَنَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، ثُمَّ مِلْنَا عَلَى الْوَلِيدِ فَقَتَلْنَاهُ، وَاحْتَمَلْنَا عُبَيْدَةَ -أي:

(١) ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ١٨-١٩)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١/ ١٧١-١٨٤)، وابن حجر في «الإصابة» (١/ ٣٥٣).

إلى معسكرِ المسلمينَ-)[1]. الشاهدُ أنَّ حمزةَ بنَ عبدِ المطلبِ كان في مقدمةِ المبارزين يومَ بدرٍ الكبرى.

وفي حمزةَ بنِ عبدِ المطلبِ، ومَن معه -وهم حزبُ اللهِ-، وفي عتبةَ ابنِ ربيعةَ، ومن معه -وهم حزبُ الشيطانِ- أنزلَ اللهُ قرآناً يُتلى إلى يومِ القيامةِ.

فهذا أبو ذر رضي الله عنه يقسمُ بالله إِنَّ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ [الحج:١٩] نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ بَرَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ: حَمْزَةَ وَعَلِيٍّ وَعُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ وَعُتْبَةَ وَشَيْبَةَ ابْنَي رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ[2].

ويقول عليٌّ رضي الله عنه: (نَزَلَتْ ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ [الحج:١٩] في الَّذِينَ بَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ: حَمْزَةُ بنُ عبدِ المطلبِ، وَعَلِيٌّ، وَعُبَيْدَةُ بنُ الحارثِ، وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ. قال عليٌّ: أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجْثُو لِلْخُصُومَةِ على ركبتيه بَيْنَ يَدَيِ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[3].

ثالثاً: ومن مناقبه رضي الله عنه أنه كان في غزوة أُحُد يقاتلُ بين يدي رسولِ الله صلى الله عليه وسلم.

يقول سعدُ بنُ أبي وقاص رضي الله عنه: (كَانَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يُقَاتِلُ يَوْمَ أُحُدٍ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم وَيَقُولُ: أَنَا أَسَدُ الله)[4].

وفي غزوةِ أُحُدٍ أيضاً كانَ منَ المبارزين، وأبلى بلاءً حسناً في أرضِ المعركةِ.

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٦٦٥)، والبيهقي في السنن (٩/ ١٣١)، [«صحيح أبي داود» (٢٣٩٢)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٩٦٩)، ومسلم (٣٠٣٣).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٤٧٤٤).

(٤) رواه الحاكم (٤٨٨٠)، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٤٣).

يقول وحشيٌّ قاتلُ حمزةَ: (..خَرَجْتُ مَعَ النَّـاسِ إِلَى الْقِتَـالِ فَلَـمَّا أن اصْـطَفُّوا لِلْقِتَالِ خَرَجَ سِبَاعُ بن عبد العزى الخزاعيُّ، فَقَالَ: هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ؟ قَالَ: فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ، فَقَالَ: يَا سِبَاعُ يَا ابْـنَ أُمِّ أَنْـمَارٍ مُقَطِّعَـةِ الْبُظُـورِ، أَتُحَـادُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ؟ قَالَ: ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ فَكَانَ كَأَمْسِ الذَّاهِبِ)[1].

وفي حمزةَ بنِ عبدِ المطلبِ، ومن قُتِلَ معه في غزوةِ أُحدٍ أنزلَ اللهُ قرآنـاً يُـتلى إلى يومِ القيامةِ؛ يقول ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما (نَزَلَتْ هَـذِهِ الآيَـةُ فِي حَمْـزَةَ وَأَصْـحَابِهِ ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾ [آل عمران])[2].

وقال ﷺ: «لَـمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُـدٍ جَعَـلَ اللهُ أَرْوَاحَهُـمْ فِي جَـوْفِ طَـيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجُنَّةِ؛ تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِـلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ، وَمَشْرَبِهِمْ، وَمَقِيلِهِمْ؛ قَالُوا: مَنْ يُبَلِّـغُ إِخْوَانَنَـا عَنَّا أَنَّا أَحْيَاءٌ فِي الْجُنَّةِ نُرْزَقُ؛ لِئَلاَّ يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ وَلاَ يَنْكُلُوا عِنْدَ الْـحَرْبِ؟

فَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ، قَالَ: فَـأَنْزَلَ اللهُ ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾ [آل عمران]»[3].

رابعاً: ومن مناقبه رضي الله عنه، إخبارُ النبيِّ ﷺ عنه بأنـه سـيدُ الـشهداءِ عنـدَ اللهِ يـومَ القيامة.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٠٧٢).

(٢) رواه الحاكم (٣٤٥٧).

(٣) **حسن**: رواه أبو داود (٢٥٢٠)، وأحمد (١/ ٢٦٥)، وأبو يعلى (٢٣٣١)، والحاكم (٢٤٤٤)، [«صـحيح سنن أبي داود» (٢٢٧٥)].

قال ﷺ: «**سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَمْزَةُ بنُ عبدِ المطلبِ**»(١).

وقال ﷺ «**سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ، فَقَتَلَهُ**»(٢).

خامساً: ومن مناقبه رضي الله عنه شهادةُ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ رضي الله عنه -وهو أحدُ العشرةِ المبشرين بالجنةِ- له بأنه خيرٌ منه.

(أُتِيَ عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ بِطَعَامٍ -وَكَانَ صَائِمًا- فَقَالَ: قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلاَهُ، وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلاَهُ بَدَا رَأْسُهُ، وَأُرَاهُ قَالَ: وَقُتِلَ حَمْزَةُ، وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ، أَوْ قَالَ أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا؛ وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا، ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ)(٣).

سادساً: ومن مناقبه رضي الله عنه محبةُ النبيِّ ﷺ له، وتأثرُه ﷺ عندما رأى ما فعل الكفارُ به.

يقول أنسٌ رضي الله عنه (لَـمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وقفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ على حَمْزَةَ وَقَدْ جُدِعَ، وَمُثِّلَ بِهِ، فَقَالَ: لَوْلاَ أَنْ تَجِدَ صَفِيَّةُ فِي نَفْسِهَا، لَتَرَكْتُهُ حَتَّى يَحْشُرَهُ اللهُ مِنْ بُطُونِ السِّبَاعِ وَالطَّيْرِ)(٤).

---

(١) **حسن**: رواه الحاكم (٢٥٥٧)، [«صحيح الجامع» (٣٦٧٦)].

(٢) **حسن**: رواه الحاكم (٤٨٨٤) من حديث جابر، والطبراني في «الأوسط» (٤٠٧٩) من حديث ابن عباس [«السلسلة الصحيحة» (٣٧٤)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (١٢٧٥).

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (١٠١٦)، وأبو داود (٣١٣٦)، وأحمد (٣/ ١٢٨)، وأبو يعلى (٣٥٦٨)، واللفظ له [«السلسلة الضعيفة» (٥٥٠)].

يقولُ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: (مَرَّ رسولُ الله ﷺ بِنِسَاءِ عَبْدِ الأَشْهَلِ يَبْكِينَ هَلْكَاهُنَّ يَوْمَ أُحُدٍ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَكِنَّ حَمْزَةَ لاَ بَوَاكِيَ لَهُ**»، فَجَاءَ نِسَاءُ الأَنْصَارِ يَبْكِينَ حَمْزَةَ. فَاسْتَيْقَظَ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «**وَيْحَهُنَّ! مَا انْقَلَبْنَ بَعْدُ! مُرُوهُنَّ فَلْيَنْقَلِبْنَ، وَلاَ يَبْكِينَ عَلَى هَالِكٍ بَعْدَ الْيَوْمِ**»)(١).

أما كيفيةُ استشهادِ حمزةَ بنِ عبدِ المطلبِ في غزوةِ أُحُدٍ، فتعالَوا بنا لنستمعَ إلى «وحشي» الذي قتلَه، وهو يخبرنا الخبرَ، يقول: «وحشيٌّ»: (كُنْتُ عَبْدَ جُبَيْرِ بنِ مُطْعَمٍ. وَكَانَ عَمُّهُ طُعَيْمَةُ بنُ عَدِيٍّ قُتِلَ يَوْم بَدْرٍ -قتلَه حمزةُ-

فَقَالَ لِي مولاي جبير: إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ فَأَنْتَ حُرٌّ. وَكُنْتُ صَاحِبَ حَرْبَةٍ أَرْمِي قَلَّمَا أُخْطِئُ بِهَا، فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ، فَلَمَّا الْتَقَوْا أَخَذْتُ حَرْبَتِي وَخَرَجْتُ أَنْظُرُ حَمْزَةَ، حَتَّى رَأَيْتُهُ فِي عُرْضِ النَّاسِ مِثْلَ الجَمَلِ الأَوْرَقِ، يَهُدُّ النَّاسَ بِسَيْفِهِ هَدّاً مَا يُلِيْقُ شَيْئاً، فَوَالله إِنِّي لأَتَهَيَّأُ لَهُ إِذْ تَقَدَّمَنِي إِلَيْهِ سِبَاعُ بنُ عَبْدِ العُزَّى الخُزَاعِيُّ.

فَلَمَّا رَآهُ حَمْزَةُ قَالَ: هَلُمَّ إِلَيَّ يَا ابْنَ مُقَطِّعَةِ البُظُوْرِ! ثُمَّ ضَرَبَهُ حَمْزَةُ، فَوَالله مَا أَخْطَأَ رَأْسَهُ، مَا رَأَيْتُ شَيْئاً قَطُّ كَانَ أَسْرَعَ مِنْ سُقُوْطِ رَأْسِهِ، فَهَزَزْتُ حَرْبَتِي، حَتَّى إِذَا رَضِيْتُ عَنْهَا، دَفَعْتُهَا عَلَيْهِ، فَوَقَعَتْ فِي ثُنَّتِهِ -وهي ما بين السرةِ والعانةِ- حَتَّى خَرَجَتْ بَيْنَ رِجْلَيْهِ.

فَوَقَعَ، فَذَهَبَ لِيَنُوْءَ، فَغُلِبَ فَتَرَكْتُهُ وَإِيَّاهَا حَتَّى إِذَا مَاتَ قُمْتُ إِلَيْهِ، فَأَخَذْتُ حَرْبَتِي، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى المَعَسْكَرِ، فَقَعَدْتُ فِيْهِ، وَلَمْ يَكُنْ لِي حَاجَةٌ بِغَيْرِهِ.

---

(١) **حسن**: رواه ابن ماجه (١٥٩١)، وأحمد (٢/ ٤٠، ٨٤)، وأبو يعلى (٣٥٧٦)، واللفظ لابن ماجه [«صحيح ابن ماجه»(١٢٩٣)].

فَلَمَّا افْتَتَحَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ هَرَبْتُ إِلَى الطَّائِفِ، فَلَمَّا خَرَجَ وَفْدُ الطَّائِفِ لِيُسْلِمُوا، ضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، وَقُلْتُ: أَلْحَقُ بِالشَّامِ أَوِ اليَمَنِ أَوْ بَعْضِ البِلاَدِ، فَوَاللهِ إِنِّي لَفِي ذَلِكَ مِنْ هَمِّي، إِذْ قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ إِنْ -ما- يَقْتُلُ مُحَمَّدٌ أَحَداً دَخَلَ فِي دِيْنِهِ، فَخَرَجْتُ حَتَّى قَدِمْتُ المَدِيْنَةَ عَلَى رَسُوْلِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: وَحْشِيٌّ؟

قُلْتُ: نَعَمْ! قَالَ: اجْلِسْ فَحَدِّثْنِي كَيْفَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ؟ فَحَدَّثْتُهُ كَمَا أُحَدِّثُكُمَا فَقَالَ ﷺ: وَيْحَكَ! غَيِّبْ عَنِّي وَجْهَكَ، فَلاَ أَرَيَنَّكَ -وهذا يدل على محبةِ الرسولِ ﷺ لعمه حمزةَ-

فَكُنْتُ أَتَنَكَّبُ -أي: أتجنب- رَسُوْلَ اللهِ ﷺ حَيْثُ كَانَ حَتَّى قُبِضَ.

يقول وحشيٌّ: فَلَمَّا خَرَجَ المُسْلِمُوْنَ إِلَى مُسَيْلِمَةَ! خَرجتُ مَعَهُم بِحَرْبَتِي الَّتِي قَتَلْتُ بِهَا حَمْزَةَ. فَلَمَّا الْتَقَى النَّاسُ، نَظَرْتُ إِلَى مُسَيْلِمَةَ وَفِي يَدِهِ السَّيْفُ، فَوَاللهِ مَا أَعْرِفُهُ، وَإِذَا رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ يُرِيْدُهُ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى، فَكِلاَنَا يَتَهَيَّأُ لَهُ.

حَتَّى إِذَا أَمْكَنَنِي، دَفَعْتُ عَلَيْهِ حَرْبَتِي، فَوَقَعَتْ فِيْهِ وَشَدَّ الأَنْصَارِيُّ عَلَيْهِ، فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ، فَرَبُّكَ أَعْلَمُ أَيُّنَا قَتَلَهُ، فَإِنْ أَنَا قَتَلْتُهُ فَقَدْ قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ وَقَتَلْتُ شَرَّ النَّاسِ. ويقول ابنُ عمرَ: سمعتُ رجلاً يقول: قتله العبدُ الأسودُ - يعني مسيلمة-)[1].

هذا هو حمزةُ بنُ عبدِ المطلبِ: حياتُه منذ أسلمَ إلى أن لقيَ اللهَ شهيداً كانت في الجهادِ في سبيلِ الله. أسألُ اللهَ العظيمَ أن يجمَعنا وإياكم بحمزةَ مع رسولِنا ﷺ في جناتِ النعيمِ.

(١) رواه الطيالسي (١٣١٤)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤٨٣).

٢٥

العباسُ بنُ عبدِ المطلبِ رضي الله عنه

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عز وجل في كتابـه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

هؤلاء الرجال هم أصحاب محمد ﷺ؛ قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه، لا يحبهم إلا مؤمنٌ، ولا يبغضهم إلا منافق زنـديق. قـال الإمـام الطحـاوي رحمه الله تعالى في عقيدته المشهورة: (ونحبُّ أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحدٍ منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغـضهم، وبغـير الخـير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير؛ وحبهم ديـن وإيـمان وإحسان، وبغـضهم كفـر ونفاق وطغيان)[١].

وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعـالى- مـع رجـل مـن هـؤلاء الرجـال، وصحابيٍّ من الصحب الكرام .. أتدرون من هو يا عباد الله؟ **إنه: العباسُ بنُ عبـد المطلب** رضي الله عنه .

أتعرفونه؟ هو أبو الفضل العباسُ بنُ عبدِ المطلبِ بنِ هاشـمِ بـنِ عبـدِ منـافٍ، القرشيُّ، الهاشميُّ، عمُّ رسولِ الله ﷺ. ولـدَ قبـلَ رسـولِ الله ﷺ بـسنتين. (قِيـلَ لِلْعَبَّاسِ: أنتَ أَكْبَرُ أَمِ النَّبِيُّ ﷺ؟ فَقَالَ: هُوَ أَكْبَرُ مِنِّي وَأَنَا وُلِدْتُ قَبْلَهُ)[٢].

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (٤٦٧).

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٣٣٩٢١)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٥٠).

العباس بنُ عبدِ المطلبِ من سادةِ قريشٍ في الجاهليةِ والإسلامِ، وكانت إليه في الجاهليةِ السقايةُ وعِمارةُ المسجدِ الحرامِ، وكان العباس شريفاً، مهيباً، عاقلاً، جميلاً، أبيض بضّاً، له ضفيرتان، معتدلُ القامة[1].

وحديثُنا عنِ العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ رضي الله عنه سيكونُ عن مناقبِه ومواقفهِ في الإسلامِ وقبلَ الإسلامِ.

أما مناقبُه رضي الله عنه فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: فرحَ النبيِّ ﷺ بإسلامهِ فرحاً شديداً، وأعتقَ الذي بشّره. يقول أبو رافع رضي الله عنه: (بشَّرتُ النبيَّ ﷺ بإسلامِ العباسِ فأعتقني رسولُ الله ﷺ)[2].

ثانياً: ومن مناقبهِ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ كان يُحبُّه، ويُجِلُّه، ويُثني عليه ويدعو له.

بينما رسولُ الله ﷺ يُجهزُ بعثاً؛ إذ طلعَ العباسُ بنُ عبدِ المطلب، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**الْعَبَّاسُ عَمُّ نَبِيِّكُمْ، أَجْوَدُ قُرَيْشٍ كَفًّا وَأَوْصَلُهَا**»[3].

وقال رسولُ الله ﷺ: «**العَبَّاسُ عَمُّ رَسُولِ الله ﷺ، وَإِنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ -أي: مثلُه-**»[4].

(١) انظر ابن أبي عاصم «الآحاد والمثاني» (١/ ٢٦٧)، و«سير أعلام النبلاء» (٢/ ٧٩).

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» (٢٣٦٥)، قال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٢٦٨): **إسناده حسن**.

(٣) **حسن**: رواه النسائي في «الكبرى» (٨١٧٤)، وأحمد (١/ ١٨٥)، وأبو يعلى (٨٢٠)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٣٢٦)].

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٧٦١)، وابن حبان (٧٠٥٠)، واللفظ للترمذي [«السلسلة الصحيحة» (٨٠٦)].

وقال ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ آذَى عَمِّي؛ فَقَدْ آذَانِي؛ فَإِنَّمَا عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ** -أي: مثلُ أبيه-»[1].

ودعا النبيُّ ﷺ للعباسِ وأولادهِ، فقال: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِلْعَبَّاسِ، وَوَلَدِهِ مَغْفِرَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً لاَ تُغَادِرُ ذَنْبًا، اللهُمَّ احْفَظْهُ فِي وَلَدِهِ**»[2].

ثالثاً: ومن مناقبه رضي الله عنه أنه كان سبّاقاً لأداءِ ما أوجبَ اللهُ عليه من الفرائضِ، فقد طلبَ منَ النبيّ ﷺ أن يُرخِّصَ له بأداءِ زكاتهِ قبل أن يحلَّ وقتُها، يقول عليٌّ رضي الله عنه: (سأل العباس رضي الله عنه رَسُولَ الله ﷺ عَنْ تَعْجِيلِ صَدَقَتِهِ قَبْلَ أَنْ تَحِلَّ، فَرَخَّصَ لَهُ فِي ذَلِكَ)[3].

وكان العباسُ رضي الله عنه حريصاً على معرفةِ الخيرِ. يقولُ العباسُ (قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! عَلِّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ . قَالَ: «**سَلِ اللهَ العَافِيَةَ**»

يقول العباسُ: فَمَكَثْتُ أَيَّامًا، ثُمَّ جِئْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله عَلِّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللهَ؟ فَقَالَ لِي: «**يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّ رَسُولِ الله: سَلِ اللهَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**»)[4].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٧٥٨)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٧٦)، [«صحيح الجامع» (٧٠٨٧)].

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٣٧٦٢)، والبزار (٥٢١٣)، [«المشكاة» (٦١٤٩)].

(٣) **حسن**: رواه الترمذي (٦٧٨)، وأبو داود (١٦٢٤)، وابن ماجه (١٧٩٥)، والدارمي (١٦٣٦)، وأحمد (١/ ١٠٤)، [«صحيح سنن أبي داود» (١٤٣٦)]

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٥١٤)، وأحمد (١/ ٢٠٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٢٦)، [«السلسلة الصحيحة» (١٥٢٣)].

رابعاً: ومن مناقبهِ ﷺ أنَّ الفاروقَ عمرَ بنَ الخطابِ ﷺ استسقى بـه في عـام الرمادة.

يقول أنسٌ ﷺ: (كَانَ عمرُ بنُ الخطابِ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّـاسِ بْـنِ عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ، فَيقولُ: اللهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا؛ وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْـكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا، قَالَ فَيُسْقَوْنَ)[١].

والمرادُ بتوسل عمرَ ﷺ بالعباسِ: توسُّلهُ بدعائهِ لا بذاته؛ إذ التوسلُ بدعاءِ أهلِ الصلاحِ والفضلِ نوعٌ منْ أنواعِ التوسلِ المشروعِ، أما التوسلُ بـالأمواتِ، أو بالأحياءِ بذواتهم فهذا من التوسلِ الغيرِ مشروعٍ.

قال الحافظُ بنُ حجرٍ رحمه الله تعالى: وقد بينَ الزبيرُ بنُ بكار في الأنسابِ صفةَ ما دعا به العباسُ في هذه الواقعةِ والوقتَ الذي وقعَ فيه ذلكَ. فأخرج بإسـنادٍ لـه أنَّ العباسَ لما استسقى به عمرُ قال: (اللهمَّ إنه لم ينزلْ بلاءٌ إلا بذنبٍ، ولم يُكـشَفْ إلا بتوبةٍ، وقد توجَّهَ القومُ بي إليكَ لمكاني من نبيِّك. وهذه أيدينا إليكَ بالـذنوبِ، ونواصينا إليكَ بالتوبة؛ فاسقِنا الغيثَ؛ فأرخَتِ السماءُ مثلَ الجبالِ حتى أخـصبتِ الأرضُ وعاشَ الناسُ)[٢].

أما مواقفُه فهي عظيمةٌ جداً في الإسلامِ، وقبل دخولهِ الإسلام. أما موقفُـه في الإسلامِ:

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٠١٠).

(٢) «فتح الباري» (٢/ ٤٩٧).

الموقفُ الأولُ: يومَ فتحِ مكةَ:

نقضتْ قريشٌ عهدَها معَ رسولِ الله ﷺ فعزمَ رسولُ الله ﷺ على غزوِ قريشٍ ودخولِ مكةَ فخرج إليها في عشْرة آلافِ مقاتلٍ منَ المسلمين.

وكان العباسُ بنُ عبدِ المطلبِ عمُّ رسولِ الله ﷺ مُسلماً قبلَ ذلك إلا أنه كان مقيماً في مكةَ، وكان النبيُّ ﷺ راضياً عنه. فوقعَ في قلبهِ أن يهاجرَ إلى رسولِ الله ﷺ بعياله وهو لا يدري أنَّ الرسولَ ﷺ قادمٌ إلى مكةَ، فخرج العباسُ بعيالـه، مهاجراً إلى الله ورسولِه فلقي رسولَ الله ﷺ في الطريقِ فلزمه.

وكانت قريشٌ قد خافَتْ من غَدْرَتها تلك، فأرسلت أبا سفيان، وحكيمَ بنَ حزام، وبُديلَ بنَ ورقاء يتحسسون الأخبارَ -أخبارَ رسولِ الله ﷺ.

ولما مرَّ رسولُ الله ﷺ بمرِّ الظهران -وهو مكانٌ قُبيلَ مكةَ- نزل به والجيشَ وأمرَهم أن يوقدوا ناراً، فأُوقدت عشرةُ آلافِ نارٍ، فأمسَتِ الصحراءُ كلُّها منيرةً، فلما مرَّ ركبُ قريش بمرِّ الظهران، ورأوا تلك النار. قال أبو سفيان: كأنها نيرانُ عرفة. فقال حكيمٌ: كأنهم بنو عمرو، فقال له أبو سفيان: بنو عمرو أقلُّ من هذا.

قالَ العباسُ: (وَالله لَئِنْ دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ مَكَّةَ عَنْوَةً قَبْلَ أَنْ تَسْتَأْمِنَهُ قُرَيْشٌ لقد هلَكتْ، فَركبَ العباسُ بَغْلَةَ رَسُولِ الله ﷺ، وانطلقَ يبحثُ عن ذي حَاجَةٍ يَأْتِي مكة، فيأمرهم أن يخرجوا إلى رسولِ الله ﷺ، فَيَسْتَأْمِنُوهُ قبل أن يدخلَ عليهم مكة.

قال العباسُ: فبينما أنا أَسِيرُ إِذْ سَمِعْتُ صوتَ أَبِي سُفْيَانَ، وَبُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ يتحدثان، فَقُلْتُ: يَا أَبَا حَنْظَلَةَ! (كنيةُ أبي سفيان)؛ فَعَرَفَ صَوْتِي، فَقَالَ: أَبُو الْفَضْلِ! (كنيةُ العباسِ) فقال: قلت: نَعَمْ، قَالَ: مَا لَكَ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي؟ قُلْتُ: رَسُولُ الله وَالنَّاسُ، قَالَ: ويحكَ فَمَا الْحِيلَةُ؟

قَالَ العباس لأبي سفيان: اركب ورائي، فَرَكِبَ وراءه، فأتى به النبيَّ ﷺ فَأَسْلَمَ، فقال العباسُ للنبيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ الله! إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرَ، فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا.

قَالَ النبي ﷺ: «**نَعَمْ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ دَارَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ**»[1]. فأراد أبو سفيان أن ينصرفَ فيأتي أهلَ مكةَ فيخبرُهم. فقال النبيُّ ﷺ للعباس: (يَا عَبَّاسُ! احْبِسْهُ بِمَضِيقِ الْوَادِي عِنْدَ خَطْمِ الْجَبَلِ، حَتَّى تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ الله فَيَرَاهَا.

قَالَ العباسُ: فانطلقتُ بأبي سفيان فحبستهُ حَيْثُ أَمَرَنِي رَسُولُ الله ﷺ أَنْ أَحْبِسَهُ، فجعَلتِ الْقَبَائِلُ تمرُّ علينا قبيلةً بعد قبيلة، كُلَّمَا مَرَّتْ قَبِيلَةٌ سألني أبو سفيان: مَنْ هَؤُلاءِ؟ أَقُولُ: بني سُلَيْمٌ، يَقُولُ: مَالِي وَلِبني سُلَيْمٍ، ثُمَّ تَمُرُّ الْقَبِيلَةُ، فيقول: مَنْ هَؤُلاءِ؟ فَأَقُولُ: مُزَيْنَةُ، فَيَقُولُ: مَا لِي وَلِمُزَيْنَةَ، فجعلتِ الْقَبَائِلُ تَمُرُّ قَبِيلَةً قبيلةً، كلما رأى قبيلةً قال: يا أبا الفضلِ مَنْ هَؤُلاءِ؟ أَقُولُ: بني فُلانٍ، يَقُولُ: مَالِي

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٣٠٢٢)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٣١٩)، [«صحيح سنن أبي داود» (٢٦١٠)].

وَلِبَنِي فُلانٍ، حَتَّى مَرَّ رَسُولُ الله ﷺ فِي كتيبته الْخَضْرَاءِ معهُ الأَنْصَارُ والْـمُهَاجِرُونَ لا تُرَى مِنْهُمْ إلا الأعينُ فلما رآهم أبو سفيان قال: يا أبا الفضلِ مَنْ هَـؤُلاءِ؟ قُلْتُ: هَذَا رَسُولُ الله ﷺ فِي الْـمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، قَالَ: يا أبا الفضل مَا لأَحَدٍ بِهَـؤُلاءِ من قِبَلٍ وَلا طَاقَةَ، ثم قال أبو سفيان: يَا أَبَا الْفَضْلِ، لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابْنِ أَخِيكَ الآنَ عَظِيمًا، قال أبو الفضل: يَا أَبَا سُفْيَانَ ليسَ الملكُ ولكنَّهَا النُّبُوَّةُ.

قَالَ: هي إِذَنْ، قُلْتُ: ويحك! النَّجَاةَ النجاةَ! أدرك قَوْمَكَ، فانطلق أبو سفيان ليأتي أهلَ مكةَ ليخبرهم بخبرِ رسول الله، فلما دخلَ مكةَ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! إنَّ محمداً قَدْ جَاءَكُمْ بِمَا لا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ اليومَ ولا طاقةَ، فَأقبلت إليه هندُ بنتُ عتبة امرأته تأخذ بشاربه، وتقول: اقتلوا الأحمقَ، قبحَّكَ اللهُ مِنْ طَلِيعَةِ قَوْمٍ!

فقَالَ: يا معشرَ قريشٍ لا تَغُرَّنَّكُمْ هَذِهِ ولا فعالُها، بادروا! مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، قَالُوا: قاتَلكَ اللهُ وَمَا تُغْنِي عَنَّا دَارُكَ، قَالَ: وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْـمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ إِلَى الْـمَسْجِدِ، وأغلق بعضُهم عليه دارَه)[1].

الموقفُ الثاني: في غزوةِ حنين:

سارَ النبيُّ ﷺ حتى انتهى إلى حُنين فعدَّلَ الجيشَ ونظَّمه، وفي غلَسِ الصبحِ نزلوا في الوادي، فلم يَرُعهم إلا والعدوُّ يرميهم بالسهامِ، فقد نزلَ قبلهم في أعلى الوادي، فكانت المفاجأةُ، ففرَّ المسلمونَ، وتفرقَتْ صفوفُهم، وولَّوْا مدبرين، وهنا

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٢٦٤)، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

التفتَ الرسول ﷺ، وقال: «**يا معشرَ الأنصارِ!**» فقالوا: لبيكَ يا رسولَ الله! لبيكَ! أبْشِرْ أبشر! ثم التفتَ عن يسارِه وقال: «**يا معشرَ الأنصارِ**»! فقالوا: لبيكَ يا رسولَ الله لبيك! أبشِر أبشرّ! نحنُ معك.

فقال ﷺ للعباسِ وكان بين يديه هو وأبو سفيان فقال: «**يا عباسُ! نادِ أصحاب السَّمُرة**»؛ وهي الشجرةُ التي تمت تحتَها بيعةُ الرضوانِ يومَ الحديبيةِ، فنادى العباسُ بنُ عبدِ المطلب: أين أصحابُ السمرة؟ فقالوا: لبيك لبيك! قال: فوالله لكأنَّ عطفَتهم حين سمعوا صوتي عطفَة البقرِ على أولادِها. فاجتمعوا عند رسولِ الله ﷺ فصفَّهم مرةً ثانية، وقال:

«**أنا النبيُّ لا كذب أنا ابنُ عبدِ المطلبِ**»

ثم استنصرَ اللهَ عز وجل، فقال: «**اللهمَّ أنزلْ نصرَك**» ثم نظرَ إلى الجيشِ وقد التحمَ بعضُه ببعضٍ، فقال: «**الآن حَمِيَ الوطيسُ**»، ثم قبضَ قبضةً من تراب الأرضِ ورمى بها القومَ، وقال: «**شاهَتِ الوجوه**» فما خلقَ اللهُ فيهم إنساناً إلا ودخلَ عينيه من هذا الترابِ، قال العباسُ بنُ عبدِ المطلب: فوالله ما هوَ إلا أن رماهم حتى رأيتُ حدَّهم كليلاً، وأمرَهم مدبراً[1].

أما موقفُه قبلَ إسلامِه فيظهرُ جلياً في بيعةِ العقبةِ: روى ابنُ إسحاقَ وعنه أحمدُ وغيرُه من حديثِ كعبِ بنِ مالكٍ في قصةِ العقبةِ الثانيةِ قالَ: (..فَنِمْنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا، حَتَّى إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمِيعَادِ رَسُولِ الله ﷺ

(١) هذا السياق مجموع من عِدّة روايات رواها البخاري (٨، ٥٣،٥٤، ٤٣٣٧) .

نَتَسَلَّلُ تَسَلُّلَ الْقَطَا مستخفين، حَتَّى اجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ، وَنَحْنُ ثلاثةٌ وسَبْعُونَ رَجُلاً وَمَعَنَا امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِنا: نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ؛ أُمُّ عُمَارَةَ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي سَلِمَةَ، وَهِيَ أُمُّ مَنِيعٍ، قَالَ: فَاجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ نَنْتَظِرُ رَسُولَ الله ﷺ، حَتَّى جَاءَنَا وَمَعَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، إِلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ وَيَتَوَثَّقَ لَهُ، فَلَمَّا جَلَسَ كَانَ أَوَّلَ مَن تَكَلَّمَ العباسُ بنُ عبد المطلب، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ -قَالَ: وَكَانَتِ الْعَرَبُ يُسَمُّونَ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الأَنْصَارِ الْخَزْرَجَ خَزْرَجَهَا وأَوْسَهَا - إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ، وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ، وَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ، وَمَنَعَةٍ فِي بَلَدِهِ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوقَ بكم، فإن كنتم ترون أنكم مُسْلِمُوهُ وخاذلُوه بعد الخروجِ به إليكم فمنَ الآن فدعوه؛ فإنه في عزٍّ ومنعةٍ من قومه وبلده.

فَقُلْنَا لهُ: قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ، فتكَلَّمْ يَا رَسُولَ الله! فَخُذْ لِنَفْسِكَ، وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ.

قَالَ: فتكَلَّمَ رَسُولُ الله ﷺ، فَتَلاَ القرآنَ، وَدَعَا إِلَى الله وَرَغَّبَ فِي الإِسْلاَمِ قَالَ: أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ، قَالَ: فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنَا -كنايةً عن أنفسهم ونسائِهم-، فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ الله، فَنَحْنُ والله أَهْلُ الْحُرُوبِ، وَأَهْلُ الْحَلْقَةِ، وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ.

قَالَ: فَاعْتَرَضَ الْقَوْلَ، وَالْبَرَاءُ يُكَلِّمُ رَسُولَ الله ﷺ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهَانِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ حِبَالاً، وَإِنَّا قَاطِعُوهَا -يَعْنِي الْعُهُودَ-؛ فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ، ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ، وَتَدَعَنَا؟ قَالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ الله ﷺ، ثُمَّ قَالَ: بَلِ الدَّمُ الدَّمُ، وَالْهَدْمُ الْهَدْمُ، أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي، أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ، وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ)[1].

قال ابنُ هشام: ويقالُ الهدمُ الهدمُ: أي ذمتي ذمتُكم وحرمَتي حرمتُكم، وهاجرَ النبيُ ﷺ إلى المدينةِ، وهناك قامت دولةُ الإسلامِ التي فتحتِ الدنيا من مشرقِها إلى مغربِها[2].

اللهمَّ أرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٤٦٠)، [«فقه السيرة» (ص ١٤٦)].

(٢) «سيرة ابن هشام مع الروض الآنف» (٣/ ١٨٩).

٢٦

عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ رضي الله عنهما

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب]. وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ﴾ [النمل:٥٩].

هؤلاءِ الرجالُ الذين اصطفاهمُ اللهُ لصحبةِ نبيه ولنصرةِ دينهِ؛ هم أصحابُ محمد ﷺ، لا يحبهم إلا مؤمنٌ، ولا يبغضهم إلا منافقٌ زنديقٌ، حبهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ.

وموعدُنا في هذا اليوم -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ رجلٍ منْ هؤلاءِ الرجالِ وصحابيٍّ من الصحبِ الكرامِ .. أتدرونَ من هو يا عبادَ الله؟ إنه: عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ رضي الله عنهما أتعرفونه يا أمةَ الإسلام؟

هو عبدُ اللهِ بنُ العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ بنِ عبدِ منافٍ، القرشيُّ، الهاشميُّ، أبو العباسِ ابنُ عباسٍ، الذي ملكَ المجدَ من أطرافهِ، فقد اجتمَع لهُ مجدُ الصُّحبة؛ فهو من أصحابِ رسولِ الله ﷺ، ومجدُ القرابة؛ فهو ابنُ عمِّ نبيِّ الله ﷺ. ومجدُ العلم؛ فهو حبرُ الأمةِ، وترجمانُ القرآنِ، ومجدُ التُّقى؛ فقد

كانَ صوَّاماً بالنهار، قوّاماً بالليلِ مستغفراً بالأسحارِ، بكّاءً مـن خـشيةِ الله تعـالى، ومجدُ الجمال، فكان وسيماً جميلاً، مديدَ القامةِ، مهيباً، كاملَ العقل، زكيّ النفسِ.

وُلِد ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما قبلَ الهجرة بثلاثِ سنوات.

ولما تُوُفِّيَ الرسولُ ﷺ، كان له ثلاثَ عشرةَ سنةً فقط؛ ومع ذلـك فقـد حفـظَ للمسلمين عن نبيِّهم ألفاً وستمائةٍ وستينَ حديثاً.

وحديثُنا عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما سيكون عن مناقبهِ ومواقفِه.

أما مناقبُه فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: دعاءُ النبيِّ ﷺ له بالعلمِ والحكمةِ والفقهِ في الدين:

يقولُ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (ضَمَّنِي النَّبِيُّ ﷺ إِلَى صَـدْرِهِ وَقَـالَ: «**اللهُـمَّ عَلِّمْـهُ الْحِكْمَةَ**»)[1].. وقال ﷺ: «**اللهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ**»[2].

وقالَ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (ضَمَّنِي رَسُـولُ اللهِ ﷺ إِلَيْـهِ وَقَـالَ: «**اللهُـمَّ عَلِّمْـهُ الْحِكْمَةَ، وَتَأْوِيلَ الْكِتَابِ**»)[3].

وقال ﷺ: «**اللهم فقّهه في الدين وعلّمه التأويلَ**»[4].

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٥٦).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٧٥).

(٣) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٦٦)، وابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٣٦٥)، [«الروض النضير» (٣٩٥)].

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٢٦٦) [«السلسلة الصحيحة» (٢٥٨٩)].

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (مَسَحَ النَّبِيُّ ﷺ رَأْسِي وَدَعَا لِي بِالْحِكْمَةِ)[1].

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (دَعَا لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَزِيدَنِي اللهُ عِلْمًا وَفَهْمًا)[2].

ولقد استجابَ اللهُ دعوةَ رسولِهِ ﷺ في ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما فلقد كان إماماً في العلم، وَعَلَمَاً من أعلامِ الأمةِ المحمدية الذين نشرَ اللهُ بهم أحكامَ دينِ الإسلامِ؛ من أوامرَ، ونواهٍ، وحلالٍ، وحرامٍ. فإذا سألتَ أحداً منَ المسلمينَ -صغيراً أو كبيراً ذكراً أو أنثى- مَنْ حَبرُ الأمةِ؟ لقال: ابنُ عباسٍ. مَنْ ترجمانُ القرآن؟ لقال: ابنُ عباس.

ثانياً: من مناقبه رضي الله عنه كثرةُ ملازمتهِ لرسولِ الله ﷺ، ومن الأمثلةِ على ذلك:

- إذا همَّ رسولُ الله ﷺ أن يتوضأَ كان ابنُ عباسٍ بجواره، يُعِدُّ له ماءَ وُضُوئِهِ.

يقولُ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (دَخَلَ النبيُّ ﷺ الْخَلاَءَ فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءً -وهو الماءُ الذي يتوضأ به- قَالَ ﷺ: «**مَنْ وَضَعَ هَذَا؟**» فَأُخْبِرَ، فَقَالَ ﷺ: «**اللهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»)[3].

ويقولُ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ -خالته- فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا مِنَ اللَّيْلِ. فَقَالَتْ لَهُ مَيْمُونَةُ: يا رسولَ اللهِ وَضَعَ لَكَ هَذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ. فَقَالَ ﷺ: «**اللهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**»)[4].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٢١٤)، وأبو يعلى (٢٤٧٧)، [«محققو المسند»].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٣٣٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٢٢١)، [«محققو المسند»].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (١٤٣).

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٣٣٥)، والبزار (٥٠٧٥)، وابن حبان (٧٠٥٥)، [«تخريج شرح الطحاوية» (٢٣٤)].

• وإذا وقفَ النبيُّ ﷺ للصلاةِ في جوفِ الليلِ كان ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما هناك خلفَه يُصلي.

يقولُ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، فَصَلَّيْتُ خَلْفَهُ فَأَخَذَ بِيَدِي، فَجَرَّنِي، فَجَعَلَنِي حِذَاءَهُ -أي: بجواره- فَلَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى صَلاتِهِ، خَنَسْتُ -أي تأخرت- فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ لِي: «**مَا شَأْنُك أَجْعَلُكَ حِذَائِي فَتَخْنِسُ؟**» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَيَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُصَلِّيَ حِذَاءَكَ وَأَنْتَ رَسُولُ اللهِ، الَّذِي أَعْطَاكَ اللهُ؟

قَالَ ابن عباس: فَأَعْجَبْتُهُ؛ فَدَعَا اللهَ لِي أَنْ يَزِيدَنِي عِلْمًا وَفَهْمًا)[1].

وَعَنِ ابن عباس: (أَنَّهُ أَتَى خَالَتَهُ مَيْمُونَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ إِلَى السِقَايَةِ، فَتَوَضَّأَ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى، قَالَ: وَقُمْتُ فَتَوَضَّأْتُ، ثُمَّ قُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ.

قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَدَارَنِي مِنْ خَلْفِهِ حَتَّى أَقَامَنِي عَنْ يَمِينِهِ)[2]. الشاهد أنَّ ابنَ عباس -وهو طفلٌ- كان يصلي خلفَ رسولِ الله ﷺ، ويتعلمُ منه.

• وإذا عزمَ النبيُّ ﷺ على السفرِ كان ابنُ عباسٍ رديفَه -أي: خلفه- على الدابةِ.

يقولُ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ -أي: على دابته- يَوْمًا فَقَالَ: «**يَا غُلامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا**

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٣٣٠)، والحاكم (٦٢٧٩)، [«محققو المسند»].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٢٤٩)، وابن حبان (٢٦٢٧)، وأصله في الصحيحين [«محققو المسند»].

سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَّ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّـةَ لَـوْ اجْتَمَعَـتْ عَـلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَـكَ، وَلَـوْ اجْتَمَعُـوا عَـلَى أَنْ يَـضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»)[1].

• وإذا شربَ النبيُّ ﷺ كانَ ابنُ عباسٍ عن يمينِه.

عن ابنِ عباسٍ: (شَرِبَ النبيُّ ﷺ وَابنُ عباسٍ عَلَى يَمِينِهِ، وَخَالِدُ بـن الوليـد عَلَى شِمَالِهِ، فَقَالَ له النبيُّ ﷺ : «**الشَّرْبَةُ لَكَ، فَإِنْ شِئْتَ آثَرْتَ بِهَـا خَالِـدًا**»، قـال- أي: ابن عباس- : مَا أُوثِرُ عَلَى سُؤْرِ رسول الله ﷺ أَحَداً)[2].

ثالثاً: ومن مناقبه رضي الله عنه تقديمُ عمرَ بنِ الخطابِ له، وثناؤُه عليه:

يقولُ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما : (كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَـعَ أَشْـيَاخِ بَـدْرٍ فَكَـأَنَّ بَعْـضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ؛ فَقَالَ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مِـنْ حَيْـثُ عَلِمْتُمْ. فَدَعَا ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ فَمَا رُئِيتُ -أي: ما ظننت- أَنَّهُ دَعَـانِي يَوْمَئِـذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ.

قَـالَ مَـا تَقُولُـونَ فِي قَـوْلِ الله تَعَـالَى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ [النصر]، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا نَحْمَدُ اللهَّ وَنَسْتَغْفِرُهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَـا، وَسَـكَتَ

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (١/ ٢٩٣)، وأبو يعلى (٢٥٥٦)، واللفظ للترمذي [«السلسلة الصحيحة» (٢٣٨٢)].

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٣٤٥٥)، وأحمد (١/ ٢٢٠)، والطيالسي (٢٧٢٣)، واللفظ للترمذي [«السلسلة الضعيفة» (٥٧٣٤)].

بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا. فَقَالَ لِي: أَكَذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لاَ! قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ الله ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ.

قَالَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١)﴾ [النصر]، وَذَلِكَ عَلاَمَةُ أَجَلِكَ؛ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)﴾ [النصر] فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ)[1].

ويقولُ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: كان عمرُ يدعو ابنَ عباسٍ ويُقَرِّبهُ ويقولُ: إِنِّي رَأَيتُ رَسُوْلَ الله ﷺ دَعَاكَ يَوْماً، فَمَسح رَأْسَك، وَقَالَ: «**اللهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّيْنِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيْلَ**»[2].

ويقول سعدُ بنُ أبي وقاصٍ رضي الله عنه: (مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَحْضَرَ فَهْمًا، وَلاَ أَلَبَّ لُبًّا، وَلاَ أَكْثَرَ عِلْمًا، وَلاَ أَوْسَعَ حِلْمًا مِنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَلَقَدْ رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَدْعُوهُ لِلْمُعْضِلاَتِ ثُمَّ يَقُولُ: عِنْدَكَ! قَدْ جَاءَتْكَ مُعْضِلَةٌ، ثُمَّ لاَ يجَاوِزُ قَوْلَهُ، وَإِنَّ حَوْلَهُ لَأَهْلُ بَدْرٍ مِنَ الْـمُهَاجِرِينِ وَالأَنْصَارِ)[3].

ويقولُ طلحةُ بنُ عبيد الله: (لَقَدْ أُعْطِيَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَهْمًا وَلَقْنًا وَعِلْمًا، مَا كُنْتُ أَرَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يُقَدِّمُ عَلَيْهِ أَحَدٌ)[4].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٩٧٠).

(٢) رواه الآجري في «الشريعة» (١٧٠٠)، والبغوي في «معجم الصحابة» (١٤٦٣)، والخطيب في تاريخه (١/ ١٧٤) والحديث ضعّفه الذهبي وابن حجر العسقلاني.

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٣٦٩).

(٤) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٣٧٠).

رابعاً: ومن مناقبِه رضي الله عنه ثناءُ الصحابةِ والتابعينَ عليه.

يقول عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (نِعْمَ تُرْجُمَانُ الْقُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ)[1].

وقال ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: (ابنُ عباسٍ أعلمُ الناسِ بما أنزَلَ اللهُ على محمدٍ صلى الله عليه وسلم)[2].

وقال محمدُ بنُ عليٍّ -يومَ ماتَ ابنُ عباس-: (الْيَوْمَ مَاتَ رَبَّانِيُّ هَذِهِ الأُمَّةِ)[3].

وقال مجاهدٌ: (كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ سَمِيَّ الْبَحْرِ لِكَثْرَةِ عِلْمِهِ)[4].

وقال رافعُ بن خُديجُ: (مَاتَ الْيَوْمَ مَنْ كَانَ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ)[5].

وقال مسروقٌ: (كُنْتُ إِذَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ قُلْتُ: أَجْمَلُ النَّاسِ، فَإِذَا نَطَقَ قُلْتُ: أَفصَحُ النَّاسِ، فَإِذَا تَحَدَّثَ قُلْتُ: أَعْلَمُ النَّاسِ)[6].

عبادَ الله! أما مواقفهُ فهي كثيرةٌ جداً:

---

(١) رواه أحمد في «الفضائل» (١٥٥٨)، وابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٣٦٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٢١٩).

(٢) رواه الطبري في «تهذيب الآثار» (٢١٧٥).

(٣) رواه أحمد في «الفضائل» (١٨٤٢).

(٤) رواه الحاكم (٦٢٨٣)

(٥) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٣٧٢).

(٦) رواه الطبري في «تهذيب الآثار» (٢١٨٢).

الموقفُ الأول: في حرصِه على طلبِ العلمِ، واحترامِ العلماءِ:

يقولُ ابنُ عباسٍ ﭭ: (لَـمَّا تُوفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ قُلْتُ لِرَجُلٍ مِـنَ الأَنْـصَارِ: يَـا فُـلاَنُ هَلُـمَّ فَلْنَـسْأَلْ أَصْـحَابَ النَّبِـيِّ ﷺ؛ فَـإِنَّهُمْ الْيَـوْمَ كَثِـيرٌ فَقَـالَ -أي: الأنصاريُّ-: وَاعَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَتَرَى النَّاسَ يَحْتَـاجُونَ إِلَيْـكَ، وَفِي النَّـاسِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ تَرَى؟ فَتَرَكَ ذَلِكَ وَأَقْبَلْتُ عَـلَى الْـمَـسْأَلَةِ، فَـإِنْ كَـانَ لَيَبْلُغُنِي الْحَدِيثُ عَنِ الرَّجُلِ فَآتِيهِ وَهُـوَ قَائِـلٌ -أي: في وقـتِ القيلولـة- فَأَتَوَسَّـدُ رِدَائِي عَلَى بَابِهِ فَتَسْفِي الرِّيحُ عَلَى وَجْهِي الـتُّرَابَ -أي تـذروه وتحملُـه- فَيَخْـرُجُ فَيَرَانِي، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ الله ﷺ مَا جَاءَ بِـكَ؟ أَلاَ أَرْسَـلْتَ إِلَيَّ فَآتِيَـكَ؟! فَأَقُولُ: لاَ! أَنَا أَحَقُّ أَنْ آتِيَكَ، فَأَسْأَلُهُ عَنِ الْحَدِيثِ قَالَ -أي: ابـن عبـاس- فَبَقِـيَ الرَّجُلُ -أي: الأنصاريُّ- حَتَّى رَآنِي وَقَدِ اجْتَمَعَ النَّـاسُ عَـلَيَّ. فَقَـالَ: كَـانَ هَـذَا الْفَتَى أَعْقَلَ مِنِّي)[1].

وها هو زيدُ بن ثابتٍ كاتبُ الـوحي، ورأسُ أهـلِ المدينـةِ في القـضاءِ والفقـهِ والقراءةِ والفرائضِ يهمُّ برُكوب دابّته. فيقفُ ابـنُ عبـاسٍ ﭭ بـين يديـه وقفـةَ العبدِ بين يدي مولاهُ، ويمسِكُ له رِكابَهُ، ويأخذُ بزمام دابته. فقـالَ لـه زيـدٌ: (دع عنكَ يا ابنَ عمِّ رسولِ الله. فَقَالَ ابنُ عباس: هَكَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِعُلَمَائِنَا. فَقَالَ له زَيْدٌ: أَرِنِي يَدَكَ، فَأَخْرَجَ له ابنُ عباس يَدَهُ، فَمال عليها وقَبلَّهَا وَقَـالَ: هَكَـذَا أُمِرْنَـا أَنْ نَفْعَلَ بِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا)[2].

(١) رواه الـدارمي (٥٧٠)، وعبـد الله بـن أحمـد في «زوائـد الفـضائل» (١٩٢٥)، والطـبراني في «الكبـير» (١٠٥٩٢).

(٢) **صحيح**: رواه الدينوري في «المجالسة» (١٣١٤)، [«سلسلة الآثار الصحيحة» (١١٦)].

الموقفُ الثاني: مُناقشتهُ بالحكمةِ للخوارج، وأثرُها الطيبُ في رجوعِ كثيرٍ منهم إلى الحقِّ.

بعد قضيةِ التحكيمِ التي كانت بين عليٍّ بنِ أبي طالبٍ ﷺ ومعاويةَ ﷺ، تعلقَ الخوارجُ ببعضِ الشبهاتِ الباطلةِ، فذهبَ إليهم عبدُ الله بنُ عباسٍ ﷺ وردّها عليهم -فرجعَ مَن رجعَ منهم- وبقي مَن بقي منهم في ضلاله.

فتعالَوا بنا إلى ابن عباسٍ ﷺ يخبرُنا الخبرَ:

يقول ابن عباس ﷺ: (لما خَرجتِ الحروريةُ -وهم الخوارج- اعتزلوا في دارِهم وكانوا ستة آلافٍ. فقلتُ لعليٍّ ﷺ: يا أميرَ المؤمنين أبردْ بالظهر لعلي آتي هؤلاءِ القومَ؛ فأُكلمَهم. قال: إني أخافُ عليك، قلتُ: كلا. قال: فقمتُ ودخلتُ عليهم في نصف النهار وهم قائلون، فسلمتُ عليهم. فقالوا: مرحباً بك يا ابنَ عباس، فما جاءَ بك؟

قلتُ لهم: أتيتكُم من عندِ أصحابِ رسولِ الله ﷺ وصهرِه، وعليهم نزلَ القرآنُ، وهم أعلمُ بتأويلهِ منكم، وليسَ فيكم منهم أحدٌ؛ لأُبلغَكم ما يقولونَ وتُخبروني بما تقولون. قلتُ: أخبروني ماذا نَقِمتم على أصحابِ رسولِ الله وابنِ عمِّه؟ قالوا: ثلاثٌ. قلتُ: ما هنَّ؟

قالوا: أما إحداهُنَّ فإنه حكَّمَ الرجالَ في أمرِ الله؛ وقالَ اللهُ تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٥٧] ما شأنُ الرجالِ والحكمِ؟ فقلت: هذه واحدةٌ، قالوا: وأما الثانيةُ فإنه قاتلَ، ولم يسبِ، ولم يغنمْ، فإن كانوا كفاراً سَلَبَهم، وإن كانوا مؤمنين ما أحلَّ قتالهم؟ قلتُ: هذه اثنتانِ، فما الثالثة؟

قالوا: إنه محى نفسَه عن أميرِ المؤمنينَ فهو أميرُ الكافرين. قلت: هل عندكم شيءٌ غيرُ هذا؟ قالوا: حسبُنا هذا.

قلتُ: أرأيتم إن قرأتُ عليكم من كتابِ الله، ومن سنةِ نبيِّه ﷺ ما يرُدُّ قولَكم، أترضَوْن؟ قالوا: نعم.

قلتُ: أما قولُكم حكَّم الرجالَ في أمرِ الله، فأنا أقرأ عليكم في كتابِ الله أنْ قد صيّر اللهُ حكمَه إلى الرجالِ في ثَمَنِ ربعِ درهم؛ فأمرَ اللهُ الرجالَ أن يحكُموا فيه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ الآية [المائدة:٩٥] فأنشدتُكم بالله تعالى أحُكمُ الرجالِ في أرنبٍ، ونحوها من الصيدِ أفضل، أم حكمُهم في دمائِهم وصلاحِ ذاتِ بينهم؟ وأنتم تعلمونَ أنَّ الله لو شاءَ لحكَمَ ولم يُصَيِّرْ ذلكَ إلى الرجالِ. قالوا: بل هذا أفضلُ.

وفي المرأةِ وزوجِها قالَ اللهُ عز وجل: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ٣٥ ﴾ [النساء] فأنشدتكم بالله حُكمُ الرجالِ في صلاحِ ذات بينهم، وحقنِ دمائِهم أفضلُ من حكمِهم في امرأةٍ؟ أَخرجتُ من هذه؟ قالوا: نعم.

قلتُ: وأما قولُكم قاتلَ ولم يسبِ ولم يغنم، أفتسبُون أمَّكُمْ عائشةَ، وتستحِلُّونَ منها ما تستحلون من غيرها. وهي أمُّكم؟ فإن قلتم: إنا نستحلُّ منها ما نستحلُّ من غيرها. فقد كفرتم، ولئن قلتم: ليست بِأُمِّنا. فقد كفرتم، لأنَّ اللهَ تعالى يقول: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾ [الأحزاب:٦]. فأنتم تدُورون بينَ ضلالتين، فأتوا منهما بمخرج.

قلت: فخرجتُ من هذه؟ قالوا: نعم.

وأما قولُكم محى اسمَه منْ أميرِ المؤمنين. فأنا آتيكُم بمن ترضَون، وأراكم قد سمعتم أن النبيَّ ﷺ يومَ الحديبيةِ صالحَ المشركين، فقال لعليٍّ رضي الله عنه: اكتبْ هذا ما صالحَ عليه محمدٌ رسولُ الله ﷺ. فقال المشركون: لا والله ما نعلمُ أنك رسولُ الله؛ لو نعلمُ أنكَ رسولُ الله لأطعناك، فاكتبْ: محمدُ بنُ عبدِ الله. فقال رسولُ الله ﷺ: امحُ يا عليُّ رسولَ الله، اللهم إنك تعلمُ أني رسولُك، امحُ يا عليّ، واكتبْ هذا ما صالح عليه محمدُ بنُ عبدِ الله. فوالله لرسولُ الله ﷺ خيرٌ من عليٍّ وقد محا نفسَه؛ ولم يكن محوُه ذلك يمحوه من النبوةِ. خرجتُ من هذه؟ قالوا: نعم، فرجعَ منهم ألفانِ وخرج سائرهم -أي على عليِّ بن أبي طالب- فقُتِلوا على ضلالتهم، فقتلهم المهاجرون والأنصار[1]. نعم إنهم رجالٌ اختارَهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيه، ونصرةِ دينه.

الموقفُ الثالثُ: حرصُه على التمسكِ بسنةِ رسولِ الله ﷺ ونشرِها بين الناسِ:

عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: (أَنَّهُ طَافَ مَعَ مُعَاوِيَةَ بِالْبَيْتِ، فَجَعَلَ مُعَاوِيَةُ يَسْتَلِمُ الأَرْكَانَ كُلَّهَا، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: لِمَ تَسْتَلِمُ هَذَيْنِ الرُّكْنَيْنِ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ الله ﷺ يَسْتَلِمُهُمَا؟ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْبَيْتِ مَهْجُورًا، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١] فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: صَدَقْتَ)[2].

فذكَّره بالسنة.

---

(١) **حسن**: رواه النسائي في «الكبرى» (٨٥٧٥)، والحاكم (٢٦٥٦)، وابن زنجويه في «الأموال» (٥١٦)، والبيهقي في السنن(٥/ ١٧٩)، [«الصحيح المسند من فضائل الصحابة» (٣٠٨)]

(٢) **حسن لغيره**: رواه أحمد في المسند (١/ ٢١٧)، [«محققو المسند»].

قال عبدُ الله بن شقيق: (خَطَبَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ بالبصرةِ يَوْمًا بَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى غَرَبُتِ الشَّمْسُ وَبَدَتِ النُّجُومُ، وَجَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ: الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ! قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ لَا يَفْتُرُ وَلَا يَنْثَنِي: الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ! فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَتُعَلِّمُنِي بِالسُّنَّةِ، لَا أُمَّ لَكَ؟!

ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ جَمَعَ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ.

قَالَ عَبْدُ الله بْنُ شَقِيقٍ: فَحَاكَ فِي صَدْرِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ. فَأَتَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ فَسَأَلْتُهُ، فَصَدَّقَ مَقَالَتَهُ)[1].

السنةُ سفينةُ المتقين، السنةُ سفينةُ النجاةِ، من ركبها نجا، ومن تركها هلك قال ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ من بعدي**»[2].

وقال ﷺ: «**مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[3].

اللهمَّ فقهنا في ديننا.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٧٠٥).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٦٧٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)



بلالُ بنُ رباحٍ رضي الله عنه

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عز وجل: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب]. وهؤلاء الرجال هم أصحاب محمد ﷺ؛ قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه، ونصرة دينه، لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق زنديق.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى في عقيدته عن الصحابة رضي الله عنهم: (وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: قال حمادُ بنُ سلمةَ عن أيوبِ السختياني، أنه قال: (مَنْ أَحَبَّ أَبَا بَكْرٍ فَقَدْ أَقَامَ الدِّينَ، وَمَنْ أَحَبَّ عُمَرَ فَقَدْ أَوْضَحَ السَّبِيلَ، وَمَنْ أَحَبَّ عُثْمَانَ فَقَدِ اسْتَنَارَ بِنُورِ الله، وَمَنْ أَحَبَّ عَلِيّاً فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، وَمَنْ قَالَ الْحُسْنَى فِي أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ)[1].

وَموعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ الله تعالى- مع رجلٍ من هؤلاءِ الرجالِ، وصحابيٍّ من الصحبِ الكرامِ .. أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه: **بلالُ بنُ رباحٍ**

---

(١) **حسن**: رواه أبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» (٦٣)، [«سلسلة الآثار الصحيحة» (٦٦٥)].

رضي الله عنه . .. أتعرفونه يا أمة الإسلام؟ هو: بلالُ بنُ رباحٍ الحبشيُّ مؤذنُ رسولِ الله ﷺ . يعرفه الصغيرُ والكبيرُ، الذكرُ والأنثى من أمةِ الإسلامِ.

وحديثُنا عن بلالِ بنِ رباحٍ رضي الله عنه سيكونُ عن مناقبِهِ، ومواقفِهِ في الإسلامِ.

أما مناقبُه فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: أنه رضي الله عنه من السابقينَ إلى الإسلامِ:

قال عمرُو بن عبسةَ السُّلَمِيُّ: (كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ.

فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ مُسْتَخْفِيًا، جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ. فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ -يسألُ عن صفتِهِ لا عن ذاتِه-

قَالَ: أَنَا نَبِيٌّ؟

فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟

قَالَ أَرْسَلَنِي اللهُ ؟

فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟

قَالَ: أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ؟

قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟

قَالَ: حُرٌّ وَعَبْدٌ -وهذا هو الشاهد- (قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ)[1]. فقلتُ: إني مُتَّبِعُك.. الحديث.

وعن أنسٍ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**لَقَدْ أُوذِيتُ فِي الله وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ. وَلَقَدْ أُخِفْتُ فِي الله وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ. وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَمَا لِي وَلِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إِلَّا مَا وَارَى إِبْطُ بِلَالٍ**»[2].

وعن عبدِ الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قالَ: (كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ) .. الحديث[3].

ثانياً: من مناقبه رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بَشَّره أنه من أهلِ الجنة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: (أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لِبِلَالٍ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ: يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ -أي: تحريك نعليك- بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ.

قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلاً أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طُهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ، أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ)[4].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٨٣٢).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٤٧٢)، وابن ماجه (١٥١)، وأحمد (٣/ ١٢٠)، واللفظ لابن ماجه [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٢٨١)].

(٣) **حسن**: رواه ابن ماجه (١٥٠)، وأحمد (١/ ٤٠٤)، وابن حبان (٧٠٨٣)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص ١٢١)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٤٩)، ومسلم (٢٤٥٨)، واللفظ للبخاري.

وقال ﷺ: «**رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ خَشَفَةً -أي: حركة- فَقُلْتُ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا بِلاَلٌ؟ وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: لِعُمَرَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ، فَقَالَ عُمَرُ: بِأَبِي و أُمِّي يَا رَسُولَ الله أَعَلَيْكَ أَغَارُ؟**»[1].

(دَعَا رسولُ الله ﷺ بِلاَلاً فَقَالَ: يَا بِلاَلُ بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الجَنَّةِ؟ إِني دَخَلْتُ الجَنَّةَ البَارِحَةَ، فَسَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي، فَأَتَيْتُ عَلَى قَصْرٍ مِنْ ذَهَبٍ مُرَبَّعٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا القَصْرُ؟ قَالُوا: لِرَجُلٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ. قُلْتُ: فَأَنَا مُحَمَّدٌ. لِمَنْ هَذَا القَصْرُ؟ قالوا: لِرَجُلٍ مِنَ العَرَبِ، فَقُلْتُ: أَنَا عَرَبِيٌّ، لِمَنْ هَذَا القَصْرُ؟ قَالُوا لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقُلْتُ: فَأَنَا قُرَشِيٌّ، لِمَنْ هَذَا القَصْرُ؟ قَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ.

فَقَالَ بِلاَلٌ: يَا رَسُولَ الله! مَا أَذَّنْتُ قَطُّ إِلَّا صَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، وَمَا أَصَابَنِي حَدَثٌ قَطُّ إِلَّا تَوَضَّأْتُ عِنْدَهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: بِهذا)[2]. -أي: بهذا بلَغْتَ.

ثالثاً: من مناقبه رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ أمره بالأذان:

يقول ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: (كَانَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ؛ فَيَتَحَيَّنُونَ الصَّلاَةَ، لَيْسَ يُنَادَى لَهَا. فَتَكَلَّمُوا يَوْمًا فِي ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اتَّخِذُوا نَاقُوسًا مِثْلَ نَاقُوسِ النَّصَارَى، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ بُوقًا مِثْلَ قَرْنِ الْيَهُودِ.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٧٩).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٦٨٩)، وأحمد (٥/ ٣٥٤)، وابن حبان (٧٠٨٧)، واللفظ للترمذي [«صحيح الجامع» (٧٨٩٤)].

فَقَالَ عُمَرُ: أَوَلاَ تَبْعَثُونَ رَجُلاً يُنَادِي بِالصَّلاَةِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا بِلاَلُ! قُمْ فَنَادِ بِالصَّلاَةِ**»)[1].

ويقول انس رضي الله عنه: (لَـمَّا كَثُرَ النَّاسُ قَالَ: ذَكَرُوا أَنْ يُعْلَمُوا وَقْتَ الصَّلاَةِ بِشَيْءٍ يَعْرِفُونَهُ، فَذَكَرُوا أَنْ يُورُوا نَارًا، أَوْ يَضْرِبُوا نَاقُوسًا، فَأُمِرَ بِلاَلٌ أَنْ يَشْفَعَ الأَذَانَ، وَأَنْ يُوتِرَ الإِقَامَةَ)[2].

وقال ﷺ: «**إِنَّ بِلاَلاً يُؤَذِّنُ بِلَيْلٍ، فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُؤَذِّنَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ**»[3].

رابعاً: ومن مناقبه رضي الله عنه أنّ النبيَّ ﷺ أخبرَ أنَّ اللهَ يغضبُ لغضبِ بلالٍ وأصحابه.

مرَّ أَبو سُفْيَان عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ، فَقَالُوا: (وَاللهِ! مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللهِ مَأْخَذَهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ -أي: لهم- أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ! لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ؟ لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ**».

فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهْ! أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لَا! يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أُخَيَّ)[4].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٤)، ومسلم (٣٧٧).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٦)، ومسلم (٣٧٨).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦١٧)، ومسلم (١٠٩٢).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٠٤).

خامساً: من مناقبه رضي الله عنه أنَّ اللهَ أنزلَ فيه قرآناً يُتلى إلى يومِ القيامة:

يقول سعدُ بنُ أبي وقاصٍ رضي الله عنه: (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا، قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ، وَبِلَالٌ، وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقَعَ. فَحَدَّثَ نَفْسَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام:٥٢])(١).

سادساً: ومن مناقبه رضي الله عنه ثناءُ الفاروقِ عليه:

يقولُ جابرُ بنُ عبدِ اللهِ رضي الله عنهما: كان عمرُ يقول: (أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا. يَعْنِي بِلاَلاً)(٢).

أما مواقفُه فمنها:

الموقفُ الأولُ: موقفه في الثباتِ على الدينِ:

عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: (كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلاَمَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلاَلٌ، وَالْمِقْدَادُ رضي الله عنهم.

فَأَمَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَمَنَعَهُ اللهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرُعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤١٣).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٥٤).

الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا إِلَّا بِلالاً، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللهِ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ؛ وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ)[1].

الموقفُ الثاني: في غزوةِ بدرٍ الكبرى:

يقولُ عبدُ الرحمن بنُ عوفٍ رضي الله عنه: (كَاتَبْتُ أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ كِتَابًا بِأَنْ يَحْفَظَنِي فِي صَاغِيَتِي بِمَكَّةَ -أي: يحفظني في أهلي ومالي- وَأَحْفَظَهُ فِي صَاغِيَتِهِ بِالْمَدِينَةِ. فَلَمَّا ذَكَرْتُ «**الرَّحْمَنَ**» قَالَ: لاَ أَعْرِفُ الرَّحْمَنَ، كَاتِبْنِي بِاسْمِكَ الَّذِي كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَكَاتَبْتُهُ «**عَبْدُ عَمْرٍو**» فَلَمَّا كَانَ فِي يَوْمِ بَدْرٍ خَرَجْتُ إِلَى جَبَلٍ لأُحْرِزَهُ حِينَ نَامَ النَّاسُ، فَأَبْصَرَهُ بِلاَلٌ -أي أبصرَ بلالُ أميةَ بنَ خلفٍ- فَخَرَجَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَجْلِسٍ مِنَ الأَنْصَارِ.

فَقَالَ -أي: بلال-: أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ لاَ نَجَوْتُ إِنْ نَجَا أُمَيَّةُ. فَخَرَجَ مَعَهُ فَرِيقٌ مِنَ الأَنْصَارِ فِي آثَارِنَا، فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَلْحَقُونَا خَلَّفْتُ لَهُمُ ابْنَهُ لِأُشْغِلَهُمْ، فَقَتَلُوهُ. ثُمَّ أَبَوْا حَتَّى يَتْبَعُونَا، وَكَانَ - أي: أمية- رَجُلاً ثَقِيلاً، فَلَمَّا أَدْرَكُونَا قُلْتُ -القائل هو عبد الرحمن- لَهُ -أي: لأميةَ بن خلف-: ابْرُكْ فَأَلْقَيْتُ عَلَيْهِ نَفْسِي لأَمْنَعَهُ، فَتَجَلَّلُوهُ بِالسُّيُوفِ مِنْ تَحْتِي حَتَّى قَتَلُوهُ وَأَصَابَ أَحَدُهُمْ رِجْلِي بِسَيْفِهِ، وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ يُرِينَا ذَلِكَ الأَثَرَ فِي ظَهْرِ قَدَمِهِ)[2].

---

(١) **حسن**: رواه ابن ماجه (١٥٠)، وأحمد (١/ ٤٠٤)، وابن حبان (٧٠٨٣)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص ١٢١)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٣٠١).

فهذا بلالُ بن رباحٍ الذي كان في مكـةَ لا يُعـرَفُ؛ ولكـن عنـدما آمـنَ واعتـز بالإسلام أعزه اللهُ بالإسلامِ حياً وميتاً.

ففي حياته: كان يُضْرَبُ كمثلٍ أعلى في الجهادِ في سبيلِ الله؛ ولـذلك لمـا مـات النبيُّ ﷺ طلبَ من أبي بكر أن يخرجَ للجهـادِ في سـبيلِ الله، فطلـب أبـو بكرٍ منـه -أي من بلال- أن يبقى عنده؛ ليؤذِّنَ كما كـان يـؤذنُ لرسـولِ الله ﷺ، فقـال لـه بلال: (إِنْ كُنْتَ اشْتَرَيْتَنِي لِنَفْسِكَ فأنتَ وما تريد، وَإِنْ كُنْتَ اشْـتَرَيْتَنِي وجعلتنـي حُراً للهِ، فَاتركني وَعَمَلي أعبدُ الله عزوجلِ)[1]. وجاهدَ حتى خرجَ من هذه الـدنيا، فخرج وله الذكرى الحسنةُ، فما أحدٌ يقولُ بلال، إلا وقال مؤذنُ رسولِ الله ﷺ.

اللهمَّ أرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه.

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٥٥).

٢٨

أبو هريرة رضي الله عنه

عبادَ الله! يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)﴾ [الفتح].

ويقولُ ابنُ مسعود رضي الله عنه: (إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَن دِينِهِ)[1].

أصحابُ محمدٍ ﷺ رجالٌ اختارَهم الله لصحبةِ نبيِّه، ونصرةِ دينِهِ، حبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ.

مَنْ أحبهم وسلكَ سبيلَهم وتمسك بمنهجهم سَعِدَ في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (١/ ٣٧٩)، والبزار (١٨١٦)، والطبراني في «الكبير» (٨٥٨٢)، [«السلسلة الضعيفة» (٥٣٣)].

ومَنْ أبغضهم وتركَ منهجَهم وسلكَ سبيلاً غيرَ سبيلهم شقِيَ في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء].

وَموعدُنا في هذا اليوم -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- مع رجلٍ منْ هؤلاءِ الرجالِ، وصحابيٍّ من الصحبِ الكرامِ .. أتدرون من هو يا عبادَ الله؟ إنه: **أبو هريرة** ﵁ ... أتعرفونَه يا أمةَ الإسلامِ؟ هو: أبو هريرةَ الإمامُ الفقيهُ المجتهدُ الحافظُ، صاحبُ رسولِ الله ﷺ سيدُ الحفاظِ، اشتهر بين الناسِ بكنيته.

وَأبو هريرةَ ﵁ من قبيلة دَوْسٍ:

يقول أبو هريرةَ ﵁ (قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «**مِمَّنْ أَنْتَ؟**» قُلْتُ: مِنْ دَوْسٍ، قَالَ: «**مَا كُنْتُ أَرَى أَنَّ فِي دَوْسٍ أَحَدًا فِيهِ خَيْرٌ**»)[1].

يقول أبو هريرة ﵁: (جَاءَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: إِنَّ دَوْسًا قَدْ عَصَتْ -أي: الإيمان- وَأَبَتْ -أي: الإيمانَ- فَادْعُ اللهَ عَلَيْهِمْ. فَاسْتَقْبَلَ رَسُولُ الله ﷺ الْقِبْلَةَ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ النَّاسُ: هَلَكُوا. فقَالَ ﷺ: «**اللهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَائْتِ بِهِمْ، اللهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَائْتِ بِهِمْ، اللهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَائْتِ بِهِمْ**»)[2].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٨٣٨)، والبزار (٩٥٢١)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٩٣٦)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٩٣٧)، ومسلم (٢٥٢٤)، وأحمد (٢/ ٢٤٣)، واللفظ له.

وحديثُنا عن أبي هريرةَ رضي الله عنه سيكونُ عن مناقبِهِ، ومواقفِه، ومواعظِه رضي الله عنه .

أما مناقبُه رضي الله عنه فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: مُلازَمتُه لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم :

يقول أبو هريرةَ رضي الله عنه : (كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فِي نَخْلٍ لِبَعْضِ أَهْلِ الْـمَدِينَةِ، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! هَلَكَ الْـمُكْثِرُونَ، إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا -ثَلاَثَ مَرَّاتٍ: حَتَى بِكَفَّيْهِ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ- وَقَلِيلٌ مَا هُمْ.

ثُمَّ مَشَى سَاعَةً فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟.

فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله!

فَقَالَ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِالله، وَلاَ مَلْجَأَ مِنَ الله إِلَّا إِلَيْهِ.

ثُمَّ مَشَى سَاعَةً فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ النَّاسِ عَلَى الله، وَمَا حَقُّ الله عَلَى النَّاسِ؟.

قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: فَإِنَّ حَقَّ الله عَلَى النَّاسِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَحَقٌّ عَلَيْهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ)[1].

يقولُ أبو هريرةَ رضي الله عنه : (يَقُولُونَ إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ، وَاللهُ الْـمَوْعِدُ -أي: وعندَ الله الموعدُ يحاسبُني إن تعمّدتُ كذباً، ويحاسبُ مَنْ ظَنَّ بيَ السوءَ-.

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٣٠٩)، [«السلسلة الصحيحة» (١٧٦٦)].

وَيَقُولُونَ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ لاَ يُحَدِّثُونَ مِثْلَ أَحَادِيثِهِ، وَإِنَّ إِخْوَانِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ -كناية عن البيع والشراء- وَإِنَّ إِخْوَانِي مِنَ الأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمْ عَمَلُ أَمْوَالِهِمْ -أي: كانوا أصحاب زراعة في البساتين- وَكُنْتُ امْرءاً مِسْكِينًا أَلْزَمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى مِلْءِ بَطْنِي فَأَحْضُرُ حِينَ يَغِيبُونَ وَأَعِي حِينَ يَنْسَوْنَ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا: لَنْ يَبْسُطَ أَحَدٌ مِنْكُمْ ثَوْبَهُ -حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي هَذِهِ- ثُمَّ يَجْمَعَهُ إِلَى صَدْرِهِ فَيَنْسَى مِنْ مَقَالَتِي شَيْئًا أَبَدًا، فَبَسَطْتُ نَمِرَةً لَيْسَ عَلَيَّ ثَوْبٌ غَيْرَهَا حَتَّى قَضَى النَّبِيُّ ﷺ مَقَالَتَهُ، ثمَّ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا نَسِيتُ مِنْ مَقَالَتِهِ تِلْكَ إِلَى يَوْمِي هَذَا. وَاللهِ لَوْلاَ آيَتَانِ فِي كِتَابِ اللهِ مَا حَدَّثْتُكُمْ شَيْئًا أَبَدًا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة])[1].

ثانياً: ومن مناقبه رضي الله عنه حرصه على معرفة الخير وفعله:

قال أبو هريرة: (يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ. أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ)[2].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٣٥٠)، ومسلم (٢٤٩٢)، واللفظ للبخاري.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٩٩).

ويقول أبو هريرةَ رضي الله عنه : (أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلاَثٍ: صَوْمُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلاَةُ الضُّحَى، وَلاَ أَنَامُ إِلَّا عَلَى وِتْرٍ)(١).

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : قلتُ: (يَا رَسُولَ الله! إِنِّي إِذَا رَأَيْتُكَ طَابَتْ نَفْسِي وَقَرَّتْ عَيْنِي، فَأَنْبِئْنِي عَنْ أَمْرٍ إِذَا أَخَذْتُ بِهِ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ.

قَالَ: «**أَفْشِ السَّلَامَ، وَأَطْعِمِ الطَّعَامَ، وَصِلِ الْأَرْحَامَ، وَقُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، ثُمَّ ادْخُلِ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ**»)(٢).

وعن أبي هريرةَ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: («**مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي خَمسَ خِصالٍ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ، أَوْ يُعَلِّمُهُنَّ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ؟**» قَالَ: قُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ الله!

فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّهُنَّ فيها وَقَالَ: «**اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلاَ تُكْثِرِ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ القَلْبَ**»)(٣).

ثالثاً: ومنْ مناقبهِ رضي الله عنه حرصُه على طلبِ العلمِ:

يقولُ أبو هريرةَ رضي الله عنه : قلتُ: (يَا رَسُولَ الله! أَسْمَعُ مِنْكَ حَدِيثًا كَثِيرًا أَنْسَاهُ قَالَ ﷺ: «**ابْسُطْ رِدَاءَكَ**»، فَبَسَطْتُهُ قَالَ: فَغَرَفَ بِيَدَهِ ثُمَّ قَالَ: «**ضُمَّهُ**»، فَضَمَمْتُهُ فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا بَعْدَهُ)(٤).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٧٨)، ومسلم (٧٢١)، وأحمد (٢/ ٢٥٨)، واللفظ له.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٢٩٥)، وابن حبان (٢٥٥٩)، والحاكم (٧٢٧٨)، [«محققو المسند»].

(٣) **حسن**: رواه الترمذي (٢٣٠٥)، وأحمد (٢/ ٣١٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٣٩)].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (١١٩).

ويقولُ أبو هريرةَ رضي الله عنه: (مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلاَ أَكْتُبُ)[1].

ويقولُ أبو هريرةَ رضي الله عنه: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَبَسَطْتُ ثَوْبِي عِنْدَهُ، ثُمَّ أَخَذَهُ فَجَمَعَهُ عَلَى قَلْبِي، فَمَا نَسِيتُ بَعْدَهُ)[2].

أما مواقفهُ رضي الله عنه فهي كثيرةٌ جداً منها:

الموقفُ الأول: موقفُه رضي الله عنه مع أمِّه:

قال أبو هريرةَ رضي الله عنه: (كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا أَكْرَهُ. فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلَامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ، فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ**» فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ. فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ فَإِذَا هُوَ مُجَافٍ، فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ، فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ قَالَ: فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا، فَفَتَحَتْ الْبَابَ ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١١٣).

(٢) **حسن الإسناد صحيحه**: رواه الترمذي (٣٨٣٤)، [«صحيح سنن الترمذي»(٣٠١٢)].

قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنْ الْفَرَحِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَبْشِرْ! قَدْ اسْتَجَابَ اللهُ دَعْوَتَكَ، وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: خَيْرًا. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! ادْعُ اللهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْـمُؤْمِنِينَ، وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اللهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا - يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ- وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْـمُؤْمِنِينَ وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْـمُؤْمِنِينَ**»، فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي)[1].

الموقفُ الثاني: موقفُه رضي الله عنه في الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه مرَّ بقومٍ يتوضؤون فقال: (أَسْبِغُوا الْوُضُوءَ؛ فَإِنَّ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ قَالَ: «**وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ**»)[2].

عن عُمارةَ، عن أبي زُرْعةَ، قال: (دَخَلْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ دَارَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، فَرَأَى فِيهَا تَصَاوِيرَ، وَهِيَ تُبْنَى، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقًا كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً، ثُمَّ دَعَا بِوَضُوءٍ، فَتَوَضَّأَ وَغَسَلَ ذِرَاعَيْهِ حَتَّى جَاوَزَ الْمِرْفَقَيْنِ، فَلَمَّا غَسَلَ رِجْلَيْهِ جَاوَزَ الْكَعْبَيْنِ إِلَى السَّاقَيْنِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا مَبْلَغُ الْحِلْيَةِ)[3].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٩١).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٦٥)، ومسلم (٢٤٢).

(٣) **صحيح**: رواه بهذا اللفظ أحمد (٢/ ٢٣٢)، وهو عند البخاري (٧٥٥٩)، ومسلم (٢١١١) إلى قوله (فليخلقوا شعيرة).

(اسْتَقْبَلَ أَبُو هُرَيْرَةَ امْرَأَةً مُتَطَيِّبَةً، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدِينَ يَا أَمَةَ الْجَبَّارِ؟ فَقَالَتْ: الْمَسْجِدَ. فَقَالَ: وَلَهُ تَطَيَّبْتِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ ﷺ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا مُتَطَيِّبَةً تُرِيدُ الْمَسْجِدَ، لَمْ يَقْبَلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهَا صَلَاةً؛ حَتَّى تَرْجِعَ فَتَغْتَسِلَ مِنْهُ غُسْلَهَا مِنَ الْجَنَابَةِ**»)[1].

أما مواعظه فمنها:

كان أبو هريرة يتعوذُ في سجودِهِ أن يزنيَ أو يسرقَ، أو يكفرَ أو يعملَ كبيرةً، فقيل له: أتخافُ ذلك؟ فقال: (وَمَا يُؤَمِّنُنِي وَإِبْلِيسُ حَيٌّ)[2]. ومصرِّفُ القلوبِ يصرِّفها كيفَ يشاء؟!

(قال رجل لأبي هريرة رضي الله عنه: ما التقوى؟

قال: أخذتَ طريقاً ذا شوك؟

قال: نعم.

قال: فكيفَ صنعتَ؟

قال: إذا رأيتُ الشوكَ عدلتُ عنه، أو جاوزته، أو قَصَرْتُ عنه.

قال: ذاكَ التقوى)[3].

---

(١) **حسن لغيره**: رواه ابن ماجه (٤٠٠٢)، وأحمد (٢/ ٢٤٦)، واللفظ له [«محققو المسند»].

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٦٧).

(٣) رواه البيهقي في «الزهد الكبير» (٩٧٣).

(كان أبو هريرة إذا استَثْقَلَ رجلاً قال: اللهمَّ اغفرْ له وأرِحْنا منه)[1].

(بكى أبو هريرة رضي الله عنه في مرضه. فقيل له: ما يُبكيك؟

فقال: (أَمَا إِنِّي لاَ أَبْكِي عَلَى دُنْيَاكُمْ هَذِهِ، وَلَكِنِّي أَبْكِي عَلَى بُعْدِ سَفَرِي، وَقِلَّةِ زَادِي، وَإِنِّي أَمْسَيْتُ فِي صَعُودِ مَهْبَطَةٍ عَلَى جَنَّةٍ وَنَارٍ، لاَ أَدْرِي إِلَى أَيَّتِهِمَا يُؤْخَذُ بِي)[2].

قال أبو هريرة رضي الله عنه: (مَثَلُ علمٍ لا ينفعُ، كمثلِ كنزٍ لا يُنفَق في سبيلِ اللهِ)[3].

اللهمَّ رُدَّ المسلمين إلى دينك رداً جميلاً.

(١) رواه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ١٠٨)، وابن الأعرابي في معجمه (١٧٤١).

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٥٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٨٣).

(٣) يروى مرفوعاً عند أحمد (٢/ ٤٩٩) بسند ضعيف، ويذكره بعض أهل العلم موقوفاً.

٢٩

معاويةُ بنُ أبي سفيان رضي الله عنهما

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عز وجل في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

وهؤلاءِ الرجالُ الذين اصطفاهمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّه ونُصرةِ دينِه. هم أصحابُ محمدٍ ﷺ. قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ﴾ [النمل:٥٩]، يقولُ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: الذين اصطفى؛ هم أصحاب محمدٍ ﷺ.

يقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ؛ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ)(١).

أمةَ الإسلام! أصحابُ محمدٍ ﷺ لا يحبهم إلا مؤمنٌ، ولا يُبغضهم إلا منافقٌ.

يقولُ الإمامُ الطحاويُّ -رحمه الله تعالى- في عقيدتِه عقيدةِ أهلِ السنةِ والجماعةِ: (ونحبُّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ، ولا نُفرِّطُ في حبِّ أحدٍ منهم، ولا

(١) **حسن**: رواه أحمد (١/ ٣٧٩)، والبزار (١٨١٦)، والطبراني في «الكبير» (٨٥٨٢)، [«السلسلة الضعيفة» (٥٣٣)].

نتبرأُ مِنْ أحدٍ منهم، ونُبغضُ من يُبغضهم، وبغيرِ الخيرِ يذكرُهم، ولا نـذكرُهم إلا بخيرٍ، وحبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ)[1].

وَموعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ الله تعالى- مع رجلٍ مِنْ هؤلاءِ الرجالِ، وصحابيٍّ منَ الصحبِ الكرامِ .. أتدرونَ من هو يا عبادَ الله؟ إنه: **معاويةُ بنُ أبي سفيان** رضي الله عنهما.

وقررنا الكلامَ عن معاويةَ رضي الله عنه في هذا اليومِ بالذات؛ لأنَّ من واجبِنا الشرعيِّ أن ندافعَ عنْ أصحابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم خصوصاً وقد رأينا قبلَ أيامٍ سفيهاً جاهلاً قد خرَج على القنواتِ الفضائيةِ، وتجرَّأَ على أصحابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فكفَّرَ معاويةَ، وكَفّرَ علماءَ الأمة، ومنهم شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رحمه الله.

ولا تتعجبوا أن يخرجَ مثلُ هذا السفيهِ الجاهلِ عبرَ القنواتِ الفضائيةِ، أو عبرَ الإعلامِ الذي سُخِّرَ لحَرْبِ الإسلامِ، فقد أخبرَنا النبيَّ صلى الله عليه وسلم أنه سيخرُجُ في آخرِ الزمانِ مثلُ هذا السفيهِ الجاهلِ، يقولُ صلى الله عليه وسلم: «**سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ، قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: الرَّجُلُ التَّافِهُ يتكلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ**»[2].

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٤٦٧).

(٢) **حسن**: رواه ابن ماجه (٤٠٣٦)، وأحمد (٢/ ٢٩١)، وأبو يعلى (٣٧١٥)، [«السلسلة الصحيحة» (١٨٨٧)].

معاويةُ بنُ أبي سفيانَ .. أتعرفونه يا أمةَ الإسلامِ؟! هو معاويةُ بنُ أبي سفيانَ صخرُ بنُ حربِ بنِ أميةَ بنِ عبدِ شمسٍ بنِ عبدِ منافٍ، القرشيُّ، الأمويُّ، المكيُّ، أبو عبد الرحمن، أميرُ المؤمنين، والدُه أبو سفيانَ بنُ حربٍ رضي الله عنه.

وأمهُ هي هندُ بنتُ عتبةَ.

وأختُه هي أمُ حبيبةَ أمُّ المؤمنينَ رضي الله عنها زوجُ النبيِّ ﷺ، كان معاويةُ رضي الله عنه طويلاً أبيضَ، جميلاً، إذا ضحك انقلبتْ شَفتُه العليا، وكان رضي الله عنه أميراً عشرينَ سنةً، وخليفةً عشرين سنةً.

وحديثُنا عنْ معاويةَ رضي الله عنه سيكونُ عن مناقبِهِ، ومواقفِهِ.

أما مناقبُه رضي الله عنه فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: أنه كانَ رضي الله عنه كاتباً لرسولِ اللهِ ﷺ، يكتبُ الوحيَ وغيرَه:

يقول عبدُ اللهِ بنُ عمرٍو: (كَانَ مُعَاوِيَةُ يَكْتُبُ لِرَسُوْلِ اللهِ ﷺ)[1].

ويقول ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما (كُنْتُ ألعبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فدعاني رسولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**اذْهَبْ فَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ**» قَالَ: وَكَانَ كَاتِبَهُ -وهذا هو الشاهدُ- فَسَعَيْتُ فَأَتَيْتُ مُعَاوِيَةَ، فَقُلْتُ: أَجِبْ نَبِيَّ اللهِ ﷺ فَإِنَّهُ عَلَى حَاجَةٍ)[2].

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٦٥).

(٢) **حسن**: رواه أحمد (١/ ٣٣٥)، [«محققو المسند»].

ثانياً: من مناقبه رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ دعا له:

عن العرباضِ بنِ ساريةَ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ، يقولُ: «**اللهُمَّ عَلِّمْ مُعَاوِيَةَ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ، وَقِهِ الْعَذَابَ**»[1].

وعن عبدِ الرحمنِ بنِ أبي عميرةَ، وكانَ منْ أصحابِ رسولِ الله ﷺ، عن النبيِّ ﷺ أنه قالَ لمعاويةَ رضي الله عنه: «**اللهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا وَاهْدِ بِهِ**»[2].

عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الخَوْلاَنِيِّ قَالَ: لَـمَّا عَزَلَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عُمَيْرَ بْنَ سَعْدٍ عَنْ حِمْصَ وَلَّى مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ النَّاسُ: عَزَلَ عُمَيْرًا وَوَلَّى مُعَاوِيَةَ! فَقَالَ عُمَيْرٌ: لاَ تَذْكُرُوا مُعَاوِيَةَ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**اللهُمَّ اهْدِ بِهِ**»[3].

ثالثاً: ومن مناقبهِ رضي الله عنه أنه كانَ كثيرَ البكاءِ من خشيةِ اللهِ:

دخل رجلٌ على معاويةَ رضي الله عنه فأخبره بحديثٍ سمعَه من أبي هريرةَ رضي الله عنه، يقول أبو هريرةَ رضي الله عنه: (حَدَّثَنِي رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ، يَنْزِلُ إِلَى العِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ، وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يُدْعى بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ القُرْآنَ، وَرَجُلٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ الله، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللهُ لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟**

---

(١) **حسن لغيره**: رواه أحمد (٤/ ١٢٧)، وابن حبان (٧٢١٠) والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٢٥١)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٢٢٧)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٨٤٢)، وأحمد (٤/ ٢١٦)، [«السلسلة الصحيحة» (١٩٦٩)].

(٣) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٣٨٤٣)، [«صحيح الترمذي» (٣٠١٩)].

قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ! قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟

قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ.

فَيَقُولُ اللهُ عزّ وجل لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْـمَلاَئِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ تبارك وتعالى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلاَنٌ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَلكَ.

وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْـمَالِ فَيَقُولُ اللهُ عزّ وجل لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ! قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟

قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ.

فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ الْـمَلاَئِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ تبارك وتَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلاَنٌ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ذَلكَ.

وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ الله، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: فِبِمَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أي ربِّ! أُمِرْتُ بِالجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ، فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ.

فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْـمَلاَئِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلاَنٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَلكَ.

يقول أبو هريرة: ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى رُكْبَتِي فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! أُولَئِكَ الثَّلاَثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ الله تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ».

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ رضي الله عنه بعدما سمع هذا الحديث: قَدْ فُعِلَ بِهَؤُلاَءِ هَذَا فَكَيْفَ بِمَنْ بَقِيَ مِنَ النَّاسِ؟ ثُمَّ بَكَى رضي الله عنه بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ هَالِكٌ، وَقُلْنَا: قَدْ جَاءَنَا

هَذَا الرَّجُلُ بِشَرٍّ. ثُمَّ أَفَاقَ مُعَاوِيَةُ، وَمَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ وَقَالَ: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود])[1].

رابعاً: من مناقبِه رضي الله عنه أنه كان حريصاً على وعظِ الناسِ وتذكيرِهم بما سَمِعَ مِن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرظيِّ، قال: (قَالَ مُعَاوِيَةُ عَلَى الْمِنْبَرِ: «**اللهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ، مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»، سَمِعْتُ هَؤُلاَءِ الْكَلِمَاتِ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى هَذَا الْمِنْبَرِ)[2].

عن مَعبَدٍ الجُهَنيُّ قال: (كَانَ مُعَاوِيَةُ قَلَّمَا يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: فَكَانَ قَلَّمَا يَكَادُ أَنْ يَدَعَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ هَؤُلاَءِ الْكَلِمَاتِ أَنْ يُحَدِّثَ بِهِنَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: **مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ حُلْوٌ خَضِرٌ، فَمَنْ يَأْخُذْهُ بِحَقِّهِ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّمَادُحَ فَإِنَّهُ الذَّبْحُ**)[3].

حدثنا عليُّ بن إسحاق، أخبرَنا عبدُ الله بنُ المباركِ، قال: أخبرَنا عبدُ الرحمنِ بنُ يزيدَ بن جابرٍ، قال: حدثني أبو عبدِ ربِّه قالَ: سمعتُ معاويةَ يقولُ على هذا المنبرِ:

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٨٢)، وابن حبان (٤٠٨)، وابن خزيمة (٢٤٨٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢، ١٣٣٥)].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٩٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٦٦)، [«الأدب المفرد»].

(٣) **حسن**: رواه أحمد (٤/ ٩٣)، [«السلسلة الصحيحة» (١١٩٦)].

(سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: **إِنَّ مَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ، وَإِنَّمَا مَثَلُ عَمَلِ أَحَدِكُمْ كَمَثَلِ الْوِعَاءِ إِذَا طَابَ أَعْلَاهُ، طَابَ أَسْفَلُهُ، وَإِذَا خَبُثَ أَعْلَاهُ، خَبُثَ أَسْفَلُهُ**)(1). يشيرُ إلى حسنِ الخاتمةِ، وسوءِ الخاتمةِ.

خامساً: ومن مناقبهِ رضي الله عنه أنه كانَ حريصاً على تعليمِ المسلمينَ سنةَ رسولِ الله ﷺ:

حدثنا يحيى، عن محمدِ بنِ عمرٍو قالَ: حدثني أبي، عن جدِّي، قال: (كُنَّا عِنْدَ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ الْـمُؤَذِّنُ: اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ. فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، فَقَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ، فَقَالَ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِالله، فَقَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلاَحِ، فَقَالَ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِالله، فَقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: هَكَذَا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ، أَوْ نَبِيُّكُمْ - إِذَا أَذَّنَ الْـمُؤَذِّنُ)(2).

حدثنا عليُّ بن بحرٍ، حدثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ، قال: حدثنا عبدُ الله بنُ العلاءِ عن أبي الأزهرِ، عن معاويةَ، (أَنَّهُ ذَكَرَ لَهُمْ وُضُوءَ رَسُولِ الله ﷺ، وَأَنَّهُ مَسَحَ رَأْسَهُ بِغَرْفَةٍ مِنْ مَاءٍ حَتَّى يَقْطُرَ الْـمَاءُ مِنْ رَأْسِهِ أَوْ كَادَ يَقْطُرُ، وَأَنَّهُ أَرَاهُمْ وُضُوءَ رَسُولِ

(1) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٩٤)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٣٦٩)، [«السلسلة الصحيحة» (١٧٣٤)].

(2) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٤/ ٩٨)، وابن خزيمة (٤١٦)، [«محققو المسند»].

الله ﷺ، فَلَمَّا بَلَغَ مَسْحَ رَأْسِهِ وَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى مُقَدَّمِ رَأْسِهِ، ثُمَّ مَرَّ بِهِمَا حَتَّى بَلَغَ الْقَفَا، ثُمَّ رَدَّهُمَا حَتَّى بَلَغَ الْـمَكَانَ الَّذِي بَدَأَ مِنْهُ)[1].

حدثنا عبدُ الرزاقِ، حدثنا مَعْمَرُ عن الزُّهريِّ، قال: حدثني حُميدُ بنُ عبد الرحمن بنُ عوفٍ أنه (سَمِعَ مُعَاوِيَةَ يَخْطُبُ بِالْـمَدِينَةِ، يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْـمَدِينَةِ، أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: **هَـذَا يَوْمُ عَاشُورَاءَ، وَلَمْ يُفْرَضْ عَلَيْنَا صِيَامُهُ، فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَصُومَ فَلْيَصُمْ، فَإِنِّي صَائِمٌ، فَصَامَ النَّاسُ**)[2]. يبين النبي ﷺ أن صيامَ عاشوراءَ سنةٌ مستحبةٌ، وليسَ بفريضةٍ.

حدثنا يونسُ، حدثنا ليثُ -يعني ابنَ سعدٍ- عن محمدٍ -يعني ابنَ عجلانَ- عن محمدِ بنِ يوسفِ مولى عثمانَ، عن أبيه يوسفَ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ (أَنَّهُ صَلَّى أَمَامَهُمْ فَقَامَ فِي الصَّلاَةِ وَعَلَيْهِ جُلُوسٌ -أي: نسيَ التشهدَ الأوسطَ- فَسَبَّحَ النَّاسُ، فَتَمَّ عَلَى قِيَامِهِ، ثُمَّ سَجَدَ بِنَا سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ بَعْدَ أَنْ أَتَمَّ الصَّلاَةَ، ثُمَّ قَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: **مَنْ نَسِيَ مِنْ صَلاَتِهِ شَيْئًا فَلْيَسْجُدْ مِثْلَ هَاتَيْنِ السَّجْدَتَيْنِ**)[3].

أما مواقفُه في الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ فهي كثيرةٌ جداً منها:

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٤/ ٩٤)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٧٩٤)، [«محققو المسند»].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٠٠٣)، ومسلم (١١٢٩)، واللفظ لأحمد (٤/ ٩٥).

(٣) **صحيح لغيره**: رواه النسائي (١٢٦٠)، وأحمد (٤/ ١٠٠)، [«محققو المسند»].

أولاً: في نهيه رضي الله عنه الناسَ أن يقوموا له:

حدثنا إسماعيلُ، حدثنا حبيبُ بنُ الشهيدِ، عن أبي مِجْلَز (أَنَّ مُعَاوِيَةَ دَخَلَ بَيْتًا فِيهِ ابْنُ عَامِرٍ وَابْنُ الزُّبَيْرِ، فَقَامَ ابْنُ عَامِرٍ وَجَلَسَ ابْنُ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: اجْلِسْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَمْثُلَ لَهُ الْعِبَادُ قِيَامًا، فَلْيَتَبَوَّأْ بَيْتًا فِي النَّارِ**»[1]. -نهاه عن القيام للقادم- وكان الصحابةُ رضي الله عنهم لا يقومونَ إذا دخلَ عليهم رسولُ اللهِ؛ وهو أحبُّ الناسِ إليهم، بل كانوا يحبونه أكثر من أنفسهم.

ثانياً: في إنكارِه رضي الله عنه على من صلى السنةَ مباشرةً بعد الفريضةِ بدونِ أن يفصلَ بينهما بذكرٍ أو كلامٍ.

حدثنا عبدُ الرزاق وابنُ بكر، قالا: أخبرَنا ابن جُريجٍ، قال: أخبرني عمرُ ابنُ عطاء بنُ أبي الخوار، (أَنَّ نَافِعَ بْنَ جُبَيْرٍ أَرْسَلَهُ إِلَى السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ أُخْتِ نَمِرٍ يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ رَآهُ مِنْهُ مُعَاوِيَةُ فِي الصَّلاَةِ، قَالَ: نَعَمْ، صَلَّيْتُ مَعَهُ الْجُمُعَةَ فِي الْـمَقْصُورَةِ، فَلَمَّا سَلَّمَ قُمْتُ فِي مَقَامِي، فَصَلَّيْتُ، فَلَمَّا دَخَلَ أَرْسَلَ إِلَيَّ، فَقَالَ: لاَ تَعُدْ لِمَا فَعَلْتَ! إِذَا صَلَّيْتَ الْجُمُعَةَ، فَلاَ تَصِلْهَا بِصَلاَةٍ حَتَّى تكَلَّمَ أَوْ تَخْرُجَ، فَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ أَمَرَ بِذَلِكَ، أَنْ لاَ تُوصِلَ صَلاَةً بِصَلاَةٍ حَتَّى تَخْرُجَ أَوْ تتكَلَّمَ)[2].

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٧٥٥)، وأحمد (٤/ ٩٣)، واللفظ له [«السلسلة الصحيحة» (٣٥٧)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٨٨٣).

ثالثاً: في إنكاره رضي الله عنه -على بعضِ الجهال- إطالةَ شعرِ الناصيةِ:

حدثنا عبدُ الرزاق، حدثنا معمرُ، عن الزهريِّ، عن حُميدِ بن عبدِ الرحمنِ؛ (أَنَّهُ رَأَى مُعَاوِيَةَ يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَفِي يَدِهِ قُصَّةٌ مِنْ شَعَرٍ، قَالَ: فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ يَا أَهْلَ الْـمَدِينَةِ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَنْهَى عَنْ مِثْلِ هَذِه، وَقَالَ: «**إِنَّمَا عُذِّبَ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَتْ هَذِهِ نِسَاؤُهُمْ**»)[1].

هذا هو معاويةُ رضي الله عنه . ثم بعدَ ذلك يأتي سفيهٌ جاهلٌ يسبُّه؟! ومعاويةُ منْ أصحابِ رسولِ الله ﷺ. ولقد قالَ الرسولُ ﷺ: «**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي**»[2].

وفي رواية لمسلم «**لا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي**»[3].

ونقولُ أيضاً لهذا السفيه الجاهلِ أبشرْ بلعنةِ الله؛ فإنَّ النبيَّ ﷺ يقول: «**مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله وَالْـمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»[4].

وقال ﷺ: «**إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا**»[5]. -أي: ما وقع بين معاوية وعليٌّ فأمسكوا-.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٦٨)، ومسلم (٢١٢٧)، واللفظ لأحمد (٤/ ٩٥).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١)، واللفظ للبخاري.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٤١).

(٤) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٢٧٠٩)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٣٤٠)].

(٥) **صحيح لغيره**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٤٤٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٠٨)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٤)].

وأنتَ أيها الجاهلُ السفيهُ تطلقُ لسانَك في أصحابِ رسولِ الله ﷺ وقد رضي اللهُ عنهم أجمعين؟!

أما نحنُ فعقيدتُنا هي عقيدةُ أهلِ السنةِ والجماعةِ فيما وقعَ بين الصحابة فنقولُ: إن ما جاءَ منَ الأخبارِ فيما وقعَ بينَ معاويةَ وعليّ معظمُها كذبٌ وافتراءٌ اختلَقه المنافقونَ والضُلالُ، وما صحَّ فيما وقعَ بينَ الصحابةِ منَ الأخبارِ فهم فيه متأوِّلونَ مجتهدون مغفورٌ لهم. فنقولُ -رضيَ الله عنهم جميعاً- وكما أننا نقولُ رضي الله عن أبي بكرٍ، ورضيَ الله عن عمرَ، ورضي الله عن عثمانَ، ورضي الله عن عليٍّ، كذلك نقولُ رضي الله عن معاويةَ، -رضي الله عنهم أجمعين-. لأنَّ حبَّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ، واللهُ أخبرَنا في كتابهِ فقال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر].

أسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أن يجمعَنا بصحابةِ رسولِ الله مع نبيِّنا ﷺ في جناتِ النعيمِ.

٣٠

عبدُ الله بنُ مسعودٍ رضي الله عنه

عبادَ الله! قال اللهُ -عزَّ وجلَّ- في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

هؤلاءِ الرجالُ هم أصحابُ محمدٍ ﷺ، قومٌ اختارَهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّه، ولنصرةِ دينهِ، حبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ.

أصحابُ محمدٍ ﷺ رجالٌ، مَن أحبهم وسلَك سبيلَهم سعدَ في الدنيا والآخرةِ.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

أصحابُ محمدٍ ﷺ رجالٌ، مَنْ أبغضهم وسلكَ سبيلاً غيرَ سبيلهم شقيَ في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء].

وموعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- مع رجلٍ منْ هؤلاء الرجالِ، وصحابيٍّ من الصَّحبِ الكرامِ .. أتدرونَ مَنْ هو يا عبادَ الله؟ إنه: **عبدُ الله بنُ مسعودٍ** رضي الله عنه .. أتعرفونَه يا أمةَ الإسلامِ؟ هو الإمامُ الحبرُ، فقيهُ الأمةِ، أبو عبدِ

الرحمنِ الهُذَليُّ المكيُّ المهاجريُّ البدريُّ، كان رضي الله عنه رجلاً نحيفاً، شديد الأدَمة، وكان لطيفاً فَطِناً. وكان رضي الله عنه يُعْرَفُ بأمِّه، فيقالُ له: ابنُ أُمِّ عبدٍ.

وحديثُنا عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ رضي الله عنه سيكونُ عن مناقبِهِ ومواقفِهِ.

أما مناقبهُ فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: أنه رضي الله عنه منَ السابقينَ الأولينَ إلى الإسلامِ:

يقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (لَقَدْ رَأَيْتُنِي سَادِسَ سِتَّةٍ؛ مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ غَيْرُنَا)[1].

ثانياً: من مناقبِهِ رضي الله عنه قُربهُ مِنْ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ومجاورتُه له:

يقول أبو موسى الأشعريُّ رضي الله عنه: (قَدِمْتُ أَنَا وَأَخِي مِنَ الْيَمَنِ، فَمَكَثْنَا حِينًا مَا نَرَى إِلَّا أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ مَسْعُودٍ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم؛ لِمَا نَرَى مِنْ دُخُولِهِ وَدُخُولِ أُمِّهِ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم)[2].

وعن (عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ يَزِيدَ قَالَ: قُلْنَا لِحُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ: أَنْبِئْنَا بِرَجُلٍ قَرِيبِ الْهَدْيِ وَالسَّمْتِ مِنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم؛ نَأْخُذُ عَنْهُ؟ فَقَالَ: مَا أَعْرِفُ أَقْرَبَ سَمْتًا وَهَدْيًا وَدَلًّا بِرَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم مِنِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ حَتَّى يُوَارِيَهِ جِدَارُ بَيْتِهِ، وَلَقَدْ عَلِمَ الْمَحْفُوظُونَ مِنْ أَصْحَابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أَنَّ ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ مِنْ أَقْرَبِهِمْ إِلَى الله وَسِيلَةً)[3].

---

(١) رواه ابن حبان (٧٠٦٢)، والطبراني في «الكبير» (٨٤٠٦)، والحاكم (٥٣٦٨).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٦٣).

(٣) رواه أحمد (٥/ ٣٩٥)، والطيالسي (٤٢٦)، وابن حبان (٧٠٦٣).

ويقـول ابـنُ مـسعودٍ رضي الله عنه: قـال لي رسـولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**إِذْنُـكَ عَـلَيَّ -أي: في الدخول عليَّ- أَنْ يُرْفَعَ الْحِجَابُ وَأَنْ تَسْتَمِعَ سِوَادِي -أي: سري- حَتَّى أَنْهَاكَ**»(1).

ويقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (قَالَ لِي رسـولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**اقْـرَأْ عَـلَيَّ**»، فقُلْـتُ يَـا رَسُولَ الله! أَقْرَأُ عَلَيْـكَ، وَعَلَيْـكَ أُنْـزِلَ؟ قَـالَ: «**نَعَـمْ، إِنِّي أُحِـبُّ أَنْ أَسْـمَعَهُ مِـنْ غَيْرِي**»، فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الآيَـةِ ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء] قَـالَ: «**حَـسْبُكَ الآنَ**»، فالتَفَتُّ إليهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ)(2).

ولما ماتَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه قـال أصـحابُ رسـولِ الله صلى الله عليه وسلم بعـضُهم لـبعضٍ يُثنون على ابن مسعود: (كَانَ يُؤْذَنُ لَهُ إِذَا حُجِبْنَا، وَيَشْهَدُ إِذَا غِبْنَا)(3).

وَجاءَ رجلٌ من أهلِ الكوفةِ إلى أبي هريـرةَ رضي الله عنه يقـول لـه: (جِئْـتُ أَلْـتَمِسُ الخَيْرَ وَأَطْلُبُهُ. فَقَالَ له أبو هريرة: أَلَيْسَ فِيكُمْ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ مُجَابُ الدَّعْوَةِ. وَابْـنُ مَسْعُودٍ صَاحِبُ طَهُورِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم وَنَعْلَيْهِ)(4).

ثالثاً: من مناقبه رضي الله عنه بشاراتُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم له:

عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: (أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِـوَاكًا مِـنَ الأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَـالَ رَسُـولُ الله

(1) **صحيح**: رواه البخاري (٢١٦٩)، ومسلم (٨٠٠)، واللفظ للبخاري.

(2) **صحيح**: رواه البخاري (٥٠٥٥)، ومسلم (٨٠٠) واللفظ للبخاري.

(3) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٦١).

(4) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٨١١)، والحاكم (٥٦٧٩)، [«صحيح سنن الترمذي» (٢٩٩٦)].

ﷺ: مِمَّ تَضْحَكُونَ؟ قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ! مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ)[1].

يقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه (لَـمَّا نَزَلَتْ ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ﴾ [المائدة:٩٣] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: قِيلَ لِي: أَنْتَ مِنْهُمْ)[2].

(وعَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْـمَسْجِدَ وَهُوَ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَإِذَا ابْنُ مَسْعُودٍ يُصَلِّي، وَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ النِّسَاءَ فَانْتَهَى إِلَى رَأْسِ الْمِائَةِ، فَجَعَلَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَدْعُو وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اسْأَلْ تُعْطَهْ، اسْأَلْ تُعْطَهْ.

ثُمَّ قَالَ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ بِقِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ. فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه لِيُبَشِّرَهُ، وَقَالَ لَهُ: مَا سَأَلْتَ اللهَ الْبَارِحَةَ؟

قَالَ ابن مسعود: قُلْتُ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا لَا يَرْتَدُّ، وَنَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَمُرَافَقَةَ مُحَمَّدٍ فِي أَعْلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ. ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ رضي الله عنه فَقِيلَ لَهُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ قَدْ سَبَقَكَ. قَالَ عمرُ: يَرْحَمُ اللهُ أَبَا بَكْرٍ، مَا سَبَقْتُهُ إِلَى خَيْرٍ قَطُّ إِلَّا سَبَقَنِي إِلَيْهِ)[3].

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (١/ ٤٢٠)، والطيالسي (٣٥٥)، وأبو يعلى (٥٣١٠)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٧٥٠)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٥٩).

(٣) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (١/ ٤٥٤)، وابن حبان (٧٠٦٧)، والحاكم (٥٣٨٦)، واللفظ لأحمد [«السلسلة الصحيحة» (٢٣٠١)].

رابعاً: ومن مناقبه ﭬ أنه نزلَ فيه قرآنٌ يُتلى إلى يومِ القيامةِ:

يقول سعدُ بنُ أبي وقاصٍ ﭬ: (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا، قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ، وَبِلَالٌ، وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقَعَ، فَحَدَّثَ نَفْسَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام:٥٢]»[١].

خامساً: ومن مناقبه ﭬ أنه حفظَ علماً كثيراً للأمةِ الإسلاميةِ منْ رسولِ اللهِ ﷺ:

يقول ابن مسعود ﭬ: (وَاللهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ؛ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلاَ أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ؛ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَن أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللهِ تُبَلِّغُهُ الإِبِلُ، لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ)[٢].

يقولُ شقيقُ بنُ سلمةَ: (خَطَبَنَا ابن مسعود فَقَالَ: وَاللهِ! لَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَاللهِ! لَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ أَنِّي مِنْ أَعْلَمِهِمْ بِكِتَابِ اللهِ، وَمَا أَنَا بِخَيْرِهِمْ. قَالَ شَقِيقٌ: فَجَلَسْتُ فِي الْحِلَقِ أَسْمَعُ مَا يَقُولُونَ، فَمَا سَمِعْتُ رَاوٍ يَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ)[٣].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤١٣).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٥٠٠٢).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٥٠٠٠).

وعن مسروقٍ قال (ذُكِرَ عَبْدُ اللهِ -أي: ابن مسعود- عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو فَقَالَ: ذَاكَ رَجُلٌ لاَ أَزَالُ أُحِبُّهُ؛بَعْدَمَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**اسْتَقْرِئُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَبَدَأَ بِهِ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ**»)[1].

عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أنه قال (كُنْتُ غُلاَمًا يَافِعًا أَرْعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ ابْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، وَقَدْ فَرَّا مِنَ الْـمُشْرِكِينَ، فَقَالاَ: يَا غُلاَمُ! هَلْ عِنْدَكَ مِنْ لَبَنٍ تَسْقِينَا؟

قُلْتُ: إِنِّي مُؤْتَمَنٌ، وَلَسْتُ سَاقِيَكُمَا.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: هَلْ عِنْدَكَ مِنْ جَذَعَةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ؟

قُلْتُ: نَعَمْ، فَأَتَيْتُهُمَا بِهَا، فَاعْتَقَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَمَسَحَ الضَّرْعَ، وَدَعَا فَحَفَلَ الضَّرْعُ، ثُمَّ أَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بِصَخْرَةٍ مُنْقَعِرَةٍ، فَاحْتَلَبَ فِيهَا فَشَرِبَ، وَشَرِبَ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ شَرِبْتُ، ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ: اقْلِصْ فَقَلَصَ، فَأَتَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ؟

قَالَ: إِنَّكَ غُلاَمٌ مُعَلَّمٌ

قَالَ: فَأَخَذْتُ مِنْ فِيهِ سَبْعِينَ سُورَةً، لاَ يُنَازِعُنِي فِيهَا أَحَدٌ)[2].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٧٥٨)، ومسلم (٢٤٦٤)، واللفظ للبخاري.

(٢) **حسن**: رواه أحمد (١/ ٤٦٢)، والطيالسي (٣٥٣)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٠٢٧)].

أقبلَ عبدُ الله بن مسعودٍ ﷺ ذاتَ يومٍ، وعمرُ بنُ الخطابِ جالسٌ، فقال: كُنيفٌ مُلِئَ عِلْمًا[1]. -أي وعاءٌ ملِئَ علماً-

أما مواقفهُ ﷺ فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: موقفُه في غزوة بدرٍ الكبرى:

روى أبو داودَ في سننهِ: أنَّ عبدَ الله بنَ مسعودٍ ﷺ مرَّ بأبي جهلٍ صريعاً، فوقفَ على رأسه، وقال: أخزاكَ اللهُ يا عدوَّ الله! ثم جعلَ يُجْهِزُ عليه بسيفِهِ. قال: (فَلَمْ تُغْنِ عني شَيْئًا، فما زلتُ أضربُهُ حَتَّى سَقَطَ سَيْفُهُ مِنْ يَدِهِ فَضَرَبْتُهُ بِهِ حَتَّى بَرَدَ)[2].

ثانياً: موقفُه ﷺ في إنكارِ البدع:

عبدُ الله بنُ مسعودٍ هو الذي قال: (اتَّبِعُوا وَلا تَبْتَدِعُوا؛ فَقَدْ كُفِيتُمْ)[3].

وهو الذي قال أيضاً: (الِاقْتِصَادُ فِي السُّنَّةِ، أَحْسَنُ مِنَ الِاجْتِهَادِ فِي الْبِدْعَةِ)[4].

عبدُ الله بنُ مسعودٍ ﷺ كان حرباً على البدعِ، وعلى المبتدعةِ، قال له أبو موسى الأشعريُّ ﷺ يوماً: (يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ! إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ.

(١) رواه عبد الرزاق (١٨١٨٧)، والطبراني في «الكبير» (٩٧٣٥).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٧٠٩)، والطبراني في «الكبير» (٨٤٧٦)، [«صحيح أبي داود» (٢٣٥٧)].

(٣) رواه الدارمي (٢٠٥)، ومحمد بن نصر المروزي في السنة (٧٨) والطبراني في «الكبير» (٨٧٧٠).

(٤) **صحيح**: رواه محمد بن نصر المروزي في السنة (٨٨)، والطبراني في «الكبير» (١٠٤٨٨)، والحاكم (٣٥٢)، [«السلسلة الضعيفة» (٣٩١٧)].

قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ.

رَأَيْتُ فِي الْـمَسْجِدِ قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلاَةَ، فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصاً فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِئَةً، فَيُكَبِّرُونَ مِئَةً، فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِئَةً، فَيُهَلِّلُونَ مِئَةً، وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِئَةً، فَيُسَبِّحُونَ مِئَةً.

قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ؟

قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا؛ انْتِظَارَ رَأْيِكَ أَوِ انْتِظَارَ أَمْرِكَ.

قَالَ: أَفَلاَ أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ، وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لاَ يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ شيءٌ؟ ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ، حَتَّى أَتَى حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ.

قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ! حَصاً نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ.

قَالَ: فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ! فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لاَ يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ، وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ! مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ!.

هَؤُلاَءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ! أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلاَلَةٍ!

قَالُوا: وَاللهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ.

قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ.

إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ حَدَّثَنَا: أَنَّ قَوْمًا يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ. وَايْمُ اللهِ! مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ. فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلِمَةَ: (رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَنَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ)[1].

(مَا ابْتَدَعَ رَجُلٌ بِدْعَةً إِلَّا اسْتَحَلَّ السَّيْفَ)[2].

عباد الله! هذا هوَ عبدُ الله بنُ مسعودٍ ﷺ كان حرباً على البدع وأهلِها .. كيف لا؟! وهو الذي سمعَ رسولَ الله ﷺ وهو يحذِّر من البدعِ فيقولُ: «**إِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ**»[3].

ويقول ﷺ في خُطَبِه: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[4].

وزادَ النسائيُّ «**وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**»[5].

ويقول ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ منه فَهُوَ رَدٌّ**»[6].

---

(١) **صحيح**: رواه الدارمي في السنن (٢٠٤)، [«سلسلة الآثار الصحيحة» (٨٧)].

(٢) **صحيح**: رواه الدارمي (٩٩)، وابن سعد في «الطبقات» (٧/ ١٨٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٨٧) عن أبي قلابة[«سلسلة الآثار الصحيحة» (٦٩)].

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، وابن حبان (٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧)]

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٨٦٧).

(٥) **صحيح**: رواه النسائي (١٥٧٨)، وابن خزيمة (١٧٨٥)، [«خطبة الحاجة» (٢٥)].

(٦) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

والصحابةُ جميعاً ومَنْ بعدهم كانوا حرباً على البدعِ والمبتدعةِ.

هذا الصِّديقُ رضي الله عنه يقول في خطبته: (...إِنَّمَا أَنَـا مُتَّبِـعٌ وَلَـسْتُ بِمُبْتَـدِعٍ، فَـإِنْ أَستقمتُ فتابعوني، وَإِنْ زِغْتُ؛ فَقَوِّمُونِي)[1].

وهذا الفاروقُ عمـرُ رضي الله عنه يقـول: (إِيَّـاكُمْ وَأَصْـحَابَ الـرَّأْيِ فَـإِنَّهُمْ أَعْـدَاءُ السُّنَنِ، أَعْيَتْهُمُ الأَحَادِيثُ أَنْ يَحْفَظُوهَا فَقَالُوا بِالرَّأْيِ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)[2].

وهذا ابنُ عباس رضي الله عنهما يقول: (عليكم بالاستقامةِ والأثرِ وإياكم والتبدعَ)[3].

وهذا ابنُ عمرَ رضي الله عنهما يقول: (كلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وإنْ رآها الناسُ حسنةً)[4].

وهذا الإمامُ مالكٌ رحمَه الله تعالى يقول: (من ابتـدعَ في الإسـلامِ بدعـةً يراهـا حسنةً، فقد زعمَ أنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم خانَ الرسالةَ؛ لأنَّ الله تعالى يقـولُ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣] الآية، (فما لم يكن يومئذٍ ديناً، فلا يكونُ اليومَ ديناً)[5].

وهذا سعيدُ بنُ جبيرٍ رحمه الله تعالى يقولُ: (لأن يصحَبَ ابني فاسقاً سـارقاً سُنيّاً، أحبُّ إليَّ مِنْ أن يصحَبَ عابداً مبتدِعاً)[6].

(١) رواه الدينوري في المجالسة (١٢٩٠).

(٢) رواه الدارقطني في «سننه» (٤/ ١٤٦)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٠٣٧، ١٠٣٨)

(٣) **صحيح**: رواه محمد بن نصر المروزي في السُنة (٨٣)، وابن وضاح القرطبي في «البدع» (٦١).

(٤) **صحيحاً موقوفاً**: رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١٢٦)، والبيهقي في «المدخل إلى السنن» [«أحكام الجنائز» (٢٠٠)].

(٥) «الابتداع» (١٧١)، «السنن والمبتدعات» (٦).

(٦) «الإبانة الصغرى» (١٣٢).

وهذا الفُضَيْلُ بن عِياض يقولُ: (مَنْ أعانَ صاحبَ بدعةٍ فقد أعانَ على هدمِ الإسلامِ)[1].

وهذا عبدُ الله بنُ المباركِ يقول: (إياكَ أن تجالسَ صاحبَ بدعةٍ)[2].

• وهذه رسالةٌ نوجهها إلى المبتدعةِ فيها تحذيرٌ وتذكيرٌ، أما التحذيرُ فنقول لهم:

أولاً: اعلموا أنَّ أعمالَكم مردودةٌ عليكم لا يقبلُها اللهُ منكم. قال ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ منه فَهُوَ رَدٌّ**»[3]. قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف].

ثانياً: اعلموا معشرَ المبتدعةِ أنكم محرومون منَ التوبةِ ما دمتم مصرّين على بدعتِكم، قال ﷺ: «**إن الله حجبَ التوبةَ عن كُلِّ صاحبِ بدعةٍ، حتى يدعَ بدعتَه**»[4].

ثالثاً: اعلموا معشرَ المبتدعةِ أنكم إن مُتُّم على بدعتكم فإنكم لا تَرِدون حوضَ النبيِّ ﷺ يومَ القيامة، ولا تَحظَوْنَ بشفاعته ﷺ.

يقول ﷺ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، لَيُرْفَعَنَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُ لأُنَاوِلَهُمُ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَيْ رَبِّ! أَصْحَابِي! فيَقُولُ: لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»[5].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٠٣).

(٢) رواه اللالكائي في شرح «أصول اعتقاد أهل السنة» (٢٦٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٦٨).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٤) **صحيح**: رواه ابن أبي عاصم في السنة (٣٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٥٤)].

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٠٤٩)، ومسلم (٢٢٩٧)، واللفظ للبخاري.

رابعاً: اعلموا معشرَ المبتدعة أنكم آثمون، وعليكم إِثمُ مَنْ عملَ ببدعتِكم إلى يومِ القيامة، قالَ تعالى: ﴿ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ ﴾ [النحل:٢٥].

وقال ﷺ: «**وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كانَ عَلَيْهِ وِزْرُها، ووزرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بعده من غيرِ أن يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْء**»[1].

خامساً: اعلموا معشرَ المبتدعة أنكم ملعونون منَ الله، ومنَ الملائكةِ، ومن الناسِ أجمعين، يقول ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله وَالْـمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»[2].

سادساً: اعلموا معشرَ المبتدعة أنكم لا تزدادون ببدعتِكم منَ الله إلا بعداً: قال ﷺ في المبتدعة: «**...تَحْقِرُونَ صَلاَتَكُمْ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينَ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»[3].

وقال بعضُ الصالحينَ: (ما ازداد صاحبُ بدعة اجتهاداً إلا ازدادَ من اللهِ بعداً)[4].

أما التذكيرُ فإنا نُذَكرهم بأنَّ النجاةَ في التمسكِ بالسنةِ، وما كان عليه أصحابُ محمدٍ ﷺ.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٠١٧).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٨٧٠)، ومسلم (١٣٦٦).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٥٨)، ومسلم (١٠٦٤).

(٤) رواه ابن وضاح القرطبي في البدع (٦٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٩)

قال ﷺ: «وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»[1].

وقال ﷺ: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»[2].

فهذا ابن مسعود رضي الله عنه يقولُ: (إِيَّاكُمْ وَالتَّبَدُّعَ، وَالتَّنَطُّعَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّعَمُّقَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ)[3].

ويقولُ ابنُ مسعودٍ أيضاً: (من كان مستَنّاً فليستنَّ بمن قد مات، فإنَّ الحيَّ لا تُؤْمَنُ عليه الفتنةُ، أولئكَ أصحابُ محمدٍ ﷺ كانوا والله! أفضلَ هذه الأمةِ، أبرَّها قلوباً، وأعمقَها علماً، وأقلَّها تكلفاً، قومٌ اختارَهُمُ الله لصحبةِ نبيِّه ﷺ، وإقامةِ دينهِ، فاعرفوا لهم فضلَهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقِهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)[4].

اللهمَّ فقهنا في ديننا..

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو ، والطبراني في «الأوسط» (٤٨٨٦) من حديث أنس [«السلسلة الصحيحة» (١٣٤٨)].

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، وابن حبان (٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧)]

(٣) رواه الدارمي (١٤٣)، والمروزي في السُنة (٨٥)، والطبراني في «الكبير» (٨٨٤٥).

(٤)رواه البغوي في«شرح السنة» (١/ ٢١٤، ٢١٥)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٩)، والقرطبي في «تفسيره» من طريق سنيد (١/ ٦٠) بلفظ: (من كان منكم متأسيا فليتأسى....) وروي باللفظ المذكور عن عبد الله بن عمر رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٠٥)، والخطيب في «تالي التلخيص» (١/ ٣٧١) .

٣١

مواعظُ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضي الله عنه

عبادَ الله! يقولُ اللهُ -عز وجل- في كتابه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح].

أصحابُ محمدٍ ﷺ كانوا واللهِ! أفضلَ هذه الأمةِ؛ أبرَّها قلوباً، وأعمقَها علماً وأقلَّها تكلفاً. قومٌ اختارهمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّه وإقامةِ دينهِ، حبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ.

عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضي الله عنه رجلٌ من هؤلاءِ الرجالِ، وصحابيٌّ من الصحبِ الكرامِ، وموعدُنا في هذا اليوم -إنْ شاءَ الله تعالى- معَ الحديثِ عن مواعظهِ.

الموعظة الأولى: يحثُّ المسلمينَ على المحافظةِ على الصلاةِ في جماعةٍ في المساجدِ:

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَّ غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللهَّ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ

مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ؛ كَمَا يُصَلِّي هَـذَا الْـمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِـهِ؛ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ.

وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْـمَسَاجِدِ إِلَّا كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَـةً، وَيَحُـطُّ عَنْـهُ بِهَـا سَـيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُـؤْتَى بِـهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ)[1]. أي لأداءِ صلاةِ الجماعةِ. وصيةٌ نحـنُ في أمسِّ الحاجةِ إليها؛ فالمساجدُ تشتكي إلى ربِّها من قلةِ المصلينَ.

وقد أخذ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه موعظتَه هذه مـن كتـابِ الله، ومـن سـنةِ رسـولِ الله صلى الله عليه وسلم.

فاللهُ عز وجل في كتابه يأمرُ المسلمينَ بأداءِ الـصلاةِ في المـساجدِ، قـال تعـالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور].

وَلا يتخلفُ عن صلاةِ الجماعةِ إلا معذورٌ، أو امرأةٌ، أو منافقٌ.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٦٥٤).

وجاء رجلٌ أعمى إلى رسولِ الله ﷺ يقول: يا رسولَ الله! لا أجدُ قائداً يقودني إلى المسجدِ فهل لي من رخصةٍ أن أتخلفَ عن صلاةِ الجماعةِ؟ فقال له رسولُ الله ﷺ: «**أَتَسْمَعُ النِّدَاءَ؟**»، فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ ﷺ: «**فَأَجِبْ**»[1].

الموعظة الثانية: يحذِّر فيها ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه المسلمينَ من الافتتانِ بالدنيا الفانية:

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ، وَمَالُ مَنْ لَا مَالَ لَهُ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ)[2].

ويقول رضي الله عنه: (ما من يومٍ إلا وملكٌ ينادي: يا ابنَ آدم! قليلٌ يكفيكَ، خيرٌ من كثيرٍ يُطغيك)[3].

ويقول رضي الله عنه: (مَنْ أَرَادَ الدنيا أَضَرَّ بِالآخرةِ، وَمَنْ أَرَادَ الآخرةَ أَضَرَّ بِالدنيا، يَا قَوْمِ! فَأَضِرُّوا بِالْفَانِي لِلْبَاقِي)[4].

ويقول رضي الله عنه: (أنتم أكثرُ صياماً، وأطولُ صلاةً، وأكثرُ اجتهاداً مِنْ أصحاب رسول الله ﷺ، وهم كانوا خيرا منكم!

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٦٥٣).

(٢) رواه أحمد في «الزهد» (٨٧٦).

(٣) «إحياء علوم الدين» (٤/ ١٤).

(٤) **صحيح**: رواه هنّاد في «الزهد» (٦٧٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٣٨)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٢٨٧)].

قالوا: لِمَ يا أبا عَبد الرحمن؟

قال: هم كانوا أزهدَ في الدنيا، وأرغبَ في الآخرة)[1].

فالانشغالُ بالدنيا وجمعُها أضرَّ بالأمةِ كما أخبرَ النبيُّ ﷺ فقال: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ في سبيلِ الله، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لاَ يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**»[2].

ويقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه في دعائه: (اللهُمَّ وسِّعْ عليَّ في الدنيا وزهدني فيها، ولَا تزْوِها عني فترَغِّبَني فيها)[3].

وكما قال القائلُ: الدنيا كالدابةِ، إذا ركبتَها حملتك، وإذا رَكِبَتْكَ أهلكَتك.

وأخذَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه مواعظَه هذه من كتابِ اللهِ عز وجل ومن سنةِ رسولِ الله ﷺ.

فالله عز وجل في كتابه يحذرُ عبادَه من الافتتانِ بالدنيا، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ ﴾ [فاطر].

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النازعات].

---

(١) رواه هناد في «الزهد» (٥٧٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٣٦)

(٢) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود (٣٤٦٤)، وأحمد (٢/ ٤٢)، وأبو يعلى (٥٦٥٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٨٩)].

(٣) «العقد الفريد» (٣/ ١٨٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٨﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ۝٢٠﴾ [الحديد].

• والرسول ﷺ يحذر أمته من الافتتان بالدنيا:

يقول ﷺ: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ تعالى مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا؛ فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ**»[1].

ويقول ﷺ: «**إن مما أخافُ عليكم من بعدي ما يُفتحُ عليكم من زهرة الدنيا وزينتِها**»[2].

فوالله ما تُرِكَتِ الصلاةُ إلا بسببِ الافتتانِ بالدنيا، ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ -لِمَ يا ربنا؟- ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩﴾ [مريم:٥٩].

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٤٢).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٩٦)، ومسلم (١٠٥٢).

الموعظةُ الثالثة: يحثُّ فيها ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه المسلمينَ على طلبِ العلمِ الشرعيِّ، والعملِ به.

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (اغْدُ عَالِماً أَوْ مُتَعَلِّماً، وَلاَ تَغْدُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ، فَإِنمَا بَيْنَ ذَلِكَ جَاهِلٌ. وَإِنَّ الْـمَلاَئِكَةَ تَبْسُطُ أَجْنِحَتَهَا لِلرَّجُلِ غَدَا يَطلبُ الْعِلْمَ؛ مِنَ الرِّضَا بِمَا يَصْنَعُ)[1].

ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: (عليكم بالعلمِ قبل أن يُرفَعَ، ورفعُهُ موتُ رواتهِ، فوالذي نفسي بيده لَيَوَدُّنَّ رجالٌ قُتلوا في سبيلِ الله شهداءَ أن يبعثهم اللهُ علماءَ، لما يرون من كرامتِهم؛ فإنَّ أحداً لم يولدْ عالماً، وإنما العلمُ بالتعلمِ)[2].

ويقول رضي الله عنه: (تعلموا العلمَ، فإذا علمتمْ فاعمَلوا، ويلٌ لمن لا يعلمُ، ولو شاءَ اللهُ لعلّمه، وويلٌ لمن يعلمُ ثم لا يعملُ سبعَ مراتٍ)[3].

وقال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (لا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا أَتَاهُمُ الْعِلْمُ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم وَمِنْ أَكَابِرِهِمْ، فَإِذَا جَاءَ الْعِلْمُ مِنْ قِبَلِ أَصَاغِرِهِمْ، فَذَاكَ حِينَ هَلَكُوا)[4]. -والصِّغار هم الجَهَلة والمبتدعةُ-.

---

(١) رواه الدارمي (٣٣٩)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٠٩).

(٢) «إحياء علوم الدين» (١/ ١٥).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٣١)

(٤) رواه عبد الرزاق (٢٠٤٤٦)، والطبراني في «الأوسط» (٧٥٩٠)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٥٧٥).

وقال: (إنكم لن تزالوا بخير ما دام العلمُ في كبارِكم، فإذا كانَ العلمُ في صغارِكم سَفَّه الصغيرُ الكبيرَ)(١).

ويقول رضي الله عنه: (لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوا عِلْمَهُمْ، وبذلوه لأَهْلِهِ لَسَادُوا بِهِ أَهْلَ زَمَانِهِمْ؛ وَلَكِنَّهُمْ بَذَلُوهُ لأَهْلِ الدُّنْيَا لِيَنَالُوا بِهِ مِنْ دُنْيَاهُمْ، فَهَانُوا عَلَى أَهْلِهَا)(٢).

وأخذَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه مواعظَه هذه من كتابِ الله -عز وجل- ومن سنةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم.

فالله عز وجل في كتابه يحثُّ على طلبِ العلم ويُثني على العلماءِ، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزُّمَر].

فلم يسوِّ ربُّنا جلَّ وعلا بين العالمِ والجاهلِ، كما لم يسوِّ بينَ أهلِ الجنةِ وأهلِ النارِ، وبين الأعمى والبصيرِ، وبين الظلماتِ والنورِ وبين الظلِّ ولا الحرورِ.

وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ [المجادلة:١١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ﴾ [فاطر:٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه:١١٤].

ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم: يحثُّ أمتَه على طلبِ العلمِ الشرعيِّ، قال صلى الله عليه وسلم: «**لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ فَهْوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**»(٣).

---

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٥٧٧).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٣١٣)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٦١٠).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦).

وقال ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»(١).

وقال ﷺ: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»(٢).

وقال ﷺ: «الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرَ اللهِ وَمَا وَالاهُ، وعَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا»(٣).

وقال ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا؛ سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رضاً بما يصنع، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ؛ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا؛ و إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ؛ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»(٤).

الموعظة الرابعة: وصيتُه رضي الله عنه لأهلِ القرآنِ:

يقول ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه لحمَلةِ القرآن في صدورِهم: (تَعَاهَدُوا هَذِهِ الْمَصَاحِفَ -وَرُبَّمَا قَالَ: الْقُرْآنَ- فَلَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنْ النَّعَمِ مِنْ عُقُلِهِ)(٥).

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣١١٦)، ومسلم (١٠٣٧).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٣) **حسن**: رواه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٤)].

(٤) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٢٦٨٢)، وأبو داود (٣٦٤١)، وابن ماجه (٢٢٣)، والدارمي (٣٤٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٠)].

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٧٩٠).

وأخذَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه وصيتَه هذه من كلامِ رسولِ الله ﷺ الذي يقول فيه: «**تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ** -أي: حافظوا على قراءته وواظبوا على تلاوته- **فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنْ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا**»(١).

وقال ﷺ: «**إنما مثلُ صاحبِ القرآنِ كمثلِ الإبلِ المُعقَّلة، إنْ عاهدَ عليها أمسكَها، وإن أطلقَها ذهبت**»(٢).

ويقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه لأهلِ القرآن: (يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعْرَفَ بِلَيْلِهِ إِذَا النَّاسُ نَائِمُونَ، وَبِنَهَارِهِ إِذَا النَّاسُ مُفْطِرُونَ، وَبِحُزْنِهِ إِذَا النَّاسُ يَفْرَحُونَ، وَبِبُكَائِهِ إِذَا النَّاسُ يَضْحَكُونَ، وَبِصَمْتِهِ إِذَا النَّاسُ يَخُوضون، وَبِخُشُوعِهِ إِذَا النَّاسُ يَخْتَالُونَ، وَيَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ بَاكِيًا مَحْزُونًا حَلِيمًا حَكِيمًا سِكِّينا، وَيَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ لا يَكُونَ جافياً، ولا غافلاً،ولا صَخَّابًا، وَلاَ صَيَّاحًا، وَلاَ حَدِيدًا)(٣).

ويقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (إنَّ هذا القرآنَ مأدبةُ اللهِ؛ فمنِ استطاع أن يتعلمَ منه شيئاً فليفعل، فإنَّ أصفرَ البيوتِ من الخيرِ -أي: فإن أكثرَ البيوتِ خُلُواً من الخير- البيت الذي ليسَ فيه من كتابِ الله تعالى شيءٌ، و إنَّ البيتَ الذي ليس فيه من كتابِ الله شيءٌ، كخرابِ البيتِ الذي لا عامرَ له. وإنَّ الشيطانَ يخرجُ من

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٣٣)، ومسلم (٧٩١)، واللفظ له.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٧٤٣)، ومسلم (٧٨٩).

(٣) رواه أحمد في «الزهد» (٨٨٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٥٨٤).

البيتِ؛ تُسْمَعُ فيه سورةُ البقرة تُقرأ)[1]، وقال: (إنما هذه القلوبُ أوعيةٌ، فاشغِلوها بالقرآن، ولا تُشغِلوها بغيره)[2].

• ومن مواعظِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه التي ترققُ القلوبَ:

١- يقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (إِنَّكُمْ فِي مَمَرِّ اللَّيْلِ والنهار فِي آجَالٍ مَنْقُوصَةٍ، وَأَعْمَالٍ مَحْفُوظَةٍ، وَالْـمَوْتُ يَأْتِي بَغْتَةً؛ فَمَنْ زَرَعَ خَيْرًا يُوشِكُ أَنْ يَحْصُدَ رَغْبَةً، وَمَنْ زرعَ شَرًّا يُوشِكُ أَنْ يَحْصُدَ نَدَامَةً، وَلِكُلِّ زَارِعٍ مثلُ ما زرع، لا يَسْبِقُ بَطِيءٌ بِحَظِّهِ، وَلا يُدْرِكُ حَرِيصٌ مَا لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ، فَمَنْ أُعْطِيَ خَيْرًا فَاللهُ أَعْطَاهُ، وَمَنْ وُقِيَ شَرًّا فَاللهُ وَقَاهُ، الْـمُتَّقُونَ سَادَةٌ، وَالْفُقَهَاءُ قَادَةٌ، وَمُجَالَسَتُهُمْ زِيَادَةٌ)[3].

٢- ويقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (مَنْ تَطَاوَلَ تَعَظُّمًا خَفَضَهُ اللهُ، وَمَنْ تَوَاضَعَ تَخَشُّعًا رَفَعَهُ اللهُ، ومن راءى في الدنيا راءى اللهُ به يوم القيامة)[4].

٣- ويقول ابنُ مسعود رضي الله عنه: (إنَّ فِي كِتَابِ اللهِ آيَتَيْنِ: مَا أَصَابَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَرَأَهُمَا، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ اللهَ إِلَّا غَفَرَ لَهُ ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟

(١) رواه عبد الرزاق (٥٩٩٨)، والطبراني في «الكبير» (٨٦٤٢).

(٢) **لا بأس به**: رواه ابن أبي شيبة (٣٠٠١١)، وأحمد في «الزهد» (١٠٦٢)، والخطيب في «تقييد العلم» (٥٤)، [«سلسلة الآثار الصحيحة» (٥٠٠)].

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» (٨٥٥٣).

(٤) رواه هناد في «الزهد» (٨٣٢)، والطبراني في «الكبير» (٨٥١٢).

وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [آل عمران:١٣٥-١٣٦]، ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء])[1].

فيا أيها العاصي! من يغفرُ الذنوبَ إلا الله؟ لا أحدَ .. ما الذي يمنعك أن تتوبَ إلى الله؟! وقد علمتَ أن من تابَ إلى الله تابَ اللهُ عليه، ومن استغفرَ من ذنبه غفرَ الله له. قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجُرات].

اللهم ارزقنا توبةً نصوحاً قبل الموت.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٥٢٣).

٣٢

جعفرُ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه

عبادَ الله! يقولُ اللهُ -عزَّ وجل- في كتابـِهِ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب]. وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل:٥٩].

وهؤلاءِ الرجالُ الذين اصطفاهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيه، ولنصرةِ دينه؛ هم أصحابُ محمدٍ ﷺ، لا يحبهم إلا مؤمنٌ، ولا يبغضهم إلا منافقٌ زنديق، قال الإمامُ الطحاويُّ -رحمه الله- في عقيدتهِ؛ «عقيدةِ أهلِ السنةِ والجماعة»: (ونحبُّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ، ولا نفرِّطُ في حبِّ أحدٍ منهم -كأهلِ الضلالِ الذين غَلَوا في عليٍّ وجعفرَ والحسنِ والحسينِ -ولا نتبرأُ من أحدٍ منهم- كما يفعلُ أهلُ الضلال في سبِّ ولعنِ بعضِ الصحابةِ -رضي الله عنهم أجمعين-، ونبغضُ مَنْ يُبغضهم وبغير الخير يذكُرهم، ولا نذكرُهم إلا بخيرٍ، وحبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ)[1].

وموعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- مع رجلٍ من هؤلاءِ الرجال، وصحابيٍّ من الصحبِ الكرام .. أتدرونَ مَنْ هو يا عبادَ الله؟ أنه: **جعفرُ بنُ أبي طالب** رضي الله عنه ... أتعرفونَه يا أمةَ الإسلامِ؟

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٤٦٧).

هو جعفرُ بنُ أبي طالبٍ بن عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ؛ ابـنِ عـمِّ رسـولِ الله ﷺ، أبو عبدِ الله ذو الجناحين، أبو المساكينِ، الشهيدُ، الطيارُ، أخو أميرِ المؤمنينَ عليٍّ بـن أبي طالبٍ، أحدُ السابقينَ الأولينَ إلى الإسلامِ.

وحديثُنا عن جعفرٍ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه سيكونُ عن مناقبهِ ومواقفهِ.

أما مناقبُه فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: أنه كان رضي الله عنه من أشدِّ الناس شَبَهاً برسولِ الله ﷺ في خَلْقه وخُلُقه:

يقول ﷺ لجعفرٍ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه: (أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي)[1].

وأكرم بها مِن منقبةٍ فقد قالَ اللهُ -عـزَّ وجـلَّ- مادحـاً نبيَّـه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم].

ثانيـاً: ومن مناقبه رضي الله عنه أنـه مـنَ السابقينَ الأولـينَ إلى الإسلامِ وصـاحبُ الهجرتين:

يقول أبو موسى رضي الله عنه: (بَلَغَنَـا مَخْـرَجُ النَّبِـيِّ ﷺ وَنَحْـنُ بِـالْيَمَنِ؛ فَخَرَجْنَـا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ أَنَا وَأَخَوَانِ لِي أَنَا أَصْغَرُهُمْ.. فِي ثَلاَثَـةٍ وَخَمْـسِينَ، أَوِ اثْنَـيْنِ وَخَمْـسِينَ رَجُلاً مِنْ قَوْمِي، فَرَكِبْنَا سَفِينَةً فَأَلْقَتْنَا سَفِينَتُنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ، فَوَافَقْنَا جَعْفَـرَ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا جَمِيعًا فَوَافَقْنَا النَّبِيَّ ﷺ حِينَ افْتَـتَحَ خَيْـبَرَ، وَكَانَ أُنَاسٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ لَنَا، يَعْنِي لأَهْلِ السَّفِينَةِ - سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ.

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٦٩٩).

وَدَخَلَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ -وَهْيَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَنَا- عَلَى حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ زَائِرَةً؛ وَقَدْ كَانَتْ هَاجَرَتْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فِيمَنْ هَاجَرَ، فَدَخَلَ عُمَرُ بن الخطاب عَلَى حَفْصَةَ وَأَسْمَاءُ عِنْدَهَا، فَقَالَ عُمَرُ حِينَ رَأَى أَسْمَاءَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ.

قَالَ عُمَرُ: الْحَبَشِيَّةُ هَذِهِ، الْبَحْرِيَّةُ هَذِهِ، قَالَتْ أَسْمَاءُ: نَعَمْ.

قَالَ عمرُ: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ الله ﷺ مِنْكُمْ، فَغَضِبَتْ وَقَالَتْ: كَلاَّ وَالله! كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ وَيَعِظُ جَاهِلَكُمْ، وَكُنَّا فِي دَارِ - أَوْ فِي أَرْضِ الْبُعَدَاءِ الْبُغَضَاءِ بِالْحَبَشَةِ؛ وَذَلِكَ فِي الله وَفِي رَسُولِهِ ﷺ، وَأَيْمُ الله لاَ أَطْعَمُ طَعَامًا وَلاَ أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَذْكُرَ مَا قُلْتَ لِرَسُولِ الله ﷺ، وَنَحْنُ كُنَّا نُؤْذَى وَنُخَافُ، وَسَأَذْكُرُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَسْأَلُهُ، وَالله لاَ أَكْذِبُ وَلاَ أَزِيغُ وَلاَ أَزِيدُ عَلَيْهِ.

فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَتْ: يَا نَبِيَّ الله إِنَّ عُمَرَ قَالَ: كَذَا وَكَذَا.

قَالَ ﷺ: فَمَا قُلْتِ لَهُ؟ قَالَتْ: قُلْتُ لَهُ كَذَا وَكَذَا، قَالَ ﷺ: لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ، وَلَهُ وَلأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ أَهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ - وفي مقدِّمةِ هؤلاء جعفرُ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه.

قَالَتْ أسماء: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ يَأْتُونِي أَرْسَالاً يَسْأَلُونِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ؛ مَا مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ هُمْ بِهِ أَفْرَحُ وَلاَ أَعْظَمُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِمَّا قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ)[1].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٢٣٠)، ومسلم (٢٥٠٢)، واللفظ للبخاري.

الشاهدُ منَ الحديثِ أن جعفرَ بنَ أبي طالبٍ كانَ منَ السابقين الأولين إلى الإسلامِ ومنَ المهاجرين من مكةَ إلى الحبشةِ ومنَ الحبشةِ إلى رسولِ الله ﷺ بالمدينةِ.

ثالثاً: ومن مناقبه رضي الله عنه أنه كان يُحبُّ المساكينَ ويعطفُ عليهم حتى أنه كان يُكْنى بأبي المساكين.

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَإِنِّي كُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ الله ﷺ بِشِبَعِ بَطْنِي، حَتَّى لاَ آكُلَ الْخَمِيرَ، وَلاَ أَلْبَسُ الْحَبِيرَ، وَلاَ يَخْدُمُنِي فُلاَنٌ، وَلاَ فُلاَنَةُ، وَكُنْتُ أُلْصِقُ بَطْنِي بِالْحَصْبَاءِ مِنَ الْجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لأَسْتَقْرِئُ الرَّجُلَ الآيَةَ هِيَ مَعِي؛ كَيْ يَنْقَلِبَ بِي فَيُطْعِمَنِي، وَكَانَ أَخْيَرَ النَّاسِ لِلْمِسْكِينِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وكَانَ يَنْقَلِبُ بِنَا فَيُطْعِمُنَا مَا كَانَ فِي بَيْتِهِ، حَتَّى إِنْ كَانَ لَيُخْرِجُ إِلَيْنَا الْعُكَّةَ -ظرفُ السمن- الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ فَيشُقُّهَا فَنَلْعَقُ مَا فِيهَا)[1]، وهذا يدلُّ على كرمِهِ وحبِّه وحُنُوِّهِ على المساكينِ.

ويقولُ أبو هريرةَ رضي الله عنه: (مَا احْتَذَى النِّعَالَ وَلاَ انْتَعَلَ وَلاَ رَكِبَ الْمَطَايَا، وَلاَ رَكِبَ الْكُورَ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ أَفْضَلُ مِنْ جَعْفَرِ بنِ أبي طالبٍ)[2]. -يعني في الجودِ والكرمِ-.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٠٨).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٧٦٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٥٧)، وأحمد (٢/ ٤١٣)، [«السلسلة الضعيفة» (٤٨٧٩)].

رابعاً: ومن مناقبه ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ أخبرَ أنه ماتَ شهيداً في سبيل اللهِ وشهدَ له بذلك:

يقولُ أبو قتادةَ ﷺ: (بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ جَيْشَ الأُمَرَاءِ، وَقَالَ: عَلَيْكُمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَإِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ فجَعْفَرُ بنُ أَبِي طالبٍ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ، فعَبْدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ الأَنْصَارِيُّ... فَانْطَلَقَ فَلَبِثُوا مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ صَعِدَ المِنْبَرَ، وَأَمَرَ أَنْ يُنَادَى: الصَّلاَةُ جَامِعَةٌ!

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: نَابَ خَيرٌ، أَوْ باتَ خَيرٌ، أَلاَ أُخْبِرُكُمْ عَنْ جَيْشِكُمْ هَذَا الْغَازِي؟ إِنَّهُمْ انطَلَقُوا فلَقُوا الْعَدُوَّ، فَأُصِيبَ زَيْدٌ شَهِيدًا، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ -فَاسْتَغْفَرَ لَهُ النَّاسُ- ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -وهذا هو الشاهدُ- فَشَدَّ عَلَى الْقَوْمِ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا، أَشْهَدُ لَهُ بِالشَّهَادَةِ فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ، ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ عَبْدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ، فَأَثْبَتَ قَدَمَيْهِ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ، ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ -وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الأُمَرَاءِ، هُوَ أَمَّرَ نَفْسَهُ- ثُمَّ رَفَعَ رَسُولُ الله ﷺ أُصْبُعَيْهِ فَقَالَ: اللهُمَّ هُوَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِكَ، فَانْصُرْهُ -فَمِنْ يَوْمِئِذٍ لُقِّبَ خَالِدٌ بِسَيْفِ الله- ثُمَّ قَالَ: انْفِرُوا فَأَمِدُّوا إِخْوَانَكُمْ، وَلاَ يَتَخَلَّفَنَّ أَحَدٌ، فَنَفَرَ النَّاسُ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ مُشَاةً وَرُكْبَانًا)[1].

قال ابنُ كثير -رحمَه الله تعالى-: (وقد أخبرَ عنه رسولُ الله ﷺ بأنه شهيدٌ فهو ممن يُقْطَعُ له بالجنةِ)[2].

(١) **حسن**: رواه أحمد (٥/ ٢٩٩، ٣٠٠)، والنسائي في «الكبرى» (٨٢٤٩)، وابن حبان (٧٠٤٨)، [«أحكام الجنائز» (ص٣٣)].

(٢) «البداية والنهاية» (٤/ ٢٨٥).

خامساً: ومن مناقبه ﭬ أنه كانَ ذا مكانةٍ عظيمةٍ عندَ رسولِ الله ﷺ؛ ولذلك لما بلغَه نبأُ استشهادِه حزنَ عليه حزناً عظيماً عُرِفَ ذلك في وجهه ﷺ:

يقول أنسُ بنُ مالكٍ ﭬ: قال النبيّ ﷺ: (**أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ - وَإِنَّ عَيْنَيْ رَسُولِ الله ﷺ لَتَذْرِفَانِ، ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مِنْ غَيْرِ إِمْرَةٍ فَفُتِحَ لَهُ**»[1]. فحزنُ النبيِّ ﷺ عليهم يدلُّ على مكانتِهم وحبِّه لهم.

سادساً: ومن مناقبه ﭬ أنّ النبيَّ ﷺ اعتنى بأولاده عنايةً عظيمةً بعدَ أنِ استُشْهِدَ في غزوةِ مؤتةَ، فقد قامَ ﷺ بزيارتِهم وتفقدَ أحوالِهم ودعا لهم:

يقولُ عبدُ الله بنُ جعفرَ بنِ أبي طالبٍ: لما جاءَ نعيُ جعفرٍ، قال رسولُ الله ﷺ: «**اصْنَعُوا لآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا، فَقَدْ أَتَاهُمْ مَا يُشْغِلُهُمْ، أَوْ أَمْرٌ يَشْغَلُهُمْ**»[2].

وعن أسماءَ بنتِ عُميسٍ قالت: لَـمَّا أُصِيبَ جَعْفَرٌ رَجَعَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ: «**إِنَّ آلَ جَعْفَرٍ قَدْ شُغِلُوا بِشَأْنِ مَيِّتِهِمْ، فَاصْنَعُوا لَهُمْ طَعَامًا**»[3].

ويقول عبدُ الله بنُ جعفرَ ﭬ: (....ثُمَّ أَمْهَلَ رسولُ الله ﷺ آلَ جَعْفَرٍ ثَلاثًا أَنْ يَأْتِيَهُمْ ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَالَ: «**لاَ تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ، ادْعُوا إِلَيَّ ابْنَيِ أَخِي**».

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٢٤٦).

(٢) **حسن**: رواه أبو داود (٣١٣٢)، وابن ماجه (١٦١٠)، وأحمد (١/ ٢٠٥)، والحاكم (١٣٧٧)، واللفظ لابن ماجه [«صحيح الجامع» (١٠١٥)].

(٣) **حسن**: رواه ابن ماجه (١٦١١)، [«صحيح الجامع» (١٥١٨)].

قَالَ: فَجِيءَ بِنَا كَأَنَّا أَفْرُخٌ، فَقَالَ: ادْعُوا لِيَ الْحَلاقَ، فَجِيءَ بِالْحَلاقِ، فَحَلَقَ رُؤُوسَنَا، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا مُحَمَّدٌ فَشَبِيهُ عَمِّنَا أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا عَبْدُ اللهِ فَشَبِيهُ خَلْقِي وَخُلُقِي، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَأَشَالَهَا -أي: رفعها- فَقَالَ: «**اللهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ**» قَالَهَا ثَلاثَ مِرَارٍ.

قَالَ: فَجَاءَتِ أُمُّنَا فَذَكَرَتْ لَهُ يُتْمَنَا.. فَقَالَ ﷺ: الْعَيْلَةَ -أي الفاقةَ والفقرَ والحاجةَ- تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ، وَأَنَا وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؟!)[1].

• ومن مواقفِ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه:

أولاً: موقفُه مع النجاشيِّ في قولِ الحقِّ والثباتِ عليه:

تقولُ أمُّ سلمةَ رضي الله عنها: (لَـمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ، جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ، النَّجَاشِيَّ، أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا، وَعَبَدْنَا اللهَ لَا نُؤْذَى وَلا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ، فَلَـمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا، ائْتَمَرُوا أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى النَّجَاشِيِّ فِينَا رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ وَأَنْ يُهْدُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَا مِمَّا يُسْتَطْرَفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ.. وَلَمْ يَتْرُكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقًا إِلا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً.

ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وَأَمَرُوهُمَا أَمْرَهُمْ، وَقَالُوا لَـهُمَا: ادْفَعُوا إِلَى كُلِّ بِطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمُوا النَّجَاشِيَّ فِيهِمْ، ثُمَّ قَدِّمُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَاهُ، ثُمَّ سَلُوهُ أَنْ يُسْلِمَهُم إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ.

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٢٠٤، ٢٠٥)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٦٠)، [«أحكام الجنائز» (ص ١٦٦)].

قَالَتْ: فَخَرَجَا فَقَدِمَا عَلَى النَّجَاشِيِّ، وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ، وَعِنْدَ خَيْرِ جَارٍ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقٌ إِلا دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ، ثُمَّ قَالا لِكُلِّ بِطْرِيقٍ مِنْهُمْ: إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِ الْـمَلِكِ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتُمْ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَى الْـمَلِكِ فِيهِم أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ لِيَرُدَّهُم إِلَيْهِمْ، فَإِذَا كَلَّمْنَا الْـمَلِكَ فِيهِمْ، فَتُشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسْلِمَهُم إِلَيْنَا، وَلا يُكَلِّمَهُمْ، فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَعَلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَـهُمَا: نَعَمْ.

ثُمَّ إِنَّهُمَا قَرَّبَا هَدَايَاهُم إِلَى النَّجَاشِيِّ فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا، ثُمَّ كَلَّمَاهُ، فَقَالا لَـهُ: أَيُّهَا الْـمَلِكُ، إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتَ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَيْكَ فِيهِم أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ، وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ، لِتَرُدَّهُم إِلَيْهِمْ، فَهُمْ أَعَلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ.

قَالَتْ: وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَض إِلَى عَبْدِ الله بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيُّ كَلامَهُمْ، فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ: صَدَقُوا أَيُّهَا الْـمَلِكُ! قَوْمُهُمْ أَعَلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَأَسْلِمْهُم إِلَيْهِمَا فَلْيَرُدَّاهُم إِلَى بِلادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ

قَالَت: فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ ثم قال: لَا هِيْمُ الله -أي: لا والله- إِذَاً لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْهِمَا، وَلا أُكَادُ قَوْمًا جَاوَرُونِي، وَنَزَلُوا بِلادِي، وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ،

حَتَّى أَدْعُوَهُمْ فَأَسْأَلَهُمْ مَا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ، فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولـونِ، أَسْـلَمْتُهُمِ الَيْهِمَا وَرَدَدْتُهُم الَى قَوْمِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا عَـلَى غَـيْرِ ذَلِـكَ مَنَعْـتُهُمْ مِـنْهُمَا، وَأَحْـسَنْتُ جِوارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي.

قَالَتْ: ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ فَدَعَاهُمْ، فَلَـمَّا جَـاءَهُمْ رَسُـولُهُ اجْتَمَعُوا، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُـلِ إِذَا جِئْتُمُـوهُ؟ قَـالُوا: نَقُـولُ وَالله مَا عَلَّمَنَا، وَمَا أَمَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ، كَائِنٌ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ. فَلَمَّا جَاءُوهُ، وَقَـدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ، فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ، سَأَلَهُمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ، وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي، وَلا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ؟

قَالَتْ: فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَـهُ -وهـذا هوالـشاهد-: أَيُّهَا الْـمَلِكُ! كُنَّـا قَوْمًـا أَهْـلَ جَاهِلِيَّـةٍ، نَعْبُـدُ الْأَصْـنَامَ، وَنَأْكُـلُ الْـمَيْتَةَ، وَنَـأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَـلَى ذَلِكَ، حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُـولًا مِنَّـا نَعْـرِفُ نَـسَبَهُ وَصِـدْقَهُ، وَأَمَانَتَـهُ، وَعَفَافَـهُ. فَدَعَانَا إِلَى الله لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّـا نَعْبُـدُ نَحْـنُ وَآبَاؤُنَـا مِـنْ دُونِـهِ مِـنَ الحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ.

وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْـمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَـوَاحِشِ وَقَـوْلِ الـزُّورِ، وَأَكْـلِ مَـالَ الْيَتِـيمِ، وَقَذْفِ الْـمُحْصَنَةِ.

وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلاةِ وَالزَّكَـاةِ وَالـصِّيَامِ -قَالَت: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلامِ- فَصَدَّقْنَاهُ، وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ.

فَعَبَدْنَا اللهَ وَحْدَهُ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا، لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ الله، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الخَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا، وَشَقُّوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْـمَلِكُ!

قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ الله مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ.

فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ (كهيعص).

قَالَتْ: فَبَكَى وَالله النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ، حِينَ سَمِعُوا مَا تَلا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، انْطَلِقَا فَوَالله لَا أُسْلِمُهُم الَيْكُم ابدًا، وَلا أُكَادُ.

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَالله لأنَبِّئَنَّهُ غَدًا عَيْبُهِمْ عِنْدَه، ثُمَّ أَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضْرَاءَهُمْ. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الله بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ -وَكَانَ أَتْقَى الرَّجُلَيْنِ فِينَا-: لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ لَهُم أرْحَامًا، وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا.

قَالَ: وَالله لأخْبِرَنَّهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ

قَالَتْ: ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ الْغَدَ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْـمَلِكُ! إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا، فَأَرْسِل الَيْهِمْ فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ. قَالَتْ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ.

قَالَتْ: وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُها، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى إِذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟

قَالُوا: نَقُولُ وَاللهِ فِيهِ مَا قَالَ اللهُ، وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ.

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ، قَالَ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟

فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ.

قَالَتْ: فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا، ثُمَّ قَالَ: مَا عَدَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ -أي صدَّق ما قال جعفرُ- فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ، فَقَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللهِ.

ثم قال لأصحابِ رسولِ الله ﷺ: اذْهَبُوا، فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي -وَالسُّيُومُ: الْآمِنُونَ- مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي دَبْرًا ذَهَباً وَأَنِّي آذَيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ -وَالدَّبْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: الْجَبَلُ- رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا، فَلا حَاجَةَ لَنَا بِهَا، فَوَاللهِ مَا أَخَذَ اللهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي، فَآخُذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ، وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ، فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ.

قَالَتْ أم سلمة: فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَا بِهِ، وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ)[1].

---

(١) حسن: رواه أحمد (١/ ٢٠١)، [«محققو المسند»].

ثانياً: موقفه رضي الله عنه في الشجاعةِ والإقدامِ في أرضِ المعركةِ.

• ويظهرُ لنا ذلك جلياً في غزوةِ مؤتة -في جنوبِ الأردنِ-، حيث كانَ جيشُ المسلمين يتكونُ من ثلاثةِ آلافِ مقاتلٍ، وجيشُ المشركينَ يتكون من مائتي ألفِ مقاتلٍ.

يقول أبو هريرةَ رضي الله عنه : - وكانت هذه الغزوةُ أولَ غزوةٍ يحضرُها- أي أبو هريرة؛ لأنه أسلمَ بعد صُلحِ الحديبيةِ- (فلما دنا المشركون رأيتُ ما لا قِبَل لأحدٍ به، رأيتُ عدداً وعُدةً وسلاحاً، وخيلاً، وديباجاً، وحريراً، وذهباً، فبرَق بصري، فقال لي ثابتُ بن أرقم: يا أبا هريرة كأنك ترى جموعا كثيرة؟ قلتُ: إي والله.

قال: إنك لم تشهدْ معنا بدراً، إنا لا نُنصر بالكثرة)[1]. -يقول الله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ [آل عمران:١٢٣].

وَالتحمَ الجيشان ودخلَ ثلاثةُ آلافٍ في مائتي ألفٍ!! أيُّ شجاعةٍ هذه؟ وهل هناك محرِّكٌ لهؤلاء الثلاثةِ آلافٍ إلا الحرصُ على الجنةِ، وأنهم شمّوا رائحتَها؟!

وَبدأ القتالُ، وكان يحملُ الرايةَ زيدُ بنُ حارثةَ رضي الله عنه ، فقاتلَ حتى قُتِلَ، فأخذَ الرايةَ جعفرُ بنُ أبي طالبٍ، وحملَها بيده وهو راكبٌ فرسَه، وأخذ يقاتِلُ القومَ حتى أرهقَه القتالُ، فنزلَ عن فرسِهِ فعقرها، ورفع الرايةَ بيده، والسيفَ في يده الأخرى، وأخذَ يقاتلُ القومَ وهو يقول:

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٣٦٢)

يَـا حَبَّـذَا الْجَنَّـةُ وَاقْتِرَابُهَـا طَيِّبَـةٌ وبَـارِدٌ شَرَابُهَـا

وَالـرُّومُ رُومٌ قَـدْ دَنَـا عَـذَابُهَا كَـافرةٌ بعيـدةٌ أنْـسابُها

عَلَيَّ إِنْ لاَقَيْتُهَا ضِرَابُهَا[1].

فما زال يقاتلُ القومَ حتى ضربه أحدُهم على يمينِهِ فقطعَها، فسقطتِ الرايةُ، فأخذها بشماله، فضربَه على الشمالِ فقطعَها، فاحتضنَ الرايةَ بعضُديه، وما زال رافعاً رايةَ رسولِ الله ﷺ حتى ضُربَ فقُتلَ رضي الله عنه؛ فعوّضه اللهُ عن يدَيه جناحين يطيرُ بهما في الجنةِ.

قال ﷺ: «**رأيتُ جَعْفَرًا مَلَكًا يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ فِي الْجَنَّة**»[2].

ولذلك كانَ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما إذا سلّم على عبدِ الله بنِ جعفرَ بنِ أبي طالبٍ يقول: «**السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ ذِي الْـجَنَاحَيْنِ**»[3]. ولذلكَ لُقبَ جعفرُ بنُ أبي طالبٍ بالطيارِ.

ويقولُ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: (كُنْتُ فِيهِمْ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، فَالْتَمَسْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَوَجَدْنَاهُ فِي الْقَتْلَى، وَوَجَدْنَا مَا فِي جَسَدِهِ بِضْعًا وَتِسْعِينَ مِنْ طَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ)[4].

وفي الرواية الأخرى: (لَيْسَ مِنْهَا شَيْءٌ فِي دُبُرِهِ، يَعْنِي فِي ظَهْرِهِ)[5].

---

(١) رواه البيهقي في سننه (٩/ ١٥٤).

(٢) **صحيح**: رواه ابن حبان (٧٠٤٧)، [«السلسلة الصحيحة» (١٢٢٦)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٠٩).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٤٢٦١).

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٤٢٦٠).

نعم والله إنهم رجالٌ كما وصفهم اللهُ في كتابهِ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

نسألُ الله العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أن يجمَعنا وإياكم بجعفرِ الطيارِ مع نبيِّنا ﷺ في جناتِ النعيمِ.

٣٣

حذيفةُ بنُ اليمانِ رضي الله عنهما

مناقبُه ومواقفُه

عبادَ الله! يقولُ اللهُ -عز وجل-: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

وهؤلاءِ الرجالُ همْ أصحابُ محمدٍ ﷺ، قومٌ اختارَهمُ الله لصحبةِ نبيِّه، ونصرةِ دينِه، حبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ.

أصحابُ محمدٍ ﷺ مَنْ أحبَّهم وسلكَ سبيلَهم سَعِدَ في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (من كان مستَنّاً فليستنَّ بمن قد مات، فإنَّ الحيَّ لا تُؤمَنُ عليه الفتنةُ، أولئكَ أصحابُ محمدٍ ﷺ، كانوا والله! أفضلَ هذهِ الأمةِ، أبرَّها قلوباً، وأعمقَها علماً. وأقلَّها تكلفاً. قوماً اختارهم الله لصحبةِ نبيِّه ﷺ، وإقامةِ دينِه، فاعرفوا لهم فضلَهم، واتبِّعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم، ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)[1].

(١) رواه البغوي في «شرح السنة» (١/ ٢١٤، ٢١٥)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٩)، والقرطبي في «تفسيره» من طريق سنيد (١/ ٦٠) بلفظ: (من كان منكم متأسيا فليتأسى....) وروي باللفظ المذكور عن عبد الله بن عمر رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٠٥)، والخطيب في «تالي التلخيص» (١/ ٣٧١).

أصحابُ محمدٍ ﷺ، مَنْ أبغضهم وسبَّهم وسلكَ سبيلاً غيرَ سبيلهم شقيَ في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء]. وقال ﷺ: «**من سبَّ أصحابي فعليه لعنةُ الله والملائكةِ والناسِ أجمعين**».

وموعدُنا في هذا اليوم -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- مع رجلٍ من هؤلاءِ الرجالِ، وصحابيٍّ من الصحبِ الكرامِ .. أتدرون من هو؟ إنه: حذيفةُ بنُ اليمانِ رضي الله عنهما .. أتعرفونه يا أمةَ الإسلامِ؟ هو حذيفةُ بنُ اليمانِ العبسيُّ، صاحبُ سِرِّ رسولِ اللهِ ﷺ، عدوُّ النفاقِ والمنافقينَ، أبو عبدِ الله، من كبارِ الصحابةِ، أسلمَ هو وأبوه رضي الله عنهما واستُشهدَ أبوه في غزوةِ أحدٍ.

وحديثُنا عن حذيفةَ بنِ اليمانِ رضي الله عنه سيكونُ عن مناقبِهِ ومواقفِهِ.

أما مناقبُه فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: أنه رضي الله عنه صاحبُ سِرِّ رسولِ اللهِ ﷺ:

(ذَهَبَ عَلْقَمَةُ إِلَى الشَّامِ فَأَتَى الْـمَسْجِدَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، فَقَالَ: اللهُمَّ ارْزُقْنِي جَلِيسًا فَقَعَدَ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ.

فَقَالَ مِمَّنْ أَنْتَ؟ قَالَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ.

قَالَ: أَلَيْسَ فِيكُمْ صَاحِبُ السِّرِّ الَّذِي كَانَ لاَ يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ؟ -يَعْنِي حُذَيْفَةَ- أَلَيْسَ فِيكُمْ الَّذِي أَجَارَهُ اللهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ مِنَ الشَّيْطَانِ؟ -يَعْنِي عَمَّارًا-

أَوَلَيْسَ فِيكُمْ صَاحِبُ السِّوَاكِ وَالْوِسَادِ؟ يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ..)[1]. المراد بالسرِّ: هو ما أعلمَه النبيُّ ﷺ منْ أحوالِ المنافقينَ وأسمائِهم.

وقيل لعليٍّ رضي الله عنه: أَخبِرْنا عن أصحابِ محمدٍ ﷺ، قالَ: عن أيِّهم تسألون؟ قالوا: حذيفةَ. قال: (أَعْلَمُ أَصْحَابِ محمدٍ ﷺ بِالْـمُنَافِقِينَ)[2].

وقد ناشده عمرُ رضي الله عنه: يا حذيفةُ! أأنا منَ المنافقين؟ فقال حذيفةُ: لا، ولا أُزكي أحداً بعدَك[3].

وكان عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه إذا ماتَ أحدٌ منَ المسلمينَ يسألُ: أحضرَ حذيفةُ للصلاةِ عليه؟ .. فإن قالوا: نعم، صلَّى عليه، وإن قالوا: لا، شكَّ فيه، وأمسكَ عن الصلاة عليه - خشية أن يكونَ من المنافقين[4].

وسأل رجلٌ حذيفةَ فقال: ما النفاقُ؟ قال: (أَنْ تَتَكَلَّمَ بِالإِسْلاَمِ، وَلاَ تَعْمَلَ بِهِ)[5].

ثانياً: ومن مناقبهِ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ دعا له ولأُمِّهِ بالمغفرة:

يقولُ حذيفةُ بنُ اليمانِ رضي الله عنه (سَأَلَتْنِي أُمِّي مُنْذُ مَتَى عَهْدُكَ بِالنَّبِيِّ ﷺ؟

(١) رواه البخاري (٦٢٧٨).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (٦٠٤١).

(٣) «المعجم الكبير» للطبراني (٢٣/ ٣١٧)، و«سير أعلام النبلاء» (٤/ ٢٧).

(٤) «صورة من حياة الصحابة» (ص٣٠٥).

(٥) ذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٢٦).

قال: فَقُلْتُ لَهَا: مُنْذُ كَذَا وَكَذَا، قال: فَنَالَتْ مِنِّي وَسَبَّتْنِي -أي: لتأخُّرِه عن رسولِ الله ﷺ.

قال: فَقُلْتُ لَهَا: دَعِينِي فَإِنِّي آتِي النَّبِيَّ ﷺ فَأُصَلِّي مَعَهُ الْـمَغْرِبَ، وَلاَ أَدَعُهُ حَتَّى يَسْتَغْفِرَ لِي وَلَكِ.

قال: فأتيتُ النبيَّ ﷺ فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الْـمَغْرِبَ، فَصَلَّى إِلَى الْعِشَاءِ ثُمَّ انْفَتَلَ فتَبِعْتُهُ، فَعَرَضَ لَهُ عَارِضٌ فناجاه، ثمَّ ذَهَبَ، فَاتَّبَعْتُهُ فَسَمِعَ صَوْتِي فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقُلْتُ: حُذَيْفَةُ فَقَالَ: مَا لَكَ؟ فَحَدَّثْتُهُ بِالأَمْرِ فَقَالَ: غَفَرَ اللهُ لَكَ وَلِأُمِّكَ)(١).

والنبيُّ إذا دعا لأحدٍ بالمغفرةِ استجابَ اللهُ له، لأنَّ النبيَّ ﷺ مستجابُ الدعوةِ.

ثالثاً: ومن مناقبهِ رضي الله عنه قُربُهُ منَ النبيِّ ﷺ ومجاورتُهُ له.

كان حذيفةُ رضي الله عنه قريباً جداً من رسولِ اللهِ ﷺ ويظهرُ ذلكَ من الأدلةِ التاليةِ:

١- يقولُ حذيفةُ رضي الله عنه: (صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَكَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ**» وَفِي سُجُودِهِ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى**» قَالَ: وَمَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ عِنْدَهَا فَسَأَلَ، وَلاَ آيَةِ عَذَابٍ إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْهَا)(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٧٨١)، والنسائي في «الكبرى» (٨٢٩٨)، وابن حبان (٧١٢٦)، واللفظ للنسائي [«المشكاة» (٦١٦٢)].

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٨٧١)، والترمذي (٢٦٢)، وأحمد (٥/ ٣٨٢)، والطيالسي (٤١٥)، [«صحيح أبي داود» (٧٧٤)].

٢- ويقولُ حذيفةُ ﷺ: (رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ أَتَى سُبَاطَةَ قَوْمٍ فَبَالَ وَهُوَ قَـائِمٌ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ، فَأَتَيْتُهُ فَتَوَضَّأَ، وَمَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ)(١).

٣- ويقولُ حذيفةُ ﷺ: (أَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ بِعَضَلَةِ سَـاقِي -أَوْ سَـاقِهِ- قَـالَ: هَذَا مَوْضِعُ الإِزَارِ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَأَسْفَلُ، فَإِنْ أَبَيْـتَ فَـلاَ حَـقَّ لِـلإِزَارِ فِـيمَا دُونَ الْكَعْبَيْنِ)(٢).

٤- ويقول حذيفةُ ﷺ: (كَانَ -يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ- إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ وَضَعَ يَـدَهُ الْيُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ وَقَالَ: «**رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ أَوْ تَجْمَعُ - عِبَادَكَ**»)(٣).

٥- ويقول حذيفةُ ﷺ: (كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ على طَعَامٍ، لَمْ نَضَعْ أَيْدِينَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ الله ﷺ فَيَضَعَ يَدَهُ، وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَـهُ مَـرَّةً طَعَامًـا فَجَـاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ، فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ فَأَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ بِيَدِهَا، وجَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ، فذهب يضعُ يدَه في الطعـام، فأخـذَ رسـولُ الله ﷺ بيده، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ إذا لم يُـذْكَرِ اسْـمُ الله عَلَيْهِ وَإِنَّهُ -أي: الشيطانَ- جَاءَ بِهَذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَـسْتَحِلَّ بِهَـا، فَأَخَـذْتُ بِيَـدِهَا، فَجَاءَ بِهَذَا الْأَعْرَابِيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ يَدَهُ -أي: الشيطان- فِي يَدِي مَعَ يَدْيْهِما**»)(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٣)، وأحمد (٥/ ٣٨٢)، واللفظ له.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (١٧٨٣)، وأحمد (٥/ ٣٨٢)، والطيالسي (٤٢٥)، [«السلسلة الصحيحة» (١٧٦٥)].

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٣٩٨) وأحمد (٥/ ٣٨٢)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٧٠٣)]

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠١٧).

رابعاً: ومن مناقبه ﵁ حرصُه على الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكر، وتعليمِ المسلمينَ الخيرَ ويظهرُ ذلكَ من الأدلةِ التاليةِ.

١- (دَخَلَ حُذَيْفَةُ الْـمَسْجِدَ فَإِذَا رَجُلٌ يُصَلِّي.. فَجَعَلَ لَا يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَلَا السُّجُودَ فَلَـمَّا انْصَرَفَ قَالَ لَهُ حُذَيْفَةُ: مُنْذُ كَمْ هَذِهِ صَلَاتُكَ؟

قَالَ: مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً.

قَالَ: فَقَالَ لَهُ حُذَيْفَةُ: مَا صَلَّيْتَ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَوْ مِتَّ وَهَذِهِ صَلَاتُكَ لَمِتَّ عَلَى غَيْرِ الْفِطْرَةِ الَّتِي فُطِرَ عَلَيْهَا مُحَمَّدٌ ﷺ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ يُعَلِّمُهُ، فَقَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيُخِفُّ فِي صَلَاتِهِ -أي: ليخففُ في صلاته- وَإِنَّهُ لَيُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ)[1]. أي أنه يريدُ أنه إن كانَ متعجلاً فليكنِ التخفيفُ في القيامِ والقراءةِ لا في الركوعِ والسجودِ فيؤدي ذلك إلى تركِ تمامِها.

٢- ويقولُ حذيفةُ ﵁: (إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَيَصِيرُ مُنَافِقًا، وَإِنِّي لَأَسْمَعُهَا مِنْ أَحَدِكُمْ فِي الْمَقْعَدِ الْوَاحِدِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَحَاضُّنَّ عَلَى الْخَيْرِ أَوْ لَيُسْحِتَنَّكُمُ اللهُ جَمِيعًا بِعَذَابٍ، أَوْ لَيُؤَمِّرَنَّ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ، ثُمَّ يَدْعُو خِيَارُكُمْ، فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ)[2].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٧٩١)، وأحمد (٥/ ٣٨٤) واللفظ له.

(٢) رواه أحمد (٥/ ٣٩٠) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٢٢١).

٣- كان حذيفةُ رضي الله عنه بِالْـمَدَائِنِ فَجَاءَهُ دِهْقَانٌ بِقَدَحٍ مِنْ فِضَّةٍ، فَأَخَذَهُ فَرَمَاهُ بِهِ، وَقَالَ: (إِنِّي لَمْ أَفْعَلْ هَذَا إِلَّا أَنِّي قَدْ نَهَيْتُهُ فَلَمْ يَنْتَهِ. وَإِنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم نَهَانِي عَنِ الشُّرْبِ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَالْحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ، وَقَالَ: هِيَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ)[1].

أما مواقفهُ رضي الله عنه فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: موقفُه في غزوةِ الأحزابِ رضي الله عنه:

انتدبَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حذيفَة للقيامِ بعمليةٍ استخباريةٍ في غزوة الأحزابِ في ظروفٍ صعبةٍ جداً.

يخبرُنا ربُّنا -جل وعلا- في كتابه بهذه الظروفِ الصعبةِ فيقولُ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴿١١﴾ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ﴿١٢﴾ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ﴿١٣﴾ ﴾ [الأحزاب].

عددٌ كثيرٌ منَ الكفارِ يحيطونَ بالمدينةِ، خوفٌ وجوعٌ وبردٌ شديدٌ، ونقَضتْ بنو قريظةَ عهدَهم مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم؛ ليضربوا المسلمينَ من الخلفِ تعاوناً مع

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥٦٣٢) ومسلم (٢٠٦٧) أحمد (٥/ ٣٩٦) واللفظ له

جيشِ الكفارِ، وترَكَ المنافقون والـذين في قلـوبهم مـرضٌ أرضَ المعركـةِ بحجـجٍ واهية؛ زاعمين أنَّ بيوتَهم عورةٌ وما هي بعورةٍ إن يريدونَ إلا فراراً.

طالَ الحصارُ، واشتدَّ البلاءُ.

في وسطِ هذهِ الظروفِ قامَ حذيفةُ ﵁ بمهمته، فتعالَوا بنا عبادَ الله لنـستمعَ إلى حذيفةَ ﵁ وهو يخبرُنا الخبرَ.

يقولُ حذيفةُ ﵁ : (لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُـولِ الله ﷺ يـومَ الْخَنْـدَقِ -أي: يـومَ الأحزاب- فقام ﷺ فصَلَّى هَوِيًّا مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ يأتينا بخـبرِ القـومِ -أي: العدوِّ- أشترطُ له الرَّجْعَةَ، وأضمنُ له الجنة**».

قال حذيفةُ ﵁ : فَمَا قَامَ أحدٌ مِن شِدَّةِ الْجُوعِ وَالْبَرْدِ والريحِ.

قال حذيفةُ: فصلَّى رسولُ الله ﷺ هويا من الليل، ثم التفت إلينا وقال: «**مَـنْ يأتينا بخبرِ القومِ؟ أشترطُ له الرَّجْعَةَ، وأسألُ اللهَ أن يكونَ رفيقي في الجنة**».

قال حذيفةُ: فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ من شدةِ الخوفِ والجوعِ والبردِ

.يقول حذيفةُ: فلما لو يقمْ أحدٌ. قالَ رسولُ الله ﷺ : «**قم يَا حُذَيْفَـةُ**»! يقـولُ حذيفةُ ﵁ : فلما دعاني لم يكن لي بدٌّ منَ القيامِ، فقمتُ، فقال ﷺ: «**اذْهَبْ فَأْتنـا بخبرِ الْقَوْمِ، وَلَا تُحْدِثَنَّ**- أي : ولا تفعلَنّ شَيْئًا- **حَتَّى تَأْتِيَنَا**».

قَالَ حذيفة ﵁ : فخرجت وأنا شديدُ البردِ، فلما مـشيتُ في حاجـةِ رسـولِ الله ﷺ كأني أمشي في حمّام -أي : لم أجدِ البردَ الذي يجدهُ النـاسُ- فأتيـتُ القـومَ

ودخلت فيهم، وإذا بأبي سفيانَ يقومُ ويقولُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لِيَنْظُرِ امْرُؤٌ – أي: كلُّ واحدٍ – مَنْ جَارُه.

قَالَ حُذَيْفَةُ: فَبادرتُ بِيَدي الذي جنبي، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ.

وقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، والله ما بقي لنا هنا مقامٌ؛ لقد أكفأتِ الريحُ قدورَنا، وهدمت خيامَنا، وقد بلغَنا عن بني قريظةَ ما نكرهُ؛ إنهم لم يفوا بعهدِهم بالحربِ معنا، فَارْتَحِلُوا فَإِنِّي مُرْتَحِلٌ.

قال حذيفةُ رضي الله عنه: ثُمَّ قَامَ إِلَى جَمَلِهِ فركبَ عليه، فَوَثَبَ عَلَى ثَلَاثٍ، فَلم يحلَّ عِقَالَهُ حتى وثبَ -هذا يدلُّ على الحالةِ السيئةِ التي فيها الأحزابُ وقائدُهم أبو سفيان- قال حذيفةُ: وَلَوْلَا عَهْدُ رَسُولِ الله ﷺ لَا تُحْدِثَنَّ حَتَّى تَأْتِيَنِا، فلو شِئْتُ أن أقتلَه، لقتلتهُ بِسَهْمي.

قَالَ حُذَيْفَةُ رضي الله عنه: فلما ارتحلَ وبلغَ الخبرُ سائرَ القبائلِ، فرجعوا مِنْ حيث جاءوا).

قال حذيفة رضي الله عنه: ثم رجعتُ إلى رسولِ الله ﷺ وهو قائمٌ يُصلي .. فلما سلَّم أخبرتهُ الخبرَ[1]. قال تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب].

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٣٩٢)، ومحمد بن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٢١٥)، [«محققو المسند»].

ثانياً: موقفُه رضي الله عنه في غزوةِ أُحدٍ:

تقولُ عائشةُ رضي الله عنها: (لَـمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ هُزِمَ الْـمُشْرِكُونَ هَزِيمَـةً بَيِّنَـةً، فَـصَاحَ إِبْلِيسُ: أَيْ عِبَـادَ الله أُخْـرَاكُمْ! فَرَجَعَـتْ أُولاَهُـمْ عَـلَى أُخْـرَاهُمْ فَاجْتَلَـدَتْ مـع أُخْرَاهُمْ فَنَظَرَ حُذَيْفَةُ فَإِذَا هُوَ بِأَبِيهِ -وكانَ مسلماً- فَنَادَى: أَيْ عِبَادَ الله أَبِي أَبِي..

قَالَتْ عائشةُ: فَـوَالله مَـا احْتَجَـزُوا -أي مـا تركـوه- حَتَّـى قَتَلُـوُهُ -وهـم لا يعرفونه- فَقَالَ حُذَيْفَةُ: غَفَرَ اللهُ لَكُمْ)[1].

ولما أرادَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن يدفعَ لحذيفةَ دِيَةَ أبيه، قال حذيفةُ: قـد تـصدقتُ بديتـه على المسلمينَ، فزاد ذلك حذيفةَ خيراً عندَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم[2]. إنه موقفٌ عجيبٌ من هذا الصحابيِّ الجليلِ.

ثالثاً: موقفُه في غزوة بدرٍ الكبرى:

يقـولُ حذيفـةُ رضي الله عنه: (مَـا مَنَعَنِـي أَنْ أَشْـهَدَ بَـدْرًا إِلَّا أَنِّي خَرَجْـتُ أَنَـا وَأَبِي حُسَيْلٌ، فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ. فقَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا؟ فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إِلَّا الْـمَدِينَةَ فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ الله وَمِيثَاقَهُ لَنَنْـصَرِفَنَّ إِلَى الْــمَدِينَةِ وَلَا نُقَاتِـلُ مَعَـهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ. فَقَالَ: «**انْصَرِفَا، نَفِي لَهُمْ بِعَهْـدِهِمْ وَنَـسْتَعِينُ اللهَ عَلَيْهِمْ**»)[3].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٨٢٤).

(٢) انظر «زاد المعاد» (٣/ ٢٠٦).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٧٨٧).

فرسولُنا الكريمُ لا يعرفُ الغدرَ والخيانةَ، ولقد ربَّى أصحابَه على ذلـكَ، أمـا أساتذةُ نقضِ العهودِ والمواثيقِ، وأساتذةُ الغدرِ والخيانةِ فهمُ اليهودُ قاتلَهمُ اللهُ!

اللهمَّ ردَّ المسلمينَ إلى دينِك رداً جميلاً.

٣٤

حذيفةُ بنُ اليمانِ رضي الله عنه أعلمُ الصحابةِ بالشرِّ والخيرِ والفتنِ التي تتعرضُ لها الأمةُ إلى قيامِ الساعةِ

عبادَ الله! يقولُ اللهُ -عز وجل- في كتابه: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل:٥٩].

قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (الذين اصطفى هم أصحابُ محمدٍ ﷺ، اصطفاهمُ اللهُ لنبيه ﷺ)(١).

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ -رحمه الله تعالى-: (قال طائفةٌ منَ السلفِ: هم أصحابُ محمد ﷺ)(٢). فأصحابُ محمدٍ ﷺ قومٌ اصطفاهُم اللهُ لصحبةِ نبيِّه وإقامةِ دينهِ، لا يحبهم إلا مؤمنٌ، ولا يبغضهم إلا منافقٌ، حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

موعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- أيضاً مع حذيفةَ بنِ اليمانِ رضي الله عنهما صاحبُ السرِّ وعدوُّ النفاق.

وحديثُنا عن حذيفةَ بنِ اليمانِ رضي الله عنه سيكونُ حولَ العناصرِ التاليةِ:

---

(١) «تفسير جامع البيان» (٢٠/ ٢).

(٢) «منهاج السنة» (١/ ١٥٦).

العنصرُ الأولُ: حذيفةُ ﷺ يسألُ والرسولُ ﷺ يجيبُ.

العنصرُ الثاني: حذيفةُ ﷺ أعلمُ الصحابةِ -رضي الله عنهم جميعاً-، بالفتنِ التي تنزلُ بالأمةِ إلى قيامِ الساعةِ.

العنصرُ الثالثُ: مواعظُهُ ﷺ.

العنصرُ الأول: حذيفةُ ﷺ يسألُ ورسولُ اللهِ ﷺ يجيبُ:

حذيفةُ بنُ اليمانِ ﷺ كان من أحرصِ الناسِ على معرفةِ الشرِّ؛ حتى لا يقعَ فيه، وحتى يحذِّرَ الأمةَ منه.

يقولُ حذيفةُ ﷺ: (كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَهُ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ.

قِيلَ: لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ؟

قَالَ: مَنِ اتَّقَى الشَّرَّ، وَقَعَ فِي الْخَيْرِ)[1].

وكما قال القائل[2]:

عرفتُ الشرَّ لا للشرِّ ولكن لِتَوَقِّيهِ ... فمن لم يعرفِ الشرَّ مِنَ الخيرِ يقعْ فيه

ويقولُ حذيفةُ ﷺ: (قَامَ فِينَا النبيُّ ﷺ مَقَامًا مَا تَرَكَ شَيْئًا بين يدي السَّاعَةِ إِلَّا حَدَّثَنا بِهِ، عَرفه مَن عرفه وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ)[3].

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٣٩٩)، [«محققو المسند»].

(٢) الشعر للشاعر أبي فراس الحمداني، انظر «الحماسة المغربية» (١٢٤) للجرّواي.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٩١).

ويقولُ حذيفةُ رضي الله عنه : (كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ الله ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا الله بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟

قَالَ: «**نَعَمْ**».

قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟

قَالَ: «**نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ**».

قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟

قَالَ: «**قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي و يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**».

قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟

قَالَ: «**نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! صِفْهُمْ لَنَا، فَقَالَ: «**هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**».

قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟

قَالَ: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**».

قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟

قَالَ: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**»)[1].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

• في هذا الحديثِ يحدد لنا رسولُ الله ﷺ الداءَ الذي يصيبُ الأمةَ ويحددُ لنا الدواءَ. أما الداءُ فهو:

أولاً: البدعُ:

يقولُ النبيُّ ﷺ لحذيفةَ رضي الله عنه في تفسيرِ الدَّخَنِ: «**قومٌ يستنونَ بغيرِ سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرفُ منهم وتنكرُ**».

فهذا هو أصلُ الداءِ وجَذْرُ البلاءِ، إنه انحرافٌ عن السنةِ في المنهجِ، وانصرافٌ عن السمتِ النبويِّ في السلوكِ والعملِ. وبهذا يتضحُ أنَّ الدخَنَ الذي شابَ الخيرَ فكدَّر مَعِينَه وَغَيَّرَ رُواءَه هو البدعُ التي أَطَلَّت برؤوسها من أوكارِ المعتزلةِ والصوفيةِ، والجهميةِ، والخوارجِ، والأشعريةِ، والمرجئةِ، والروافضِ، منذُ قرونٍ ابتغاءَ الفتنةِ، فأمعنَتْ في الإسلامِ تحريفاً، وانتحالاً، وتأويلاً، فلم يبقَ منَ القرآن إلا رسمُه، ومنَ الإسلام إلا اسمُه، ومن التعبدِ إلا جسمُه. ومنه يتضحُ أنَّ أمرَ البدعِ خطيرٌ؛ لأنها تُفسدُ القلوبَ والأبدانَ، بينما الأعداءُ يفسدونَ الأبدانَ[1].

ولذلكَ جاءَ الإسلامُ يُحذِّرُ من البدعِ، ومن المبتدعةِ، ويأمرُ بالاتباع.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام].

---

(١) انظر كتاب «لماذا اخترت المنهج السلفي» (ص١٥).

فالصراطُ المستقيمُ الذي أمرَ اللهُ به هو سبيلُ الله، هو السبيلُ الذي سلكه النبيُّ ﷺ وأصحابُه، والسبلُ التي نهانا اللهُ أن نسلكَها؛ هي سبلُ أهلِ البدعِ والأهواءِ؛ على كلِّ سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو إليها.

وقال ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ منه فَهُوَ رَدٌّ**»[1].

وقال ﷺ: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ؛ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ**»[2].

وزاد النسائي: «**وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**»[3].

وقال ﷺ: «**مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[4].

والصحابةُ رضوانُ الله عليهم يحذرونَ من الابتداعِ في الدينِ.

قال الصِّديقُ رضي الله عنه في خطبته: (...إِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ)[5].

وقال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (إياكم والتبدّعَ والتنطّعَ)[6].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، وابن حبان (٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧)]

(٣) **صحيح**: رواه النسائي (١٥٧٨)، وابن خزيمة (١٧٨٥)، [«خطبة الحاجة» (٢٥)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)

(٥) رواه الدينوري في «المجالسة» (١٢٩٠).

(٦) رواه الدارمي (١٤٣) ومحمد بن نصر في السنة (٨٥)

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (عليكم بالاستقامةِ والأثرِ، وإياكم والتبدّع)[1].

وقال ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: (كل بدعةٍ ضلالةٌ وإن رآها الناسُ حسنة)[2].

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما: (لا تجالسْ أهلَ الأهواءِ -وهمُ المبتدعة- فإنَّ مجالستهَم مَمْرَضَةٌ للقلوبِ)[3].

وقال أبو إدريسَ الخَوْلاني: (لأنْ أرى في المسجدِ ناراً لا أستطيعُ إطفاءَها أحبُّ إليَّ منْ أن أرى فيه بدعةً لا أستطيعُ تغييرَها)[4]. فما بالُنا والمساجدُ قد امتلأتْ بالبدعِ.

وقال الفُضَيْلُ بنِ عياضٍ: (إذا رأيتَ مبتدعاً في طريقٍ، فخذْ في طريقٍ آخرَ)[5].

وقال: (مَنْ أعانَ صاحبَ بدعةٍ فقد أعانَ على هدمِ الإسلامِ)[6].

وقال: (من زوَّجَ كريمتَه من مبتدعٍ فقد قَطَعَ رحمها)[7]. فاحذروا منَ البدعِ والمبتدعة.

---

(١) رواه محمد بن نصر في السنة (٨٣).

(٢) رواه اللالكائي في شرح أصول أهل السنة (١٢٦).

(٣) رواه ابن بطة في الابانة (٦٢١)

(٤) رواه محمد بن نصر في السنة (٩٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ١٢٤).

(٥) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ١٢٤).

(٦) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ١٢٤).

(٧) رواه اللالكائي في شرح أصول أهل السنة (١٣٥٨).

ثانياً: دعاة الضلالة:

قال ﷺ لحذيفة رضي الله عنه: «**نعم؛ دعاةٌ على أبوابِ جهنمَ مَنْ أجابهم إليها قـذفوه فيها**».

عبادَ الله! الأمرُ خطيرٌ جداً؛ ولذلكَ قال حذيفةُ: يا رسولَ الله صفهم لنا، قـال ﷺ: «**هم من جلدتِنا، ويتكلمونَ بألسنتِنا**». -أي: هم في الظاهرِ عـلى ملتِنـا، وفي الباطن مخالفون- ترى أحدَهم في الظاهِرِ في صورة إِنـسٍ ولكـنْ في البـاطنِ قلبُـه قلبُ شيطانٍ، ولذلك قالَ ﷺ في رواية مـسلمٍ: «**وَسَـيَقُومُ فِـيهِمْ رِجَـالٌ قلـوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ**»[1].

• أما الدواءُ الذي وصـفَهُ النبـيُّ ﷺ للأمـةِ إذا ظهـرت فيهـا البـدعُ ودعـاةُ الضلالةِ فهو: التمسكُ بطريقةِ النبيِّ ﷺ وأصحابِهِ، واعتزالُ تلكَ الفـرقِ كلِّهـا. ومنْ أجلِ ذلكَ عندما قال حذيفةُ: فما تأمُرُني إنْ أدركَني ذلك؟

قال ﷺ: «**تلزمُ جماعةَ المسلمينَ وإمامَهم**».

قال حذيفةُ: فإن لم يكنْ لهم جماعةٌ ولا إمامٌ.

قال ﷺ: «**فاعتزلْ تلكَ الفِرقَ كلَّها، ولو تَعَضَّ بأصلِ شجرةٍ حتـى يُـدركَكَ الموتُ وأنتَ على ذلك**».

والمقصودُ بأصلِ هذه الشجرةِ يظهرُ لنا من حديثِ العرباضِ بن ساريةَ رضي الله عنه وفيه: (وَعَظَنَا رسولُ الله ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وذَرَفَـتْ منهَـا الْعُيُونُ، فقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله كَأَنَّها مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ؛ فَأَوْصِنَا، قَالَ: «**أُوصِـيكُمْ بِتَقْـوَى**

---

(1) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٤٧).

اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، وإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فسيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ من بعدي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ- إذ الأصلُ الذي نَعضُّ عليه إذا كثرتِ الاختلافاتُ، وفرقُ الضلالةِ هو: طريقةُ رسولِ الله ﷺ وطريقةُ أصحابِه- **وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ**»[1].

وإذا أخذَتِ الأمةُ بهذا الدواءِ النافعِ منْ رسولِ الله ﷺ تحققت لها بشرى النبيِّ ﷺ التي يخبرُنا بها حذيفةُ بنُ اليمانِ رضي الله عنهما وهي: قال حذيفةُ رضي الله عنه: (قال رسولُ الله ﷺ: «**تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلكاً عاضّاً فيكونُ ما شاءَ اللهُ أن تكونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيًّا فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ**» ثُمَّ سَكَتَ)[2].

العنصرُ الثاني: حذيفةُ رضي الله عنه أعلمُ الصحابةِ -رضي الله عنهم جميعاً- بالفتنِ التي تنزلُ بالأمةِ إلى قيامِ الساعةِ.

ويقولُ حذيفةُ رضي الله عنه: (وَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ النَّاسِ بِكُلِّ فِتْنَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّاعَةِ)[3].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، وابن حبان (٥) واللفظ لأحمد [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧)]

(٢) **حسن**: رواه أحمد (٤/ ٢٧٣)، والبزار (٢٧٩٦)، [«السلسلة الصحيحة» (٥)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٩١).

ويقولُ حذيفةُ رضي الله عنه: (قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَامًا مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُـونُ بـين يديِ السَّاعَةِ إِلَّا ذكره في مقامه ذلكَ، حفظه من حفظه ونسَيه مَنْ نسيَه)[1].

ويقولُ حذيفةُ رضي الله عنه: سأَلَ عمرُ بنُ الخطابِ -أصحابَ النبيِّ ﷺ: (أَيُّكُـمْ سَمِعَ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْفِتَنِ؟

قَالُوا: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ.

قَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ، قَالُوا: أَجَلْ! قَـالَ: لَـسْتُ عَـنْ تِلْكَ أَسْأَلُ، تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالـصَّوْمُ وَالـصَّدَقَةُ، وَلَكِـنْ أَيُّكُـمْ سَـمِعَ قَـوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْفِتَنِ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْـرِ؟ قَـالَ حذيفـةُ: فَأَسْـكَتَ الْقَـوْمُ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ إِيَّايَ يُرِيدُ.

قُلْتُ: أَنَا.

قَالَ: أَنْتَ للهِ أَبُوكَ!

قَالَ: قُلْتُ: تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ عَـرْضَ الْحَـصِيرِ، فَـأَيُّ قَلْـبٍ أَنْكَرَهَـا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَـتْ فِيـهِ نُكْتَـةٌ سَـوْدَاءُ، حَتَّـى تَـصِيرَ الْقُلُوبُ عَلَى قَلْبَيْنِ: أَبْيَضُ مِثْلُ الصَّفَا لَا يَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ الـسَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا -وَأَمَالَ كَفَّـهُ- لَا يَعْـرِفُ مَعْرُوفًـا، وَلَا يُنْكِـرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ.

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٩١).

يقول حذيفةُ: وَحَدَّثْتُهُ أَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا، يُوشِكُ أَنْ يُكْسَرَ كَسْرًا. قَالَ عُمَرُ: كَسْرًا لَا أَبَا لَكَ.

قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ عمرُ: فَلَوْ أَنَّهُ فُتِحَ كَانَ لَعَلَّهُ أَنْ يُعَادَ فَيُغْلَقَ.

قَالَ: قُلْتُ: لَا بَلْ كَسْرًا.

قَالَ حذيفة: وَحَدَّثْتُهُ أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ، حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ)[1].

وسألوا حذيفة: (أَكَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ مَنِ الْبَابُ؟

فَقَالَ: نَعَمْ، كَمَا يَعْلَمُ أَنَّ دُونَ غَدٍ اللَّيْلَةَ)[2].

وكانَ ما أخبرَ به الصادقُ المصدوقُ ﷺ، فقد قُتِلَ عمرُ، وكُسِرَ البابُ، وظهرتِ الفتنُ.

ويبلغُ منْ شدةِ هذه الفتنِ أن تُخْرِجَ المسلمَ عن دينهِ:

قال ﷺ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا**»[3].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٣٥)، ومسلم (١٤٤)، وأحمد (٥/ ٤٠٥) واللفظ له.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٨٩٥)، ومسلم (١٤٤)

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١١٨)

ويبلغُ ثِقَلُ هذه الفتنِ وشدَّتُها على المسلمِ أن يتمنى الموتَ ويرجوه كي يتخلصَ منَ البلاءِ.

قال ﷺ: « **لا تقومُ الساعةُ حتى يمرَّ الرجلُ بقبرِ الرجلِ فيقول: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ، وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلَّا الْبَلَاءُ**»[1].

ومن أعظمِ الأسبابِ التي توقِعُ في الفتنِ والبلاءِ: قلةُ العلمِ، وكثرةُ الجهلِ، وتركُ الإسلامِ، وارتكابُ الذنوبِ والمعاصي، وانتهاكُ الحرمات.

قال ﷺ: «**إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامًا يَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ، وَيُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرْجُ**» وَالْهَرْجُ الْقَتْلُ[2].

وقال ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَكْثُرَ الْجَهْلُ، وَيَكْثُرَ الزِّنَا، وَيَكْثُرَ شُرْبُ الْخَمْرِ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، وَيَكْثُرَ النِّسَاءُ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ**»[3].

والنجاةُ من هذه الفتنِ يكونُ بما يلي:

أولاً: أن تلزمَ جماعةَ المسلمينَ وإمامَهم، فإنْ لم يكنْ لهمُ جماعةٌ، ولا إمامٌ، فاعتزلْ تلكَ الفرقَ كلَّها ولا تكنْ رأساً في الفتنةِ.

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٥٧).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٠٦٣)، ومسلم (٢٦٧٢)، واللفظ للبخاري.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٥٢٣١)

يقول ﷺ لحذيفةَ بنِ اليمانِ رضي الله عنه: (تلزمُ جماعةَ المسلمينَ وإمامَهم) قال حذيفةُ: فإن لم يكنْ لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟

قال ﷺ: «**فاعتزلْ تلكَ الفرقَ كُلَّها، ولو أن تَعَضَّ بأصلِ شجرةٍ حتى يُدركَكَ الموتُ وأنتَ على ذلك**»[1].

وقال ﷺ: «**إِنَّهَا سَتكُونُ فِتَنٌ أَلَا ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْمَاشِي فِيهَا، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنْ السَّاعِي إِلَيْهَا، أَلَا فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ**» ..الحديث[2].

ثانياً: أن تُكْثِرَ يا عبدَ الله منَ العبادةِ وقيامِ الليلِ -أي: التجئ إلى اللهِ-:

قال ﷺ: «**عِبَادَةٌ فِي الْهَرْجِ والفتنةِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**»[3].

وتقولُ أمُّ سلمةَ رضي الله عنها زوجُ النبيِّ ﷺ: (اسْتَيْقَظَ رَسُولُ الله ﷺ لَيْلَةً فَزِعًا يَقُولُ: «**سُبْحَانَ الله؛ مَاذَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْخَزَائِنِ، وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الْفِتَنِ؟ مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجُرَاتِ -يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ- لِكَيْ يُصَلِّينَ؟ رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٌ فِي الآخِرَةِ**»)[4].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٨٧).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٤٨).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٧٠٦٩).

ثالثاً: أن تلزمَ بيتَك، وتُمسِكَ لسانَك:

قال ﷺ: «**إِنَّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، ويُمسي مؤمناً، ويصبحُ كافراً، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي**».

قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟

قَالَ ﷺ: «**كُونُوا أَحْلاَسَ بُيُوتِكُمْ**»(١).

وقال رجلٌ: (يَا رَسُولَ الله! مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**»)(٢).

وقال حذيفةُ بنُ اليمانِ رضي الله عنه: (إيـاكم وَالْفِـتَنَ لاَ يَـشْخَصُ -أي: لا يتطلَّـعُ- إِلَيهَا أَحَدٌ. فَوَالله مَا شَخَصَ فيها أَحَدٌ إلا نَسَفَتْهُ كَـمَا يَنْسِفُ الـسَّيْلُ الـدِّمَنَ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا؛ فَاجْتَمِعُوا فِي بُيُوتِكُمْ وَكَسِّرُوا سُيُوفَكُمْ، وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ)(٣).

رابعاً: أن تستعيذَ بالله من الفتنِ.

يقولُ ﷺ: «**تَعَوَّذُوا بِالله مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**»(٤).

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود (٤٢٦٢)، وأحمد (٤/ ٤٠٨)، والحاكم (٨٣٦٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٧٤٢)].

(٢) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٤٠٦)، وأحمد (٥/ ٢٥٩)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٧١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٧٤١)].

(٣) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٧٤٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٧٣)، والحاكم (٨٥٠٤) وهو أثر حسن بأذن الله.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٦٧).

عَلَّمَنا النبيُّ ﷺ أن نستعيذَ بالله في كلِّ صلاةٍ من الفتنِ، قال ﷺ: «**إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْـمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**»(١).

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [يونس].

﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الممتحنة].

العنصرُ الثالثُ: مواعظُه رضي الله عنه :

يقولُ حذيفةُ بنُ اليمانِ رضي الله عنه: (يا أيها الناسُ! ألا تسألوني ؟! فإنَّ الناسَ كانوا يسألونَ رسولَ الله ﷺ عن الخير، وكنتُ أسأله عن الشرِّ، إنَّ الله بعثَ نبيَّه ﷺ، فدعا الناسَ منَ الكفرِ إلى الإيمانِ، ومنَ الضلالةِ إلى الهدى، فاستجابَ له مَن استجاب، فَحَيا على الحقِّ ما كان مَيتاً، وماتَ منَ الباطلِ ما كان حياً، ثم ذهبتِ النبوةُ، فكانتِ الخلافةُ على منهاجِ النبوةِ، ثم يكونُ مُلكا عَضوضاً، فمنَ الناسِ من يُنكرُ بقلبهِ ويدهِ ولسانهِ، والحقَّ استكْمَلَ، ومنهم من يُنكرُ بقلبهِ ولِسانهِ كافاً يدَه، وشُعبةً منَ الحقِّ ترَك، ومنهم من ينكرُ بقلبه كافاً يدَه ولِسانَه، وشُعبتَين منَ الحقِّ تركَ، ومنهم من لا ينكرُ بقلبهِ ولِسانهِ، فذلك مَيِّتُ الأحياء)(٢).

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٨٨).

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٧٤)، وبعضه عند أحمد في مسنده (٥/ ٤٠٤).

وسُئل حذيفةُ رضي الله عنه عن ميتِ الأحياءِ فقال: (الذي لا يُنكرُ المنكرَ بيدهِ ولا بلسانهِ ولا بقلبهِ)(١).

ويقولُ حذيفةُ رضي الله عنه: (حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم حَدِيثَيْنِ، قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ).

حَدَّثَنَا: (أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ وَعَلِمُوا مِنْ السُّنَّةِ).

يقولُ حذيفةُ: ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الْأَمَانَةِ فقَالَ: «**يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أثرِ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ**» ..إلى أن قال صلى الله عليه وسلم: «**فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ لَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ مَا أَظْرَفَهُ مَا أَعْقَلَهُ! وَمَا فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ**».

يقول حذيفةُ: وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ دِينُهُ، وَلَئِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ لِأُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا)(٢).

ويقولُ حذيفةُ رضي الله عنه: (ما من صباحٍ ولا مساءٍ إلا منادٍ ينادي: أيها الناسُ! الرحيلَ، الرحيلَ). -أي: استعِدُّوا للرحيل-، فاليومَ صحةٌ وغداً مرضٌ، اليومَ

(١) رواه أبو بكر الشافعي في الغيلانيات (٤٢٣).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٤٩٧)، ومسلم (١٤٣) واللفظ له

حياةٌ وغداً موتٌ، اليومَ غنى وغداً فقرٌ، فاستعدوا للرحيلِ. فهنيئاً لمن خرجَ منْ هذه الدنيا على التقوى والإيمانِ، وخابَ وخسرَ من رحَل على الكفرِ والشركِ.

قال حذيفةُ رضي الله عنه : (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ، أَلاَ وَإِنَّ الْقَمَرَ قَدِ انْشَقَّ، أَلاَ وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِفِرَاقٍ، أَلاَ وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارُ وَغَدًا السِّبَاقُ)[1].

(قال رَجُلٌ لِحُذَيْفَةَ رضي الله عنه : أَخْشَى أَنْ أَكُونَ مُنَافِقًا.

فَقَالَ حذيفةُ لَهُ: لَوْ كُنْتَ مُنَافِقًا لَمْ تَخْشَ ذلكَ)[2].

اللهم أرنا الحقَّ حقاً وارزقنا إتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٨٠٠).

(٢) رواه الدينوري في «المجالسة» (٢٣٥٦).

٣٥

معاذُ بنُ جبلٍ رضي الله عنه

مناقبُه رضي الله عنه :

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عز وجل في كتابـهِ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

وهؤلاءِ الرجالُ همْ أصحابُ محمدٍ ﷺ، قومٌ اختارَهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّه وإقامةِ دينِه.

حبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ، سبيلهُم هو سبيلُ المؤمنينَ، هو سبيلُ النجاةِ، هو سبيلُ السعادةِ في الدنيا والآخرة.

• قال تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

• وقالَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه : (مَنْ كان مستَنّاً فليستَنّ بمن قد مات؛ فإنَّ الحيَّ لا تؤمَنُ عليه الفتنةُ، أولئكَ أصحابُ محمدٍ ﷺ، كانوا والله! أفضلَ هذهِ الأمةِ، أبرَّها قلوباً، وأعمقَها علماً. وأقلَّها تكلُّفاً، قومٌ اختارَهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّه، ﷺ، وإقامةِ دينهِ، فاعرفوا لهم فضلَهم، واتَّبعوهم في آثارِهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقِهم ودينِهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيمِ)[1].

(١) رواه البغوي في «شرح السنة» (١/ ٢١٤، ٢١٥)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» =

وموعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- معَ رجلٍ منْ هؤلاءِ الرجالِ، وصحابيّ من الصَّحبِ الكرام.. أتدرونَ مَنْ هو يا عبادَ الله؟

إنه: **معاذُ بنُ جبلٍ** رضي الله عنه.. أتعرفونَه يا أمةَ الإسلامِ؟

هو: معاذُ بنُ جبلٍ بنُ عمرِو بنِ أوسٍ الأنصاريُّ الخزرجيُّ المدنيُّ البدريُّ أبو عبدِ الرحمن.

كانَ طويلاً، حَسناً، جميلاً.

شهدَ بيعةَ العقبةِ الثانيةِ، وبدراً، والمشاهدَ كُلَّها.

أعلَمُ الأمةِ بالحلالِ والحرامِ.

وحديثنا عن معاذِ بنِ جبلٍ رضي الله عنه في هذا اليومِ سيكونُ عن مناقبِهِ.

ومناقبُه رضي الله عنه كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: محبةُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم له وحرصُه على وصيتهِ:

• يقولُ معاذُ بنُ جبلٍ رضي الله عنه: (أَخَذَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا بِيَدِي فَقَالَ لِي: «**يَا مُعَاذُ! وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ**».

فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ.

=(٢/ ١١٩)، والقرطبي في «تفسيره» من طريق سنيد (١/ ٦٠) بلفظ: (من كان منكم متأسيا فليتأسى....) وروي باللفظ المذكور عن عبد الله بن عمر رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٠٥)، والخطيب في «تالي التلخيص» (١/ ٣٧١).

قَالَ: «**يَا مُعَاذُ إِنِّي أُوصِيكَ، لاَ تَدَعَنَّ أَنْ تَقُولَ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ: اللهمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»)[1].

في هذا الحديث فوائدُ:

الأولى: في قولِهِ ﷺ: «**واللهِ!**» جوازُ الحَلفِ من غيرِ استحلافٍ؛ لتأكيدِ الكلامِ وإقناعِ السامعِ.

الثانيةُ: من قوله ﷺ: «**والله! إني لأحبُّك**» إعلامُ المحبوبِ بحبِّه.

وبذلك وصّى النبيُّ ﷺ فقال: «**إذا أحبَّ الرجلُ أخاهُ، فَلْيخبِرْهُ أنه يحبُّه**»[2].

وعن أنسٍ رضي الله عنه: (أَنَّ رَجُلاً كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي لأُحِبُّ هَذَا. فَقَالَ لَهُ رسولُ الله ﷺ: «**أَأَعْلَمْتَهُ؟**».

قَالَ الرجل: لاَ، فقَالَ ﷺ: «**أَعْلِمْهُ**».

فَلَحِقَهُ الرجل، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللهِ.

فَقَالَ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ)[3].

• ويقولُ معاذُ بنُ جبلٍ رضي الله عنه: أردتُ سفراً فقلتُ: يا رسولَ اللهِ! أوصِني.

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (١٣٠٣)، وأحمد (٥/ ٢٤٤)، وابن خزيمة (٧٥١) واللفظ له [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٥٩٦)].

(٢) رواه أبو داود (٥١٢٤)، [«صحيح الترمذي» (٢٥١٥)].

(٣) **حسن**: رواه أبو داود (٥١٢٥)، وأحمد (٣/ ١٤٠)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٢٥٣)].

فقال رسولُ الله ﷺ: (اعبُدِ اللهَ و لا تشركْ به شيئاً، واعمَـل لله كَأَنَّـكَ تَـرَاهُ، وَاعْدُدْ نَفْسَكَ فِي الْـمَوْتَى، وَاذْكُرِ اللهَ تعـالى عِنْـدَ كُـلِّ حَجَـرٍ، وَكُـلِّ شَـجَرٍ، وَإِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً، فَاعْمَلْ بِجَنْبِهَا حَسَنَةً، السِّرُّ بِالسِّرِّ، وَالْعَلانِيَةُ بِالْعَلانِيَةِ)[1].

• وقال معاذُ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ الله، أَوْصِنِي.

قَالَ ﷺ: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ**»، قَالَ معاذُ: زِدْنِي.

قَالَ ﷺ: «**أَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْـحَسَنَةَ تَمْحُهَا**»، قَالَ معاذُ: زِدْنِي.

قَالَ ﷺ: «**خَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»[2].

• ويقول معاذٌ رضي الله عنه: قال لي النبيُّ ﷺ: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْـجَنَّةِ؟**»

قلتُ: وَمَا هُوَ؟

قَالَ: «**لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله**»[3].

• و(عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: لَـمَّا بَعَثَهُ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الْيَمَنِ، خَرَجَ مَعَـهُ رَسُـولُ الله ﷺ يُوصِيهِ، وَمُعَاذٌ رَاكِبٌ وَرَسُولُ الله ﷺ يَمْشِي تَحْتَ رَجليه، فَلَـمَّا فَـرَغَ

---

(١) **حسن لغيره**: رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٣٢٥) والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٧٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٤٤)].

(٢) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (١٩٨٧) وأحمد (٥/ ٢٣٦) واللفظ له [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٥٥)].

(٣) **صحيح لغيره**: رواه النسائي في «الكبرى» (١٠١٨٩) وأحمد (٥/ ٢٢٨)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٥٨١)].

قَالَ: ﷺ: يا مُعَاذُ إِنَّكَ عَسَى أَنْ لَا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا، وَلَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي هَذَا، وَقَبْرِي، فَبَكَى مُعَاذٌ خشَعًا لِفِرَاقِ رَسُولِ الله ﷺ، ثُمَّ الْتَفَتَ -أي النبيُّ ﷺ- بِوَجْهِهِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ: إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي الْمُتَّقُونَ: مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا)[1].

أدلة على محبةِ النبيِّ ﷺ لمعاذِ بنِ جبلٍ وأنَّ النبيَّ ﷺ كان حريصاً على وصيتهِ، وهذه منقبةٌ لمعاذٍ رضي الله عنه.

ثانياً: ومن مناقبهِ رضي الله عنه حرصُه على دخولِ الجنةِ، والنجاةِ من النارِ:

• يقولُ معاذٌ رضي الله عنه: قلتُ: (يَا رَسُولَ اللهِ! أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ؟

قَالَ ﷺ: **«لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ الله تعالى عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ»**.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: **«أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟**

الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلاَةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ» قَالَ: ثُمَّ تَلاَ ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾، حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٦-١٧].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٢٣٥) وابن حبان (٦٤٧) واللفظ لأحمد [«السلسلة الصحيحة» (٢٤٩٧)].

ثُمَّ قَالَ: «**أَلاَ أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟**»

قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ!

قَالَ: «**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ**»

ثُمَّ قَالَ: «**أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمِلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ!**» قُلْتُ: بَلَى يَا رسولَ اللهِ!

فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وقَالَ: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**»، قُلْتُ: يَا رسولَ اللهِ! وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟

فَقَالَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!**»)[1].

ثالثاً: ومنْ مناقبهِ رضي الله عنه علمُه بالكتابِ والسنةِ، والحلالِ والحرامِ:

• قال ﷺ: «**أرحمُ أمتي بأمتي أبو بكرٍ، وأشدُّهم في أمرِ اللهِ عمرُ، وأصدقُهم حياءً عثمانُ، وأقرؤُهم لكتابِ اللهِ أُبيّ بنُ كعبٍ، وأفرضُهم زيدُ بنُ ثابتٍ، وأعلمُهم بالحلالِ والحرامِ معاذُ بنُ جبلٍ، ولكلِّ أمةٍ أمينٌ، وأمينُ هذه الأمةِ أبو عبيدةَ بنُ الجراحِ**»[2].

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٦١٦) وابن ماجه (٣٩٧٣) وأحمد (٥/ ٢٣١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٦٦)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٧٩٠)، وابن ماجه (١٥٤)، وأحمد(٣/ ٢٨١)، [«صحيح ابن ماجه» (١٥٤)].

• وقال ﷺ: «**اسْتَقْرِئُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَبَدَأَ بِهِ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ**»

قَالَ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: (لَا أَدْرِي بَدَأَ بِأُبَيٍّ، أَوْ بِمُعَاذٍ)(١).

• ويقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (إِنَّ مُعَاذَ بن جبلٍ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لله. قال رجلٌ: إِنَّمَا ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ! فقال ابنُ مسعود: إِنَّما كُنَّا نُشَبِّهُهُ بِإِبْرَاهِيمَ)(٢).

وسئلَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ عنِ الأُمةِ فقال: (مُعَلِّمُ الخَيْرِ، وَالْقَانِتُ الْمُطِيعُ للهِ وَرَسُولِهِ)(٣).

• ويقولُ أبو إدريسَ الخولانيُّ: (دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقٍ فَإِذَا فَتًى بَرَّاقُ الثَّنَايَا، وَإِذَا ناسٌ معه، إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَسْنَدُوهُ إِلَيْهِ، وَصَدَرُوا عَنْ رَأْيِهِ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقِالَوا: هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ)(٤).

ويأتي معاذُ بنُ جبلٍ رضي الله عنه يومَ القيامةِ أمامَ العلماءِ برَتْوةٍ -أي بدرجةٍ ومنزلةٍ-(٥).

وهكذا فإنَّ العلمَ يرفعُ أصحابَه في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٧٥٨)، ومسلم (٢٤٦٤) واللفظ للبخاري.

(٢) رواه الطبراني (٩٩٤٨)، والحاكم (٥١٨٩).

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» (٩٩٤٧)، والحاكم في «المستدرك» (٥١٨٩).

(٤) رواه أحمد (٥/ ٢٣٣) وابن حبان (٥٧٥)، وهو أثر صحيح.

(٥) **صحيح**: رواه الطبراني (٢٠/ ٢٩/ ٤٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٢٩)، والحاكم (٥١٧٥)، ورواه أحمد (١/ ١٨) بلفظ: (نبذة) بدل (رتوة) والأثر حسن.

رابعاً: ومن مناقبه رضي الله عنه أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أرسله إلى اليمنِ ليدعوهم إلى الإسلامِ، لعلمه وفقهه:

يقولُ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم لِـمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: «**إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الله حِجَابٌ**»)[1].

ابنَ آدم! احذرِ الظلمَ؛ فإنَّ الظلمَ ظلماتٌ يومَ القيامةِ، واعلمْ أنَّ اللهَ عز وجل يجيبُ دعوةَ المظلومِ.

لا تظلمنّ إذا ما كنتَ مقتدراً ... فالظلمُ يرجعُ عقباهُ إلى النّدمِ
تنامُ عيناك والمظلومُ منتبهٌ ... يدعو عليك وعينُ الله لم تنمِ

• وعن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه: (أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بَعَثَه ومُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فقَالَ: «**يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا**»)[2].

عبادَ الله! الداعيةُ الأولُ في هذهِ الأمةِ هو رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وقد قالَ اللهُ عز وجلَّ له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٩٦) ومسلم (١٩) واللفظ للبخاري.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣).

﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب].

ويقول اللهُ عز وجل لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف].

من هاتين الآيتينِ، ومنَ الحديثينِ السابقينِ، تتضحُ لنا القواعدُ الذهبيةُ، التي يجبُ على الدعاةِ إلى الله أن يسيروا عليها في دعوتِهم.

مَنْ أخذَ بها أفلحَ ونجحَ وانتفعَ الناسُ بدعوتهِ، ومن خالفَ ذلكَ فشلَ، ولم يَزْدَدْ من الله بدعوته إلا بعداً.

أما القاعدةُ الأولى فهي: أن يكونَ الداعي إلى الله على علمٍ بالكتابِ والسنةِ ومنهجِ سلفِ الأمةِ وأن يدعوَ إلى اللهِ، لا إلى حزبٍ، ولا إلى تكتّلٍ، ولا إلى جماعةٍ.

ويؤخذُ هذا من قولهِ تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ -أي على علمٍ- ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ﴾ [يوسف:١٠٨].

ومِنْ إرسالهِ ﷺ معاذَ بنَ جبلٍ، وهو كما علمتم من أعلمِ الأمةِ بالحلالِ والحرامِ، وبكتابِ الله عز وجل.

إذاً الذي يدعو الناسَ يجبُ أن يكونَ على علمٍ بالكتابِ والسنةِ، وإلا فإنَّ فاقدَ الشيء لا يعطيه، والذي يدعو الناسَ بغيرِ علمٍ يفسدُ أكثرَ مما يصلِحُ، ويظنُّ أنه يحسنُ صنعاً، وهو لا يزدادُ بدعوتهِ تلكَ منَ اللهِ إلا بُعداً.

القاعدةُ الثانيةُ: أن يكونَ الداعي إلى اللهِ على علمٍ بمن يدعوهم.

ويؤخَذُ هذا من قولهِ ﷺ: «**إنكَ ستأتي قوماً أهلَ كتابٍ**».

وبذلكَ استعدَّ معاذٌ لمواجهةِ أهلِ الكتابِ؛ ليجادِلَهم بالتي هي أحسن.

القاعدةُ الثالثة: أن يبدأَ الداعي إلى اللهِ دعوتَه بالتوحيدِ.

وهذا يؤخذُ من قوله ﷺ لمعاذٍ رضي الله عنه: (فإذا جئتَهم فادعُهم إلى أن يشهدوا أن لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ).

وفي الرواية الأخرى قال ﷺ: «**فليكنْ أولَ ما تدعوهم إليه شهادةُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وأنَّ محمداً رسولُ الله**».

وهذه هي دعوةُ الأنبياءِ جميعاً، ما من نبيٍّ جاءَ إلى قومهِ إلا بدأ بقولهِ ﴿**يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ**﴾ [المؤمنون:٢٣].

وهذا ما فعلَه رسولُنا ﷺ، ثلاثةَ عشَر عاماً وهو يدعو قومَه إلى عبادةِ اللهِ.

القاعدةُ الرابعةُ: التيسيرُ على الناسِ.

وهذا يؤخذُ من قولهِ ﷺ لأبي موسى الأشعريِّ ومعاذِ بنِ جبلٍ: «**يسّرا ولا تُعَسِّرا**».

فاللهُ عزَّ وجَلَّ قال: ﴿**يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ**﴾ [البقرة:١٨٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨].

القاعدةُ الخامسةُ: التبشيرُ، وعدمُ التنفيرِ.

وهذا يؤخَذُ من قولهِ ﷺ لأبي موسى الأشعريِّ ومعاذِ بنِ جبلٍ: «**وبشّرا ولا تنفّرا**».

ومن قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ [الأحزاب].

فعلى الدعاةِ أن يُبشّروا الناسَ بأنَّ الله يغفرُ الذنوبَ جميعاً،

وأنَّ مَنْ تابَ تابَ اللهُ عليه، وأن المستقبلَ لهذا الدينِ العظيمِ.

القاعدةُ السادسةُ: الاتحادُ والاعتصامُ وعدمُ الاختلافِ.

وهذا يؤخذُ من قولهِ ﷺ لأبي موسى الأشعريِّ ومعاذِ بنِ جبلٍ: (وتطاوعا ولا تختلفا) فإنَّ الخيرَ كُلَّه في الاتفاقِ، والشرَّ كُلَّه في الاختلافِ.

خامساً: ومن مناقبهِ رضي الله عنه ثناءُ النبيِّ ﷺ عليه:

• عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**نِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو بَكْرٍ، نِعْمَ الرَّجُلُ عُمَرُ، نِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ**» إلى أن قال ﷺ «**نِعْمَ الرَّجُلُ مُعَاذُ ابْنُ جَبَلٍ**»[1].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٧٩٥)، وأحمد (٢/ ٤١٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٣٧)، [«السلسلة الصحيحة» (٨٧٥)].

سادساً: ومن مناقبه ﵁ قربهُ منَ النبيِّ ﷺ ومجاورَتُه له:

• (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: أَتَيْنَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ فقلنا حَدِّثْنَا مِنْ غَرَائِبِ حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ رِدْفَهُ -أي خلفَه- عَلَى حِمَارٍ.

فَقَالَ: «**يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ**» فقُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: «**هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟**» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «**إِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**».

ثُمَّ قَالَ: «**يَا مُعَاذُ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ!

قَالَ: «**هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ إِذَا هُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ؟**»

قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «**أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ**»[1].

إذا عبدَ الناسُ ربَّهم ولم يقعوا في الشركِ، فإنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ لن يعذّبَهم يومَ القيامةِ، وسيُدْخلهم الجنةَ.

أما إذا وقعوا في الشركِ فإنَّ اللهَ عز وجل لا يغفرُ للمشركين أبداً.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠) وأحمد (٥/ ٢٢٨) واللفظ له.

وقال تعالى في الحديثِ القدسيِّ: «يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ منكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»(١).

• وسأَلَ معاذُ رضي الله عنه رسولَ الله ﷺ عن أفضلِ الإيمانِ.

فقال ﷺ: «أَفْضَلُ الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ للهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللهِ، وَتُعْمِلَ لِسَانَكَ فِي ذِكْرِ اللهِ» قَالَ معاذ: وَمَاذَا يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «وَأَنْ تُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَتَكْرَهَ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ، وَأَنْ تَقُولَ خَيْرًا أَوْ تَصْمُتَ»(٢).

اللهمَّ ردَّ المسلمين إلى دينِك رداً جميلاً.

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٣٥٤٠)، [«السلسلة الصحيحة» (١٢٧)].

(٢) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٥/ ٢٤٧) والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٩١)، [«محققو المسند»].



معاذُ بنُ جبلٍ رضي الله عنه

مواعظُه رضي الله عنه :

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عز وجل في كتابهِ في الثناءِ على محمدٍ ﷺ وأصحابهِ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح].

أصحابُ محمدٍ ﷺ قومٌ اختارَهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّه؛ وإقامةِ دينـهِ لا يحبّهم إلا مؤمنٌ ولا يبغضُهم إلا منافقٌ زنديقٌ.

• يقولُ الإمامُ الطحاويُّ رحمَه الله تعالى في عقيدته -عقيدةِ أهلِ السنةِ والجماعةِ-: (ونحبُّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ، ولا نفرِّطُ في حبّ أحدٍ منهم ولا نتبرّأُ منْ أحدٍ منهم، ونبغِضُ من يُبغضهم وبغيرِ الخيرِ يذكُرهم، ولا نذكُرهم إلا بخيرٍ، وحبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ)[1].

معاذُ بنُ جبلٍ رضي الله عنه، صحابيٌّ جليلٌ منَ الصحبِ الكرامِ.

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٤٦٧).

• قالَ فيه ﷺ: «... وأعلَمُهم بالحلالِ والحرامِ معاذُ بنُ جبلٍ»[1].

• وقالَ ﷺ: «**اسْتَقْرِئُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ**»: وذكرَ منهم معاذَ بنَ جبلٍ[2].

• وقالَ فيه ﷺ: «**نِعْمَ الرَّجُلُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ**»[3].

• وقال فيه ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (إِنَّ مُعَاذَ بنَ جبلٍ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لله)[4].

الأُمةُ هو معلمُ الناسِ الخيرَ.

ومعاذُ بن جبلٍ رضي الله عنه يأتي يومَ القيامةِ أمامَ العلماءِ بخطوةٍ.

وَموعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ الله تعالى- مع الحديثِ عن مواعظِهِ.

الموعظةُ الأولى: معاذُ بنُ جبلٍ رضي الله عنه -أعلمُ الأمةِ بالحلالِ والحرامِ- يحثُّ المسلمينَ على طلبِ العلمِ الشرعيِّ، ومجالسِ العلمِ، ويحثّهم على العملِ بالعلمِ:

• قالَ معاذُ بنُ جبلٍ رضي الله عنه: (تعلّموا العلمَ؛ فإنّ تَعَلُّمَهُ لله تعالى خشيةٌ، وطلبَه عبادةٌ، ومذاكرَته تسبيحٌ، والبحثَ عنه جهادٌ، وتعليمَه لمن لا يعلمُ صدقةٌ، وبذلَه لأهله قُربةٌ.

لأنّه معالمُ الحلالِ والحرامِ، ومَنارُ أهلِ الجنةِ، والأُنسُ في الوَحشةِ، والصاحبُ في الغُربةِ، والمُحَدِّثُ في الخَلوة، والدليلُ على السراءِ والضراءِ، والسلاحُ على

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٧٩٠)، وابن ماجه (١٥٤)، وأحمد (٣/ ٢٨١)، [«صحيح ابن ماجه» (١٥٤)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٧٥٨)، ومسلم (٢٤٦٤)

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٧٩٥) وأحمد (٢/ ٤١٩) والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٣٧)، [«السلسلة الصحيحة» (٨٧٥)].

(٤) رواه الطبراني (٩٩٤٧)، والحاكم (٥١٨٩).

الأعداءِ، والزينُ عندَ الأخلاءِ، يرفعُ اللهُ تعالى به أقواماً، ويجعلُهم في الخيرِ قادةً وأئمةً، تُقتَبس آثارُهم، ويُقتدى بفعالِهم، ويُنتهى إلى رأيِهم.

ترغبُ الملائكةُ في خُلَّتهم، وبأجنحَتها تمسَحُهم، يستغفرُ لهم كلّ رطبٍ ويابسٍ حتى الحيتانُ في البحرِ وهوامُّه، وسِباعُ الطيرِ وأنعامُه.

لأنَّ العلمَ حياةُ القلوبِ منَ الجهلِ، ومِصباحُ الأبصارِ منَ الظُّلَمُ.

يُبلَغُ بالعلمِ منازلُ الأخيارِ، والدرجةُ العُليا في الدنيا والآخرة، والتفكّرُ فيه يعدلُ بالصيامِ، ومدارستُه بالقيامِ، بِهِ توصَلُ الأرحامُ، ويعرفُ الحلالُ من الحرامِ، إمامُ العمالِ، والعملُ تابعُه.

يُلْهَمُهُ السعداءُ ويُحَرَمُه الأشقياء)[1].

• وقالَ رضي الله عنه: (إِنَّ الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ مَكَانَهُمَا إلى يومِ القيامةِ؛ فَمَنْ ابْتَغَاهُمَا وَجَدَهُمَا)[2].

• وقال رضي الله عنه: (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ بَعْدَ أَنْ تَعْلَمُوا فَلَنْ يَأْجُرَكُمُ اللهُ بِعلمٍ حَتَّى تَعَمَلُوا)[3].

أخذَ معاذُ بنُ جبلٍ رضي الله عنه مواعظَه في الحثِّ على طلبِ العلمِ الشرعيِّ ومجالسِ العلمِ من كتابِ الله ومن سنةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، ومن خلالِ هذهِ المواعظِ يتبيّنُ لنا ما يلي:

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٣٩).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٨٠٤) وأحمد (٥/ ٢٤٢) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٣٢-٢٣٣) واللفظ له، [«صحيح الترمذي» (٢٩٩١)].

(٣) رواه الدارمي (٢٦٠)، وأحمد في «الزهد» (١٠٠٤)

أولاً: فضيلةُ العلمِ الشرعيِّ ومجالسِ العلمِ.

• يقولُ ﷺ: «**طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**»[1].

• وقالَ ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»[2].

• وقال ﷺ: «**الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ! مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلاَّ ذِكْرَ الله وَمَا وَالاَهُ، وعَالِمًا ومُتَعَلِّمًا**»[3].

• وقال ﷺ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا؛ سَهَّلَ اللهُ له طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ؛ رضاً بما يصنع. وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، وإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، و إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا، وإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»[4].

• قال ﷺ: «**وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله يَتْلُونَ كِتَابَ الله تعالى وَيَتَدَارَسُونَهُ فيما بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»[5].

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢٢٤)، والبزار (٧٤٧٨) وأبو يعلى (٢٨٣٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٢)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣١١٦)، ومسلم (١٠٣٧).

(٣) **حسن**: رواه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٤)].

(٤) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٢٦٨٢)، وأبو داود (٣٦٤١)، وابن ماجه (٢٢٣)، والدارمي (٣٤٢)، وأحمد (٥/ ١٩٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٠)].

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٩٩).

• ويقولُ لقمانُ لابنهِ وهو يعظُه: «**يَا بُنَيَّ اخْتَرِ الْمَجَالِسَ عَلَى عَيْنِكَ، فإن وجدْتَ قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ -أي يطلبونَ العلم- فَاجْلِسْ مَعَهُمْ؛ فَإِن كنتَ عَالِمًا نَفَعَكَ عِلْمُكَ، وَإِنْ كنتَ جَاهِلاً عَلَّمُوكَ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِمْ بِرَحْمَةٍ فَتصِيبَكَ مَعَهُمْ، وَإِذَا وجدتَ قَوْمًا لاَ يَذْكُرُونَ اللهَ -أي لا يطلبونَ العلمَ- فَلاَ تَجْلِسْ مَعَهُمْ، فَإِن كُنتَ عَالِمًا لم يَنْفَعْكَ عِلْمُكَ، وَإِنْ كنتَ جَاهِلاً زَادُوكَ غيًّا، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِمْ بِنقمةٍ فَتصِيبَكَ مَعَهُمْ**»[1].

ثانياً: أنَّ المسلمَ في هذه الدنيا يحتاجُ إلى العلمِ الشرعيِّ أكثرَ من حاجته الى الطعامِ والشرابِ.

• فإنَّ الإنسانَ يحتاجُ إلى الطعامِ والشرابِ مرّةً أو مرتين في اليومِ، ولكنه يحتاجُ إلى العلمِ الشرعيِّ مع كُلِّ نَفَسٍ من أنفاسه.

ثم إنَّ هذَا الجسدَ الذي خُلِقَ من الترابِ، وإلى الترابِ يعودُ يتغذّى على الطعامِ والشرابِ.

وأما الروحُ والقلبُ فحياتُهما بالعلمِ الشرعيِّ، فإذا تعلّمَ الإنسانُ أحيى قلبَه وروحَه، وإن كانَ جاهلاً ماتَ قلبُه وروحُه وإن دبَّ بينَ الأحياءِ.

• ولذلكَ لم يأمرْ ربّنا -جلا وعلا- رسولَه ﷺ بطلبِ المزيدِ من المالِ أو الجاهِ، وإنما أمرَه أن يطلبَ المزيدَ من العلمِ الشرعيِّ.

---

(١) رواه الدارمي في «سننه» (٣٧٧).

• فقالَ تعالى لرسولهِ ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه:١١٤].

• وكان ﷺ يسألُ ربّه بعدَ صلاةِ الفجرِ في كُلِّ يوم فيقولُ: «**اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَعَمَلاً مُتَقَبَّلاً، وَرِزْقًا طَيِّبًا،** »(١).

• ولقد امتنّ اللهُ عزّ وجل على رسولهِ ﷺ بنعمةِ العلمِ؛ لأنها من أعظمِ النعمِ، قالَ تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء].

ثالثاً: أنَّ الحرصَ على طلبِ العلمِ الشرعيِّ أفضلُ منَ الحرصِ على طلبِ المالِ.

• قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ -ولا تكونُ إلا بالعلمِ- ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف].

• وقال ﷺ: «**أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَتَعْلَمَ أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنْ الْإِبِلِ**»(٢).

• وقالَ عليّ رضي الله عنه: (العلمُ خير من المالِ؛ العلمُ يحرُسُك وأنتَ تحرسُ المالَ، والعلمُ حاكمٌ والمالُ محكومٌ عليه، والمالُ تُنقِصُه النفقةُ، والعلمُ يزكو بالنفقةِ)(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٩٢٥)، وأحمد (٦/ ٢٩٤)، وأبو يعلى (٦٩٣٠)، [«الروض النضير» (١١٩٩)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٨٠٣).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٧٩)

• وقال بعضُ السلفِ: إذا أردتَ الدنيا فعليك بالعلمِ، وإذا أردتَ الآخرةَ فعليكَ بالعلمِ، وإذا أردتَ الدنيا والآخرةَ فعليكَ بالعلمِ.

وقال القائلُ:

تزوّد من معاشِكَ للمعادِ وقمْ لله واجمَعْ خيرَ زادِ[1]

ولا تجمعْ منَ الدنيا كثيرا فإنَّ المالَ يُجمَعُ للنفادِ

أترضى أن تكونَ رفيقَ قومٍ لهمْ زادٌ وأنتَ بغيرِ زادِ

المالُ معَ العلمِ الشرعيِّ نعمةٌ عظيمةٌ على صاحبِهِ، ويرفعُ صاحبَه إلى أفضلِ المنازلِ، والمالُ معَ الجهلِ نقمةٌ على صاحبِهِ ينزلُ به إلى أخبثِ المنازلِ.

يقولُ ﷺ لأصحابِهِ: «**وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ، إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ الله مَالاً وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْملُ لله فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْـمَنَازِلِ، وَعَبْدٌ رَزَقَهُ الله تعالى عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلاَنٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِط فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لاَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلاَ يعلَمُ لله فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ الله مَالاً وَلاَ عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلاَنٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ**»[2].

(١) وهو زاد التقوى ولا يكون إلا بالعلم.

(٢) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٣٢٥)، وابن ماجه (٤٢٢٨) وأحمد (٤/ ٢٣١) واللفظ للترمذي [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦)].

رابعاً: أنَّ طلبَ العلمِ الشرعيِّ جهادٌ في سبيلِ الله.

• قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢)﴾ [التوبة].

سمّى اللهُ عزّ وجلَّ طلبَ العلمِ الشرعيِّ والخروجَ لطلبهِ نفيراً كملاقاةِ العدو.

• وقالَ تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ﴾ -أي: بالقرآنِ وما نزلَ إليكَ بالحقِّ-أي: بالعلمِ-. ﴿جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢)﴾ [الفرقان].

• وقالَ ﷺ: «**جَاهِدُوا الْـمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ**»[١].

ومعلومٌ أنَّ الجهادَ باللسانِ يكونُ بإقامةِ الحجةِ عليهم، ولا يكونُ هذا إلا بالعلمِ الشرعيِّ.

• وقالَ ﷺ: «**مَنْ جَاءَ مَسْجِدِي هَذَا لَمْ يَأْتِهِ إِلاَّ لِخَيْرٍ يَتَعَلَّمُهُ أَوْ يُعَلِّمُهُ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْـمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ**»[٢].

• وقال أبو الدرداءِ رضي الله عنه: (من رأى الغدوَّ والرواحَ في طلبِ العلمِ ليس بجهادٍ، فقد نقصَ عقلُه ورأيُه)[٣].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٥٠٤)، والنسائي (٣٠٩٦)، والدارمي (٢٤٣١) وأحمد (٣/ ١٢٤)، [«صحيح الجامع» (٣٠٩٠)].

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢٢٧)، وأحمد (٢/ ٤١٨)، وأبو يعلى (٦٤٧٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٨٧)].

(٣) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» معلقاً (١١٦).

• وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (أفضلُ الجهادِ: مَنْ بنى مسجداً فعلّمَ فيه القرآنَ والفقهَ والسنةَ).

خامساً: العلمُ الشرعيُّ يورثُ صاحبَه الخشيةَ من الله تعالى.

• قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨].

• وقال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء].

فالعالمُ يعلَم أنه من هذه الدنيا راحلٌ، وأنه إلى ربِّه راجعٌ وأنه أمامَ اللهِ موقوفٌ، وعن كُلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ مسؤولٌ.

أما الجاهلُ فهو لا يعرفُ إلا الشهواتِ والملذّاتِ، ولا ينتبهُ إلا إذا نزَل به الموتُ، فيندمُ في وقتٍ لا ينفعُ فيه الندمُ.

كما قال القائل:

أمَا واللهِ لو علمَ الأنامُ ... لِما خُلقوا لما هجعوا وناموا
لقد خُلقوا لأمرٍ لو رأته ... عيونُ قلوبِهم تاهوا وهاموا
مماتٌ ثم قبرٌ ثم حشرٌ ... وتوبيخٌ وأهوالٌ، عظامُ
ليومِ الحشرِ قد عملت رجالٌ ... فصلُّوا من مخافتِه وصاموا
ونحنُ إذا أُمرنا أو نُهينا ... كأهلِ الكهفِ إيقاظٌ نيامُ!

سادساً: أنَّ العلمَ الشرعيَّ يرفعُ صاحبَه في الدنيا والآخرة.

• قـــال تعـــالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١].

يقول ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (يرفعُ اللهُ الذين أوتوا العلمَ منَ المؤمنينَ على الذين لم يُؤْتَوا العلمَ درجاتٍ)(١).

وأفضلُ العلمِ هو كلامُ اللهِ.

قال ﷺ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»(٢).

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**»(٣).

وهذه الرِّفعةُ تكونُ في الدنيا وفي القبرِ ويومَ القيامة.

• أما في الدنيا: فإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ**»(٤).

وهذه رفعةٌ له في الدنيا.

• أما في القبرِ: ففي غزوةِ أحدٍ لما كثر القتلى، وقلتِ الثيابُ.

كان يُجمعُ الثلاثةُ والاثنانِ في قبرٍ واحدٍ.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٢٧) والبيهقي في «المدخل إلى السنن» (٢٥٠)

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٥٠٢٧).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٨١٧).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٦٧٣).

ويسأل ﷺ: «أَيُّهُمْ أَكْثَرُ قُرْآنًا، فَيُقَدِّمُهُ فِي اللَّحْدِ»(١).

وهذه رفعةٌ لصاحبِ القرآنِ حتى في القبرِ.

- أما في الآخرةِ: يقولُ ﷺ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ -أي يومَ القيامة-: اقْرَأْ وَارْقَ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا»(٢).

ولم يسوِّ ربُّنا جلَّ وعلا بينَ أهلِ العلمِ وغيرِهم.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزُّمَر].

الموعظةُ الثانية: أمرُه بالوسطيةِ والاعتدالِ في العبادةِ:

(قال رجلٌ: لمعاذِ بنِ جبلٍ رضي الله عنه علّمني.

قال: وهل أنتَ مطيعي؟

قال الرجلُ: إني على طاعتكِ لحريصٌ.

قال معاذ رضي الله عنه: (صمْ وأفطِر، وصلِّ ونمْ، واكتسبْ ولا تأثمْ -أي لا تقتربْ من الحرامِ- ولا تموتَنَّ إلا وأنتَ مسلمٌ، وإياكَ ودعوةَ المظلومِ)(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه عبد بن حميد (١١٦٤) وأبو يعلى (٣٥٦٨) الحاكم (١٣٥١)، [«إرواء الغليل» (٧٠٧)].

(٢) **حسن صحيح**: رواه الترمذي (٢٩١٤)، وأبو داود (١٤٦٤)، وأحمد (٢/ ١٩٢) وابن حبان (٧٦٦) واللفظ لأحمد [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٤٢٦)].

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في «الزهد» (١٠٠٢) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٣٣).

أخذَ معاذٌ رضي الله عنه موعظتَه هذه مِنْ فعلِ وقـولِ رسـولِ الله ﷺ: (جَـاءَ ثَلاَثَـةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَـمَّا أُخْبِرُوا كَـأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا -أي عدّوها قليلةً- وقَالُوا: أَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وقَدْ غُفِرَ لَهُ مَـا تَقَـدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَأُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ الآخَرُ: وأَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ الآخَرُ: وأَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُـولُ الله ﷺ إليهم فَقَالَ: «**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللهِ إِنِّي لأَخْـشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَـاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّـسَاءَ، فَمَـنْ رَغِـبَ عَـنْ سُـنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»)[1].

ومعاذٌ رضي الله عنه يحذّرُ الرجلَ من دعوةِ المظلومِ.

وذلكَ لأنَّ النبيَّ ﷺ عندما أرسلَه إلى اليمن قال لـه: «**واتّـقِ دعـوةَ المظلـومِ؛ فإنها ليس بينها وبينَ الله حجابٌ**».

الموعظةُ الثالثةُ: رجاؤُه رضي الله عنه عند الموت:

لما حضرتِ الوفاةُ معاذاً رضي الله عنه قال: (اللهمَّ إني قد كنتُ أخافُـكَ، وأنـا اليـومَ أرجوك، اللهمَّ إنّكَ تعلم أنّي لم أكنْ أحبُّ الدنيا وطولَ البقاءِ فيها لجـريِ الأنهـارِ، ولا لغرسِ الأشجارِ، ولكن لظمأ الهواجرِ، ومكابدةِ الساعاتِ، ومزاحمـةِ العلـماءِ بالرُّكبِ عندَ حِلقِ الذكر)[2].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) واللفظ للبخاري.

(٢) رواه أحمد في «الزهد» (١٠٠٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٣٩).

أما نحنُ يا عبادَ الله فإنا نريدُ الحياةَ لجمعِ المالِ والوصولِ إلى المناصبِ، ثم يأتينا الموتُ وقد فرّطنا في جنبِ الله، فيندمُ أحدُنا في وقت لا ينفعُ فيه الندمُ. فيا أيها الإنسان! أقبلْ على مجالسِ العلمِ ودروسِ العلمِ.

اللهمَّ فقهنا في ديننا.

٣٧

أبو الدرداء رضي الله عنه

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عز وجل في كتابـهِ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

وهؤلاءِ الرجالُ همْ أصحابُ محمدٍ ﷺ، قومٌ اختارَهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّه ونصرةِ دينهِ.

حبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ.

أصحابُ محمدٍ ﷺ مَنْ أحبَّهم وسلكَ سبيلهُم سَعِدَ في الدنيا والآخرة.

• قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

• وقال ﷺ: «...**وَستَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فرقةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلاَّ وَاحِدَةً، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: التي تكونُ على مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»[1].

• وقال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (مَنْ كان مستَنّاً فليستَنّ بمن قد مات؛ فإن الحيّ لا تؤمنُ عليه الفتنةُ، أولئكَ أصحابُ محمدٍ ﷺ، كانوا والله! أفضلَ هذهِ الأمةِ،

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو، والطبراني في «الأوسط» (٤٨٨٦) من حديث أنس [«صحيح الجامع» (٥٣٤٣)].

أبرَّها قلوباً، وأعمقَها علماً. وأقلَّها تكلفاً، قومٌ اختارَهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّه، وإقامةِ دينهِ، فاعرفوا لهم فضلَهم، واتَّبعوهم في آثارِهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقِهم ودينِهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيمِ)[(١)].

أصحابُ محمدٍ ﷺ مَن أبغضهم أو سبّهم أو سلكَ سبيلاً غيرَ سبيلهم شقيَ في الدنيا والآخرة.

• قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء].

• وقال ﷺ: «**مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»[(٢)].

وموعدُنا في هذا اليوم -إنْ شاءَ الله تعالى- معَ رجلٍ من هؤلاءِ الرجالِ، وصحابيٍّ من الصحبِ الكرامِ.. أتدرونَ مَنْ هو يا عبادَ الله؟

إنه: **أبو الدرداءِ** ﷺ.. أتعرفونَه يا أمةَ الإسلامِ؟

هو: الإمامُ القدوةُ، حكيمُ هذه الأمةِ، وسيدُ القرّاءِ بدمشقَ.

صاحبُ رسولِ الله ﷺ وهو أحدُ الأربعةِ الذين جمعوا القرآنَ في عهدِ النبيِّ ﷺ، الخزرجيُّ الأنصاريُّ.

---

(١) رواه البغوي في «شرح السنة» (١/ ٢١٤، ٢١٥)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٩)، والقرطبي في «تفسيره» من طريق سنيد (١/ ٦٠) بلفظ: (من كان منكم متأسيا فليتأسى....) وروي باللفظ المذكور عن عبد الله بن عمر رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٠٥)، والخطيب في «تالي التلخيص» (١/ ٣٧١).

(٢) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٢٧٠٩)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٣٤٠)].

وحديثُنا عن أبي الدرداءِ رضي الله عنه سيكونُ عن مناقبِهِ، ومواقفِهِ، ومواعظِهِ.

• أما مناقبُه فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: أنه رضي الله عنه من الأربعةِ الذين جمعوا القرآنَ في حياةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم.

• يقول أنسُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه: (مَاتَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَلَمْ يَجْمَعِ الْقُرْآنَ غَيْرُ أَرْبَعَةٍ: أَبُو الدَّرْدَاءِ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَبُو زَيْدٍ)[1].

ثانياً: من مناقبِهِ رضي الله عنه قربُه وحرصُه على التعلُّمِ منَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم.

• يقول أبو الدرداءِ رضي الله عنه: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فِي سَفَرٍ وَإِنَّ أَحَدَنَا لَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ، وَمَا فينا صَائِمٌ إِلَّا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وَعَبْدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ)[2].

• ويقولُ أبو الدرداءِ رضي الله عنه: (أَوْصَانِي خَلِيلِي أبو القاسمِ صلى الله عليه وسلم بِثَلاَثٍ لاَ أَدَعُهُنَّ لِشَيْءٍ: أَوْصَانِي بِصِيَامِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَلاَ أَنَامُ إِلاَّ عَلَى وِتْرٍ، وَسُبْحَةِ الضُّحَى)[3].

• ويقولُ أبو الدرداءِ رضي الله عنه: قال لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ لَا تَخْتَصَّ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بِقِيَامٍ دُونَ اللَّيَالِي، وَلَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِصِيَامٍ دُونَ الْأَيَّامِ**»[4].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٥٠٠٤).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٩٤٥)، ومسلم (١١٢٢)، وأحمد (٥/ ١٩٤) واللفظ له.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٧٢٢) ، وأبو داود (١٤٣٣) واللفظ له، وعند أبي داود زيادة (وسبحة الضحى في السفر والحضر) وهي زيادة لا تصح كما ذكر أهل العلم

(٤) **صحيح لغيره**: رواه النسائي في «الكبرى» (٢٧٥٢)، وأحمد (٦/ ٤٤٤)، [«محققو المسند»].

ومع ذلكَ ترى كثيراً مِنَ الناسِ يخصونَ ليلةَ الجمعةِ بقيامٍ دونَ الليالي، ويصومونَ يومَ الجمعةِ خاصةً مفرداً دونَ الأسبوعِ، فاعلمْ أنَّ تخصيصَ ذلك لا يجوزُ شرعاً.

ثالثاً: ومن مناقبه رضي الله عنه فقهُه، وحرصُه على تعليمِ الناس الخيرَ.

• يقولُ أبو عبدِ الرحمن السُّلَمي: (كَانَ فِينَا رَجُلٌ لَمْ تَزَلْ بِهِ أُمُّهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ حَتَّى تَزَوَّجَ، ثُمَّ أَمَرَتْهُ أَنْ يُفَارِقَهَا -أي: يطلقَ زوجتهَ- فَرَحَلَ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ بِالشَّامِ، فَقَالَ: إِنَّ أُمِّي لَمْ تَزَلْ بِي حَتَّى تَزَوَّجْتُ، ثُمَّ أَمَرَتْنِي أَنْ أُفَارِقَ.

قَالَ أبو الدرداء: مَا أَنَا بِالَّذِي آمُرُكَ أَنْ تُفَارِقَ، وَمَا أَنَا بِالَّذِي آمُرُكَ أَنْ تُمْسِكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ**» فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ، أَوْ احْفَظْهُ.

قَالَ: فَرَجَعَ وَقَدْ فَارَقَهَا)[1].

• وعَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيِّ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو الدَّرْدَاءِ: أَيْنَ مَسْكَنُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: فِي قَرْيَةٍ دُونَ حِمْصَ.

قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ ثَلاَثَةٍ فِي قَرْيَةٍ ولا بَدْوٍ لاَ يُؤَذَّنُ وَلاَ تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاَةُ إِلاَّ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ، فإنما يأكلُ الذئبُ من الغنمِ القاصيةَ**»[2].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (١٩٠٠)، وابن ماجه (٣٦٦٣)، وأحمد (٦/ ٤٤٥) واللفظ له [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٨٦)].

(٢) **حسن صحيح**: رواه أبو داود (٥٤٧)، والنسائي (٨٤٧)، وأحمد (٥/ ١٩٦) والحاكم (٧٢١) واللفظ له، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٤٢٧)].

وهذا أمرٌ منه ﷺ بالمحافظةِ على صلاةِ الجماعةِ.

• وعن قيسِ بن كثيرٍ قالَ: (قَدِمَ رَجُلٌ مِنَ الْـمَدِينَةِ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ، وَهُوَ بِدِمَشْقَ، فَقَالَ: مَا أَقْدَمَكَ يا أَخِي؟

قَالَ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُ بِهِ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ؟

قَالَ: «**أَمَا قَدِمْتَ لِتِجَارَةٍ؟**» قَالَ: لاَ.

قَالَ: «**أَمَا قَدِمْتَ لِحَاجَةٍ؟**» قَالَ: لاَ.

قَالَ: «**مَا قَدِمْتَ إِلاَّ فِي طَلَبِ هَذَا الْحَدِيثِ؟**» قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا، سَلَكَ الله بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لِلْعَالِمِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وإِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، والأنبياءُ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرَّثوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ، أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»)[1].

رابعاً: من مناقبه ﷺ زُهدهُ في الدنيا، وإقبالُه على عبادة ربِّه.

• عن أبي جُحيفةَ وهبِ بن عبدِ الله ﷺ قال: (آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ.

---

(١) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٢٦٨٢)، وأبو داود (٣٦٤١)، وابن ماجه (٢٢٣)، والدارمي (٣٤٢) وأحمد (٥/ ١٩٦) واللفظ له [«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٠)].

فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً -أي: لابسةً ثيابَ المهنةِ تاركةً ثيابَ الزينةِ- فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟

قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا -أي في النساءِ- يصومُ النهارَ، ويقومُ الليلَ. فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فَقَالَ له: كُلْ فَإِنِّي صَائِمٌ.

قَالَ -أي سلمان- : مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ. قَالَ: فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لِيَقُومَ، فقَالَ له: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ، فَقَالَ له: نَمْ.

فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ: قُمِ الآنَ! فَصَلَّيَا جميعاً.

فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ لَهُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**صَدَقَ سَلْمَانُ**»(١).

• يقول أبو الدرداءِ رضي الله عنه: (بُعِثَ النبيُّ ﷺ وأنا تاجرٌ، فأردتُ أن تجتمعَ لِيَ العبادةُ والتجارةُ، فلم يجتمعا، فرفضْتُ التجارةَ وأقبلْتُ على العبادةِ، والذي نفسُ أبي الدرداءِ بيدِهِ، ما أحبُّ أن لِيَ اليومَ حانوتاً على بابِ المسجدِ، لا تُخْطِئُني فيه صلاةٌ، أربحُ فيه كلَّ يوم أربعينَ ديناراً، وأتصدقُ بها كلِّها في سبيلِ الله.

قيل له: يا أبا الدرداء، وما تكرَهُ من ذلكَ؟

قال: شِدّةَ الحسابِ)(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٩٦٨).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٠٩).

-أي: يومَ القيامة سيحاسبُني ربي على هذا المالِ، ويسألني عنه سؤالين: مِن أين وفيمَ؛ المالُ حلالهُ حسابٌ، وحرامهُ عذابٌ.

• وقال: (ما يسرُّني أن أقومَ على الدَّرج من بابِ المسجدِ، فأشتريَ فأبيعَ وأشتريَ فأصيبَ كلَّ يوم ثلاثَ مِئَةِ دينارٍ، أشهدُ الصلاةَ كلَّها في المسجدِ لا أقولُ: إنَّ اللهَ تعالى لم يُحِلِّ البيعَ ويحرِّمَ الربا، ولكن أحبُّ أنْ أكونَ من الذين ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور:٣٧])[1].

• وقالَ أبو الدرداءِ رضي الله عنه: (يَا أَهْلَ دِمَشْقَ! فَلَمَّا أَقْبَلُوا عَلَيْهِ، قَالَ: أَلَا تَسْتَحْيُونَ؟! -ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- تَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ، وَتُؤَمِّلُونَ مَا لَا تُدْرِكُونَ، وَتَبْنُونَ مَا لَا تَسْكُنُونَ!.

أَلَا إِنَّهُ قَدْ كَانَ قَبْلَكُمْ قُرُونٌ يَجْمَعُونَ فَيُوعُونَ، وَيُؤَمِّلُونَ فَيُطِيلُونَ، وَيَبْنُونَ فَيُوثِقُونَ، فَأَصْبَحَ جَمْعُهُمْ بُورًا، وَأَصْبَحَ أَمَلُهُمْ غُرُورًا، وَأَصْبَحَتْ مَنَازِلُهُمْ قُبُورًا؛ أَلَا إِنَّ عَادًا مَلأت مَا بَيْنَ عَدَنَ وَعُمَانَ نَعَماً وَأَمْوَالًا، فَمَنْ يَشْتَرِي منكم مَالَ عَادٍ بِدِرْهَمَيْنِ)[2].

قومُ عادٍ ﴿ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝٨﴾ [الفجر]، الذين قالوا ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فُصِّلَت:١٥] أين هم؟! ذهبوا. أينَ أموالُهم؟ أين مساكنُهم؟ ذهبت. ومع ذلك افتَتَنَ الناسُ بالدنيا ولم يتّعظوا بعادٍ وأمثالهم.

---

(١) رواه أحمد في «الزهد» (٧٣٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٠٩).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٥٨١)، وابن أبي الدنيا في «قُصر الأمل» (٢٥٢) واللفظ له.

ومن مواقفهِ ﷺ :

• يقولُ جبيرُ بن نُفير: (لما افْتُتحتْ قُبرصُ فُرِّقَ بينَ أهلِها، فبكى بعضُهم إلى بعض، فرأيتُ أبا الدرداءِ جالساً وحدَه يبكي فقلتُ: ما يُبكيكَ في يومٍ أعزَّ اللهُ فيهِ الإسلامَ وأهلَه؟

قال: ويحكَ يا جُبير! ما أهوَنَ الخلقَ على اللهِ إذا هم تركوا أمرَه! بينما هي أمةٌ قاهرةٌ ظاهرةٌ، لهمُ الملكُ تركوا أمرَ الله، فصاروا إلى ما ترى)(١).

وكأنه يقول أخشى على الأمةِ الإسلاميةِ إنهم إذا تركوا دينَهم نزلَ بهم ما نزلَ بمن قبلَهم. صدقْتَ والله يا أبا الدرداء! فما نزلَ بالأمةِ منَ الذلِّ والهوانِ إلا بعد أنْ تركوا دينَهم، وتركوا أمرَ ربِّهم.

• ولذلكَ أخبرَ النبيُّ ﷺ: أنَّ هذا الذلَّ لا يُرفَعُ عن الأمةِ قال: «**حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**»(٢).

أو قال: «**تَرْجِعُونَ إِلَى أَمْرِكُمُ الأَوَّلِ**»(٣).

أما مواعظُه فهي كثيرةٌ:

١- يقولُ أبو الدرداءِ ﷺ : (لو تعلمونَ ما أنتم راؤونَ بعد الموتِ، لما أكلتم طعاماً على شهوةٍ، ولا شربتم شراباً على شهوةٍ، ولا دخلتم بيتاً تستظلون به،

---

(١) رواه أحمد في «الزهد» (٧٥٨)

(٢) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود (٣٤٦٤)، وأحمد (٢/ ٤٢)، وأبو يعلى (٥٦٥٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٨٩)].

(٣) **صحيح**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٨٦٧٩)، [«السلسلة الصحيحة» (٣١٦٥)].

ولخرجتم إلى الصُّعُداتِ تضربونَ صدورَكم، وتبكونَ على أنفسكم، ولوددتُ أني شجرةٌ تُعضَدُ ثم تُؤكَلُ)[1].

أجل لو يعلمُ كُلٌّ منا ما ينتظرُهُ بعد الموتِ من قبرٍ وحشرٍ وحسابٍ وجزاءٍ ما أكلَ ولا شربَ ولا نامَ ولكنَّ الكثيرَ منا في غفلة.

كما قالَ القائلُ:

أمَا واللهِ لو علمَ الأنامُ	لما خُلقوا لما هجعوا وناموا
لقد خُلقوا لأمرٍ لو رأته	عيونُ قلوبهم تاهوا وهاموا
مماتٌ ثم قبرٌ ثم حشرٌ	وتوبيخٌ وأهوالٌ عظامُ
ليومِ الحشرِ قد عملت رجالٌ	فصلوا من مخافته وصاموا
ونحنُ إذا أُمرنا أو نهينا	كأهلِ الكهفِ إيقاظٌ نيامُ!

٢- وقال ﷺ: (مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ، قَلَّ فَرَحُهُ، وَقَلَّ حَسَدُهُ)[2].

٣- وقال ﷺ: (أَضْحَكَنِي ثَلاَثٌ، وَأَبْكَانِي ثَلاَثٌ.

أَضْحَكَنِي: مُؤَمِّلُ بالدُّنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ، وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ، وَضَاحِكٌ مِلْءَ فِيهِ، وَلاَ يَدْرِي أساخطٌ ربُّه أم راضٍ!

وَأَبْكَانِي :هَوْلُ الْمَطْلَعِ، وانقطاعُ العملِ، وموقفي بينَ يديِ اللهِ؛ لاَ أَدْرِي أَيُؤمَرُ بي إِلَى الْجَنَّةِ أَمْ إِلَى النَّارِ؟)[3].

(١) رواه عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» (٧٣٥).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٢٠).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢٤٩).

٤- وقالَ رضي الله عنه: (أخوفُ ما أخافُ يومَ القيامةِ أن يُقال لي: أعلمتَ أم جهلتَ؟

فإن قلتُ: علمتُ لا تبقى آيةٌ آمرةٌ أو زاجرةٌ إلا أخذَتْ بفريضَتِها، الآمرةُ: هل ائتمرتَ؟ والزاجرةُ: هل ازدجرتَ؟

وأعوذُ باللهِ من علمٍ لا ينفعُ، ونفسٍ لا تشبعُ، ودعاءٍ لا يُسمع)[1].

٥- وقالَ رضي الله عنه: (ابنَ آدم! طَإِ الأرضَ بقدمِك. فإنها عما قريبٍ ستكون قبرَكَ.

ابنَ آدم! إنما أنتَ أيام، فكلما ذهبَ يومٌ، ذهبَ بعضُك.

ابنَ آدم! إنك لم تزلْ في هدمِ عمركَ، منذ ولدَتْكَ أمُّك)[2].

نسير إلى الآجالِ في كلِّ لحظةٍ ... وأيامُنا تُطوى وهنَّ مراحلُ

ولم أرَ مثلَ الموتِ حقّا كأنه ... إذا ما تخطَّتهُ الأمانيّ باطلُ

وما أقبحَ التفريطَ في زمنِ الصبا ... فكيف به والشيبُ للرأسِ شاعلُ

ترحَّلَ منَ الدنيا بزادٍ من التقى ... فعمرُك أيامٌ وهُنَّ قلائلُ

٦- وتقولُ أمُّ الدرداءِ رضي الله عنها: (لَـمَّا احْتُضِرَ أبو الدرداء.

جَعَلَ يَقُولُ: مَنْ يَعْمَلُ لِمِثْلِ يَوْمِي هَذَا؟

مَنْ يَعْمَلُ لِمِثْلِ سَاعَتِي هَذِهِ؟

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢١٤).

(٢) رواه البيهقي في «الزهد» الكبير (٥١١).

مَنْ يَعْمَلُ لِمِثْلِ مَضْجَعِي هَذَا؟

ثُمَّ يَقُولُ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠])[1].

٧- وكانَ أبو الدرداءِ ﷺ يقعُدُ إلى القبورِ، فقيلَ له في ذلكَ، فقال: أجلسُ إلى قوم يُذَكِّرونني معادي، وإذا قمتُ عنهم لم يغتابوني[2].

اللهمَّ ارزقنا توبةً نصوحاً قبلَ الموتِ.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٦٠٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢١٧) واللفظ له.

(٢) «إحياء علوم الدين» (٢/ ٣٠٨).

٣٨

سعدُ بنُ معاذٍ رضي الله عنه

عباد الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابـه: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾ [الأحزاب].

وهؤلاء الرجالُ همْ أصحابُ محمـدٍ ﷺ، قـومٌ اختـارهُمُ اللهُ لـصحبةِ نبيِّـه، ونصرةِ دينهِ.

حبهم دينٌ وإيمانٌ وإحسان، وبغضهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان.

وموعدُنا في هـذا اليـوم إنْ شـاءَ الله تعـالى مـع رجـلٍ مـن هـؤلاءِ الرجـالِ، وصحابيّ من الصحبِ الكرامِ.. أتدرونَ من هو يا عبادَ الله؟

إنه: **سعدُ بنُ معاذٍ** رضي الله عنه .. أتعرفونَه يا أمةَ الإسلامِ؟

• هو سعدُ بنُ معاذِ بنِ النعمانِ بنِ امرئِ القيسِ الأشهليُّ الأوسيُّ الأنـصاريُّ، أبو عمروٍ البدريُّ الشهيدُ سيِّدُ الأوس.

• أسلمَ قبلَ الهجرةِ على يدِ مصعبِ بن عميرٍ رضي الله عنه .

ولما أسلمَ سعدُ بنُ معاذٍ رضي الله عنه وقفَ على قومهِ.

فقال: (يَا بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ! كَيْفَ تَعْلَمُوْنَ أَمْرِي فِيْكُمْ؟

قَالُوا: سَيِّدُنَا فَضْلاً، وَأَيْمَنُنَا نَقِيبَةً.

قَالَ: فَإِنَّ كَلاَمَكُم عَلَيَّ حَرَامٌ، رِجَالُكُمْ وَنِسَائِكُمْ، حَتَّى تُؤْمِنُوا بِالله وَرَسُوْلِهِ.

قَالَ: فَوَالله مَا بَقِيَ فِي دَارِ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلاَ امْرَأَةٌ إِلاَّ وَأَسْلَمُوا)[1].

وحديثنا عن سعدِ بنِ معاذٍ ﷺ سيكونُ عن مناقبهِ ومواقفهِ.

أما مناقبهُ ﷺ فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: أنه ﷺ دعا فاستجابَ اللهُ دعاءَه.

• تقولُ عائشةُ ﷺ: رمى سعداً رجلٌ من المشركين -في غزوةِ الخندقِ- في أَكحَلِهِ -وهو عرقُ الحياةِ- فقطَعَه.

فدعا اللهَ -عزّ وجل- سعدٌ فقالَ: (اللهُمَّ لَا تُمِتْنِي حَتَّى تُقِرَّ عَيْنِي مِنْ قُرَيْظَةَ -أي: في بني قريظة-

قَالَتْ: وَكَانُوا حُلَفَاءَ مَوَالِيهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

قَالَتْ: فَرَقَأَ كَلْمُهُ -أي: جُرحهُ- وَبَعَثَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الرِّيحَ عَلَى الْـمُشْرِكِينَ، فَكَفَى الله عَزَّ وَجَلَّ الْـمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ، وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا.. قالت ﷺ: وَرَجَعَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَضَعَ السِّلَاحَ، وَأَمَرَ بِقُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَضُرِبَتْ عَلَى سَعْدٍ فِي الْـمَسْجِدِ.

---

(١) ذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٦٦).

قَالَتْ: فَجَاءَ جِبْرِيلُ عليه السلام فَقَالَ: «**أَوَقد وَضَعْتَ السِّلَاحَ؟ وَاللهِ! مَا وَضَعَتِ الْـمَلَائِكَةُ -بَعْدُ- السِّلَاحَ.**

أُخْرُجْ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَقَاتِلْهُمْ».

قَالَتْ: فَلَبِسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَأْمَتَهُ -وهي أداةُ الحربِ كُلُّها- وَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالرَّحِيلِ أَنْ يَخْرُجُوا، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

قَالَتْ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَحَاصَرَهُمْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً، فَلَـمَّا اشْتَدَّ حِصَارُهُمْ وَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ؛ قِيلَ لَهُمْ: انْزِلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاسْتَشَارُوا أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ الْـمُنْذِرِ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنَّهُ الذَّبْحُ، قَالُوا: نَنْزِلُ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**انْزِلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَنَزَلُوا**»، وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَأُتِيَ بِهِ عَلَى حِمَارٍ، وقَدْ حُمِلَ عَلَيْهِ، وَحَفَّ بِهِ قَوْمُهُ، فَقَالُوا: يَا أَبَا عَمْرٍو! حُلَفَاؤُكَ وَمَوَالِيكَ وَأَهْلُ النِّكَايَةِ، وَمَنْ قَدْ عَلِمْتَ! فلم يَرْجِعْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا، وَلَا يَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ دُورِهِمْ؛ الْتَفَتَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: قَدْ أَنَى لِي – أي آنَ لي – أَنْ لَا أُبَالِيَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ.

فلما وصلَ إلى النبيِّ ﷺ قال: «**أَنْزِلُوهُ، فَأَنْزَلُوهُ**».

قَالَ ﷺ له: «**احْكُمْ فِيهِمْ**».

قَالَ سَعْدٌ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهُمْ، وَتُسْبَى ذَرَارِيهِمْ، وَتُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ حَكَمْتَ بِحُكْمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحُكْمِ رَسُولِهِ**».

وهذا هو الشاهدُ يا عبادَ الله! فقد استجابَ اللهُ دعاءَهُ وأقرّ عينَه في بني قريظةَ.

قَالَتْ: ثُمَّ دَعَا سَعْدٌ قَالَ: اللهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَبْقَيْتَ عَلَى نَبِيِّكَ ﷺ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا؛ فَأَبْقِنِي لَهَا، وَإِنْ كُنْتَ قَطَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ.

قَالَتْ: فَانْفَجَرَ كَلْمُهُ -أي: جُرحُه- وَكَانَ قَدْ بَرِئَ حَتَّى مَا يُرَى مِنْهُ إِلَّا مِثْلُ الْخُرْصِ -الحلقةِ الصغيرةِ-.

وَرَجَعَ إِلَى قُبَّتِهِ الَّتِي ضَرَبَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وماتَ رضي الله عنه.

وهذا شاهدٌ أيضاً في أنَّ اللهَ استجابَ دعاءَ سعدِ بنِ معاذٍ رضي الله عنه.

قَالَتْ رضي الله عنها: فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ؛ إِنِّي لَأَعْرِفُ بُكَاءَ عُمَرَ مِنْ بُكَاءِ أَبِي بَكْرٍ، وَأَنَا فِي حُجْرَتِي، وَكَانُوا كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩])[1].

استجابَ اللهُ دعوةَ سعدٍ؛ فأقرَّ عينَيه في بني قريظةَ، وقبضَه إليه لما انقطعتِ الحربُ مع قريش.

ثانياً: من مناقبِه رضي الله عنه أنَّ عرشَ الرحمنِ اهتزّ لموتهِ.

• قال ﷺ: «**اهْتَزَّ الْعَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ**»[2].

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (٦/ ١٤١)، وابن حبان (٧٠٢٨)، [«السلسلة الصحيحة» (٦٧)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٨٠٣).

• وقال ﷺ: وجنازةُ سعدٍ موضوعةٌ: «**اهْتَزَّ لَهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ**»[1].

• وقال ﷺ عن سعدِ بنِ معاذٍ رضي الله عنه: «**هَذَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَمْ يَنْزِلُوا الأَرْضِ قَبْلَ ذَلِكَ، وَلَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً ثُمَّ أُفْرِجَ عَنْهُ**»[2].

ثالثاً: من مناقبهِ رضي الله عنه أنَّ الملائكة نزلت من السماءِ لتحملَ جَنازتَه.

• (قال ﷺ -وَجِنَازَةُ سَعْدٍ مَوْضُوعَةٌ- «**اهْتَزَّ لَهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ**» فَطَفِقَ الْمُنَافِقُونَ فِي جِنَازَتِهِ، وَقَالُوا: مَا أَخَفَّهَا!

فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّمَا كَانَتْ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ مَعَهُمْ**»)[3].

• يقول أنسٌ رضي الله عنه: (لَمَّا حُمِلَتْ جَنَازَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ.

قَالَ الْمُنَافِقُونَ: مَا أَخَفَّ جَنَازَتَهُ، وَذَلِكَ لِحُكْمِهِ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَحْمِلُهُ)[4].

• ولما خرجوا بجَنازةِ سعدِ بنِ معاذٍ، قال القومُ: (مَا حَمَلْنَا يا رسولَ الله مَيِّتًا أَخَفَّ عَلَيْنَا مِنه.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٦٦).

(٢) **صحيح**: رواه النسائي (٢٠٥٥)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٤٣٠) واللفظ له [«صحيح الجامع» (٦٩٨٧)].

(٣) **حسن**: رواه ابن حبان (٧٠٣٢)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٣٤٧)].

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٨٤٩)، والبزار (٧٢٥٤) وأبو يعلى (٣٠٣٤)، [«المشكاة» (٦٢٢٨)].

قَالَ: «**مَا يَمْنَعُه أَنْ يَخِفَّ؛ وَقَدْ هَبَطَ مِنَ الْـمَلائِكَةِ كَذَا وَكَذَا لَمْ يَهْبِطُوا قَـطُّ قَبْـلَ يَوْمِهِمْ، قَدْ حَمَلُوهُ مَعَكُمْ**»[1].

• وقال ﷺ: «**لقد نزلَ لموتِ سَعْدِ بنِ معـاذٍ سـبعونَ ألـفَ ملـكٍ، مـا وَطئـوا الأرض قبلَها**»[2].

رابعاً: من مناقبِه رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ أخبرَ أنه من أهلِ الجنةِ.

• (عن واقدِ بنِ عمرِو بنِ سعدِ بنِ معاذٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَقَالَ لِي: مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَنَا وَاقِدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ.

قَالَ: إِنَّكَ بِسَعْدٍ لَشَبِيهٌ، ثُمَّ بَكَى فَأَكْثَرَ الْبُكَاءَ.

قَالَ: رَحْمَةُ الله عَلَى سَعْدٍ، كَانَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ وَأَطْوَلِهِمْ.

ثُمَّ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ جَيْشًا إِلَى (أُكَيْدِرَ دُومَةَ)، فَأَرْسَلَ إِلَى رَسُـولِ الله ﷺ بِجُبَّةِ دِيبَاجٍ مَنْسُوجٍ فِيهَا الذَّهَبُ -ويُحمل هذا أنه كان قبلَ تحريمِ الذهبِ على الرجالِ- فَلَبِسَهَا رَسُولُ الله ﷺ فَقَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ أَوْ جَلَسَ، فَلَمْ يَـتَكَلَّمْ، ثُـمَّ نَـزَلَ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَلْمَسُونَ الْجُبَّةَ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهَا.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَتَعْجَبُونَ مِنْهَا؟!**»

قَالُوا: مَا رَأَيْنَا ثَوْبًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ!

---

(١) **صحيح**: رواه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٤٢٨)، [«السلسلة الصحيحة» (١١٥٨)].

(٢) **حسن**: رواه البزار (٥٧٤٧)، وهناد في الزهد(٣٥٨)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٣٤٥)].

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِمَّا تَرَوْنَ**»)[1]. وهذا هو الشاهد.

وفي روايةٍ: قال ﷺ: « **أتعجبونَ مِنْ هذا؟ فوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَمَنَادِيلُ سَعْد بنِ معاذٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْهَا**»[2].

خامساً: من مناقبهِ رضي الله عنه أنّ النبيَّ ﷺ دعا له عند موتهِ.

• يقول رجلٌ منَ الأنصارِ: (لما قضى سعدُ بنُ معاذٍ في بني قريظةَ رجَع فانفجرَت يدُه دماً، فبلغَ ذلكَ النبيَّ ﷺ.

فأقبل في نفرٍ معه، فدخلَ عليه، فجعلَ رأسَه في حِجْره.

فقال: «**اللهمَّ إنَّ سعداً قد جاهَد في سبيلِك، وصدَّق رُسُلَكَ وقضى الذي عليه، فاقبَلْ روحَه بخيرِ ما تقبَّلْتَ به الأرواحَ**»)[3].

أما مواقفُه رضي الله عنه فمنها:

أولاً: موقفُه رضي الله عنه في غزوةِ بدرٍ الكبرى.

وصلتِ الأخبارُ إلى رسولِ الله ﷺ أنَّ قريشاً خرَجت من مكةَ بكُلِّ ما تملكُ من قوةٍ للقضاءِ على المسلمينَ بالمدينة.

فجمعَ النبيُّ ﷺ أصحابَه ليُشاورَهم في الأمر.

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (١٧٢٣)، والنسائي (٥٣٠٢)، وأحمد (٣/ ١٢١) وابن حبان (٧٠٣٧)، [«صحيح الجامع» (٧٠٥٩)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٦٤٠)، ومسلم (٢٤٦٨) واللفظ للبخاري.

(٣) رواه أحمد في «فضائل الصحابة لابن حنبل» (١٤٩٩)، وقال المحقق: **إسناده صحيح**.

(فقام أبو بكرٍ الصديقُ فقالَ وأحسنَ، ثم قامَ عمرُ بنُ الخطابِ فقالَ وأحسنَ، ثم قام المِقدادُ بنُ عمرٍو فقالَ: يا رسولَ الله! امضِ لما أَراكَ اللهُ فنحنُ معكَ، والله لا نقولُ لكَ كما قالَ بنو إسرائيلَ لموسى: اذهبْ أنتَ وربُّك فقاتلا إنا ههنا قاعدون! ولكنِ اذهبْ أنتَ وربُّكَ فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثَك بالحقِّ لو سِرْتَ بنا إلى بَرْكِ الغِمادِ، لجالَدْنا معك من دونه حتى تبلغَه.

فقال له رسولُ الله ﷺ خيراً ودعا له.

ثم قالَ رسولُ الله ﷺ: أشيروا عليّ أيها الناسُ؟ وإنما يريدُ الأنصارَ.

فلما قالَ ذلكَ رسولُ الله ﷺ قال له سعدُ بنُ معاذٍ: والله! لكأنَّك تُريدُنا يا رسولَ الله؟ قال ﷺ: أجل.

قال سعدُ: فقد آمنا بك وصَدَّقناك، وشهدْنا أنَّ ما جئتَ به هو الحقُّ، وأعطيناكَ على ذلك عهودَنا ومواثيقَنا على السمعِ والطاعةِ لكَ، فامضِ يا رسولَ الله لما أردتَ، فنحنُ معك، فوالذي بعثكَ بالحقِّ لو استعرَضْتَ بنا هذا البحرَ فخضْتَه لخُضناهُ معكَ، ما تخلفَ منّا رجلٌ واحدٌ، وما نكرَه أن تلقى بنا عدوَّنا غداً، إنّا لَصُبُرٌ في الحربِ، صُدُقٌ عندَ اللقاءِ، ولعلَّ اللهَ يُريكَ منا ما تقرُّ به عينُك، فَسِرْ على بركةِ الله، فَسُرَّ بذلك رسولُ الله ﷺ بقولِ سعدٍ، ونشّطَه.

ثم قال ﷺ: «**سيروا وأَبشِروا فإنَّ اللهَ قد وعدني إحدى الطائفتين، والله! لكأني أنظرُ إلى مصارعِ القومِ**»)[1].

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٣٤) وانظر «السيرة النبوية الصحيحة» لأكرم ضياء العمري (ص٣٥٨-٣٥٩).

الشاهدُ موقفُ سعدِ بنِ معاذٍ وهو يمثلُ رأيَ الأنصارِ عندَ الخروج لغزوةِ بدرٍ.

ثانياً: موقفُه رضي الله عنه في غزوةِ أحدٍ.

وفي غزوةِ «أحدٍ» وعندما تفرقَ المسلمونَ تحتَ وقعِ المباغتةِ الداهمةِ التي فاجأهمْ بها جيشُ المشركين؛ كان سعدُ بنُ معاذٍ رضي الله عنه هناكَ عندَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يُدافعُ عنه.

فهذا أنسُ بنُ النَّضْرِ رضي الله عنه في غزوةِ أحدٍ -لما انكشفَ المسلمونَ- يقولُ: (اللهمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ -يَعْنِي أَصْحَابَهُ- وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ -يَعْنِي الْـمُشْرِكِينَ-

ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ -وهذا هو الشاهدُ-

فَقَالَ: يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ! الْجَنَّةُ وَرَبِّ النَّضْرِ! إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ .

قَالَ سَعْدُ بنُ معاذ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا صَنَعَ...) الحديث[1].

ثالثاً: موقفُه رضي الله عنه في الولاءِ والبراءِ.

في غزوةِ الأحزابِ لما غدرَتْ بنو قريظةَ وحاصرَهُم النبيُّ صلى الله عليه وسلم ونزلوا على حكمِ سعدِ بنِ معاذٍ رضي الله عنه .

(وأرسلَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم إلى سعدٍ فَأُتِيَ بِهِ عَلَى حِمَارٍ، وَحَفَّ بِهِ قَوْمُهُ فَقَالُوا: يَا أَبَا عَمْرٍو! حُلَفَاؤُكَ وَمَوَالِيكَ وَأَهْلُ النِّكَايَةِ وَمَنْ قَدْ عَلِمْتَ -يريدون بذلك أن يشفعَ

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٢٨٠٥)

لبني قريظةَ عندَ رسولِ اللهِ ﷺ- فلم يُرْجِعْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا، وَلَا يَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ دُورِهِمْ الْتَفَتَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: قَدْ أَنَى لِي أَنْ لَا يأخذَني فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ..)[1].

فحكمَ فيهم بحكمِ اللهِ ورسولِهِ.

لقد طمعتْ بنو قريظَة أن يشفعَ فيهم سعدُ بنُ معاذٍ؛ لأنه كان حليفاً لهم في الجاهليةِ، كما شفعَ عبدُ اللهِ بنُ أُبَيّ بنِ سلولٍ في بني قَيْنُقاعَ فوهبهم له رسولُ اللهِ ﷺ.

ولكنهم أخطأوا القياسَ، فعبدُ اللهِ بنُ أبيٍّ بنِ سلولٍ رأسُ النفاقِ، وولاءُ المنافقينَ للكفارِ، أما سعدُ بنُ معاذٍ فهو من ساداتِ المؤمنينَ الصادقينَ -اهتزّ له عرشُ الرحمنِ لموته- فولاؤُه للهِ عزَّ وجل ولرسولِهِ ﷺ وللمؤمنين.

رابعاً: موقفُه رضي الله عنه في قولِ الحقِّ أمامَ أبي جهلٍ وأميةَ بنِ خلفٍ في مكةَ.

• يقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (انْطَلَقَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُعْتَمِرًا فَنَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَكَانَ أُمَيَّةُ إِذَا انْطَلَقَ إِلَى الشَّامِ فَمَرَّ بِالْمَدِينَةِ نَزَلَ عَلَى سَعْدٍ.

فَقَالَ أُمَيَّةُ لِسَعْدٍ: انْتَظِرْ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ وَغَفَلَ النَّاسُ انْطَلَقْتَ فَطُفْتَ.

فَبَيْنَمَا سَعْدٌ يَطُوفُ إِذَا أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا الَّذِي يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ؟ فَقَالَ سَعْدٌ: أَنَا سَعْدٌ.

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: تَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ آمِنًا، وَقَدْ آوَيْتُمْ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. فَتَلَاحَيَا -أي رفعَ كُلُّ واحدٍ صوتَه على الآخرِ-.

(١) **حسن**: رواه أحمد (٦/ ١٤١)، وابن حبان (٧٠٢٨)، [«السلسلة الصحيحة» (٦٧)].

فَقَالَ أُمَيَّةُ لِسَعْدٍ: لاَ تَرْفَعْ صَوْتَكَ عَلَى أَبِي الْحَكَمِ، فَإِنَّهُ سَيِّدُ أَهْلِ الْوَادِي.

ثُمَّ قَالَ سَعْدُ: وَاللهِ لَئِنْ مَنَعْتَنِي أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ لأَقْطَعَنَّ مَتْجَرَكَ بِالشَّامِ -أي لأقطعنَّ طريقَك إلى الشامِ-.

قَالَ: فَجَعَلَ أُمَيَّةُ يَقُولُ لِسَعْدٍ: لاَ تَرْفَعْ صَوْتَكَ -وَجَعَلَ يُمْسِكُهُ- فَغَضِبَ سَعْدٌ فَقَالَ: دَعْنَا عَنْكَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ مُحَمَّدًا ﷺ يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلُكَ.

قَالَ -أي أميةُ-: إِيَّايَ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: وَاللهِ! مَا يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ إِذَا حَدَّثَ.

فَرَجَعَ إِلَى امْرَأَتِهِ فَقَالَ: أَمَا تَعْلَمِينَ مَا قَالَ لِي أَخِي الْيَثْرِبِيُّ؟

قَالَتْ: وَمَا قَالَ؟

قَالَ: زَعَمَ أَنَّهُ سَمِعَ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلِي.

قَالَتْ: فَوَاللهِ! مَا يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ.

قَالَ: فَلَمَّا خَرَجُوا إِلَى بَدْرٍ وَجَاءَ الصَّرِيخُ، قَالَتْ لَهُ -أي لأُميةَ- امْرَأَتُهُ: أَمَا ذَكَرْتَ مَا قَالَ لَكَ أَخُوكَ الْيَثْرِبِيُّ؟

قَالَ: فَأَرَادَ أَنْ لاَ يَخْرُجَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: إِنَّكَ مِنْ أَشْرَافِ الْوَادِي، فَسِرْ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ، فَسَارَ مَعَهُمْ يومين، فَقَتَلَهُ اللهُ)[1].

وكان قتلُه كما تعلمونَ على يدِ بلالِ بنِ رباحِ وأناسٍ منَ الأنصارِ.

اللهم ردّ المسلمين إلى دينك ردًّا جميلاً.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٣٢)

٣٩

سعدُ بنُ عُبادةَ رضي الله عنه

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابـهِ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

وهـؤلاءِ الرجـالُ هـم أصـحابُ محمـدٍ ﷺ، قـومٌ اختـارهُمُ اللهُ عـز وجـل واصطفاهم لصحبةِ نبيِّه، ونصرةِ دينِه.

• قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل:٥٩].

قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (الذين اصطفى) هم أصحابُ محمدٍ ﷺ[١].

وقالَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّـدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَـادِ بَعْـدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَـادِ، فَجَعَلَهُـمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّـهِ، يُقَاتِلُونَ عَن دِينِهِ)[٢].

وموعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ الله تعـالى- مـع رجـلٍ مـنْ هـؤلاءِ الرجـالِ، وصحابيٍّ منَ الصحبِ الكرامِ.. أتدرونَ مَن هوَ يا عبادَ الله؟

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (١٧٢٥٣)، وابن جرير (١٩/ ٤٨٢) في تفسيريهما.

(٢) **حسن**: رواه أحمد (١/ ٣٧٩)، والبزار (١٨١٦)، والطبراني في «الكبير» (٨٥٨٢)، [«السلسلة الضعيفة» (٥٣٣)].

إنه: سعدُ بنُ عبادةَ بن دُلَيم بنِ حارثةَ الخزرجيُّ الساعديُّ، الأنصاريُّ المدنيُّ، سيّدُ الخزرج.

عبادَ الله! لا يُذكَرُ سعدُ بنُ معاذٍ، إلا ويُذكَرُ معه سعدُ بنُ عبادةَ فالإثنان هما سيدا أهلِ المدينة.

«سعدُ بنُ معاذٍ» سيدُ الأوسِ و«سعدُ بنُ عبادةَ» سيدُ الخزرجِ.

وكلاهما أسلمَ مبكّراً على يدِ مصعبِ بنِ عُميرٍ رضيَ الله عنهم أجمعين.

وحديثُنا عن سعدِ بنِ عُبادةَ ﵁ سيكونُ عن مناقبِهِ ومواقفه.

أما مناقبُه فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: أنه ﵁ كانَ بارّاً بأمِّه حتى بعدَ موتِها.

• عنِ ابنِ عباسٍ ﵄: أنَّ سعدَ بنَ عبادةَ سألَ النبيَّ ﷺ عن نذرٍ كانَ على أمّه تُوفِّيَتْ قبلَ أن تقضِيَه فقالَ ﷺ: «**اقْضِهِ عَنْهَا**»[1].

• يقولُ عكرمةُ مولى ابنِ عباسٍ: أنبأَنا ابنُ عباسٍ: (أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهَا.

فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! إِنَّ أُمِّي تُوُفِّيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا، فَهَلْ يَنْفَعُهَا إِنْ تَصَدَّقْتُ بِشَيْءٍ عَنْهَا؟

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٧٦١).

قَالَ ﷺ: «**نَعَمْ**».

قَالَ: فَإِنِّي أُشْهِدُكَ أَنَّ حَائِطَ الْـمَخْرَفِ -أي بستانَ المخرفِ- صَدَقَةٌ عَلَيْهَا)[1].

وهكذا الولدُ البارُّ بوالِدَيه، يَبرُّهما في حياتِهما وبعدَ مماتِهما.

لأنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»[2].

ثانياً: من مناقبِه رضي الله عنه أنه كان رجلاً غَيوراً شديدَ الغَيْرةِ على أهلِه.

• عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قالَ سعدُ بنُ عبادةَ: (يَا رَسُولَ اللهِ! لَوْ وَجَدْتُ مَعَ أَهْلِي رَجُلًا لَمْ أَمَسَّهُ حَتَّى آتِيَ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ؟!

وكانَ ذلكَ قبلُ نزولِ الآيةِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٦﴾ [النور].

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**».

قَالَ: كَلَّا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ كُنْتُ لَأُعَاجِلُهُ بِالسَّيْفِ قَبْلَ ذَلِكَ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اسْمَعُوا إِلَى مَا يَقُولُ سَيِّدُكُمْ، إِنَّهُ لَغَيُورٌ، وَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي**»)[3].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٧٥٦) وأحمد (١/ ٣٣٣) واللفظ له

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٣١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٨) واللفظ له.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٤٩٨).

• وعن المغيرةِ قالَ: قال سعدُ بنُ عبادةَ رضي الله عنه: (لَوْ رَأَيْتُ رَجُلاً مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفَحٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النبيَّ ﷺ فَقَالَ: «**أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟ لأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللهِ؛ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**»)[1].

• ويقول ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا﴾ [النور: ٤]

قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَهُوَ سَيِّدُ الْأَنْصَارِ: أَهَكَذَا أُنْزِلَتْ يَا رَسُولَ اللهِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى مَا يَقُولُ سَيِّدُكُمْ؟**»

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! لَا تَلُمْهُ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ غَيُورٌ! وَاللهِ، مَا تَزَوَّجَ امْرَأَةً قَطُّ إِلَّا بِكْرًا، وَمَا طَلَّقَ امْرَأَةً لَهُ قَطُّ، فَاجْتَرَأَ رَجُلٌ مِنَّا عَلَى أَنْ يَتَزَوَّجَهَا مِنْ شِدَّةِ غَيْرَتِهِ..) الحديث[2].

• أين الغَيْرةُ؟ أينَ الشهامةُ؟ يا مَنْ رضيتَ لبناتِكَ ونسائِك بالتبرّجِ، أنسيتَ أنك راعٍ في هذا البيتِ؟! أنسيتَ أن التبرّجَ حرامٌ؟! أنسيتَ أن التبرّجَ هو الشرارةُ الأولى للزنا؟!

ومن مناقبِه رضي الله عنه أنه رجلٌ كريمٌ.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٤١٦)، ومسلم (١٤٩٩) واللفظ للبخاري.

(٢) **حسن**: رواه أحمد (١/ ٢٣٨)، والطيالسي (٢٦٦٧) وأبو يعلى (٢٧٤٠)، واللفظ لأحمد [«محققو المسند»].

• قال يحيى بنُ أبي كثيرٍ: (كَانَت لِرسولِ الله ﷺ من سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ جَفْنَةٌ مِن ثريدٍ في كُلِّ يومٍ تَدُورُ مَعَهُ أينما دَارَ مِنْ نِسَائِهِ)[1]. يدلُّ ذلكَ على كرمِ سعدِ بنِ عبادةَ.

وتخبرُنا بذلكَ عائشةُ ﵂ وهي تخبرُ عن بناءِ النبيِّ ﷺ بها.

• تقولُ عائشةُ ﵂: (... ثُمَّ أَقْبَلَتْ أمي تَقُودُنِي حَتَّى وَقَفَتْ بِي عِنْدَ الْبَابِ، وَإِنِّي لَأَنْهَجُ حَتَّى سَكَنَ مِنْ نَفْسِي، ثُمَّ دَخَلَتْ بِي، فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ جَالِسٌ عَلَى سَرِيرٍ فِي بَيْتِنَا، وَعِنْدَهُ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَجْلَسَتْنِي فِي حِجْرِهِ، ثُمَّ قَالَتْ: هَؤُلَاءِ أَهْلُكَ، فَبَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهِمْ، وَبَارَكَ لَهُمْ فِيكِ، فَوَثَبَتِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، فَخَرَجُوا وَبَنَى بِي رَسُولُ الله ﷺ فِي بَيْتِنَا، مَا نُحِرَتْ عَلَيَّ جَزُورٌ، وَلَا ذُبِحَتْ عَلَيَّ شَاةٌ، حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيْنَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ بِجَفْنَةٍ كَانَ يُرْسِلُ بِهَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، إِذَا دَارَ إِلَى نِسَائِهِ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ)[2].

هذا زواجُ خيرِ البشرِ، كانَ بهذه البساطَةِ، وبهذا اليُسرِ.

• ويقولُ ابن سيرينَ: (كَانَ سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ يَرْجِعُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى أَهْلِهِ بِثَمَانِيْنَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ يُعَشِّيْهِم)[3].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٦١٨).

(٢) **حسن**: رواه أحمد (٦/ ٢١٠)، وابن راهويه (١١٦٤) في مسنديهما [«محققو المسند»].

(٣) ذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٧٦).

• و(عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ اسْتَأْذَنَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَقَالَ: «السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله».

فَقَالَ سَعْدٌ: وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ الله، وَلَمْ يُسْمِعِ النَّبِيَّ ﷺ حَتَّى سَلَّمَ ثَلاَثًا، وَرَدَّ عَلَيْهِ سَعْدٌ ثَلاَثًا وَلَمْ يُسْمِعْهُ.

فَرَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ -وهذه هي السنةُ التي غابت عن كثيرٍ منَ المسلمينَ، فالمسلمُ إذا استأذنَ ثلاثاً فلم يَرُدَّ عَليه أحدٌ رجعَ- وَاتَّبَعَهُ سَعْدٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا سَلَّمْتَ تَسْلِيمَةً إِلاَّ هِيَ بِأُذُنِي، وَلَقَدْ رَدَدْتُ عَلَيْكَ وَلَمْ أُسْمِعْكَ، أَحْبَبْتُ أَنْ أَسْتَكْثِرَ مِنْ سَلاَمِكَ، وَمِنَ الْبَرَكَةِ.

ثُمَّ أَدْخَلَهُ الْبَيْتَ، فَقَرَّبَ لَهُ زَبِيبًا، فَأَكَلَ نَبِيُّ الله ﷺ فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: أَكَلَ طَعَامَكُمُ الأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَأَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ)(١).

وهذا ذكرٌ تقولُه إذا أكلْتَ عند إنسانٍ، واعلمْ أنَّ النبيَّ ﷺ لم يقرإِ الفاتحةَ -كما نسمعُها من كثيرٍ منَ المسلمينَ- إذا أكلَ عندَ إنسانٍ.

وكانَ سعدُ بنُ عبادةَ يسألُ ربَّه المزيدَ من فضلهِ.

فيقولُ: (اللهمَّ هَبْ لِي مَجْدًا، وَلاَ مَجْدَ إِلاَّ بِفِعَالٍ، وَلاَ فعَالَ إِلَّا بِمَالٍ، اللهمَّ لاَ يُصْلِحُنِي الْقَلِيلُ، وَلاَ أَصْلُحُ عَلَيْهِ، وَلَوْ كَانَ مُنَادِيًا يُنَادِي عَلَى أُطُمَةٍ -وهو المكانُ المرتفعُ- مَنْ كَانَ يُرِيدُ الشَّحْمَ وَاللَّحْمَ، فَلْيَأْتِ سَعْدَ بنَ عبادةَ)(٢).

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ١٣٨)، والبزار (٦٨٧٢)، [«آداب الزفاف» (ص ٩٨)].

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٦١٩)، والحاكم في «المستدرك» (٥١٠٥) واللفظ له.

كيف لا؟ وقد تربّى سعدُ بنُ عبادةَ على يدِ رسولِ الله ﷺ أكرمِ الناسِ.

الذي قالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ**»[1].

وقال ﷺ: «**إنَّ اللهَ تعالى جوادٌ يحبّ الجودَ**»[2].

أما مواقفُه رضي الله عنه فمنها:

أولاً: موقفُه رضي الله عنه في غزوة حُنينٍ عندَما قسَّمَ رسولُ الله ﷺ الغنائمَ.

• يقولُ أبو سعيدٍ الخدريُّ رضي الله عنه: (لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ الله ﷺ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَجَدَ الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ، حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمُ الْقَالَةُ، حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِيَ رَسُولُ الله ﷺ قَوْمَهُ.

فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ؛ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ.

قَالَ ﷺ: «**فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟**»

قَالَ: يَا رَسُولَ الله! مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي، وَمَا أَنَا؟

---

(١) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (٥٩٢٨) والحاكم (١٥١)، [«صحيح الجامع» (١٨٠١)].

(٢) **صحيح**: رواه البيهقي في «الشعب» (١٠٨٤٠) عن طلحة بن عبيد الله، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٩) عن ابن عباس، [«صحيح الجامع» (١٧٤٤)].

قَالَ ﷺ: «**فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْـحَظِيرَةِ**».

قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدُ، فَجَمَعَ الْأَنْصارَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ

فَلَـمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ: قَدِ اجْتَمعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ.

قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ الله ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ.

ثُمَّ قَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! مَقَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ، وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ؟ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟**».

قَالُوا: بلى! اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ.

قَالَ: «**أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟**».

قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ الله؟ وَلله وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ.

قَالَ: «**أَمَا وَالله لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ، فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ:**

أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَعَائِلًا فَآسَيْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا، تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ؟!

أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ الله إلى رِحَالِكُمْ؟

فَوَالَّذِي نَفْسُي بِيَدِهِ، لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَءاً مِنَ الْأَنْصَارِ.

وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ.

اللهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ».

قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ - ومعهم سعدُ بنُ عبادةَ- حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللهِ قِسْمًا وَحَظًّا، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتَفَرَّقُوا)[1].

ثانياً: موقفهُ رضي الله عنه في غزوةِ بدرٍ الكبرى.

• (عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ شَاوَرَ حِينَ بَلَغَهُ إِقْبَالُ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ: فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ.

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ: إِيَّانَا تُرِيدُ ؟

يَا رَسُولَ اللهِ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لَأَخَضْنَاهَا -يعني الخيلَ- وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا -كناية عن ركضها- إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ -موضعٌ بأقاصي هَجَر- لَفَعَلْنَا.

قَالَ: فَنَدَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ فَانْطَلَقُوا حَتَّى نَزَلُوا بَدْرًا..) الحديث[2].

هذا موقفُ سعدِ بنِ عبادةَ رضي الله عنه سيدِ الخزرجِ، وهو نفسُ موقفِ سعدِ بنِ معاذٍ رضي الله عنه سيدِ الأوسِ كما بينا.

---

(١) **حسن**: رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٩٩٧) وأحمد (٣/ ٧٦) واللفظ له [«محققو المسند»].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٧٩).

وهؤلاءِ همُ الأنصارُ الذين أثنى الله عليهم في كتابه.

فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر].

وقال فيهم ﷺ: «**آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ**»[1].

وقال ﷺ: «**الأَنْصَارُ لاَ يُحِبُّهُمْ إِلاَّ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يُبْغِضُهُمْ إِلاَّ مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ الله، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ الله**»[2].

نشهدُك يا ربّنا يا ذا الجلالِ والإكرامِ أننا نحبُّ الأنصارَ، ونحبُّ المهاجرين، ونسألُك يا ذا الجلالِ والإكرامِ أن تجمعَنا بالمهاجرينَ والأنصارِ معَ رسولِنا ﷺ في جناتِ النعيم، وأن تجعلَنا ممن يتمسكون بمنهجِهم ويسلكون سبيلَهم؛ لنسعدَ في الدنيا والآخرة.

اللهم فقهنا في ديننا.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٧)، ومسلم (٧٤).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥).

٤٠

جابرُ بنُ عبدِ الله رضي الله عنهما

عبادَ الله! يقولُ الله عز وجل في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

وهؤلاءِ الرجالُ همْ أصحابُ محمدٍ ﷺ، قومٌ اختارَهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّه، ونصرةِ دينِهِ.

حبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ.

وموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ الله تعالى مع رجلٍ منْ هؤلاءِ الرجالِ وصحابيٍّ منَ الصَّحبِ الكرامِ.. أتدرونَ مَنْ هو يا عبادَ الله؟

إنه: جابرُ بنُ عبدِ الله رضي الله عنهما .. أتعرفونَه يا أمةَ الإسلامِ؟

• هو الصحابيّ الجليل، جابرُ بنُ عبدِ الله بنِ عمرِو بنِ حرامٍ بن ثعلبة من بني سَلِمةَ، أبو عبدِ الله، ويقالُ: أبو عبدِ الرحمن، الأنصاريُّ الخزرجيُّ السُّلَميُّ.

• شهدَ بيعةَ العقبةِ، وهو من أهل بيعةِ الرضوانِ.

وشهدَ المشاهدَ كُلَّها، إلا بدراً وأحُداً، منعه أبوه عبدُ الله بنُ عمرٍو رضي الله عنه منْ أجلِ أن يبقى عندَ أخواتٍ له ليرعاهنّ، فلما استشهدَ أبوه في أُحدٍ لم يتخلّفْ عن مشهدٍ بعدها معَ رسولِ الله ﷺ[1].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٨٩-١٩٤).

• يقولُ جابرٌ ﷺ: (غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ تِسْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً، لَمْ أَشْهَدْ بَدْرًا وَلَا أُحُدًا مَنَعَنِي أَبِي.

قال: فَلَمَّا قُتِلَ عَبْدُ الله يَوْمَ أُحُدٍ، لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ فِي غَزْوَةٍ قَطُّ)[1].

وحديثُنا عن جابرِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنهما سيكونُ عن مناقبِه ومواقفِه.

أما مناقبهُ ﷺ فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: أنه ﷺ شَهِدَ معَ رسولِ الله ﷺ ليلةَ العقبةِ وصلحَ الحديبيةِ.

• قال جابرُ بنُ عبدِ الله رضي الله عنهما: (أَنَا وَأَبِي وَخَالِايَ مِنْ أَصْحَابِ الْعَقَبَةِ)[2].

وبيعةُ العقبةِ هي: البيعةُ التي بايعَ فيها الأنصارُ رسولَ الله ﷺ على أنه إذا هاجرَ إليهم فإنهم يَحْمونه كما يحمونَ أنفسَهم وأبناءَهم ونساءَهم وأموالَهم.

ويقولُ كعبُ بنُ مالكٍ ﷺ في شرفِ حضورِ بيعةِ العقبةِ: (وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الإِسْلاَمِ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا)[3].

• وقال جابرٌ ﷺ: (قَالَ لَنَا رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ: «**أَنْتُمْ اليومَ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ**» وَكُنَّا أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةٍ)[4].

---

(1) **صحيح**: رواه مسلم (١٨١٣).

(2) **صحيح**: رواه البخاري (٣٨٩١).

(3) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

(4) **صحيح**: رواه البخاري (٤١٥٤)، ومسلم (١٨٥٦) واللفظ للبخاري.

• ويقولُ جابرٌ رضي الله عنه: (بَايَعْنَا نَبِيَّ اللهِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ عَلَى أَنْ لَا نَفِرَّ)[1].

ثانياً: ومنْ مناقبهِ رضي الله عنه فقهُه في الدينِ، وتمسُّكُه بسنةِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم.

• (سَأَلَ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ عَنِ الْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ.

فَقَالَ: تَبُلُّ الشَّعْرَ، وَتَغْسِلُ الْبَشَرَةَ.

قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَغْتَسِلُ؟

قَالَ: كَانَ يَصُبُّ عَلَى رَأْسِهِ ثَلاَثًا.

قَالَ: إِنَّ رَأْسِي كَثِيرُ الشَّعْرِ

قَالَ: كَانَ رَأْسُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَكْثَرَ مِنْ رَأْسِكَ وَأَطْيَبَ)[2].

• وسأَلَ محمدُ بنُ عَبّادِ بنِ جعفرَ جابرَ بنَ عبدِ اللهِ الأنصاريَّ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ: (أسمعتَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ينهى عَنْ صِيَامِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَرَبِّ هَذَا الْبَيْتِ)[3].

فلا يجوزُ للمسلمِ أن يصومَ يومَ الجمعةِ منفرداً تطوعاً، ولكنْ إذا صامَ يوماً قبلَه جاز له ذلك.

ثالثاً: ومن مناقبِه رضي الله عنه أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم عادَه في مرضِه ونزلت فيه آيةٌ من كتابِ اللهِ.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٥٦)، وأحمد (٣/ ٢٩٢) واللفظ له.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٥٦)، وأحمد (٣/ ٢٩٢) واللفظ له.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١١٤٣).

• يقولُ جابرٌ ﷺ: (مَرِضْتُ، فَأَتَانِي النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُنِي هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ مَاشِيَيْنِ، وَقَدْ أُغْمِيَ عَلَيَّ فَلَمْ أُكَلِّمْهُ، فتَوَضَّأَ فَصَبَّهُ عَلَيَّ، فَأَقَمْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! كَيْفَ أَصْنَعُ فِي مَالِي، وَلِي أَخَوَاتٌ؟

قَالَ جابرٌ: فَنَزَلَتْ آيَةُ الْمِيرَاثِ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾﴾ [النساء])[1].

• ويقولُ جابرٌ ﷺ: (اشْتَكَيْتُ وَعِنْدِي سَبْعُ أَخَوَاتٍ لِي، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَنَضَحَ فِي وَجْهِي فَأَفَقْتُ.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أُوصِي لِأَخَوَاتِي بِالثُّلُثَيْنِ؟

قَالَ: «**أَحْسِنْ**» قُلْتُ: بِالشَّطْرِ؟ قَالَ: «**أَحْسِنْ**».

قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ وَتَرَكَنِي، ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: «**يَا جَابِرُ! إِنِّي لَا أَرَاكَ مَيِّتًا مِنْ وَجَعِكَ هَذَا. فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَنْزَلَ فَبَيَّنَ الَّذِي لِأَخَوَاتِكَ، فَجَعَلَ لَهُنَّ الثُّلُثَيْنِ**».

قَالَ: فَكَانَ جَابِرٌ يَقُولُ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِيَّ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِۚ﴾ [النساء:١٧٦])[2].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٦١٦)، وأحمد (٣/ ٣٠٧) واللفظ

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٨٨٧)، والنسائي في «الكبرى» (٦٣٢٤) وأحمد (٣/ ٣٧٢)، [«صحيح سُنن أبي داود» (٢٥١٠)].

رابعاً: ومن مناقبِه رضي الله عنه أنه كانَ باراً بوالدِه.

عبادَ الله! بالسمع والطاعةِ كانَ بِرُّ جابرِ بنِ عبدِالله لوالدِه في حياتِه.

• يقولُ جابرٌ رضي الله عنه : (أَمَرَ أَبِي بِخَزِيرَةٍ -وهي نوعٌ منَ الطعامِ- فَصُنِعَتْ، ثُمَّ أَمَرَ فَحَمَلْتُهَا إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم، فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ فِي مَنْزِلِهِ فَقَالَ: «**مَا هَذَا يَا جَابِرُ! أَلَحْمٌ ذَا؟**»

قُلْتُ: لاَ، وَلَكِنَّهَا خَزِيرَةٌ، فَأَمَرَ بِهَا فَقُبِضَتْ -أي أُخذت مني- فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى أَبِي، قَالَ: هَلْ رَأَيْتَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: هَلْ قَالَ شَيْئًا؟

فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**مَا هَذَا يَا جَابِرُ أَلَحْمٌ ذَا؟**»

فَقَالَ أَبِي: عَسَى أَنْ يَكُونَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم قَدِ اشْتَهَى اللَّحْمَ!

فَقَامَ إِلَى دَاجِنٍ -وهيَ الشاةُ التي يعلُفها الناسُ في منازلهم- عنده فَذَبَحَهَا ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَشُوِيَتْ، ثُمَّ أَمَرَنِي فَحَمَلْتُهُ إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم، فَأَتيتُ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ.

فَقَالَ: «**مَا هَذَا يَا جَابِرُ؟**» فذكرَ جابرٌ ما دارَ بينه وبينَ والدِهِ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم.

فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**جَزَى اللهُ الأَنْصَارَ عَنَّا خَيْرًا، وَلاَ سِيَّمَا عَبْدُ الله بْنُ عَمْرِو بْنُ حَرَامٍ -وهو والدُ جابرٍ- وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ**»)[1].

الشاهدُ يا **عبادَ الله!** أنَّ جابرَ بنَ عبدِ الله كان باراً بوالده فيسمعُ له ويطيعُ، ويظهرُ لنا ذلكَ أيضاً عندما أمرَه أبوه أن يبقى عند أخواتِهِ؛ ليرعاهنّ -في غزوةِ بدرٍ وأُحدٍ- فاستجابَ لوالده، رغمَ حبِّه الشديد للخروج للجهاد.

---

(١) **صحيح** : رواه ابن حبان (٧٠٢٠)، والحاكم (٧٠٩٩)، [«صحيح موارد الظمآن» (١٩٢٥)].

وكان جابرُ بنُ عبدِ الله رضي الله عنهما باراً بوالده حتى بعدَ موته، ويظهرُ ذلك من زواجِهِ، ومن سعيهِ لقضاءِ الدينِ عَنْ والدِهِ.

• أوصاهُ والدهُ قبلَ موته بأخواتِهِ التسعةِ وبقضاءِ دَينه.

• يقولُ جابرٌ رضي الله عنه: (لَـمَّا حَضَرَ أُحُدَ دَعَانِي أَبِي مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: مَا أُرَانِي إِلاَّ مَقْتُولاً فِي أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِ رسولِ الله ﷺ، وَإِنِّي لاَ أَتْرُكُ بَعْدِي أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ غَيْرَ نَفْسِ رَسُولِ الله ﷺ، فَإِنَّ عَلَيَّ دَيْنًا فَاقْضِه وَاسْتَوْصِ بِأَخَوَاتِكَ خَيْرًا.

فَأَصْبَحْنَا فَكَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ، وَدُفِنَ مَعَهُ آخَرُ فِي قَبْرٍ، ثُمَّ لَمْ تَطِبْ نَفْسِي أَنْ أَتْرُكَهُ مَعَ الآخَرِ فَاسْتَخْرَجْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، فَإِذَا هُوَ كَيَوْمِ وَضَعْتُهُ، غَيْرَ أُذُنِهِ)[1].

ومن زواجِ جابرٍ يظهرُ لنا برَّه بوالده.

• يقولُ جابرٌ رضي الله عنه: (قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: هَلْ نَكَحْتَ؟

قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «**أَبِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا؟**»

قُلْتُ: ثَيِّبًا -أي: امرأةً سبقَ لها الزواجُ-

قَالَ: «**فَهَلَّا بِكْرًا تُلَاعِبُهَا، وَتُلَاعِبُكَ!**»

قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! قُتِلَ أَبِي يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ تِسْعَ بَنَاتٍ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَجْمَعَ إِلَيْهِنَّ خَرْقَاءَ مِثْلَهُنَّ، وَلَكِنِ امْرَأَةٌ تُمَشِّطُهُنَّ وَتَقُومُ عَلَيْهِنَّ، قَالَ: «**أَصَبْتَ**»)[2]. وهذا من برِّه لوالده.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٣٥١).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٠٥٢)، ومسلم (٧١٥) أحمد (٣/ ٣٠٨) واللفظ له.

• ويقولُ جابرٌ ﷺ: (قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «**تَزَوَّجْتَ يَا جَابِرُ؟**»

فَقُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ: «**بِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا**».

قُلْتُ: بَلْ ثَيِّبًا، قَالَ: «**فَهَلَّا جَارِيَةً تُلاَعِبُهَا وَتُلاَعِبُكَ وَتُضَاحِكُهَا وَتُضَاحِكُكَ؟!**».

فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ عَبْدَ الله -وهو والدُه- هَلَكَ- أي مات- وَتَرَكَ بَنَاتٍ، وَإِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَجِيئَهُنَّ بِمِثْلِهِنَّ، فَتَزَوَّجْتُ امْرَأَةً تَقُومُ عَلَيْهِنَّ وَتُصْلِحُهُنَّ. فَقَالَ: «**بَارَكَ الله لَكَ، أَوْ خَيْرًا**»)[1].

ويظهر لنا برّ جابرٍ بوالدِهِ بعد موتِهِ من حرصِه على قضاءِ الدّينِ عن والدِهِ.

• يقولُ جابر ﷺ: (انْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فِي دَيْنٍ كَانَ عَلَى أَبِي، فَأَتَيْتُهُ كَأَنِّي شَرَارَةٌ)[2].

• يقول جابرٌ ﷺ: (إنّ أبي توفي وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، فَأَتَيْتُ رسولَ الله ﷺ وقُلْتُ له: إِنَّ أَبِي تُوفِي وعَلَيْهِ دَيْنٌ، وَلَيْسَ عِنْدِي إِلاَّ مَا يُخْرِجُ نَخْلُهُ، فَلاَ يَبْلُغُ مَا يُخْرِجُ سِنِينَ مَا عَلَيْهِ -أي: في مدة سنين ما عليه منَ الدينِ- فَانْطَلِقْ مَعِي لِكَيْ لاَ يُفْحِشَ عَلَيَّ الْغُرَمَاءُ.

فَمَشَى حَوْلَ بَيْدَرٍ مِنْ بَيَادِرِ التَّمْرِ، ثُمَّ دَعَا وَجَلَسَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَيْنَ غُرَمَاؤُهُ؟ فَأَوْفَاهُمُ الَّذِي لَهُمْ، وَبَقِيَ مِثْلُ الَّذِي أَعْطَاهُمْ)[3].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٣٦٧)، ومسلم (٧١٥) واللفظ للبخاري.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٢٩٧) والطيالسي (١٧٨٠) واللفظ لأحمد [«محققو المسند»].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٥٨٠)، وأحمد (٣/ ٣٦٥) واللفظ له.

خامساً: ومن مناقبِهِ رضي الله عنه قُربُه منْ رسولِ اللهِ ﷺ.

كان جابرُ بنُ عبدِ اللهِ رضي الله عنه قريباً جداً من رسولِ اللهِ ﷺ في سفرِه وحضرِه، ويظهرُ ذلكَ من قولِ جابرٍ رضي الله عنه: سافرْنا معَ رسولِ اللهِ ﷺ، غزَوْنا مع رسولِ اللهِ ﷺ، رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ، سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ.. الخ.

ولذلكَ فقد حفظَ لنا جابرٌ رضي الله عنه علماً كثيراً عن رسولِ اللهِ ﷺ، ومن الأمثلةِ على ذلكَ:

١- يقولُ جابرٌ رضي الله عنه: (سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَ يَقُولُ: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ**»)[1].

٢- ويقولُ جابرٌ رضي الله عنه: (أَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِتَبُوكَ عِشْرِينَ يَوْمًا يَقْصُرُ الصَّلَاةَ)[2].

٣- ويقولُ جابرٌ رضي الله عنه: (خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُهِلِّينَ بِالْحَجِّ مَعَنَا النِّسَاءُ وَالْوِلْدَانُ...)[3].

فوصفَ لنا جابرٌ حَجةَ النبيِّ ﷺ كأنكَ تراها رأيَ العين، وهذا يدلُّ على قربهِ من رسول اللهِ ﷺ.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٧٧).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (١٢٣٥)، وأحمد (٣/ ٢٩٥) وعبد بن حميد (١١٣٩)، [«إرواء الغليل» (٥٧٤)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٢١٣).

٤- ويقولُ جابرٌ ﵁: (أَكَلْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ خُبْزًا وَلَحْمًا فَصَلَّوْا، وَلَمْ يَتَوَضَّؤوا)[(١)].

٥- (أَخْبَرَ جابر بن عبدِ الله ﵁ أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ غَزْوَةً قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ الله ﷺ، قَفَلَ مَعَهُمْ، فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ يَوْمًا فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاةِ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْعِضَاةِ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، وَنَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَسْتَظِلُّ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ، فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ.

قَالَ جَابِرٌ: فَنِمْنَا بِهَا نَوْمَةً، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَدْعُونَا فَأَتَيْنَاهُ، فَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ جَالِسٌ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفَهُ، وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقَظْتُ، وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟

فَقُلْتُ: اللهُ! فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلْتُ: اللهُ!

فَشَامَ سَيْفَه -أي أَغْمَدَهُ- وَجَلَسَ، فَلَمْ يُعَاقِبْهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ)[(٢)].

٦- ويقولُ جابرٌ ﵁: (كُنَّا جلوساً عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَخَطَّ خَطًّا هكذا أمامه، فَقَالَ: هَذَا سَبِيلُ الله، وَخَطَّيْنِ عَنْ يَمِينِهِ، وَخَطَّيْنِ عَنْ شِمالِهِ، قال: هذه

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٤٨٩)، وأحمد (٣/ ٣٠٤)، وأبو يعلى (١٩٦٣) واللفظ لأحمد [«صحيح أبي داود» (١٨٥)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٩١٠)، ومسلم (٨٤٣)، وأحمد (٣/ ٣١١) واللفظ له.

سُبلُ الشيطانِ، ثُمَّ وَضعَ يَدَهُ فِي الْخَطِّ الأَوْسَطِ، ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام:١٥٣])[1].

أما مواقفُه فهي كثيرةٌ جداً، نذكرُ منها موقفاً واحداً فقط، وهو كرمُه في غزوةِ الخندقِ.

• يقولُ جابرٌ رضي الله عنه: (إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاؤُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدَقِ، فَقَالَ: «**أَنَا نَازِلٌ**»، ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لاَ نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِعْوَلَ، فَضَرَبَ فَعَادَ كَثِيبًا -أي صارَ رملاً سائلاً- أَهْيَلَ، أَوْ أَهْيَمَ.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! ائْذَنْ لِي إِلَى الْبَيْتِ.

فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ، فَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟

قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ، فَذَبَحَتِ الْعَنَاقَ، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ - أي في القِدْرِ من الحَجَرِ- ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْعَجِينُ قَدِ انْكَسَرَ، وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الأَثَافِيِّ قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ.

فَقُلْتُ: طُعَيِّمٌ لِي فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلاَنِ.

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١١)، وأحمد (٣/ ٣٩٧)، وعبد بن حميد (١١٤١) واللفظ لابن ماجه [«ظلال الجنة» (١٦)].

قَالَ: «**كَمْ هُوَ؟**» فَذَكَرْتُ لَهُ.

قَالَ: «**كَثِيرٌ طَيِّبٌ**» قَالَ: «**قُلْ لَهَا لاَ تَنْزِعُ الْبُرْمَةَ وَلاَ الْـخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ حَتَّى آتِيَ**».

فَقَالَ: «**قُومُوا**».

فَقَامَ الْـمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ، فَلَـمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ، قَالَ: وَيْحَكِ، جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْـمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ.

قَالَتْ: هَلْ سَأَلَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ ﷺ: «**ادْخُلُوا وَلاَ تَضَاغَطُوا**».

فَجَعَلَ يَكْسِرُ الْخُبْزَ وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ الْبُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الْخُبْزَ وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا، وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قَالَ: كُلِي هَذَا وَأَهْدِي فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ)[1].

ومنَ الأدلةِ على كرمهِ رضي الله عنه.

• يقولُ جابرٌ: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَسْتَعِينُهُ فِي دَيْنٍ كَانَ عَلَى أَبِي، قَالَ: فَقَالَ: آتِيكُمْ، قَالَ: فَرَجَعْتُ، فَقُلْتُ لِلْمَرْأَةِ: لَا تُكَلِّمِي رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَلَا تَسْأَلِيهِ.

قَالَ: فَأَتَانَا فَذَبَحْنَا لَهُ دَاجِنًا كَانَ لَنَا.

فَقَالَ: «**يَا جَابِرُ! كَأَنَّكُمْ عَرَفْتُمْ حُبَّنَا لِلَّحْمَ!**»

قَالَ: فَلَـمَّا خَرَجَ، قَالَتْ لَهُ الْـمَرْأَةُ: صَلِّ عَلَيَّ وَعَلَى زَوْجِي -أَوْ صَلِّ عَلَيْنَا-

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤١٠١).

قَالَ: فَقَالَ: «**اللهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِمْ**»، قَالَ: فَقُلْتُ لَهَا: أَلَيْسَ قَدْ نَهَيْتُكِ؟

قَالَتْ: تَرَى رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَدْخُلُ عَلَيْنَا، وَلَا يَدْعُو لَنَا!)[1].

• هذا جابرُ بنُ عبدِ الله الصحابيُّ الجليلُ.

أما أبوه فقد أخبر النبيُّ ﷺ أن الله كلَّمه كِفاحاً وقال له: تمنّ أُعطِك.

• عن جابرٍ رضي الله عنه قال: (لَقِيَنِي النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ لِي:

«**يَا جَابِرُ! مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟**»

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! اسْتُشْهِدَ أَبِي، وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا!

فَقَالَ: «**أَلاَ أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللهُ أَبَاكَ؟!**»

قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ!

قَالَ: «**مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا قَطُّ إِلاَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَإِنَّ اللهَ أَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا، فَقَالَ: يَا عَبْدِي! تَمَنَّ، أُعْطِكَ، قَالَ: تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ قَتْلَةً ثَانِيَةً، قَالَ اللهُ: إِنِّي قَضَيْتُ أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾** [آل عمران]»)[2].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٣٠٣)، وابن حبان (٩٨٤) واللفظ لأحمد [«محققو المسند»].

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٣٠١٠)، وابن ماجه (١٩٠)، وابن حبان (٧٠٢٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٦١)].

• وأخبرَ ﷺ أن الملائكةَ كانت تُظِلُّه بأجنحتِها بعد استشهادِه في غزوةِ أُحدٍ.

قال جابرُ بنُ عبدِ الله رضي الله عنهما: (جِيءَ بِأَبِي يَوْمَ أُحُدٍ -قَدْ مُثِّلَ بِهِ- حَتَّى وُضِعَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ وَقَدْ سُجِّيَ ثَوْبًا، فَذَهَبْتُ أُرِيدُ أَنْ أَكْشِفَ عَنْهُ فَنهَانِي قَوْمِي ثُمَّ ذَهَبْتُ أَكْشِفُ عَنْهُ، فَنَهَانِي قَوْمِي، فَأَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ فَرُفِعَ، فَسَمِعَ صَوْتَ صَائِحَةٍ فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ فَقَالُوا ابْنَةُ عَمْرٍو، -أَوْ أُخْتُ عَمْرٍو- قَالَ فَلِمَ تَبْكِي؟ إبكي أو لاَ تَبْكِي، فَمَا زَالَتِ المَلاَئِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رُفِعَ)[1].

اللهمُ رُدَّ المسلمين إلى دينك رداً جميلاً.

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٩٣)، ومسلم (٢٤٧١) واللفظ للبخاري.

٤١

أبو طلحةَ الأنصاريِّ رضي الله عنه

عبادَ الله! يقولُ الله عز وجل في كتابـه: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾ [الأحزاب].

وهؤلاءِ الرجالُ همْ أصحابُ محمدٍ ﷺ، قومٌ اختارهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّه، ونصرةِ دينِهِ، حبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ.

• يقولُ ﷺ: «**الأَنْصَارُ لاَ يُحِبُّهُمْ إِلاَّ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يُبْغِضُهُمْ إِلاَّ مُنَافِقٌ فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ الله، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ الله**»(١).

• وقال ﷺ: «**مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(٢).

موعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى معَ رجلٍ مِنْ هؤلاءِ الرجالِ، وصحابيٍّ مِنَ الصحبِ الكرامِ.. أتدرونَ مَنْ هو يا عبادَ الله؟

إنه: **أبو طلحةَ الأنصاريُّ** رضي الله عنه .. أتعرفونَه يا أمةَ الإسلامِ؟

هو زيدُ بنُ سهلِ بنِ النجارِ الأنصاريُّ الخزرجيُّ.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥).

(٢) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٢٧٠٩)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٣٤٠)].

صاحبُ رسولِ الله ﷺ وأحدُ أعيانِ البَدريين.

هو أبو طلحةَ الأنصاريُّ رضي الله عنه المشتهرُ بكُنيته.

وحديثُنا عن أبي طلحةَ الأنصاريِّ رضي الله عنه سيكونُ عنْ إسلامِهِ ومناقبهِ ومواقفهِ.

أما إسلامُه رضي الله عنه .

يقولُ أنسٌ رضي الله عنه قالَ: مالكٌ -وهو أبو أنسٍ- لامرأتِه أمِّ سُليمٍ -وهي أمُّ أنسٍ-: (إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ -يَعْنِى النَّبِيَّ ﷺ- يُحَرِّمُ الْخَمْرَ، فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى الشَّامَ فَهَلَكَ هُنَاكَ.

فَجَاءَ أَبُو طَلْحَةَ فَخَطَبَ أُمَّ سُلَيْمٍ، فَكَلَّمَهَا فِى ذَلِكَ

فَقَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ مَا مِثْلُكَ يُرَدُّ، وَلَكِنَّكَ امْرُؤٌ كَافِرٌ، وَأَنَا امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ لاَ يَصْلُحُ لِي أَنْ أَتَزَوَّجَكَ.

فقَالَ أبو طلحةَ: وَمَا ذَاكِ دَهْرُكِ.

قَالَتْ: وَمَا دَهْرِي؟

قَالَ: الصَّفْرَاءُ والْبِيضَاءُ -يعني الذهبَ والفضةَ-

قالتْ أمُّ سليمٍ: فَإِنِّى لاَ أُرِيدُ صَفْرَاءَ وَلاَ بَيْضَاءَ، أُرِيدُ مِنْكَ الإِسْلاَمَ، فإن تُسلِم فذاكَ مهري، ولا أسألك غيرَه

قَالَ أبو طلحةَ: فَمَنْ لِى بِذَلِكَ؟

قَالَتْ: لَكَ بِذَلِكَ رَسُولُ الله ﷺ؟

فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ يُرِيدُ النَّبِيَّ ﷺ، وَرَسُولُ الله ﷺ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ.

فَلَمَّا رَآهُ قَالَ ﷺ: جَاءَكُمْ أَبُو طَلْحَةَ غُرَّةُ الإِسْلَامِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ. فَأَخْبَرَ رسولَ الله ﷺ بِمَا قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ فَتَزَوَّجَهَا عَلَى ذَلِكَ.

قَالَ ثَابِتٌ -وهو الراوي عن أنسٍ-: فَمَا سمعنا بمَهْرٍ كَانَ قطُّ أَكرمَ مِنْ مهرِ أمِّ سليمٍ: الإسلامُ)[1].

أما مناقبُه رضي الله عنه فهي كثيرةٌ جداً منها.

أولاً: أنه رضي الله عنه كانَ رجلاً شجاعاً، مِقداماً في أرضِ المعركةِ، جاهدَ في سبيلِ الله شاباً وشيخاً.

• في غزوةِ بدرٍ:

يقول أبو طلحةَ رضي الله عنه: (لَقَدْ سَقَطَ السَّيْفُ مِنِّي يَوْمَ بَدْرٍ، لِمَا غَشِيَنَا مِنَ النُّعَاسِ)[2].

• في غزوةِ أحدٍ:

يقولُ أنسٌ رضي الله عنه: (كَانَ أبو طلحة يَرْمِي بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكَانَ رَجُلاً رَامِيًا)[3].

(١) **صحيح**: رواه الطيالسي (٢٠٥٦) والبيهقي في «السنن» (٤/ ٦٥)، [«أحكام الجنائز» (ص ٢٤)].

(٢) **صحيح**: رواه أبو يعلى (١٤٢٨) وأصله عند البخاري (٣٨١١)، ومسلم (١٨١١).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٠٦٤)، ومسلم (١٨١١) وعبد بن حميد (١٣٤٧) واللفظ له.

• وفي غزوةِ حنينٍ:

يقول أنسٌ ﷺ: (قَالَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ: «**مَنْ قَتَلَ رجلاً -أي كَافِرًا- فَلَهُ سَلَبُهُ**». فَقَتَلَ أَبُو طَلْحَةَ يَوْمَئِذٍ عِشْرِينَ رَجُلاً، وَأَخَذَ أَسْلاَبَهُمْ)[1].

• وقال ﷺ: «**صَوْتُ أَبِي طَلْحَةَ فِي الْـجَيْشِ خَيْرٌ مِنْ فِئَةٍ**» وَكَانَ أبو طلحة يَجْثُو بَيْنَ يَدَيْهِ -أي النبي ﷺ- فِي الْـحَرْبِ ثُـمَّ يَنْثُرُ كِنَانَتَهُ، وَيَقُولُ: وَجْهِي لِوَجْهِكَ الْوِقَاءُ، وَنَفْسِي لِنَفْسِكَ الْفِدَاءُ[2].

• وقالَ ﷺ: «**لَصَوْتُ أَبِي طَلْحَةَ أَشَدُّ عَلَى الْـمُشْرِكِينَ مِنْ فِئَةٍ**»[3].

• وقالَ ﷺ: «**لَصَوْتُ أَبِي طَلْحَةَ فِي الْـجَيْشِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ**»[4].

• وعن أنسٍ ﷺ: (أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ قَرَأَ سُورَةَ بَرَاءَةٍ فَأَتَى عَلَى هَذِهِ الآيَةِ ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة:٤١] فَقَالَ: أَلاَ أَرَى رَبِّي يَسْتَنْفِرُنِي شَابًّا وَشَيْخًا؟! جَهِّزُونِي.

فَقَالَ لَهُ بَنُوهُ: قَدْ غَزَوْتَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ حَتَّى قُبِضَ.

وَغَزَوْتَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى مَاتَ، وَغَزَوْتَ مَعَ عُمَرَ.

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٧١٨)، والدارمي (٢٤٨٤) وأحمد (٣/ ١٢٣)، [«إرواء الغليل» (١٢٢١)].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٢٦١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٠٢)، وأبو يعلى (٣٩٨٣)، [«محقق المسند»].

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ١١١)، وعبد بن حميد (١٣٨٤)، [«السلسلة الصحيحة» (١٩١٦)].

(٤) **صحيح**: رواه الحاكم (٥٥٠٣)، [«صحيح الجامع» (٥٠٨١)].

فَنَحْنُ نَغْزُو عَنْكَ!

فَقَالَ: جَهِّزُونِي، فَجَهَّزُوهُ.

ورَكِبَ الْبَحْرَ فَمَاتَ، فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ جَزِيرَةً يَدْفِنُوهُ فِيهَا إِلاَّ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، فَلَمْ يَتَغَيَّرْ)[1].

قال تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء].

ثانياً: ومن مناقبه رضي الله عنه أنه كان كريماً.

• يقولُ أنسٌ رضي الله عنه: (بَعَثَنِي أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لِأَدْعُوَهُ، وَقَدْ جَعَلَ طَعَامًا، فَأَقْبَلْتُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَ النَّاسِ.

قال: فَنَظَرَ إِلَيَّ فَاسْتَحْيَيْتُ.

فَقُلْتُ: أَجِبْ أَبَا طَلْحَةَ.

فَقَالَ ﷺ لِلنَّاسِ: «**قُومُوا**».

فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّمَا صَنَعْتُ لَكَ شَيْئًا.

قَالَ: فَمَسَّهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَدَعَا فِيهَا بِالْبَرَكَةِ.

---

(١) **صحيح**: رواه أبو يعلى (٣٤١٣)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٨٨٩)، والحاكم (٥٥٠٨)، [«صحيح موارد الظمآن» (١٨٩٧)].

ثُمَّ قَالَ: «**أَدْخِلْ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِي، عَشَرَةً**».

فقال ﷺ: «**كُلُوا**»، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، وخَرَجُوا.

فَقَالَ: «**أَدْخِلْ عَشَرَةً**» فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا.

فَمَا زَالَ يُدْخِلُ عَشَرَةً، وَيُخْرِجُ عَشَرَةً، حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ فَأَكَلَ حَتَّى شَبِعَ، ثُمَّ هَيَّأَهَا، فَإِذَا هِيَ مِثْلُهَا حِينَ أَكَلُوا مِنْهَا)[1].

ثالثاً: ومن مناقبهِ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ أعطاه نصفَ شعرِ رأسهِ عندما حلَقَ في حجةِ الوداعِ.

• يقول أنسٌ رضي الله عنه: (لَـمَّا رَمَى رَسُولُ الله ﷺ الجَمْرَةَ وَنَحَرَ نُسُكَهُ وَحَلَقَ نَاوَلَ الحَالِقَ شِقَّهُ الْأَيْمَنَ فَحَلَقَهُ، ثُمَّ دَعَا أَبَا طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيَّ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، ثُمَّ نَاوَلَهُ الشِّقَّ الْأَيْسَرَ فَقَالَ: «**احْلِقْ**».

فَحَلَقَهُ فَأَعْطَاهُ أَبَا طَلْحَةَ. فَقَالَ: «**اقْسِمْهُ بَيْنَ النَّاسِ**»)[2].

رابعاً: ومنْ مناقبهِ رضي الله عنه أنه هو الذي لحدَ لرسولِ الله ﷺ في قَبرِه.

• يقول ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (لَـمَّا أَرَادُوا أَنْ يَحْفِرُوا لِرَسُولِ الله ﷺ، وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ يَضْرَحُ كَحَفْرِ أَهْلِ مَكَّةَ، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ يَحْفِرُ لِأَهْلِ الْـمَدِينَةِ فَكَانَ يَلْحَدُ.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٤٠).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٣٠٥).

فَدَعَا الْعَبَّاسُ رَجُلَيْنِ، فَقَالَ لأَحَدِهِمَا: اذْهَبْ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ.

وَلِلآخَرِ: اذْهَبْ إِلَى أَبِي طَلْحَةَ، اللهمَّ خِرْ لِرَسُولِكَ.

قَالَ: فَوَجَدَ صَاحِبُ أَبِي طَلْحَةَ أَبَا طَلْحَةَ فَجَاءَ بِهِ فَلَحَدَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ)[1].

وهذه منقبة عظيمةٌ لأبي طلحةَ الأنصاريِّ رضي الله عنه.

خامساً: ومن مناقبه رضي الله عنه أنه كان يُكثرُ منَ الصيامِ بعد وفاةِ النبيِّ ﷺ.

• يقول أنسٌ رضي الله عنه: (كَانَ أَبُو طَلْحَةَ لا يُكْثِرُ الصَّوْمَ – أي: للجهادِ- عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ كَانَ لَا يُفْطِرُ إِلَّا فِي سَفَرٍ، أَوْ مَرَضٍ)[2].

• ويقولُ أنسٌ رضي الله عنه: (كَانَ أَبُو طَلْحَةَ لاَ يَصُومُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ -أي صومَ نافلةٍ- مِنْ أَجْلِ الْغَزْوِ، فَلَمَّا قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ لَمْ أَرَهُ مُفْطِرًا إِلاَّ يَوْمَ فِطْرٍ أَوْ أَضْحَى)[3].

أما مواقفُه رضي الله عنه فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: موقفُه رضي الله عنه في الإنفاقِ في سبيلِ اللهِ.

• يقول أنسٌ رضي الله عنه: (كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءُ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

(١) **صحيح بشواهده**: رواه ابن ماجه (١٦٢٨)، وأحمد (١/ ٨) والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ٢٥٢)، [«محققو المسند»].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ١٠٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٨٩٠٤)، [«محققو المسند»].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٢٨٢٨).

يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢] قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢] وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءُ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لله أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ الله، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ الله حَيْثُ أَرَاكَ اللهُ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**بخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ! وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ**».

فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ الله!

فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ)(١).

فتعلّموا يا عبادَ الله كيفَ تتصدقونَ، وكيف تدخرون أحبَّ الأموالِ إلى أنفسِكم عند الله تعالى.

ثانياً: موقفُه رضي الله عنه عندما حرّمَ اللهُ الخمرَ.

• يقولُ أنسٌ رضي الله عنه: (كُنْتُ سَاقِيَ الْقَوْمِ يَوْمَ حُرِّمَتِ الْخَمْرُ، قَالَ: وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ قَدِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ.

فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٦١)، ومسلم (٩٩٨) واللفظ للبخاري.

قَالَ: فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: اخْرُجْ فَانْظُرْ

قَالَ أنسٌ: فَخَرَجْتُ فَنَظَرْتُ، فَسَمِعْتُ مُنَادِيًا يُنَادِي: أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ.

قَالَ أنسٌ: فَأَخْبَرْتُهُ.

قَالَ أبو طلحةَ: اذْهَبْ فَأَهْرِقْهَا

قَالَ أنسٌ: فَجِئْتُ فَأَهْرَقْتُهَا)[1].

• وفي روايةٍ قالَ أنسٌ: (..فَمَا قَالُوا: حَتَّى نَنْظُرَ وَنَسْأَلَ، فَقَالُوا: يَا أَنَسُ! أَكْفِئْ مَا بَقِيَ فِي إِنَائِكَ، قَالَ أنسٌ: فَوَاللهِ مَا عَادُوا فِيهَا..)[2].

• ويقولُ أنسٌ رضي الله عنه: سأَلَ أبو طلحةَ رسولَ اللهِ ﷺ عَنْ أَيْتَامٍ وَرِثُوا خَمْرًا، فَقَالَ: أَهْرِقْهَا! قَالَ أبو طلحةَ: أَفَلَا نَجْعَلُهَا خَلًّا؟ قَالَ ﷺ: «**لَا**»)[3].

• ألم أقلْ لكم أنهم رجالٌ اختارَهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّهِ، ونصرةِ دينِهِ؟

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٥١﴾ [النور].

فرضيَ اللهُ عنكَ يا أبا طلحةَ ورضي اللهُ عن صحابةِ رسولِ اللهِ ﷺ وجمَعنا اللهُ بكَ معَ رسولِنا ﷺ في جناتِ النعيمِ.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤٦٤)، ومسلم (١٩٨٠) وأحمد (٣/ ٢٢٧) واللفظ له.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ١٨١)، [«محققو المسند»].

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٦٧٥)، وأحمد (٣/ ١١٩)، وأبو يعلى (٤٠٥١)، [«صحيح الترمذي» (١٣١٧)].

ثالثاً: موقفُه رضي الله عنه هو وزوجتُه أمُّ سليمٍ في الصبرِ على موتِ وَلَدَيْهما.

• يقولُ أنسٌ رضي الله عنه: (اشْتَكَى ابْنٌ لأَبِي طَلْحَةَ فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى الْـمَسْجِدِ، فَتُوُفِّيَ الْغُلاَمُ، فَهَيَّأَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ الْـمَيِّتَ.

وَقَالَتْ لأَهْلِهَا: لاَ يُخْبِرَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ أَبَا طَلْحَةَ بِوَفَاةِ ابْنِهِ.

فَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ وَمَعَهُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْمَسْجِدِ مِنْ أَصْحَابِهِ.

قَالَ: مَا فَعَلَ الْغُلاَمُ؟ قَالَتْ: خَيْرُ مَا كَانَ

فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِمْ عَشَاءَهُمْ، فَتَعَشَّوْا وَخَرَجَ الْقَوْمُ.

وَقَامَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى مَا تَقُومُ إِلَيْهِ الْمَرْأَةُ -أي لزوجِها- فأصاب منها،

فَلَـمَّا كَانَ آخِرَ اللَّيْلِ، قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، أَلَمْ تَرَ إِلَى آلِ فُلاَنٍ اسْتَعَارُوا عَارِيَةً فَتَمَتَّعُوا بِهَا، فَلَـمَّا طُلِبَتْ كَأَنَّهُمْ كَرِهُوا ذَاكَ.

قَالَ: مَا أَنْصَفُوا!

قَالَتْ: فَإِنَّ ابْنَكَ كَانَ عَارِيَةً مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَإِنَّ اللهَ قَبَضَهُ.

فَاسْتَرْجَعَ وَحَمِدَ اللهَ -وهذا هو الشاهدُ- فَلَـمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم.

فَلَـمَّا رَآهُ قَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا فَحَمَلَتْ بِعَبْدِ اللهِ...)[1].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٠١)، ومسلم (٢١٤٤)، وأحمد (٣/ ١٠٥) واللفظ له.

يقولُ الراوي رأينا أنَّه خرجَ من صُلِب هذا الغلامِ عشرةٌ يحفظونَ كتابَ الله ببركة دعاءِ النبيِّ ﷺ.

رابعاً: موقفُه رضي الله عنه في غزوة أحدٍ حيثُ يُظهِرُ فيه الشجاعةَ والإقدامَ، والتضحيةَ والدفاعَ عنْ رسولِ الله ﷺ.

• يقول أنسٌ رضي الله عنه: (لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَي النَّبِيِّ ﷺ مُجَوِّبٌ -أي: مسترٌ عليه- أي: يستره- بِحَجَفَةٍ لَهُ - أي: بترسٍ من جلدٍ-.

وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلاً رَامِيًا شَدِيدَ النزع، كسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ، أَوْ ثَلاَثًا.

وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ بجعبةٍ -الجُعبة : الكنانة- مِنَ النَّبْلِ فَيَقُولُ -أي: النبيُّ ﷺ- «**انْثُرْهَا لأَبِي طَلْحَةَ**»، ويُشرفُ النَّبِيُّ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ، فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! لاَ تُشْرِفْ؛ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ يا رسولَ الله...) الحديث[1].

هؤلاءِ همُ الرجالُ! ولذلك أمَرَنا اللهُ تعالى أن نسلُكَ سبيلَهم، وأن نكونَ مثلَهم وأن نتشبهَ بهم. فهنيئاً لمنْ سلكَ سبيلَ هؤلاءِ؛ الذين تَرَبَّوا على يدِ رسولِ الله ﷺ، واعتزوا بالإسلامِ، فأعزهُمُ اللهُ بِه.

• وعن أنسٍ رضي الله عنه: (أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ كَانَ يَرْمِي بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ -أي في غزوةِ أُحدٍ- فَكَانَ رسولُ الله ﷺ يَرْفَعُ رَأْسَهُ مِنْ خَلْفِهِ، لِيَنْظُرَ أَيْنَ يَقَعُ نَبْلُهُ.

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨١١)، ومسلم (١٨١١) واللفظ للبخاري.

فَيَتَطَاوَلُ أَبُو طَلْحَةَ بِصَدْرِهِ؛ يَتَّقِي بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ؛ يَقُولُ: هَكَذَا يَا نَبِيَّ اللهِ! جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ)[1].

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً.

(١) **صحيح**: رواه أبو يعلى (٣٧٧٨)، وابن حبان (٤٥٨٢) واللفظ له [«صحيح موارد الظمآن» (١٨٩٦)].

٤٢

أنسُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه

عبادَ الله! قال تعالى في وصفِ أصحابِ محمدٍ ﷺ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحُجُرات].

فأصحابُ محمدٍ ﷺ همُ الرجال، وهمُ الصادقون، وهم المؤمنون حقاً، قومٌ اختارَهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّه، ولنصرةِ دينِه.

حبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ.

وموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى معَ رجلٍ منْ هؤلاءِ الرجالِ، وصحابيٍّ من الصحبِ الكرامِ .. أتدرونَ مَنْ هو يا عبادَ الله؟

إنه: أنسُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه .. أتعرفونَه يا أمةَ الإسلامِ؟

هو أنسُ بنُ مالكٍ الأنصاريُّ الخزرجيُّ البخاريُّ المدنيُّ.

أبو حمزةَ، المحدّثُ، المقرئُ، راويةُ الإسلامِ الإمامُ، المفتي.

خادمُ رسولِ الله ﷺ، وآخرُ الصحابةِ موتاً.

أمُّهُ: أم سُلَيم رضي الله عنها التي بشرَها النبيُّ ﷺ بالجنةِ فقالَ: «**أُرِيتُ الْـجَنَّةَ فَرَأَيْـتُ امْرَأَةَ أَبِي طَلْحَةَ..**» الحديث[1].

أخوهُ: البراءُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه الذي كانَ إذا أقسمَ على الله أبرَّ قَسَمه.

قال ﷺ: «**كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، ذِي طِمْـرَيْنِ، لاَ يُؤْبَـهُ لَـهُ لَـوْ أَقْـسَمَ عَـلَى اللهِ لأَبَرَّهُ؛ مِنْهُمُ البَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ**»[2].

وزوجُ أمه: أبو طلحةَ الأنصاريُّ رضي الله عنه.

وحديثُنا عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه سيكونُ عن مناقبِهِ ومواعظِهِ.

• أما مناقبهُ فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: إنه رضي الله عنه كان خادماً لرسولِ الله ﷺ عشرَ سنين.

خدمَ أنسُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه رسولَ الله ﷺ عشرَ سنينَ، منـذ أنْ هـاجرَ النبـيُّ ﷺ إلى أن ماتَ ﷺ.

• يقول أنسٌ رضي الله عنه: (قَدِمَ رسولُ الله ﷺ الْـمَدِينَةَ وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ سـنِينَ، وَمَـاتَ ﷺ وَأَنَا ابْنُ عِشْرِينَ سنةٍ، وَكُنَّ أُمَّهَاتِي يَحُثُّنَنِي عَلَى خِدْمَةِ رسولِ الله ﷺ)[3].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٥٧).

(٢) **حسن صحيح**: رواه الترمذي (٣٨٥٤)، وأبو يعلى (٣٩٨٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٠٨٣)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥١٦٦)، ومسلم (٢٠٢٩) واللفظ له.

• ويقول أنسٌ ﵁: (مَا مَسِسْتُ دِيبَاجًا وَلاَ حَرِيرًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رسولِ الله ﷺ، وَلاَ شَمِمْتُ رائحةً قَطُّ أَطْيَبَ مِنْ رائحةِ رسولِ الله ﷺ)(١).

• وقال أنسٌ ﵁: (لقد خَدَمْتُ رَسُولَ الله ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي قَطُّ: أُفٍّ، وَلَا قَالَ لِشَيْءٍ فعلتُه: لِمَ فَعَلْتَه؟ ولا لشيءٍ لم أفعله: ألا فَعَلْتَ كَذَا؟)(٢).

• وقال أنسٌ ﵁: (كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا)(٣).

• وقال أنسٌ ﵁: (كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ)(٤).

فصَحِبَ أنسٌ نبيّه ﷺ أتمّ الصحبةِ، ولازمَه أكمَل الملازَمةِ منذُ هاجرَ إلى أنْ ماتَ.

ثانياً: ومن مناقبه ﵁ أن النبيَّ ﷺ دعا له.

• يقول أنس ﵁: قالت أمُّ سليمٍ -وهي أمُّ أنسٍ- يَا رَسُولَ الله! خَادِمُكَ أَنَسٌ. ادْعُ اللهَ لَهُ.

فَقَالَ ﷺ: «**اللهمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ**»(٥).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٥٦١)، ومسلم (٢٣٣٠) واللفظ للبخاري.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٠٩) واللفظ له.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٢١٥٠).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨٢٠)، ومسلم (٢٣٠٧).

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٣٤٤)، ومسلم (٢٤٨٠).

• ويقول أنسٌ رضي الله عنه: (جَاءَتْ بِي أُمِّي، أُمُّ أَنَسٍ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَقَدْ أَزَّرَتْنِي بِنِصْفِ خِمَارِهَا وَرَدَّتْنِي بِنِصْفِهِ.

فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله! هَذَا أُنَيْسٌ، ابْنِي، أَتَيْتُكَ بِهِ يَخْدُمُكَ، فَادْعُ اللهَ لَهُ. فَقَالَ ﷺ: «**اللهمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ**».

قَالَ أَنَسٌ: فَوَالله! إِنَّ مَالِي لَكَثِيرٌ، وَإِنَّ وَلَدِي وَوَلَدَ وَلَدِي لَيَتَعَادُّونَ -أي يبلغ عددهم- عَلَى نَحْوِ الْمِائَةِ الْيَوْمَ)[1].

• ويقولُ أنسٌ رضي الله عنه (دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أُمِّ سُلَيْمٍ، فَأَتَتْهُ بِتَمْرٍ وَسَمْنٍ، فقَالَ ﷺ: «**أَعِيدُوا سَمْنَكُمْ فِي سِقَائِهِ، وَتَمْرَكُمْ فِي وِعَائِهِ فَإِنِّي صَائِمٌ**».

ثُمَّ قَامَ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ الْبَيْتِ فَصَلَّى غَيْرَ الْمَكْتُوبَةِ.

فَدَعَا لأُمِّ سُلَيْمٍ وَأَهْلِ بَيْتِهَا.

فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا رَسُولَ الله! إِنَّ لِي خُوَيْصَةً -أي الذي يختصُّ بخدْمتِكَ-

قَالَ ﷺ: «**مَا هِيَ؟**»

قَالَتْ: خَادِمُكَ أَنَسٌ.

يقول أنسٌ: فَمَا تَرَكَ ﷺ خَيْرَ آخِرَةٍ وَلاَ دُنْيَا إِلاَّ دَعَا لِي بِهِ.

قَالَ ﷺ: «**اللهمَّ ارْزُقْهُ مَالاً وَوَلَدًا وَبَارِكْ لَهُ**».

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٨١).

يقول أنسٌ: فَإِنِّي لَمِنْ أَكْثَرِ الأَنْصَارِ مَالاً، وَحَدَّثَتْنِي ابْنَتِي أُمَيْنَةُ أَنَّهُ دُفِنَ لِصُلْبِي مَقْدَمَ الحَجَّاجِ الْبَصْرَةَ بِضْعٌ وَعِشْرُونَ وَمِائَةٌ)[1].

• ويقولُ أبو العاليةِ عن أنسٍ رضي الله عنه: (خَدَمَ النبيُّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ وَدَعَا لَهُ، وَكَانَ لَهُ بُسْتَانٌ يَحْمِلُ فِي السَّنَةِ الفَاكِهَةَ مَرَّتَيْنِ، وَكَانَ فِيهَا رَيْحَانٌ يَجِيءُ مِنْهُ رِيحُ الْمِسْكِ)[2].

ثالثاً: ومن مناقبِهِ رضي الله عنه صُحبتهُ وقربُه من النبي ﷺ.

أنسُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه صحبَ وخدمَ النبيَّ ﷺ عشرَ سنواتٍ كاملاتٍ، نهلَ فيها من هديهِ ما زكّى به نفسَه، ووعى من حديثِهِ ما ملأَ به صدرَه، وعرفَ مِنْ أحوالِ النبيِّ ﷺ وأخبارِه وأسرارِه وشمائِلِه ما لم يعرفْه أحدٌ سواه.

ومنَ الأمثلةِ على ذلكَ:

١- كانَ النبيُّ ﷺ يخصُّه ببعضِ العلمِ. فلقد نقلَ أنسٌ عنِ النبيِّ ﷺ أنه طافَ على تسعِ نسوةٍ -أي من نسائهِ- في ضَحْوةٍ بغُسْلٍ واحدٍ.

• قال أنسٌ رضي الله عنه: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ.

قَالَ: قُلْتُ لأَنَسٍ أَوَكَانَ يُطِيقُهُ؟

قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلاثِينَ.

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٩٨٢).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٨٣٣)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٢٤١)].

وَقَالَ سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ إِنَّ أَنَسًا حَدَّثَهُمْ: تِسْعُ نِسْوَةٍ)[1].

٢- كان النبيُّ ﷺ يخصّه ببعضِ الأسرارِ.

• يقولُ أنسٌ رضي الله عنه: (أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ.

قَالَ: فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ، فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي.

فَلَمَّا جِئْتُ، قَالَتْ مَا حَبَسَكَ؟ قُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحَاجَةٍ.

قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟

قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ. قَالَتْ: لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَدًا. قَالَ أَنَسٌ: وَاللهِ! لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا لَحَدَّثْتُكَ يَا ثَابِتُ!)[2].

• ويقولُ أنسٌ رضي الله عنه: (أَسَرَّ إِلَيَّ نَبِيُّ اللهِ ﷺ سِرًّا، فَمَا أَخْبَرْتُ بِهِ أَحَدًا بَعْدُ، وَلَقَدْ سَأَلَتْنِي عَنْهُ أُمُّ سُلَيْمٍ -وهي أمُّه- فَمَا أَخْبَرْتُهَا بِهِ)[3].

تعلَّموا يا عبادَ الله كيفَ يحفظُ الإنسانُ السرَّ مِنْ أنسِ بنِ مالكٍ؛ فنحنُ في زمانٍ المرأةُ تُفشي سرّ زوجِها -بل ما يكونُ في غرفتها بينَها وبينَ زوجِها- للنساءِ، وكذلك الرجلُ.

٣- وكانَ رضي الله عنه أعلمَ الناسِ بصفاتِ رسولِ الله ﷺ لقربِه منه.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٦٨).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٨٢).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٨٢).

• يقولُ أنسٌ رضي الله عنه: (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّـاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ....الحديث)[1].

٤- كانَ أعلمَ الناسِ بشأن الحجابِ حين أُنزِلَ على رسولِ الله ﷺ.

• يقولُ أنسٌ رضي الله عنه: (...فَكُنْتُ أَعْلَمَ النَّاسِ بِشَأْنِ الْحِجَابِ حِينَ أُنْزِلَ، وَكَـانَ أَوَّلَ مَا أُنْزِلَ: ابتنى رَسُولُ اللهِ ﷺ بِزَيْنَبَ بنتِ جَحْشٍ، أَصْبَحَ رسولُ الله ﷺ بِهَا عَرُوسًا، فَدَعَا الْقَوْمَ، فَأَصَابُوا مِنَ الطَّعَامِ -وهي وليمة العُـرس- وفي هـذا دليـلٌ على أنَّ الوليمةَ تكونُ بعدَ العُرس - ثُمَّ خَرَجُوا، وَبَقِيَ رَهْطٌ مِنْهُمْ عِنْدَ رسـولِ الله ﷺ فَأَطَالُوا الْمُكْثَ، فَقَامَ رسولُ الله ﷺ فَخَرَجَ، وَخَرَجْتُ مَعَـهُ، لِكَـيْ يَخْرُجُـوا فَمَشَى رسولُ الله ﷺ، وَمَشَيْنا معه، حَتَّى جَاءَ عَتَبَةَ حُجْرَةِ عَائِـشَةَ وظَـنَّ رسـولُ الله ﷺ أَنَّهُمْ خَرَجُوا، فَرَجعَ وَرَجَعْتُ مَعَهُ فَإِذَا هُمْ قَدْ خَرَجُـوا، فَـضَرَبَ رسـولُ الله ﷺ بَيْنِي وَبَيْنَهُم بِسَتْرٍ وَأَنْزَلَ اللهُ عزوجل الْحِجَابَ)[2].

• ويقولُ أنسٌ رضي الله عنه: (لَـمَّا نَزَلَتْ آيَـةُ الْحِجَـابِ جِئْـتُ أو دخلـتُ كَـمَا كُنْـتُ أَدْخُلُ، فَقَالَ ﷺ: «**وَرَاءَكَ يَا بُنَيَّ**»)[3].

إنه الشرعُ، والأدبُ، والدينُ، إنه الفصلُ بينَ الرجالِ والنساءِ.

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨٢٠)، ومسلم (٢٣٠٧).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٥١٦٦).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ١٣٣)، وأبو يعلى (٤٢٧٦)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٩٥٧)].

لأنَّ الرسولَ ﷺ يقول: «**إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ!**» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قَالَ: «**الْحَمْوُ الْمَوْتُ!**»[1].

فلتكنِ النساءُ معَ النساءِ، والرجالُ معَ الرجالِ.

٥- وكانَ ﷺ قريباً منْ رسولِ الله ﷺ حتى في سكراتِ الموتِ.

• يقولُ أنسٌ ﷺ: (كَانَتْ عَامَّةُ وَصِيَّةِ رَسُولِ الله ﷺ حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ: «**الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ، الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**».

حَتَّى جَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يُغَرْغِرُ بِهَا صَدْرُهُ، وَمَا يَكَادُ يُفِيضُ -أي يُبين- بِهَا لِسَانُهُ)[2].

٦- بل كانَ ﷺ قريباً من رسولِ الله ﷺ حتى بعدَ موته، وعند وضعهِ في قبرِه.

تعالَوا بنا لنستمعَ إلى أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ وهو يخبرُنا عن اللحظاتِ الأخيرةِ من صحبتهِ لرسولِ الله ﷺ.

يقولُ أنسٌ: (لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ -يعني يتغشاه الكربُ مِنْ شدةِ سكراتِ الموتِ- فَقَالَتْ فَاطِمَةُ ﷺ: وَاكَرْبَ أَبَتَاهُ! فَقَالَ ﷺ لها: «**لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ**».

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢).

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢٦٩٧)، وأحمد (٣/ ١١٧)، والبزار (٧٠١٣، ٧٠١٤)، وأبو يعلى (٢٩٩٠)، [«السلسلة الصحيحة» (٨٦٨)].

فَلَـمَّا مَاتَ قَالَتْ: يَا أَبَتَاهْ! أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهْ! جَنَّةُ الْفِـرْدَوْسِ مَـأْوَاهُ، يَـا أَبَتَاهْ! إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ. فَلَـمَّا دُفِنَ، قَالَتْ فَاطِمَةُ ﵂: يا أنسُ! أَطَابَـتْ أَنْفُـسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ التُّرَابَ؟)[1].

• وعن أنسٍ ﵁ قالَ: (لَـمَّا كَانَ اليَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ الله ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَـمَّا كَانَ اليَوْمُ الَّذِي مَـاتَ فِيـهِ أَظْلَـمَ مِنْهَـا كُـلُّ شَيْءٍ، وَمَـا نَفَضْنَا أَيْدِيَنا عن الترابِ وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْتُ قُلُوبَنَا)[2].

فرضي الله عنك يا أنسُ! ورضيَ الله عن أصحابِ رسولِ الله ﷺ. وجَمعنا اللهُ بهم وبنبينا ﷺ في جناتِ النعيمِ.

أما مواعظُه ﵁ فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: موعظتُه في حفظِ اللسانِ.

• قال أنسٌ ﵁: (لاَ يَتَّقِي اللهَ عَبْدٌ حَتَّى يَخْزِنَ مِنْ لِسَانِهِ)[3]. -أي: لا يتقـي اللهَ عبدٌ حتى يسجِنَ لسانَه عن الخوضِ في الباطلِ-.

وصدقَ واللهِ! فإنَّ حـصائدَ اللـسانِ، هـي التـي تَكُـبُّ النـاسَ في النـارِ عـلى وجوههم، فعن معاذِ بنِ جبلٍ ﵁ أن النبيَّ ﷺ قالَ له -بعدَ أن دلّه على أبوابِ الخيرِ-: «**أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمَلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ!**»

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٤٦٢).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٦١٨)، وابن ماجه (١٦٣١)، وأحمد (٣/ ٢٦٨) وأبو يعلى (٣٢٩٦)، [«صحيح مختصر الشمائل» (٣٢٩)].

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٧٥٤).

قُلْتُ: بَلَى يَا رسولَ الله!

فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**».

فَقُلْتُ: يَا رسولَ الله! وَإِنَّا لَـمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟

فَقَالَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»[1].

• وصدقَ والله أنسُ بنُ مالكٍ ﷺ فإنَّ النجاةَ في إمساكِ اللسانِ.

قال رجلٌ: (يَا رَسُولَ الله! مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**»)[2].

• وقال ﷺ: «**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ -أي اللسانِ- وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ**»[3].

• وقال ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أَوْ لِيَصْمُتْ**»[4].

• وقال ﷺ: «**إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ فَتَقُولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا؛ فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا**»[5].

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٦٦)].

(٢) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٤٠٦)، وأحمد (٥/ ٢٥٩)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٧١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٧٤١)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤٧٤).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦١٣٦)، ومسلم (٤٧).

(٥) **حسن**: رواه الترمذي (٢٤٠٧)، وأحمد (٣/ ٩٥)، والطيالسي (٢٢٠٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٧١)].

فالرجلُ إذا اعوجَّ لسانهُ، اعوجّتْ أعضاؤُه.

وإذا استقامَ لسانُه، استقامت أعضاؤُه.

ثانياً: موعظتُه في غضِّ البصرِ.

• يقولُ أنسٌ رضي الله عنه: (إذا لقيتَ امرأةً فَغَمِّضْ عينيك حتى تمضيَ)[1].

أي: إذا مررتَ بامرأة فاصرِفْ بصرَك عنها، وإلا ستدَمَّرُ! وصدقَ واللهِ فإن المرأةَ فتنةٌ.

• وقال ﷺ: «..**فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**»[2].

• وقال ﷺ: «**الْـمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ** -أي من بيتها- **اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ**»[3].

• وقال ﷺ: «**إِنَّ الْـمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، فَإِذَا رأى أَحَدُكُمْ امْرَأَةً أعجبته فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ**»[4].

وذلكَ حتى لا تُفتن.

(١) رواه أحمد في «الزهد» (١١٥٣)

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٤٢)

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (١١٧٣)، وابن حبان (٥٥٩٩)، وابن خزيمة (١٦٨٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٥)].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (١٤٠٣).

ولقد أمرَنا اللهُ عز وجل في كتابهِ بغضِّ البصرِ.

فقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور].

ثالثاً: مواعظُه رضي الله عنه في التحذيرِ من الاستهانةِ بالمعاصي والذنوب.

قال أنسٌ رضي الله عنه: (إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالاً هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ، إِنْ كُنَّا لنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْـمُوبِقَاتِ)[1]. والموبقاتُ: المهلكاتُ.

وصدقَ والله! رضي الله عنه، فإنَّ كثيراً من الناسِ استهانوا بالمعاصي فاقترفوها، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم يقولُ محذّراً أمته من ذلك: (إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ، كَرَجُلٍ كَانَ بِأَرْضِ فَلاةٍ، فَحَضَرَ صَنِيعَ الْقَوْمِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ، وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ، حَتَّى جَمَعُوا مِنْ ذَلِكَ سَوَادًا وَأَجَّجُوا نَارًا فَأَنْضَجُوا مَا فِيهَا)[2].

ومن هذه المعاصي التي استهانَ بها كثيرٌ من الناس:

١ - الشركُ: فكم من المسلمينَ يدعونَ غيرَ الله، ويستغيثونَ بغيرِ اللهِ ويطوفون بالقبورِ ويذبحونَ لغيرِ اللهِ.

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤٩٢).

(٢) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (١/ ٤٠٢)، والطيالسي (٤٠٠)، والطبراني في «الكبير» (١٠٥٠٠) واللفظ له [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٧٠)].

والله عز وجل يقول: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام:١٦٣].

٢- الذهابُ إلى السَّحَرة والمشعوذين:

والرسولُ ﷺ يقول: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**»[1].

٣- التدخينُ: هذا البلاءُ الذي عمّ وطمّ، ولم يسلمْ منه الرجالُ والنساءُ حتى الصبيانُ إلا مَنْ رحمَ رَبُّكَ.

والتدخينُ حرامٌ، والأدلةُ على حرمتهِ كثيرةٌ منها:

• أنه خبيثٌ، وكلُّ خبيثٍ حرامٌ.

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ [المائدة:٤]. فَفُهِم من ذلك أنَّ الخبائثَ حرامٌ.

قال تعالى في وصفِ محمدٍ ﷺ: ﴿**النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ**﴾ [الأعراف:١٥٧].

فكُلُّ طيبٍ حلالٌ، وكلُّ خبيثٍ حرامٌ، والدخانُ خبيثٌ فهوَ حرامٌ.

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٤٢٩)، وابن راهويه (٥٠٣)، والحاكم (١٥)، [«إرواء الغليل» (٢٠٠٦)].

• وأنَّه يضرُّ بالصحةِ وبالناسِ.

والرسولُ ﷺ يقولُ: «**لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرار**»[1].

وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمٗا** ٢٩﴾ [النساء].

• وفي التدخينِ إسرافٌ وتبذيرٌ، وإنفاقٌ للأموالِ في معصيةِ اللهِ.

٤- سفرُ المرأةِ بدونِ محرَمٍ.

وسفرُ المرأةِ بدونِ محرَمٍ حرامٌ يا عبادَ اللهِ حتى لو كانَ إلى الحجِّ، فكيفَ إلى غيرِه؟!

يقول ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَخْطُبُ يَقُولُ: «**لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ، وَلَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ**».

فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً، وَإِنِّي اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا؟

قَالَ ﷺ: «**انْطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ**»)[2].

٥- ومنَ الذنوبِ التي استهانَ بها الناسُ: تغييرُ خلقِ اللهِ منَ المرأةِ والرجلِ على حدٍّ سواءٍ، وذلكَ بإزالةِ شعرِ الوجهِ، وإزالةِ شعرِ وجهِ المرأةِ والرجلِ حرامٌ؛ لأنه من عملِ الشيطانِ وهو الذي يدعو إليه ويأمرُ به.

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢٣٤١)، وأحمد (١/ ٣١٣)، واللفظ له[«السلسلة الصحيحة» (٢٥٠)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٠٦)، ومسلم (١٣٤١) واللفظ له.

قال تعالى عن الشيطان: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء:١١٩].

ولقد حذّرَ النبيُّ ﷺ من إزالةِ شعرِ الوجهِ.

فقال ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ الْـمُتَنَمِّصَاتِ الْـمُغَيِّرَاتِ لِخَلْقِ اللهِ للحُسْنِ**»(١).

أما الرجلُ:

فقد قال ﷺ: «**أَرْخُوا اللِّحَى**»(٢).

وقال ﷺ: «**وَفِّرُوا اللِّحَى**»(٣).

وقال ﷺ: «**أَعْفُوا اللِّحَى**»(٤).

٦- ومِنَ الذنوبِ التي استهانَ بها الناسُ كذلك: التبرّجُ، الاختلاطُ، مصافحةُ المرأةِ الأجنبيةِ.

وهذا كلُّه حرامٌ.

فاتّقوا اللهَ! يا عبادَ الله واعلموا أنكم عنْ هذه الدنيا راحلونَ، وإلى اللهِ راجعونَ، وبين يديه موقوفون، وعن كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ مسؤولون.

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٩٣٩)، ومسلم (٢١٢٥) واللفظ للبخاري.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٠).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٥٨٩٢).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٨٩٣)، ومسلم (٢٥٩).

٤٣

أُبيٌّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه

عباد الله! يقولُ الله عز وجل في وصفِ أصحابِ محمدٍ ﷺ: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ﴾ [النمل:٥٩].

قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنه: (الذين اصطفى) هم أصحابُ محمدٍ ﷺ.

وقال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَوَجَدَ قلبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ)[1].

• أصحابُ محمدٍ ﷺ حبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ، لا يحبُّهم إلا مؤمنٌ، ولا يُبغضهم إلا منافقٌ.

من أحبهم أحبَّه اللهُ، ومن أبغضَهم أبغضَه اللهُ.

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (١/ ٣٧٩)، والبزار (١٨١٦)، والطبراني في «الكبير» (٨٥٨٢)، [«السلسلة الضعيفة» (٥٣٣)].

قال ﷺ: «**آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ**»[1].

وقال ﷺ: «**الأَنْصَارُ لاَ يُحِبُّهُمْ إِلاَّ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يُبْغِضُهُمْ إِلاَّ مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ الله، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ الله**»[2].

- فأصحابُ محمدٍ ﷺ همُ الرجالُ، وهمُ الصادقونَ، وهمُ المفلحونَ، وهمُ المؤمنونَ حقاً، قومٌ اختارَهمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّه، ونصرةِ دينهِ.

- أصحابُ محمدٍ ﷺ من أحبَّهم وسلكَ سبيلَهم؛ سعدَ في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

- ومَنْ أبغضَهم وسلكَ سبيلاً غيرَ سبيلهم؛ شقيَ في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة].

وموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى معَ رجلٍ مِنْ هؤلاءِ الرجالِ، وصحابيٍّ منَ الصحبِ الكرامِ.. أتدرونَ مَنْ هو يا عبادَ الله؟

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٧)، ومسلم (٧٤).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥).

إنه: أُبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه .. أتعرفونه يا أُمةَ الإسلام؟

هو أُبيّ بنُ كعبِ بنِ قيسٍ بنِ عُبيدِ بنِ زيدِ بنِ معاويةَ بنِ عمرِو بنِ مالكِ بنِ النجّارِ الأنصاريُّ البخاريُّ المدنيُّ البدريُّ، أبو المنذرِ.

سيدُ القرّاءِ، جمعَ القرآنَ في حياةِ النبيِّ ﷺ، وكانَ رأساً في العلمِ والعملِ.

وحديثُنا عن أبيّ بنِ كعبٍ رضي الله عنه سيكونُ عن مناقبِهِ، ومواقفِهِ، ومواعظِهِ.

أما مناقبهُ فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: أنه رضي الله عنه جمعَ القرآنَ في حياةِ النبيِّ ﷺ -أي: أخذَه رطباً من فِيِّ رسولِ الله ﷺ-.

- يقولُ أنسٌ رضي الله عنه: (جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ مِنَ الأَنْصَارِ: أُبَيُّ بن كعبٍ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَبُو زَيْدٍ.

  قُلْتُ لأَنَسٍ: مَنْ أَبُو زَيْدٍ؟

  قَالَ: أَحَدُ عُمُومَتِي)[1].

- وقال ﷺ: «**خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ، مِنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ مولى أبي حذيفة- وَمُعَاذِ بنِ جبلٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ**»[2].

فأُبيّ رضي الله عنه حفظه في صدرِه كاملاً، مِن فيّ رسولِ الله ﷺ.

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨١٠)، ومسلم (٢٤٦٥).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٩٩٩)، ومسلم (٢٤٦٤).

• وعنْ أبيِّ بنِ كعبٍ: (أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ صَلَّى بِالنَّاسِ فَتَرَكَ آيَةً، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَخَذَ عَلَيَّ شَيْئًا مِنْ قِرَاءَتِي؟ فَقَالَ أُبَيٌّ: أَنَا يَا رَسُولَ الله! تَرَكْتَ آيَةَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قَدْ عَلِمْتُ إِنْ كَانَ أَحَدٌ أَخَذَهَا عَلَيَّ، فَإِنَّكَ أَنْتَ هُوَ**»)[1].

• (صَلَّى النبيُّ ﷺ الفجرَ فَتَرَكَ آيَةً، فَلَمَّا صَلَّى قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ؟ قَالَ أُبَيٌّ: يَا رَسُولَ الله! نُسِخَتْ آيَةُ كَذَا وَكَذَا، أَوْ نُسِّيتَهَا؟

قَالَ ﷺ: «**نُسِّيتُهَا**»)[2].

ثانياً: ومن مناقبه رضي الله عنه أنه كانَ أقرأَ الصحابةِ لكتابِ الله، بل هو سيدُ القراءِ.

• يقولُ ﷺ: «**أرحمُ أمتي بأمتي أبو بكرٍ، وأشدُّهم في دينِ الله عمرُ، وأصدقُهم حياءً عثمانُ، وأفرضُهم زيدُ بنُ ثابتٍ، وأقرؤُهم لكتابِ الله أبيّ بنُ كعبٍ، وأعلمُهم بالحلالِ والحرامِ معاذُ بنُ جبلٍ، ألا وإنّ لكلِّ أمةٍ أميناً، وإنَّ أمينَ هذه الأمةِ أبو عبيدةَ بنُ الجراحِ**»[3].

• وقال ﷺ: «**اسْتَقْرِئُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنَ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ وَأُبَيٍّ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ**»[4].

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (٥/ ١٤٢) [«محققو المسند»].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٤٠٧)، والنسائي في «الكبرى» (٨٢٤٠)، وابن خزيمة (١٦٤٧)، [«محققو المسند»].

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٧٩٠)، وابن ماجه (١٥٤)، وأحمد (٣/ ٢٨١)،[«صحيح ابن ماجه» (١٥٤)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨٠٦)، ومسلم (٢٤٦٤).

• وقالَ ﷺ لأبيّ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ**»

قَالَ أُبَيٌّ : آللهُ سَمَّانِي لَكَ؟!

قَالَ: «**اللهُ سَمَّاكَ لِي**».

قَالَ أنسٌ: فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكِي)[1].

وفي رواية أخرى: قال ﷺ لأبي: (إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْـكَ ﴿**لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ [البيِّنة:١] قَالَ وَسَمَّانِي؟! قَالَ: «**نَعَمْ**». فَبَكَى -أي: أُبَيّ-)[2].

• وقال عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه : (أُبيٌّ أقرؤنا)[3].

• ولما أحيى الفاروقُ عمرُ سنةَ صلاةِ قيامِ رمضانَ في المسجدِ جماعةً؛ أمر أُبيَّ بنَ كعبٍ رضي الله عنه أن يُصليَ للناسِ إِحدى عَشْرة ركعةً -وهذه هي سنةُ المصطفى ﷺ-.

وكان أُبيٌّ رضي الله عنه يقرأ بالمِئين، حتى كانَ الذينَ خلفَه يعتمدونَ على العِصيّ منْ طولِ القيامِ، وما كانوا ينصرفونَ إلا قُبَيلَ الفجرِ[4].

ثالثاً: ومن مناقبِهِ رضي الله عنه علمهُ الكثيرُ الذي تعلمَه من رسولِ الله ﷺ.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٩٦٠)، ومسلم (٧٩٩) واللفظ له

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨٠٩)، ومسلم (٧٩٩).

(٣) **صحيح** : رواه البخاري (٤٧١٩).

(٤)انظر «قيام رمضان» الألباني» (ص٢٤).

• يقولُ أبيّ بنُ كعبٍ ﷺ: قالَ رسولُ الله ﷺ -أي لـه-: «**يَـا أَبَـا الْــمُنْذِرِ! أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله مَعَكَ أَعْظَمُ؟**».

قَالَ: قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «**يَا أَبَا الْـمُنْذِرِ! أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله مَعَكَ أَعْظَمُ؟**»

قَالَ : قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة:٢٥٥]

قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ: «**لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ -أي ليكن العلـمُ هنيئـاً لـك- أَبَا الْـمُنْذِرِ**»[١].

أمثلةٌ على علمهِ:

• قال أُبيّ بن كعب: (نَازَعَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي الْمُتَوَفَّى عَنْهَا -أي زوجها- وَهِيَ حَامِلٌ، فَقُلْتُ: تُزَوَّجُ إِذَا وَضَعَتْ.

فَقَالَتْ أُمُّ الطُّفَيْلِ -أُمُّ وَلَدِي- لِعُمَرَ وَلِي: قَدْ أَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ سُبَيْعَةَ الْأَسْلَمِيَّةَ أَنْ تَنْكِحَ إِذَا وَضَعَتْ)[٢].

• (سَمِعَتْ أُمُّ الطُّفَيْلِ -امْرَأَةُ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ- عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَأُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ يَخْتَصِمَانِ، فَقَالَتْ أُمُّ الطُّفَيْلِ: أَفَلاَ يَسْأَلُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ سُبَيْعَةَ الأَسْلَمِيَّةَ؟

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٨١٠).

(٢) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٦/ ٣٧٥)، [«محققو المسند»].

تُوُفِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا وَهِيَ حَامِلٌ، فَوَضَعَتْ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ، فَأَنْكَحَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ - أي زوّجها-)(١).

رابعاً: ومن مناقبه رضي الله عنه قربهُ من النبيِّ ﷺ ليتعلمَ منه.

• عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: (خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَ: «**يَا أُبَيُّ، فَالْتَفَتَ فَلَمْ يُجِبْهُ، ثُمَّ صَلَّى أُبَيٌّ، فَخَفَّفَ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ**».

فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيْ رَسُولَ اللهِ!

قَالَ: «**وَعَلَيْكَ**».

قَالَ: «**مَا مَنَعَكَ أَيْ أُبَيُّ إِذْ دَعَوْتُكَ أَنْ تُجِيبَنِي؟**».

قَالَ: أَيْ رَسُولَ اللهِ! كُنْتُ فِي الصَّلَاةِ.

قَالَ: «**أَفَلَسْتَ تَجِدُ فِيمَا أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ أَنْ** ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤]».

قَالَ: بَلَى، أَيْ رَسُولَ اللهِ! لَا أَعُودُ.

قَالَ: «**أَتُحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةً لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا؟**».

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٦/ ٣٧٥) والطبراني في «الكبير» (٢٥/ ١٤٤)، [«محققو المسند»].

قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، أَيْ رَسُولَ اللهِ!

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا تَخْرُجَ مِنْ هَذَا الْبَابِ حَتَّى تَعْلَمَهَا**».

قَالَ: فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِي يُحَدِّثُنِي، وَأَنَا أَتَبَاطَأُ مَخَافَةَ أَنْ يَبْلُغَ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ الْحَدِيثَ، فَلَمَّا أَنْ دَنَوْنَا مِنَ الْبَابِ.

قُلْتُ: أَيْ رَسُولَ اللهِ! مَا السُّورَةُ الَّتِي وَعَدْتَنِي، قَالَ: مَا تَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ؟

قَالَ: فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ أُمَّ الْقُرْآنِ -أي الفاتحةَ-

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أَنْزَلَ اللهُ فِي التَّوْرَاةِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا، وَإِنَّهَا لَلسَّبْعُ مِنَ الْمَثَانِي**»)[1].

أما مواقفُه رضي الله عنه فهي كثيرةٌ، منها:

موقفُه في الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ.

• يقولُ أبو الدرداءِ رضي الله عنه: (جَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا عَلَى الْمِنْبَرِ فَخَطَبَ النَّاسَ، وَتَلَا آيَةً وَإِلَى جَنْبِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ.

فَقُلْتُ لَهُ: يَا أُبَيُّ! مَتَى أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ؟

قَالَ: فَأَبَى أَنْ يُكَلِّمَنِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَبَى أَنْ يُكَلِّمَنِي، حَتَّى نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٨٧٥)، والنسائي في «الكبرى» (١١٢٠٥)، وأحمد (٢/ ٤١٢)، وابن خزيمة (٨٦١) واللفظ لأحمد [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٤٥٣)].

فَقَالَ لِي أُبَيٌّ: مَا لَكَ مِنْ جُمُعَتِكَ إِلاَّ مَا لَغَيْتَ.

فَلَـمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ.

فَقُلْتُ: أَيْ رَسُولَ اللهِ! إِنَّكَ تَلَوْتَ آيَةً وَإِلَى جَنْبِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، فَسَأَلْتُهُ مَتَى أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ؟ فَأَبَى أَنْ يُكَلِّمَنِي حَتَّى إِذَا نَزَلْتَ، زَعَمَ أُبَيٌّ أَنَّهُ لَيْسَ لِي مِنْ جُمُعَتِي إِلاَّ مَا لَغَيْتُ؟

فَقَالَ: «**صَدَقَ أُبَيٌّ، فَإِذَا سَمِعْتَ إِمَامَكَ يَتَكَلَّمُ فَأَنْصِتْ حَتَّى يَفْرُغَ**»)(١).

إذا سمعتَ الإمامَ يخطبُ فلا تتكلمْ ولا تُسبِّحْ ولا تصلِّ على رسولِ اللهِ ﷺ ولا تُؤَمِّنْ أيها المستمعُ للخطبةِ، حتى ينتهيَ الخطيبُ من خطبتِهِ.

فإن النبيَّ ﷺ نهى أن تأمرَ بالمعروفِ أو تنهى عن المنكرِ أثناءَ الخطبةِ وهذا واجبٌ، فالنهيُ عن السنةِ من بابِ أولى.

ويقولُ أنسٌ ﵁: (كُنْتُ أَنَا وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَأَبُو طَلْحَةَ جُلُوسًا فَأَكَلْنَا لَحْمًا وَخُبْزًا، ثُمَّ دَعَوْتُ بِوَضُوءٍ فَقَالاَ: لِمَ نَتَوَضَّأُ؟

فَقُلْتُ: لِهَذَا الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْنَا.

فَقَالاَ: أَتَتَوَضَّأُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ؟! لَمْ يَتَوَضَّأْ منه مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ)(٢).

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٥/ ١٩٨)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٣٦٧)، [«محققو المسند»].

(٢) **حسن**: رواه أحمد (٤/ ٣٠)، [«محققو المسند»].

أما مواعظُه رضي الله عنه فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: موعظتهُ رضي الله عنه في الحثِّ على قبولِ الحق:

• قال رجلٌ لأبيّ بن كعبٍ رضي الله عنه: عِظْني ولا تُكثِرْ عليّ.

فقالَ له: (اقبلِ الحقّ ممنْ جاءك به، وإنْ كانَ بعيداً بغيضاً، واردِدِ الباطلَ على من جاءكَ به، وإنْ كانَ حبيباً قريباً)(1).

وصدقَ والله أبيّ بن كعب رضي الله عنه! فإنَّ في قَبولِ الحقِّ النجاةَ، وفي رَدّهِ الضلالَ، وبالمثالِ يتّضحُ المقالُ:

• فهذا موسى عليه السلام جاءه رجلٌ من بعيدٍ منْ أقصى المدينةِ يسعى، ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [القصص].

فقَبِلَ الحقَّ والنصيحةَ مِنْ هذا الرجل البعيدِ، وخرجَ إلى بلادِ مدينَ، وهناك عند الشيخِ الكبيرِ عندما قصّ عليه قصتَه قال لهُ الشيخُ: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص].

وفي المقابلِ فهذا قارونُ، نصحَه قومُه فقالوا له: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص:٧٧].

(١) ذكره أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١٢١).

فلم يقبلِ الحقَّ ولم يقبلِ النصيحةَ، فماذا كانتِ النتيجةُ؟

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ [القصص:٨١].

فكم من إنسانٍ ردَّ الحقَّ لأنه جاءَه من إنسانٍ لا يحبُّه.

وكم من إنسانٍ قَبِلَ الهوى والبدَعَ والضلالَ لأنه جاءَه من إنسانٍ يحبُّه.

فالحقُّ أحقُّ أن يُتَّبَعَ، وليس بعدَ الحقِّ إلا الضلالُ.

ثانياً: موعظتُه رضي الله عنه في الحثِّ على العملِ بالعلمِ:

• قال أُبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه: تعلموا العلمَ واعملوا به، ولا تتعلموه لتتجملوا به، فإنه يُوشِكُ إن طالَ بكُم الزمانُ أن يُتجَمّل بالعلمِ كما يَتجمَّلُ الرجلُ بثوبه[1].

فمنْ علمَ من دينهِ شيئاً فليعملْ بهِ؛ لأنَّ العلمَ ينادي على العملِ فإنْ أجابَه وإلا ارتحلَ.

ثالثاً: موعظتُه رضي الله عنه في الحثِّ على التزامِ السنةِ:

قال أُبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه: (عَلَيْكُمْ بِالسَّبِيلِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ عَلَى سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ ذَكَرَ الرحمنَ عزوجل فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ الله فَتَمَسَّهُ النَّارُ.

وَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ عَلَى سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ، ذَكَرَ الرَّحْمَنَ وَاقْشَعَرَّ جِلْدُهُ مِنْ خشيةِ الله، إِلَّا كَانَ مَثَلُهُ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ يَبُسَ وَرَقُهَا، فبينما هِيَ كَذَلِكَ إِذْ أَصَابَتْهَا الرِيحُ فَتَحَاتَّ عَنْهَا وَرَقُهَا، إِلَّا تَحَاتَّتْ عَنْهُ ذنوبهُ كَمَا تَحَاتَّ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَرَقُهَا.

(١) «جامع بيان العلم وفضله» (٨/٢).

وَإِنَّ اقْتِصَادًا فِي سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ، خَيْرٌ مِنَ اجْتِهَادٍ فِي خِلَافٍ مِنْ سَبِيلٍ وَسُنَّة، فَانْظُرُوا أَعْمَالَكُمْ، فإِنْ كَانَ اجْتِهَادًا أو اقْتِصَادًا، أن تكون على منهاج الأنبياءِ وسُنتِهم)[1].

جعلَنا اللهُ وإياكم من أهلِ السنةِ الذين يسلكونَ سبيلَ الصحابةِ.

(١) **صحيح**: رواه عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» (١٠٨٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٥٢-٢٥٣)، [«سلسلة الآثار الصحيحة» (٣٩٥)].

٤٤

كعبُ بن مالك رضي الله عنه

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في الثناءِ على أصحابِ رسولِ الله ﷺ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر].

فأصحابُ محمدٍ ﷺ همُ الصادقونَ، وهم المفلحونَ، وهم المؤمنونَ حقاً.

مَنْ أحبهم وسلكَ سبيلَهم سَعِدَ في الدنيا والآخرة.

- قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].
- وقال ﷺ: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»[١].
- وقال ﷺ: «**وَستَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلاَّ وَاحِدَةً**»[٢].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، وابن حبان (٥) واللفظ لأحمد [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧)]

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو، والطبراني في «الأوسط» (٤٨٨٦) من حديث أنس [«السلسلة الصحيحة» (١٣٤٨)].

• وقالَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (من كان منكم مستَنّاً فليستنَّ بمن قد مات؛ فإنَّ الحيَّ لا تؤمَنُ عليه الفتنةُ. أولئكَ أصحابُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، كانوا والله! أفضلَ هذهِ الأمةِ أبرَّها قلوباً، وأعمَقَها علماً، وأقلَّها تكلفاً، قومٌ اختارَهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيهِ، وإقامةِ دينهِ، فاعرِفوا لهم فضلَهم، واتَّبعوهم في آثارهم، وتمسَّكوا بما استطعتم من أخلاقِهم، ودينِهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيمِ)[1].

وموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى معَ رجلٍ منْ هؤلاءِ الرجالِ، وصحابيٍّ منَ الصحبِ الكرامِ.. أتدرونَ مَنْ هو يا عبادَ اللهِ؟

إنه: كعبُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه.. أتعرفونَه يا أمةَ الإسلامِ؟

هو كعبُ بنُ مالكٍ الأنصاريُّ الخزرجيُّ العَقَبيُّ الأُحُدِيُّ.

شاعرُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وصاحبهُ، وأحدُ الثلاثةِ الذينَ خُلِّفوا، فتابَ اللهُ عليهم، وأنزلَ في توبتهم قرآناً يُتلى إلى يومِ القيامةِ.

وحديثُنا عن كعبِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه سيكونُ حولَ توبتِه عندما تخلفَ عن غزوةِ تبوكَ، وفيها تظهرُ مناقبهُ ومواقفهُ ومواعظُه.

فتعالوا بنا لنستمعَ إلى كعبِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه وهو يخبرُنا عن توبته.

---

(١) رواه البغوي في «شرح السنة» (١/ ٢١٤، ٢١٥)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٩)، والقرطبي في «تفسيره» من طريق سنيد (١/ ٦٠) بلفظ: (من كان منكم متأسيا فليتأسى....) وروي باللفظ المذكور عن عبد الله بن عمر رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٠٥)، والخطيب في «تالي التلخيص» (١/ ٣٧١).

• كعبُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه في المدينةِ قبلَ خروجِ النبيِّ ﷺ والجيشِ إلى تبوكَ:

- يقولُ كعبٌ رضي الله عنه : (لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا قَطُّ إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي قَدْ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهُ).

- يقولُ رضي الله عنه : (وَكَانَ مِنْ خَبَرِي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، وَالله! مَا جَمَعْتُ قَبْلَهَا رَاحِلَتَيْنِ قَطُّ حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ.

- يقولُ رضي الله عنه : ولم يكنْ رسول الله ﷺ يريدُ غزوةً إلا ورّى بغيرها -أي: أوهَمَ أنه يريدُ غيرَها من غيرِ كذبٍ- حتى كانت تلكَ الغزوةُ، فَغَزَاهَا رَسُولُ الله ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا، وَاسْتَقْبَلَ عَدداً كَثِيرًا، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ -أي:ليستعدوا- فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِمْ الَّذِي يُرِيدُ - أي: عرَّفهم جميعاً أنه يريدُ غزوَ الرومِ، أي: أنه ذاهبٌ إلى تبوكَ.

يقولُ رضي الله عنه : وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ كَثِيرٌ، وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٍ - يُرِيدُ بِذَلِكَ الدِّيوَانَ- فَقَلَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إلا ظُنّ أَنَّ ذَلِكَ سَيَخْفَى به مَا لَمْ يَنْزِلْ وَحْيٌ مِنْ الله.

- يقولُ رضي الله عنه : وَغَزَا رَسُولُ الله ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلَالُ، فَأَنَا إِلَيْهَا أَصْعَرُ -أي: أميلُ-

- يقولُ ﷺ : فَتَجَهَّزَ رَسُولُ الله ﷺ وَالْـمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، وَأَقُولُ فِي نَفْسِي أَنَا قَادِرٌعَلَى ذَلِكَ إِذَا أَرَدْتُ.

ويقولُ ﷺ : فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتَمَادَى بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ -أي: فاتَ وسبقَ- فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، فَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ، ثُمَّ لَمْ يُقَدَّرْ ذَلِكَ لِي.

وخرجَ رسولُ الله ﷺ من المدينة معَ المسلمينَ إلى تبوكَ للجهادِ في سبيلِ الله.

• كعبُ بنُ مالكٍ ﷺ في المدينةِ بعدَ خروجِ النبيِّ ﷺ والجيشِ إلى تبوكَ.

يقولُ ﷺ : فَطَفِقْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ الله ﷺ يَحْزُنُنِي أَنِّي لَا أَرَى لِي أُسْوَةً -أي: قدوةً أتأسّى بوجوده- إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ فِي النِّفَاقِ -أي: متهماً بالنفاق- أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ الله تعالى مِنْ الضُّعَفَاءِ.

يقولُ ﷺ : وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ: مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟ فقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ الله! حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالنَّظَرُ فِي عِطْفَيْهِ - كنايةً عن العُجْبِ والكِبْرِ- فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَالله يَا رَسُولَ الله مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ الله ﷺ.

يقولُ كعبٌ ﷺ : فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا -أي: راجعاً- مِنْ تَبُوكَ، حَضَرَنِي بَثِّي، فَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ، وَأَقُولُ: بِمَ أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا؟ وَأَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ كُلَّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي.

يقولُ رضي الله عنه : فَلَـمَّا قِيلَ لِي: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا؛ زَاحَ عَنِّـي الْبَاطِـلُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَنْجُوَ مِنْهُ بِشَيْءٍ أَبَدًا فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ -أي: عَزمتُ على صدقهِ-.

• كعبُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه في المدينةِ بعد رجوعِ النبيِّ ﷺ من غزوةِ تبوك:

يقولُ رضي الله عنه : وَأَصبَحَ رَسُـولُ الله ﷺ قَادِمًـا، وَكَـانَ إِذَا قَـدِمَ مِـنْ سَـفَرٍ بَـدَأَ بِالْمَسْجِدِ، فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَـسَ لِلنَّـاسِ فَلَـمَّا فَعَـلَ ذَلِـكَ جَـاءَهُ الْمُخَلَّفُـونَ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعَاً وَثَمَانِينَ رَجُـلًا، فَقَبِـلَ مِـنْهُمْ عَلَانِيَـتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى الله تعالى.

يقولُ رضي الله عنه : حَتَّى جِئْتُ، فَلَـمَّا سَلَّمْتُ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ -أي الغـضبان- ثُمَّ قَالَ: تَعَالَ! فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: مَا خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تَكُـنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟ -أي اشتريْتَ راحلتَك - فقُلْـتُ: يَـا رَسُـولَ الله! إِنِّي وَالله لَـوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الـدُّنْيَا لَرَأَيْـتُ أَنِّي سَـأَخْرُجُ مِـنْ سَـخَطِهِ بِعُـذْرٍ؛ لَقَـدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا -أي: فصاحةً وقدرةً على الكلامِ- وَلَكِنِّـي وَالله لَقَـدْ عَلِمْـتُ لَـئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي، لَيُوشِكَنَّ الله أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَـئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ -أي: تغضبُ- إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عُقْبَـى الله -أي العاقبةَ الحسنةَ بتوبةِ الله عليّ-.

قالَ رضي الله عنه : وَالله! مَا كَانَ لِي عُذْرٍ، وَالله! مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ.

فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ**».

يقول كعبٌ رضي الله عنه: وسارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي فَقَالُوا لِي: وَالله مَا عَلِمْنَاكَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، لَقَدْ عَجَزْتَ فِي أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ بِهِ إِلَيْهِ الْـمُخَلَّفُونَ، فَقَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ الله ﷺ لَكَ.

قَالَ رضي الله عنه: فَوَالله مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونَنِي -أي: يلومونني- حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي قَالَ ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي مِنْ أَحَدٍ؟

قَالُوا: نَعَمْ لَقِيَهُ مَعَكَ رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ، وقِيلَ لَـهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ، فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهِمَا أُسْوَةٌ

قال رضي الله عنه: فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي.

• **عبادَ الله!** انظروا كيف يُربي رسولُ الله ﷺ أصحابَه؟

يقولُ كعبٌ رضي الله عنه: وَنَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، قَالَ: فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ حَتَّى تَنَكَّرَتْ لِي فِي نَفْسِيَ الْأَرْضُ -أي تغيرت-، مَا هِيَ بِالْأَرْضِ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا -أي:ذلّا وخضعا- وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ.

يقول رضي الله عنه: وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ -أي: أصغرَهم سناً- وَأَجْلَدَهُمْ فَكُنْتُ أَخْرُجُ أَشْهَدُ الصَّلَاةَ معَ المسلمينَ، وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ الله ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ أَمْ لَا؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ وَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ -أي: أنظرُ إليهِ خُفيةً- فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ، وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي.

يقولُ ﷺ: حَتَّى إِذَا طَالَ ذَلِكَ عَلَيَّ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ -أي: علوتُ سورَ بستانهِ- وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَوَاللهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ! أَنْشُدُكَ بِاللهِ - أي أسألك بالله تعالى - هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ، فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ فَقَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ. وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ.

يقولُ ﷺ: فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ نَبَطِ أَهْلِ الشَّامِ -أي: فلاحٌ- مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ حَتَّى جَاءَنِي، فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ.

يقولُ ﷺ: وَكُنْتُ كَاتِبًا فَقَرَأْتُهُ، فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضْيَعَةٍ، فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ، فَقُلْتُ حِينَ قَرَأْتُهَا: وَهَذِهِ أَيْضاً مِنْ الْبَلَاءِ، فَتَيَمَمْتُ بِهَا التَّنُّورَ -وهو ما يُخبَزُ فيه- فَسَجَرْتُهَا - أي: حرقْتُ الرسالةَ-.

يقولُ ﷺ: حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنْ الْخَمْسِينَ وَاسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ - أي: أبطأَ- إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ، فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟

قَالَ: لَا، بَلْ اعْتَزِلْهَا فَلَا تَقْرَبَنَّهَا، وأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ بِمِثْلِ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: الْحَقِي بِأَهْلِكِ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ.

• الفرجُ دائماً يأتي بعد الشدةِ.

يقولُ رضي الله عنه: فَلَبِثْتُ بِذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ، فَكَمُلَ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينِ نُهِيَ عَنْ كَلَامِنَا.

يقولُ رضي الله عنه: ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ الله تعالى مِنَّا، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى سَلْعٍ -وهو جبلٌ بالمدينةِ- يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ! فَخَرَرْتُ سَاجِدًا -أي لله عزّ وجل- وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ.

يقولُ رضي الله عنه: فَآذَنَ رَسُولُ الله ﷺ النَّاسَ -أي: أخبرَهم- بِتَوْبَةِ الله عزوجل عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا.

يقولُ رضي الله عنه: فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبِشَراه، وَالله مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ.

يقولُ رضي الله عنه: وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، فَانْطَلَقْتُ أَتَأَمَّمُ -أي:أقصدُ- رَسُولَ الله ﷺ يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهنئونني بِالتَّوْبَةِ وَيَقُولُونَ: لِتَهْنَكَ تَوْبَةُ الله عَلَيْكَ.

يقولُ رضي الله عنه: حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ جَالِسٌ وَحَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ الله يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّأَنِي، وَالله مَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ -فَكَانَ كَعْبٌ لَا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ-.

يقولُ ﭬ : فَلَـمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ قَالَ -وَهُوَ يَـبْرُقُ وَجْهُـهُ مِـنْ السُّرُورِ- وَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ.

فَقُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ الله، أَمْ مِنْ عِنْدِ الله؟

فَقَالَ: «**لَا، بَلْ مِنْ عِنْدِ الله عزوجل**».

يقولُ ﭬ : وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا سُرَّ اسْـتَنَارَ وَجْهُـهُ كَـأَنَّ وَجْهَـهُ قِطْعَـةَ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ منه.

يقول ﭬ : فَلَـمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، قُلْتُ: يَـا رَسُـولَ الله! إِنَّ مِـنْ تَـوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى الله وَإِلَى رَسُولِهِ -أي: أُخرجه في سبيلِ الله-.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَمْسِكْ عليكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**».

فَقُلْتُ: إِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِيَ الَّذِي بِخَيْبَرَ.

وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! إِنَّ اللهَ تعالى إِنَّمَا أَنْجَانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِـنْ تَـوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيتُ، فَوَالله مَا عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنْ الْـمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ الله تعالى -أي: أنعمَ عليه- فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ الله ﷺ أَحْـسَنَ مِمَّـا أَبْلَانِي الله تعالى.

وَالله مَا تَعَمَّدْتُ كِذْبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ الله ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي الله تعالى فِيمَا بَقِيَ، قال ﭬ فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ

مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة]

وقال كعبٌ رضي الله عنه: وَاللهِ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللهُ لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، إِنَّ اللهَ تعالى قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ، فقَالَ الله تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [التوبة])[1].

• ويقولُ اللهُ عز وجل في كتابه: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

وكعبُ بنُ مالكٍ الأنصاريُّ رضي الله عنه رجلٌ منْ هؤلاءِ الرجالِ، وصادقٌ منْ هؤلاءِ الصادقينَ، تعلّمنا من حديثِهِ الصدقَ في الحديثِ، والصدقَ في التوبةِ إلى الله عز وجل، والصدقَ في الثباتِ على الدينِ عندَ الابتلاءِ.

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩) واللفظ له

ولذلكَ بعدَ أن أخبرَنا اللهُ عز وجل في كتابه عن كعبِ بنِ مالكٍ وصاحبَيه، نادى على عبادهِ المؤمنينَ بأن يكونوا معَ الصادقين دائماً.

قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة].

.. أتدرون لمَ يا عبادَ الله؟

أولاً: لأنَّ الصدقَ في كُلِّ شيءٍ سببٌ للحصولِ على خيرِ الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ﴿٢١﴾﴾ [محمد:٢١].

ثانياً: لأنَّ الصدقَ في كُلِّ شيءٍ طريقٌ للوصولِ إلى الجنةِ.

قال ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ**»[1].

ثالثاً: لأنَّ الصدقَ في كُلِّ شيءٍ طمأنينةٌ.

قال ﷺ: « **الصِّدْقُ طُمَأْنِينَةٌ، وَالْكَذِبُ رِيبَةٌ**»[2].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) واللفظ له

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٥١٨)، وأحمد (١/ ٢٠٠)، والطيالسي (١١٧٨)، أبو يعلى (٦٧٦٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٩٣٠)].

رابعاً: لأنَّ الصدقَ في كلِّ شيءٍ -حتى في البيعِ والشراءِ- سببٌ للبركةِ في كلِّ شيءٍ.

قال ﷺ: «**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**»[1].

خامساً: لأنَّ الصدقَ في كُلِّ شيءٍ سببٌ للنجاةِ في الدنيا والآخرةِ.

فهذا كعبُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه نجا بالصدقِ في الدنيا.

أما في الآخرةِ:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلى أن قال: ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ ماذا أعد الله لهم في الآخرة: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة].

اللهمَّ فقهنا في ديننا، وارزقنا الصدقَ في القولِ والعملِ.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢١١٠)، ومسلم (١٥٣٢).

٤٥

عبدُ اللهِ بنُ سلامٍ رضي الله عنه

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

وهؤلاءِ الرجالُ همْ أصحابُ محمدٍ ﷺ، قومٌ اختارهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّه وإقامةِ دينهِ.

حبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ.

مَنْ أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله.

لا يحبّهم إلا مؤمنٌ، ولا يُبغضهم إلا منافقٌ زِنديقٌ.

وموعدُنا في هذا اليوم إنْ شاءَ اللهُ تعالى معَ رجلٍ منْ هؤلاءِ الرجالِ، وصحابيٍّ منَ الصحبِ الكرامِ.. أتدرونَ من هو يا عباد الله؟

إنه: عبدُ اللهِ بنُ سلامٍ رضي الله عنه ... أتعرفونَه يا أمةَ الإسلامِ؟

هو عبدُ اللهِ بنُ سلامٍ الذي كانَ يهودياً فأسلمَ.

الإمامُ الحبرُ، المشهودُ له بالجنة، من خواصّ أصحابِ محمدٍ ﷺ.

وحديثُنا عن عبدِ اللهِ بنِ سلامٍ رضي الله عنه سيكونُ عن إسلامهِ ومناقبهِ.

أما إسلامُه رضي الله عنه :

فلقد أسلمَ عبدُ اللهِ بنُ سلامٍ رضي الله عنه عندما قدمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ مهاجراً من مكة.

يقولُ عبدُ اللهِ بنُ سلامٍ رضي الله عنه : (لَـمَّا قَـدِمَ النَّبِـيُّ ﷺ الْمَدِينَـةَ، انْجَفَـلَ النَّـاسُ عليه- أي: أقبلوا عليه- وكنتُ فيمن انجفل. فلما رأيتُه، عَرَفْـتُ أَنَّ وَجْهَـهُ لَـيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ.

فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ يقولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلاَمَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلاَمٍ**»[1].

ليعلمِ العَالَمُ منْ مَشرِقهِ إلى مَغربهِ أنَّ الإسلامَ هو دينُ الأمنِ والأمانِ والسِّلمِ والسلامِ، وليسَ دينَ القتلِ والتدميرِ والتفجيرِ كما يُصورهُ الإعلامُ المأجورُ الذي يريدُ بذلكَ أن يشوِّه صورَةَ الإسلام.

• عن أنسٍ رضي الله عنه : (أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدِمَ الْـمَدِينَةَ؛ وَعَبْـدُ اللهِ بْـنُ سَـلاَمٍ فِي نَخْلٍ لَهُ، فَأَتَى عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ رَسُولَ اللهِ ﷺ.

فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ أَشْيَاءَ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ نَبِيٌّ، فَإِنْ أَنْتَ أَخْبَرْتَنِي بِهَا آمَنْتُ بِكَ.

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (٣٢٥١)، وأحمد (٥/ ٤٥١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٦١٦)].

يقول أنسٌ: فَسَأَلَهُ عَنِ الشَّبَهِ، وَعَنْ أَوَّلِ شَيْءٍ يَحْشُرُ النَّاسَ، وَعَنْ أَوَّلِ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جِبْرِيلُ آنِفًا**».

قَالَ -أي ابنُ سلامٍ-: ذَلكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ!

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَمَا الشَّبَهُ إِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْـمَرْأَةِ ذَهَبَ بِالشَّبَهِ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ ذَهَبَ بِالشَّبَهِ.**

وَأَوَّلُ شَيْءٍ يَحْشُرُ النَّاسَ، نَارٌ تَجِيءُ مِنْ قِبَلِ الْـمَشْرِقِ، فَتَحْشُرُ النَّاسَ إِلَى الْـمَغْرِبِ، وَأَوَّلُ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ رَأْسُ ثَوْرٍ وَكَبِدُ حُوتٍ».

يقول أنسٌ: فآمنَ – أي: عبدُ الله بنُ سلامٍ– ، وقال : أشهدُ أنك رسولُ الله.

ثُمَّ قَالَ -أي ابنُ سلامٍ-: يَا رَسُولَ الله! إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهْتٌ، وَإِنَّهُمْ إِنْ سَمِعُوا بِإِيمَانِي بِكَ بَهَتُونِي، وَوَقَعُوا فِيَّ فأَخْبِئْنِي، وابعث إليهم وسلهم عني، فَجَاءوا.

فَقَالَ: «**مَا عَبْدُ الله بْنُ سَلاَمٍ؟**»

قَالُوا: سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا، وَعَالِمُنَا وَابْنُ عَالِمِنَا، وَخَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا.

فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «**أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ، أَتُسْلِمُونَ؟!**»

فَقَالُوا: أَعَاذَهُ الله أَنْ يَقُولُ ذَلِكَ! مَا كَانَ لِيَفْعَلَ!.

فَقَالَ: «**اخْرُجْ يَا ابْنَ سَلاَمٍ!**»

فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله.

فَقَالُوا: بَلْ هُوَ شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا، وَجَاهِلُنَا وَابْنُ جَاهِلِنَا

قَالَ – أي ابن سلام – : أَلَمْ أُخْبِرْكَ يَا رَسُولَ الله! أَنَّهُمْ قَوْمٌ بُهْتٌ؟!)[1].

• ويقولُ أنسٌ ﵁: (أَقْبَلَ نَبِيُّ الله ﷺ إلى المدينة فقالوا: جاء نبي الله، جاء نبي الله ﷺ، فاستشرفوا ينظرون، وسمع ابن سلام -وَهُوَ فِي نَخْلٍ يَخْتَرِفُ- فَعَجَّلَ قبل أَنْ يَضَعَ الَّذِي يَخْتَرِفُ لَهُمْ فِيهَا، فَجَاءَ وَهِيَ مَعَهُ، فَسَمِعَ مِنْ نَبِيِّ الله ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ.

فلما خلا نبيُّ الله، جاء فقال: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الله، وَأَنَّكَ جِئْتَ بِالحَقِّ.

وَلقَدْ عَلِمَتْ اليَهُودُ أَنِّي سَيِّدُهُمْ وَابْنُ سَيِّدِهِمْ، وَأَعْلَمُهُمْ وَابْنُ أَعْلَمِهِمْ، فَسَلْهُمْ عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، فَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ قَالُوا فِيَّ مَا لَيْسَ فِيَّ.

فَأَرْسَلَ إليهم فجاءوا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ وَيْلَكُمْ! اتَّقُوا اللهَ، فَوَالله إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ الله حَقًّا، وَأَنِّي جِئْتُكُمْ بِحَقٍّ، فَأَسْلِمُوا**»، قَالُوا: مَا نَعْلَمُهُ.

قال ﷺ: «**فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ الله بْنُ سَلاَمٍ؟**» قَالُوا: ذَاكَ سَيِّدُنَا، وَابْنُ سَيِّدِنَا، وَأَعْلَمُنَا، وَابْنُ أَعْلَمِنَا.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٣٢٩)، وابن حبان (٧٤٢٣) واللفظ له

قَالَ ﷺ: «**أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟**» قَالُوا: حَاشَا لله، مَا كَانَ لِيُسْلِمَ.

قَالَ ﷺ: «**اخْرُجْ عَلَيْهِمْ**»، فَخَرَجَ عليهم، وقَالَ: ويلكم! اتَّقُوا اللهَ، فَوَاللهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ حقاً.

قَالُوا: كَذَبْتَ.

يقول أنسٌ: فَأَخْرَجَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ)[1].

• أما مناقبُه رضي الله عنه فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أخبرَ أنه رضي الله عنه منْ أهلِ الجنة:

• قال سعدُ بنُ أبي وقاصٍ رضي الله عنه: (مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ لأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ: إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلاَّ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلاَمٍ)[2].

ولفظُ مسلمٍ: (مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لِحَيٍّ يَمْشِي إِنَّهُ فِي الْجَنَّةِ إِلَّا لِعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ)[3].

• وعن سعدِ بنِ أبي وقاصٍ: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ بِقَصْعَةٍ، فَأَصَبْنَا مِنْهَا، فَفَضَلَتْ فَضْلَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَطْلُعُ رَجُلٌ مِنْ هَذَا الْفَجِّ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَأْكُلُ هَذِهِ الْفضلةَ**» .

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٩١١).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٩١١).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٨٣).

فَقَالَ سَعْدٌ: وَكُنْتُ تَرَكْتُ أَخِي عُمَيْرًا يَتَطَهَّرُ، فَقُلْتُ: هُوَ أَخِي فَجَاءَ عَبْدُ اللهِ ابْنُ سَلاَمٍ فَأَكَلَهَا)(١).

وهذه شهادةٌ منْ رسولِ اللهِ ﷺ له بالجنةِ، ومَنْ شهدَ لهُ ﷺ بالجنةِ فإنا نشهدُ له بأنه من أهلِ الجنةِ.

• وقال معاذُ بنُ جبلٍ رضي الله عنه -لما حضرته الوفاةُ- في عبدِ اللهِ بنِ سلامٍ: (إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّهُ عَاشِرُ عَشَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ**»)(٢).

• قالَ رجلٌ: (كُنْتُ جَالِسًا فِي حَلْقَةٍ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، وَفِيهَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ وَهُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ.

قَالَ فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُمْ حَدِيثًا حَسَنًا.

قَالَ فَلَمَّا قَامَ، قَالَ الْقَوْمُ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا) الحديث(٣).

ثانياً: ومن مناقبهِ رضي الله عنه علمُه الكثيرُ الذي حَصَّلَه منْ رسولِ اللهِ ﷺ:

• عن يزيدَ بن عميرةَ: (أن معاذَ بنَ جبلٍ لما حضرته الوفاةُ، قالوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ! أَوْصِنَا.

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (١/ ١٦٩)، وابن حبان (٧١٦٤)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٣١٧)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٨٠٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨٢٥٣)، وأحمد (٥/ ٢٤٢)، [«صحيح سنن الترمذي»(٢٩٩١)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٨٤).

قَالَ: أَجْلِسُونِي، ثم قَالَ: إِنَّ الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ مَظَانَّهُمَا؛ مَنِ التمسهما وَجَدَهُمَا- أو العلم والإيمان مكانهما، من التمسهما وجدهما- فَالْتَمِسُوا الْعِلْمَ عِنْدَ أَرْبَعَةٍ: عِنْدَ عُوَيْمِرٍ أَبِي الدَّرْدَاءِ، وَعِنْدَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، وَعِنْدَ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ، وَعِنْدَ عَبْدِ الله بْنِ سَلاَمٍ الَّذِي كَانَ يَهُودِيًّا فأَسْلَمَ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّهُ عَاشِرُ عَشَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ**»)[1].

• وعن يزيدَ بن عميرةَ: أنه لما احتُضِرَ معاذٌ، قعدَ يزيدُ عندَ رأسِهِ يبكي فقال مُعَاذٌ: مَا يُبْكِيكَ؟، قَالَ: لَهُ يَزِيدُ: أَبْكِي لِمَا فَاتَنِي مِنَ الْعِلْمِ.

قَالَ: إِنَّ الْعِلْمَ كَمَا هُوَ لَمْ يَذْهَبْ، فَاطْلُبه عِنْدَ أَرْبَعَةٍ، فسماهم وفيهم: عَبْدُ الله ابْنُ سَلاَمٍ، الَّذِي قَالَ رَسُولُ الله ﷺ فيه: «**هُوَ عَاشِرُ عَشَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ**»[2].

ثالثاً: ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ بشّره أنه يموتُ وهو مستمسكٌ بالعروةِ الوُثقى وبالإسلامِ.

• يقولُ عبدُ الله بنُ سلامٍ: (..إِنِّي بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ، إِذْ أَتَانِي رَجُلٌ فَقَالَ لِي: قُمْ. فَأَخَذَ بِيَدِي فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَإِذَا أَنَا بِجَوَادَّ -أي طرُقٌ- عَنْ شِمَالِي. فَأَخَذْتُ لِآخُذَ فِيهَا. فَقَالَ لِي: لَا تَأْخُذْ فِيهَا؛ فَإِنَّهَا طُرُقُ أَصْحَابِ الشِّمَالِ.

قَالَ: فَإِذَا جَوَادٌّ مَنْهَجٍ -أي طرقٌ واضحةٌ بينة مستقيمة- عَلَى يَمِينِي. فَقَالَ لِي: خُذْ هَاهُنَا فَأَتَى بِي جَبَلًا، فَقَالَ لِيَ: اصْعَدْ.

قَالَ: فَجَعَلْتُ إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَصْعَدَ خَرَرْتُ عَلَى إِسْتِي.

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٨٠٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨٢٥٣) وأحمد (٥/ ٢٤٢)، [«صحيح سنن الترمذي»(٢٩٩١)].

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٣٥٣)

قَالَ: حَتَّى فَعَلْتُ ذَلِكَ مِرَارًا.

قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى أَتَى بِي عَمُودًا، رَأْسُهُ فِي السَّمَاءِ وَأَسْفَلُهُ فِي الْأَرْضِ، فِي أَعْلَاهُ حَلْقَةٌ، فَقَالَ لِيَ: اصْعَدْ فَوْقَ هَذَا.

قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْعَدُ هَذَا؟ وَرَأْسُهُ فِي السَّمَاءِ.

قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِي فَزَجَلَ بِي -أي رمى بي-

قَالَ: فَإِذَا أَنَا مُتَعَلِّقٌ بِالْحَلْقَةِ.

قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ الْعَمُودَ فَخَرَّ.

قَالَ: وَبَقِيتُ مُتَعَلِّقًا بِالْحَلْقَةِ حَتَّى أَصْبَحْتُ.

قَالَ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ.

فَقَالَ ﷺ: «**أَمَّا الطُّرُقُ الَّتِي رَأَيْتَ عَنْ يَسَارِكَ فَهِيَ طُرُقُ أَصْحَابِ الشِّمَالِ**».

قَالَ: «**وَأَمَّا الطُّرُقُ الَّتِي رَأَيْتَ عَنْ يَمِينِكَ فَهِيَ طُرُقُ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَأَمَّا الْجَبَلُ فَهُوَ مَنْزِلُ الشُّهَدَاءِ وَلَنْ تَنَالَهُ، وَأَمَّا الْعَمُودُ فَهُوَ عَمُودُ الْإِسْلَامِ، وَأَمَّا الْعُرْوَةُ فَهِيَ عُرْوَةُ الْإِسْلَامِ، وَلَنْ تَزَالَ مُتَمَسِّكًا بِهَا حَتَّى تَمُوتَ**»[1].

فكان كما أخبرَ الرسولُ ﷺ، فحسُنَ إسلامُه وتمسكَ بـه حتـى لقـيَ اللهَ عـلى أحسنِ حالٍ.

ألم أقلْ لكم إنهم رجالٌ اختارهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّه ونصرةِ دينِهِ!

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٨٤).

• ويقولُ عبدُ الله بنُ سلامٍ رضي الله عنه : (رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي رَوْضَةٍ، وَسَطَ الرَّوْضَةِ عَمُودٌ، فِي أَعْلَى الْعَمُودِ عُرْوَةٌ، فَقِيلَ لِي: ارْقَهْ، قُلْتُ: لاَ أَسْتَطِيعُ، فَأَتَانِي وَصِيفٌ -أي: خادمٌ- فَرَفَعَ ثِيَابِي فَرَقِيتُ فَاسْتَمْسَكْتُ بِالْعُرْوَةِ، فَانْتَبَهْتُ وَأَنَا مُسْتَمْسِكٌ بِهَا، فَقَصَصْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «**تِلْكَ الرَّوْضَةُ رَوْضَةُ الإِسْلاَمِ، وَذَلِكَ الْعَمُودُ عَمُودُ الإِسْلاَمِ، وَتِلْكَ الْعُرْوَةُ: الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى، لاَ تَزَالُ مُسْتَمْسِكًا بِالإِسْلاَمِ حَتَّى تَمُوتَ**»)[1].

رابعاً: ومن مناقبه رضي الله عنه أنَّ له أجرينِ عندَ الله:

• قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : (**ثلاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ** صلى الله عليه وسلم **-وعبد الله بنُ سلامٍ** رضي الله عنه **داخلاً دخولاً أولياً في هذا- وَالْعَبْدُ الْمَمْلُوكُ إِذَا أَدَّى حَقَّ الله وَحَقَّ مَوَالِيهِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا،ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا، فَلَهُ أَجْرَانِ**)[2].

خامساً: ومن مناقبه رضي الله عنه أن اللهَ أنزلَ فيه قرآناً يُتلى إلى يومِ القيامةِ.

• عن عوفِ بنِ مالكٍ، قال: (انْطَلَقَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا وَأَنَا مَعَهُ حَتَّى دَخَلْنَا كَنِيسَةَ الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ يَوْمَ عِيدٍ لَهُمْ، فَكَرِهُوا دُخُولَنَا عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : «**يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ! أَرُونِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً يَشْهَدُونَ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، يُحْبِطُ اللهُ عَنْ كُلِّ يَهُودِيٍّ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ الْغَضَبَ الَّذِي غَضِبَ عَلَيْهِ**».

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٧٠١٤).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٩٧)، ومسلم (١٥٤) واللفظ للبخاري.

قَالَ: فَأَسْكَتُوا مَا أَجَابَهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، ثُمَّ ثَلَّثَ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ.

فَقَالَ ﷺ: «**أَبَيْتُمْ! فَوَالله إِنِّي لأَنَا الْحَاشِرُ، وَأَنَا الْعَاقِبُ، وَأَنَا النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى، آمَنْتُمْ أَوْ كَذَّبْتُمْ**».

ثُمَّ انْصَرَفَ وَأَنَا مَعَهُ، حَتَّى إِذَا كِدْنَا أَنْ نَخْرُجَ نَادَى رَجُلٌ مِنْ خَلْفِنَا: كَمَا أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ! فَأَقْبَلَ. فَقَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ: أَيَّ رَجُلٍ تَعْلَمُونِي فِيكُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ؟

قَالُوا: وَالله مَا نَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ فِينَا رَجُلٌ أَعْلَمُ بِكِتَابِ الله مِنْكَ، وَلاَ أَفْقَهُ مِنْكَ، وَلاَ مِنْ أَبِيكَ قَبْلَكَ، وَلاَ مِنْ جَدِّكَ قَبْلَ أَبِيكَ.

قَالَ: «**فَإِنِّي أَشْهَدُ لَهُ بِالله أَنَّهُ نَبِيُّ الله الَّذِي تَجِدُونَهُ فِي التَّوْرَاةِ**».

قَالُوا: كَذَبْتَ. ثُمَّ رَدُّوا عَلَيْهِ قَوْلَهُ، وَقَالُوا فِيهِ شَرّاً.

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**كَذَبْتُمْ، لَنْ يُقْبَلَ قَوْلُكُمْ، أَمَّا آنِفًا فَتُثْنُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا أَثْنَيْتُمْ، وَلَمَّا آمَنَ أَكْذَبْتُمُوهُ وَقُلْتُمْ فِيهِ مَا قُلْتُمْ، فَلَنْ يُقْبَلَ قَوْلُكُمْ**».

قَالَ: فَخَرَجْنَا وَنَحْنُ ثَلاَثَةٌ: رَسُولُ الله ﷺ وَأَنَا وَعَبْدُ الله بْنُ سَلاَمٍ، وَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الأحقاف])[1].

أسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أن يجمعَنا وإياكم بعبدِ الله بنِ سلامٍ معَ نبيِّنا، مع صحابةِ رسولِ الله ﷺ في جناتِ النعيمِ.

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ٢٥)، وابن حبان (٧١٦٢) والطبراني في «مسند الشاميين» (٩٤٨) والحاكم (٥٧٥٦)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص ٨٠)].

٤٦

عمّار بن ياسر رضي الله عنه

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَ في كتابـهِ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

وقــال تعــالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ﴾ [النمل:٥٩].

وهؤلاءِ الرجالُ -الذين اصطفاهمُ اللهُ واختارهم لصحبةِ نبيِّه ونصرةِ دينـه- هم أصحابُ محمدٍ ﷺ.

حبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ.

من أحبهم أحبهُ اللهُ، ولا يحبهم إلا مؤمنٌ.

ومن أبغضهم أبغضَهُ اللهُ، ولا يُبغضهم إلا منافقٌ زنديقٌ.

وموعدُنا في هـذا اليـومِ إنْ شـاءَ الله تعـالى مـع رجـلٍ مـنْ هـؤلاءِ الرجـالِ، وصحابيّ من الصحبِ الكرامِ.. أتدرونَ مَنْ هو يا عبادَ اللهِ؟

إنه: عمارُ بن ياسرٍ رضي الله عنه .. أتعرفونَه يا أمةَ الإسلامِ؟

هو عمارُ بنُ ياسرٍ العنسيُّ المكّيُّ مولى بني مخزومٍ.

الإمامُ الكبيرُ، أبو اليقظانِ.

أحد السابقينَ الأولينَ إلى الإسلامِ والأعيـانِ البـدريينَ، ووالـداه ماتـا تحـت التعذيب بمكةَ.

أمه: سميةُ، مِنْ كبارِ الصحابياتِ رضي الله عنها.

وحديثُنا عن عمارٍ رضي الله عنه سيكونُ عن مناقبِهِ، ومواعظِهِ.

أما مناقبهُ رضي الله عنه فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: أنه رضي الله عنه من السابقينَ الأولِيّنَ إلى الإسلامِ، ولقـد عذبـه كفـارُ مكـةَ عـذاباً شديداً فصبرَ على ذلكَ كُلِّه في الله.

• يقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (كَانَ أَوَّلَ مَـنْ أَظْهَـرَ إِسْـلاَمَهُ سَـبْعَةٌ: رَسُـولُ الله صلى الله عليه وسلم، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلاَلٌ، وَالْمِقْدَادُ رضي الله عنهم.

فَأَمَّا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم فَمَنَعَهُ الله بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ الله بِقَوْمِهِ، وَأَمَّـا سَـائِرُهُمْ فَأَخَـذَهُمُ الْمُـشْرِكُونَ، وَأَلْبَـسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيـدِ، وَصَـهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَـا أَرَادُوا إِلاَّ بِـلاَلاً، فَإِنَّـهُ هَانَـتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي الله، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِـهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ، وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ)[1].

---

(١) **حسن**: رواه ابن ماجه (١٥٠)، وأحمد (١/ ٤٠٤)، وابـن حبـان (٧٠٨٣)، [«صـحيح الـسيرة النبويـة» (ص ١٢١)].

ثانياً: ومن مناقبهِ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ مرّ عليه وهو يُعذَّبُ فأمرَه بالصبرِ وبشّرَهُ بالجنةِ.

- قال ﷺ: «**صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ! فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْـجَنَّةُ**»(1).

- ومرّ النبيُّ ﷺ بآل عمارٍ وهم يُعذَّبون فقالَ لهم: «**أَبْشِرُوا آلَ عَمَّارٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْـجَنَّةُ**»(2).

- عن أبي عبيدةَ بنِ محمدٍ بنِ عمارِ بنِ ياسرٍ قالَ: أخذَ المشركون عمارَ بنَ ياسرٍ فعذّبوه حتى قاربهم في بعضِ ما أرادوا، فشكا ذلكَ إلى النبيِّ ﷺ فقال النبيُّ ﷺ: «**كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟**».

قَالَ: مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ.

قَالَ النبيُّ ﷺ: «**إِنْ عَادُوا فَعُدْ**»(3).

ثالثاً: ومن مناقبه رضي الله عنه حبُّ النبيِّ ﷺ له، وثناؤُه عليه.

- (جَزِعَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رضي الله عنه عِنْدَ الْـمَوْتِ جَزَعًا شَدِيدًا، فَلَـمَّا رَأَى ذَلِكَ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ! مَا هَذَا الْجَزَعُ وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُدْنِيكَ وَيَسْتَعْمِلُكَ؟!

---

(1) **صحيح**: رواه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 140)، والحاكم (5646)،والبيهقي في «الشعب» (1613)، [«فقه السيرة» (103)].

(2) **صحيح**: رواه الطبراني في «الأوسط» (1508)، والحاكم (5666)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص154)].

(3) **صحيح** : رواه الحاكم (3362)، والبيهقي في «سننه» (8/ 208)، وابن سعد في الطبقات(3/ 249)، وعبد الرزاق (1/ 360)، قال الحافظ في الفتح(12/ 312): هذه مراسيل تقوي بعضها بعضاً.

قَالَ: أَيْ بُنَيَّ! قَدْ كَانَ ذَلِكَ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ ذَلِكَ: إِنِّي وَاللهِ مَا أَدْرِي أَحُبًّا كَانَ ذَلِكَ، أَمْ تَأَلُّفًا يَتَأَلَّفُنِي.

وَلَكِنِّي أَشْهَدُ عَلَى رَجُلَيْنِ أَنَّهُ قَدْ فَارَقَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُمَا:

ابْنُ سُمَيَّةَ -يعني عماراً- وَابْنُ أُمِّ عَبْدٍ -يعني عبد الله بن مسعود- فَلَمَّا حَدَّثَهُ وَضَعَ يَدَهُ مَوْضِعَ الْغِلَالِ مِنْ ذَقْنِهِ، وَقَالَ: اللهُمَّ أَمَرْتَنَا فَتَرَكْنَا، وَنَهَيْتَنَا فَرَكِبْنَا، وَلَا تَسَعُنَا إِلَّا مَغْفِرَتُكَ.

وَكَانَتْ تِلْكَ هِجِّيرَاهُ -أي: دأبَهُ وشأنَهُ- حَتَّى مَاتَ)[1].

• ويقولُ عليّ ﵁: (كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَاسْتَأْذَنَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**ائْذَنُوا لَهُ، مَرْحَبًا بِالطَّيِّبِ الْمُطَيَّبِ**»)[2]، وهذا ثناءٌ من النبيِّ ﷺ على عمارٍ.

• يقولُ حذيفةُ ﵁: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي مِنْ أَصْحَابِي: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ، وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ مَسْعُودٍ**»[3].

رابعاً: ومن مناقبه ﵁ شهادةُ النبيِّ ﷺ له بقوةِ الإيمانِ.

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ١٩٩)، [«محققو المسند»].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٧٩٨)، وابن ماجه (١٤٦)، وأحمد (١/ ٩٩)، [«السلسلة الصحيحة» (٨٠٧)].

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٨٠٥)، والحاكم (٤٤٥٦)، [«صحيح الجامع» (١١٤٤)].

• (دَخَلَ عَمَّارٌ عَلَى عَلِيٍّ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالطَّيِّبِ الْـمُطَيَّبِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مُلِئَ عَمَّارٌ إِيمَانًا إِلَى مُشَاشِهِ**»)[1].

• (وسُئِلَ عَلِيٌّ عَنْ عَمَّارٍ، فقَالَ: نَسِيٌّ وَإِنْ ذَكَّرْتَه ذَكَرَ، وَقَدْ دَخَلَ الإِيمَانُ فِي سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ، وَذَكَرَ مَا شَاءَ اللهُ مِنْ جَسَدِهِ)[2].

خامساً: ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ أخبرَ بأنَّ اللهَ أعاذه من الشيطانِ.

• قال علقمة: قال لي أبو الدرداء: (أَلَيْسَ فِيكُمُ الَّذِي أَعاذهُ الله عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مِنَ الشَّيْطَانِ -يَعْنِي عَمَّارًا-...الحديث)[3].

• قالَ رجلٌ لأبي هريرةَ: حَدِّثني، فقال: (تَسْأَلُنِي وَفِيْكُم عُلَمَاءُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَالمُجَارُ مِنَ الشَّيْطَانِ: عَمَّارُ بنُ يَاسِرٍ)[4].

ولذلك كان عمارٌ رضي الله عنه إن خُيِّر بينَ أمرين اختارَ أرشدَهما.

• تقول عائشةُ رضي الله عنها: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَمَّارٌ، مَا عُرِضَ عَلَيْهِ أَمْرَانِ إِلاَّ اخْتَارَ الأَرْشَدَ مِنْهُمَا**»[5].

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٤٧)، والبزار (٧٤١)، وابن حبان (٧٠٧٦)، [«السلسلة الصحيحة» (٨٠٧)].

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٢٤٨).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٤٣).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١٢٠)

(٥) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٤٨)، وأحمد (٦/ ٢٢٩)، [«السلسلة الصحيحة» (٨٣٥)].

سادساً: ومن مناقبهِ ﷺ دفاعُ النبيِّ ﷺ عنه، وغضبُ النبيِّ ﷺ ممن أغضبه.

• يقولُ خالدُ بنُ الوليدِ ﷺ: (كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ كَلَامٌ، فَأَغْلَظْتُ لَهُ فِي الْقَوْلِ، فَانْطَلَقَ عَمَّارٌ يَشْكُونِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، قال: فَجَاءَ خَالِدٌ وَهُوَ يَشْكُوهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ. قَالَ: فَجَعَلَ يُغْلِظُ لَهُ، وَلَا يَزِيدُهُ إِلَّا غِلْظَةً، وَالنَّبِيُّ ﷺ سَاكِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ، فَبَكَى عَمَّارٌ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا تَرَاهُ؟

فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَأْسَهُ، قَالَ: مَنْ عَادَى عَمَّارًا، عَادَاهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَ عَمَّارًا أَبْغَضَهُ اللهُ

قَالَ خَالِدٌ: فَخَرَجْتُ فَمَا كَانَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رِضَا عَمَّارٍ فَلَقِيتُهُ فَرَضِيَ)[1].

سابعاً: ومن مناقبهِ ﷺ أن النبيَّ ﷺ أخبرَه وبشرهُ أن الفئةَ الباغيةَ هي التي تقتلُه.

• عن أبي سعيدٍ ﷺ قالَ: (كُنَّا نَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً وَعَمَّارٌ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ، فَرَآهُ النَّبِيُّ ﷺ فَيَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ وَيَقُولُ: «**وَيْحَ عَمَّارٍ! تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ**».

قَالَ: يَقُولُ عَمَّارٌ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ)[2].

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي في «الكبرى» (٨٢٦٩) وأحمد (٤/ ٨٩)، وابن حبان (٧٠٨١)، [«صحيح الجامع» (٦٣٨٦)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٤٧).

• وقال ﷺ: «أبشر عمارُ! تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ»[1].

ثامناً: ومن مناقبه رضي الله عنه علمُه الذي تعلمه من رسولِ الله ﷺ وتَمَسُّكُهُ به.

• أتى رجلٌ عمرَ بنَ الخطابِ، فقال: إِنِّي أَجْنَبْتُ فَلَمْ أَجِدْ مَاءً، فَقَالَ عمرُ: لَا تُصَلِّ، فَقَالَ عَمَّارٌ: أَمَا تَذْكُرُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ أَنَا وَأَنْتَ فِي سَرِيَّةٍ، فَأَجْنَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ مَاءً، فَأَمَّا أَنْتَ فَلَمْ تُصَلِّ، وَأَمَّا أَنَا فَتَمَعَّكْتُ فِي التُّرَابِ وَصَلَّيْتُ، فلما أتينا النبي ﷺ فذكرتُ ذلك له.

فَقَالَ: «**إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ**» وضربَ النبيُّ ﷺ بيدِهِ إلى الأرضِ ثم نفخَ فيها، ومسحَ بها وجههُ وكَفَّيه)[2].

• عن أبي وائل قالَ: (خَطَبَنَا عَمَّارٌ فَأَوْجَزَ وَأَبْلَغَ، فَلَمَّا نَزَلَ قُلْنَا: يَا أَبَا الْيَقْظَانِ! لَقَدْ أَبْلَغْتَ وَأَوْجَزْتَ، فَلَوْ كُنْتَ تَنَفَّسْتَ.

فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ، مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ، وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ؛ وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا**»)[3].

هكذا الصحابةُ، في العلمِ علماءُ، وفي الجهادِ أبطالٌ. فرضيَ اللهُ عنكَ يا عمارُ وعنْ أصحابِ محمدٍ ﷺ أجمعينَ.

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٨٠٠)، [«السلسلة الصحيحة» (٧١٠)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٨)، ومسلم (٣٦٨) واللفظ له

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٨٦٩).

• أما مواعظهُ رضي الله عنه فمنها:

أولاً: يقولُ عمارٌ رضي الله عنه: (ثَلاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فقد جَمَعَ الإِيمَانَ: الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، -أي أن تكونَ منصفاً مع الناسِ ومعَ نفسِك، وإياك أن تداهنَ معَ نفسِك ومعَ الناسِ -وَبَذْلُ السَّلامِ للعالمَ- أي تُلقي السلامَ على مَنْ عرفْتَ ومَنْ لم تعرف - وَالإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ)[1]. -أي تنفقُ مِنْ مالكَ وإن كانَ قليلاً.

ثانياً: يقولُ رجلٌ: (كُنّا مع عمارِ بنِ ياسرٍ وعندَه أعرابيٌّ فذكروا المرضَ.

فقال الأعرابيُّ: ما مرضْتُ قطُّ.

فقال عمار: لستَ منا، إنَّ المسلمَ يُبتلى بالبلاءِ، فيكونُ كفارةَ خطاياهُ، فتتحاتُّ كما تتحاتُّ ورقُ الشجرِ، وإنَّ الكافرَ يُبتلى، فيكونُ مَثَلُه مثلُ البعيرِ عُقِلَ فلا يدري لِمَ عُقِلَ، ويُطلَقُ فلا يدري لم أُطلِقَ)[2].

ثالثاً: وقال رضي الله عنه: (كَفَى بِالْمَوْتِ وَاعِظًا، وَكَفَى بِالْيَقِينِ غِنًى، وَكَفَى بِالْعِبَادَةِ شُغْلًا)[3].

وصدقَ واللهِ فمنْ لم يتعظْ بالموتِ فلا واعظَ له.

---

(١) رواه البخاري معلقاً، ووصله ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٤٤٠).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخه» (٤٣/ ٤٤٦).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد في «الزهد» (٩٧٧)، وابن أبي الدنيا في «اليقين» (٣١)، [«السلسلة الضعيفة» (٥٠٢)].

وإنك لترى الذي يصلي على جنازةٍ ويعلمُ أنه سيُصَلى عليه غداً، والذي يحملُ الجنازةَ إلى المقابرِ ويعلمُ أنه غداً سيُحملُ إليها، والذي يقفُ على القبرِ ويعلـمُ أنـه بعد قليلٍ سيكونُ داخلَ هذا القبرِ فلا يتّعظُ! وتراه يأتي مع الجنازةِ فيقفُ في خارجِ المسجدِ لا يصلّي على الميتِ ولا يصلي حتى الفريـضةَ لله! وتـراه هنـاكَ عنـد القـبرِ -وهم يدفنون الميتَ- يضحَكُ ويبيعُ ويشتري ويغتابُ ويتكلمُ فيما لا يعنيه!

فهــذا لم يــتّعظْ بــالموتِ واللهُ عــزَّ وجــلَّ يقــول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [العنكبوت:٥٧].

ويقولُ اللهُ عز وجل لرسولهِ ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزُمَر].

وجبريلُ عليه السلام يقولُ لرسولِنا ﷺ: «**يا محمد عش ما شئت فإنك ميت**»[1].

ويقولُ القائل:

لا شيءَ مما تـرى تبقـى بـشاشته	يبقـى الإلـهُ ويفنـى المالُ والولـد
لم تغـنِ عـن هرمـزٍ يومـاً خزائنُـه	والخلدَ قد حاولَتْ عادٌ فما خلَـدوا
ولا سـليمانَ إذ تجـري الريـاحُ لـه	والإنـسُ والجـنُّ فـيما بينهـا تـردُ
أيـنَ الملـوكُ التـي كانـت لعزّتهـا	مـنْ كُـلِّ أَوْبٍ إليهـا وافـدٌ يَفِـدُ
حوضٌ هنالكَ موردٌ بـلا كـذبٍ	لابـدَّ مِـنْ وِرده يومـاً كـما وردوا

(١) **حسن لغيره**: رواه الحاكم (٧٩٢١)، والبيهقي في الشعب (١٠٥٤١)، والخطيب في تاريخه (٤/ ١٠) عن سهل بن سعد ،والطيالسي (١٧٥٥)، والبيهقى فى الشعب (١٠٥٤٠) عـن جـابر.[«صـحيح الترغيـب والترهيب » (٦٢٧،٨٢٤)].

فكفى بالموت واعظاً، وصدقتَ يا عمارُ! فمن لم يتعظْ بالموتِ فلا واعظَ له، ومنِ اتعظَ بالموتِ فليبشرْ، لأنه إذا اتّعظَ بالموتِ قلَّ عنده الكثيرُ، وكَثُرَ عنده القليلُ فتراه راغباً فيما عندَ اللهِ، بعيداً عن معصيةِ اللهِ.

اللهمَّ ارزقنا توبةً نصوحاً قبلَ الموتِ.

٤٧

أبو ذرٍّ الغِفاريُّ رضي الله عنه

عبادَ الله! يقـولُ اللهُ عـزَّ وجـلَّ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

وهؤلاءِ الرجالُ همْ أصحابُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه.

حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

من أحبهم أحبه الله، ولا يحبهم إلا مؤمن.

ومن أبغضهم أبغضه الله، ولا يبغضهم إلا منافق زنديق.

وموعدُنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى مع رجلٍ من هؤلاءِ الرجالِ، وصحابيٍّ من الصحبِ الكرامِ.. أتدرون من هو يا عباد الله؟

إنه: أبو ذَرٍّ الغِفاريّ رضي الله عنه .. أتعرفونه يا أمة الإسلام؟

هو جُنْدُبُ بنُ جُنادة، أحدُ السابقينَ الأولين إلى الإسلامِ.

كان رابعَ أربعةٍ في الإسلامِ، ثم إنه رُدَّ إلى بلادِ قومهِ فأقامَ بها لأمرِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم له بذلك، فلما أن هاجرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم هاجرَ إليه ولازَمه، وجاهدَ معه.

وحديثُنا عن أبي ذر رضي الله عنه سيكونُ عن إسلامهِ، ومناقبهِ، ومواعظهِ.

• أما إسلامُه ﷺ.

فيقولُ ابنُ عباسٍ ﷺ: (لَـمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لأَخِيهِ: ارْكَـبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي؛ فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَـزْعُمُ أَنَّـهُ نَبِـيٌّ يَأْتِيـهِ الْخَـبَرُ مِـنَ السَّمَاءِ، وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ ائْتِنِي.

فَانْطَلَقَ الأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَـالَ لَـهُ: رَأَيْتُـهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ، وَكَلاَمًا مَا هُوَ بِالشِّعْرِ.

فَقَالَ أبو ذر: مَا شَفَيْتَنِي مِمَّا أَرَدْتُ.

فَتَزَوَّدَ وَحَمَلَ شَنَّةً -أي قِربةً- لَهُ فِيهَا مَـاءٌ حَتَّـى قَـدِمَ مَكَّـةَ فَـأَتَى الْـمَـسْجِدَ، فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ ﷺ وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَكَرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ.

حَتَّى أَدْرَكَهُ بَعْضُ اللَّيْلِ، فَرَآهُ عَلِيٌّ فَعَرَفَ أَنَّهُ غَرِيبٌ، فَلَـمَّا رَآهُ تَبِعَهُ، فَلَمْ يَسْأَلْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ، حَتَّى أَصْبَحَ، ثُمَّ احْتَمَـلَ قِرْبَتَـهُ وَزَادَهُ إِلَى الْمَـسْجِدِ، وَظَلَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَلاَ يَرَاهُ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَمْسَى فَعَادَ إِلَى مَضْجَعِهِ، فَمَرَّ بِهِ عَلِيٌّ.

فَقَالَ: أَمَا نَالَ -أي: أما حان- لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَهُ؟

فَأَقَامَهُ، فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ لاَ يَسْأَلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَـنْ شَيْءٍ، حَتَّـى إِذَا كَـانَ يَوْمُ الثَّالِثِ فَعَادَ عَلِيٌّ مِثْلَ ذَلِكَ، فَأَقَامَ مَعَهُ ثُمَّ قَالَ: أَلاَ تُحَدِّثُنِي مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ ؟

قَالَ: إِنْ أَعْطَيْتَنِي عَهْدًا وَمِيثَاقًا لَتُرْشِدَنَّنِي فَعَلْتُ. فَفَعَلَ، فَـأَخْبَرَهُ، قَـالَ: فَإِنَّـهُ حَقٌّ وَهُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتْبَعْنِي، فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْكَ

قُمْتُ كَأَنِّي أُرِيقُ الْمَاءَ، فَإِنْ مَضَيْتُ فَاتْبَعْنِي حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلِي، فَفَعَلَ، فَانْطَلَقَ يَقْفُوهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَدَخَلَ مَعَهُ، فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ.

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي**». قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ. فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله. ثُمَّ قَامَ الْقَوْمُ فَضَرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ. وَأَتَى الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ وقَالَ: وَيْلَكُمْ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَارٍ، وَأَنَّ طَرِيقَ تِجَارِكُمْ إِلَى الشَّامِ؟ فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ. ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِ لِمِثْلِهَا فَضَرَبُوهُ وَثَارُوا إِلَيْهِ، فَأَكَبَّ الْعَبَّاسُ عَلَيْهِ)[1].

• وفي روايةٍ مسلمٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قال لأبي ذرٍّ بعدما أسلم: «**إِنَّهُ قَدْ وُجِّهَتْ لِي أَرْضٌ** -أي: أُريتُ جهتها- **ذَاتُ نَخْلٍ لَا أُرَاهَا إِلَّا يَثْرِبَ** -أي: المدينة- **فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ؟ عَسَى الله أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ**».

فَأَتَيْتُ أُنَيْسًا فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: صَنَعْتُ أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ. قَالَ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكَ، فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ.

فَأَتَيْنَا أُمَّنَا فَقَالَتْ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكُمَا -أي: لا أكرهه بل أدخلُ فيه- فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ.

فَاحْتَمَلْنَا حَتَّى أَتَيْنَا قَوْمَنَا غِفَارًا. فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ. وَكَانَ يَؤُمُّهُمْ إِيمَاءَ بْنُ رَحَضَةَ الْغِفَارِيُّ وَكَانَ سَيِّدَهُمْ.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨٦١)، ومسلم (٢٤٧٤) واللفظ للبخاري.

وَقَالَ نِصْفُهُمْ -أي الآخرُ- : إِذَا قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ الْـمَدِينَةَ أَسْـلَمْنَا فَقَـدِمَ رَسُولُ الله ﷺ الْـمَدِينَةَ. فَأَسْلَمَ نِـصْفُهُمْ الْبَـاقِي. وَجَـاءَتْ أَسْـلَمُ -وهـي قبيلـةُ أسلم- فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله! إِخْوَتُنَا -أي غفارٌ- نُسْلِمُ عَلَى الَّذِي أَسْـلَمُوا عَلَيْـهِ. فَأَسْلَمُوا فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**غِفَارُ غَفَرَ الله لَهَا، وَأَسْلَمُ سَالَـمَهَا الله**»)[1].

أما مناقبهُ رضي الله عنه فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: أنه رضي الله عنه أولُ من حيّى رسولَ الله ﷺ بتحيةِ الإسلامِ.

• يقول أبو ذر رضي الله عنه: (..وَجَاءَ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّـى اسْـتَلَمَ الْحَجَـرَ، وَطَـافَ بِالْبَيْتِ هُوَ وَصَاحِبُهُ -أي: أبو بكر- ثُمَّ صَلَّى، فَلَـمَّا قَضَى صَلاَتَهُ، قَـالَ أَبُـو ذَرٍّ: فَكُنْتُ أَنَا أَوَّلَ مَنْ حَيَّاهُ بِتَحِيَّـةِ الْإِسْـلَامِ، فَقُلْـتُ: الـسَّلَامُ عَلَيْـكَ يَـا رَسُولَ الله. فَقَالَ:« **وَعَلَيْكَ** -أي السلام- **وَرَحْمَةُ الله**».

ثُمَّ قَالَ: مَنْ أَنْتَ؟

قُلْتُ: «**مِنْ غِفَارٍ**»...الحديث)[2].

ثانياً: ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ أثنى عليه.

• قال ﷺ: «**مَا أَظَلَّتِ الخَضْرَاءُ، وَلاَ أَقَلَّتِ الغَبْرَاءُ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ**»[3].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٧٣).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٧٣).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٨٠١)، وابن ماجه (١٥٦)، وأحمد (٢/ ١٦٣)، والبزار (٢٤٨٨)، [«صحيح الجامع» (٥٥٣٧)].

• وقال ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى تَوَاضُعِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى أَبِي ذَرٍّ**»[1].

ثالثاً: ومن مناقبه رضي الله عنه أنه كانَ من السابقينَ الأولينَ إلى الإسلامِ.

• يقولُ أبو ذرٍّ رضي الله عنه: (كُنْتُ رُبُعَ الْإِسْلَامِ، أَسْلَمَ قَبْلِي ثَلَاثَةٌ وَأَنَا الرَّابِعُ، أَتَيْتُ نَبِيَّ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَرَأَيْتُ الِاسْتِبْشَارَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَقَالَ: «**مَنْ أَنْتَ؟**»

فَقُلْتُ: إِنِّي جُنْدُبٌ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ)[2].

رابعاً: ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ كان يحبُّه ولذلكَ كانَ يوصيه بأعمالِ الخيرِ والبرِّ.

ويظهرُ ذلكَ منَ الأدلةِ التاليةِ:

• يقول أبو ذَرٍّ رضي الله عنه: قال رسولُ الله ﷺ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي. لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ**»[3].

---

(١) **حسن لغيره**: رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٢٦٧)، وابن سعد في «الطبقات» (٤/ ٢٢٨)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٣٤٣)].

(٢) **حسن**: رواه ابن حبان (٧١٣٤)، والطبراني في «الكبير»(١٦١٧)، والحاكم (٥٤٥٩)، [«صحيح موارد الظمآن» (١٩١٤)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٢٦).

فيا من تركضونَ خلفَ المناصبِ! تذَكَّروا أنَّ الإمارةَ يومَ القيامةِ خزيٌ وندامةٌ.

قال أبو ذر رضي الله عنه: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله. أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟

أي: ألا تجعلُني على منصبٍ من مناصبِ الدولةِ -فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي ثُمَّ قَالَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا**»[1].

فإنك إذا أُمِّرتَ على اثنين سُئلتَ عنهما يومَ القيامة.

وإذا أمّرتَ على خمسةٍ سئلتَ عنهم يومَ القيامة.

وإذا أمّرتَ على أمةٍ سئلتَ عنها يومَ القيامةِ.

ألم يقلْ عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه: (لو ماتت شاةٌ على شطِّ الفراتِ ضائعةً لظننتُ أن الله تعالى سائلي عنها يوم القيامة)[2].

- وقال أبو ذرٍّ رضي الله عنه: «**قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا تَحْقِرَنَّ مِنْ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**»[3].
- وقال أبو ذرٍّ رضي الله عنه: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ**»[4].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٢٥).

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٥٣).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٢٦).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٢٥).

أينَ نحنُ من هذا الحديثِ معَ جيراننا! فليتّقِ الله الجارُ في جارهِ.

• وقال أبو ذر ﷺ: قال لي رسولُ الله ﷺ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ. أَتَرَى كَثْرَةَ الْـمَالِ هُوَ الْغِنَى؟**» قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ!

قَالَ: «**إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى الْقَلْبِ، وَالْفَقْرُ فَقْرُ الْقَلْبِ**»(١).

• ويقولُ أبو ذرٍّ ﷺ: (كُنْتُ أَمْشِي خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ! أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْـجَنَّةِ؟**»

قُلْتُ: بَلَى.

فَقَالَ ﷺ: «**لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»)(٢).

• وقال أبو ذَرٍّ ﷺ: «**أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِسَبْعٍ: بِحُبِّ الْـمَسَاكِينِ، وَأَنْ أَدْنُوَ مِنْهُمْ، وَأَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنِّي، وَلا أَنْظُرُ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي، -أي: في أمور الدنيا- وَأَنْ أَصِلَ رَحِمِي وَإِنْ جَفَانِي، وَأَنْ أُكْثِرَ مِنْ: لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ، وَأَنْ أَتَكَلَّمَ بِمُرِّ الحَقِّ، وَلا تَأْخُذَنِي فِي اللهِ لَوْمَةُ لائِمٍ، وَأَنْ لا أَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا**»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه ابن حبان (٦٨٥)، والحاكم (٧٩٢٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٨٢٧)].

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٨٢٥)، والنسائي في «الكبرى» (٩٨٧١)، وأحمد (٥/ ١٥٠)، وابن حبان (٨٢٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٥٨٥)].

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ١٥٩)، الطبراني في «الكبير» (١٦٤٩)، وابن حبان (٤٤٩)، واللفظ للطبراني [«صحيح الترغيب والترهيب» (٨١١)].

• وقال أبو ذرٍّ رضي الله عنه: «**أَوْصَانِي حِبِّي بِثَلَاثٍ -لَا أَدَعُهُنَّ إِنْ شَاءَ اللهُ أَبَدًا-: أَوْصَانِي بِصَلَاةِ الضُّحَى، وَبِالْوِتْرِ قَبْلَ النَّوْمِ، وَبِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ**»(١).

خامساً: ومن مناقبهِ رضي الله عنه قربهُ من النبيِّ ﷺ وحرصُه على الخير.

• عن أبي ذرٍّ عن النبيِّ ﷺ قال: («**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**».

قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مِرَارٍ.

قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**الْـمُسْبِلُ** -أي المُرخي لثوبه تحتَ الكعبينِ- **وَالْـمَنَّانُ، وَالْـمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْـحَلْفِ الْكَاذِبِ**»)(٢).

وفي رواية له: «**المسبلُ إزارَه**».

• وقال أبو ذر رضي الله عنه: (كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرَّةِ الْـمَدِينَةِ، فَاسْتَقْبَلَنَا أُحُدٌ فَقَالَ ﷺ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «**مَا يَسُرُّنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هَذَا ذَهَبًا تَمْضِي عَلَيَّ ثلاثةُ أيامٍ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ، إِلاَّ شَيْئًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ، إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللهِ هَكَذَا، وَهَكَذَا، وَهَكَذَا**».

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي (٢٤٠٤)، وأحمد (٥/ ١٧٣)، وابن خزيمة (١٠٨٣)، [«إرواء الغليل» (٤٥٩)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٦).

عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، ثُمَّ سار فَقَالَ: «**إِنَّ الأَكْثَرِينَ هُمُ الأَقَلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ مَنْ قَالَ بِالمالِ: هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا**».

عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ.

ثُمَّ قَالَ لِي: «**مَكَانَكَ لاَ تَبْرَحْ حَتَّى آتِيَكَ ثُمَّ انْطَلَقَ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ حَتَّى تَوَارَى -أي: غابَ شخصُه- فَسَمِعْتُ صَوْتًا قَدِ ارْتَفَعَ، فَتَخَوَّفْتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ عَرَضَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَأَرَدْتُ أَنْ آتِيَهُ فَذَكَرْتُ قَوْلَهُ لِي: لاَ تَبْرَحْ حَتَّى آتِيَكَ فَلَمْ أَبْرَحْ حَتَّى أَتَانِي**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتًا تَخَوَّفْتُ فَذَكَرْتُ لَهُ.

فَقَالَ: وَهَلْ سَمِعْتَهُ؟ قُلْتُ: «**نَعَمْ**».

قَالَ ﷺ: «**ذَاكَ جِبْرِيلُ أَتَانِي فَقَالَ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ**».

قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**»)[1].

• (قَالَ أَبُو ذَرٍّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْمَلَ كَعَمَلِهِمْ؟

قَالَ ﷺ: «**أَنْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**».

قُلْتُ: فَإِنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ.

قَالَ ﷺ: «**فَأَنْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**».

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٤٤٤)، ومسلم (٩٤).

قَالَ هَاشِمٌ: قَالَهَا لَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**»[1].

ونحنُ نُشهدَ الله أنا نحبُّ أبا ذرٍّ، ونحبُّ اللهَ ورسولَه، ونسألُ اللهَ عز وجل أن يجمعنا مع أبي ذر معَ نبيِّنا في جناتِ النعيمِ.

• أما مواعظُه فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: موعظته في التزوّدِ للسفرِ الطويلِ.

• عن سفيانَ الثوريِّ قالَ: قامَ أبو ذر الغفاريُّ عند الكعبةِ فقال:

(يا أيها الناسُ! أنا جُندُب الغِفاريُّ. هلموا إلى الأخِ الناصحِ الشفيقِ فاكتنفَه الناسُ.

فقال: أرأيتم لو أنَّ أحدَكم أرادَ سفراً، أليسَ يتخذُ منَ الزادِ ما يصلِحُه ويُبلِّغه؟

قالوا: بلى!

قال: فإنَّ سفرَ طريقِ القيامةِ أبعدُ ما تريدون، فخذوا منه ما يصلِحُكم. قالوا: وما يصلِحُنا؟

قال: حُجُّوا حَجةً لعظائمِ الأمورِ.

صوموا يوماً شديداً حرُّه لطولِ النشورِ.

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٥١٢٦) وأحمد (٥/ ١٦٦) وابن حبان (٥٥٦) واللفظ لأحمد [«صحيح سنن أبي داود»].

صلوا ركعتين في سوادِ الليلِ لوحشةِ القبورِ.

كلمةُ خيرٍ تقولُها، أو كلمةُ شرّ تسكتُ عنها، لوقوفِ يومٍ عظيمٍ، تَصدَّقْ بمالك لعلك تنجو من عَسيرها.

اجعلِ الدنيا مجلسين: مجلساً في طلبِ الآخرةِ، ومجلساً في طلبِ الحلالِ والثالثُ يضرُّك ولا ينفعُك لا تريدُه.

اجعلِ المالَ درهمين: درهماً تنفقُه على عيالِك مِن حِلّه، ودرهماً تُقَدِّمُه لآخرتك، والثالثُ يضرّك ولا ينفعُك لا تريدُه، ثم نادى بأعلى صوتهِ: يا أيها الناس! قد قتلَكمْ حرصٌ لا تدركونه أبداً)[1].

• وصدقَ واللهِ فإنّ السفرَ إلى الدارِ الآخرة طويلٌ يحتاجُ إلى زادٍ، وخيرُ زادٍ تتزودُ به لهذا السفرِ الطويلِ هو زادُ التقوى كما قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:١٩٧].

والتقوى تتحصل عليها بعبادتك لله عز وجل وبالأعمالِ الصالحةِ.

ابنَ آدم!

تزوّد مِنْ معاشِكَ للمعادِ ... وقمْ لله واجمعْ خيرَ زاد

ولا تجمعْ منَ الدنيا كثيراً ... فإنَّ المالَ يُجمَعُ للنفادِ

أترضى أن تكونَ رفيقَ قومٍ ... لهمْ زادٌ وأنتَ بغيرِ زادِ

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٦٥).

ثانياً: موعظتُه ﷺ في العملِ لما بعدَ الموتِ:

• (دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى أَبِي ذَرٍّ ﷺ فَجَعَلَ يُقَلِّبُ بَصَرَهُ فِي بَيْتِهِ.

فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، أَيْنَ مَتَاعُكُمْ؟

قَالَ: إِنَّ لَنَا بَيْتٌ نُوَجِّهُ إِلَيْهِ صَالِحَ مَتَاعِنَا

قَالَ الرجلُ: إِنَّهُ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ مَتَاعٍ مَا دُمْتَ هَا هُنَا

قَالَ أبو ذر: إِنَّ صَاحِبَ المنزلِ لَا يَدَعُنَا فِيهِ)[1].

ابنَ آدم! السفرُ طويلٌ والعقبةُ كؤودٌ، والعملُ قليلٌ، والموتُ يأتي بغتةً.

نسيرُ إلى الآجالِ في كلِّ لحظةٍ ... وأيامُنا تُطوى وهنَّ مراحلُ
ولم أر مثلَ الموتِ حقاً كأنه ... إذا ما تخطّته الأمانيُّ باطلُ
وما أقبحَ التفريطَ في زمنِ الصِّبا ... فكيفَ به والشيبُ للرأسِ شاعلُ
ترحَّلْ من الدنيا بزادٍ منَ التقى ... فعمرُك أيامٌ وهنَّ قلائلُ

ابنَ آدمَ!

تزوّدْ منَ التقوى فإنك لا تدري ... إذا جنّ ليلٌ هل تعيشُ إلى الفجرِ
فكم من صحيحٍ ماتَ من غيرِ علةٍ ... وكم من عليلٍ عاشَ حيناً من الدهرِ
وكم من فتى يمسي ويصبحُ ضاحكاً ... وقد نُسِجَتْ أكفانُهُ وهو لا يدري
وكمْ من عروسٍ زيّنوها لزوجِها ... وقد قُبِضَتْ أرواحُهم ليلةَ القدرِ

(١) رواه الدينوري في «المجالسة» (٩٠٦)

ثالثاً: موعظتُه رضي الله عنه في الزهدِ:

عاتبَتْ أمُّ ذرّ أبا ذرٍّ رضي الله عنهما في معيشتِها، فقـال: (يـا أمَّ ذَرٍّ إنّ بـينَ أيـدينا عقبـةً كؤوداً، وإنَّ المُخِفَّ فيها أهونُ منَ المُثقِل)[1].

ألم أقلْ لكم أنَّ هؤلاءِ همُ الرجالُ، هم الذينَ حملـوا الـدينَ، وفتحـوا قلـوبَ العبادِ! قبل أن يفتحوا البلادَ؟

اللهم رد المسلمين إلى دينك ردًّا جميلاً.

(١) رواه أحمد في «الزهد» (٧٩٦)

٤٨

محمدُ بنُ مسلمةَ رضي الله عنه

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عز وجل في كتابـه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

وهؤلاء الرجالُ همْ أصحابُ محمدٍ ﷺ، قومٌ اختارَهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّه ونُصرةِ دينهِ.

من أحبهم وسلكَ سبيلَهم سَعِدَ في الدنيا والآخرة.

• قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

ومن أبغضَهم وسلكَ سبيلاً غيرَ سبيلهم شقيَ في الدنيا والآخرة.

• قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء].

وموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ الله تعالى معَ رجلٍ منْ هؤلاءِ الرجالِ، وصحابيّ منَ الصحبِ الكرامِ.. أتدرونَ مَن هو يا عبادَ الله؟

إنه: محمدُ بنُ مسلمةَ رضي الله عنه .. أتعرفونَه يا أمةَ الإسلامِ؟

هو محمدُ بنُ مسلمةَ بنِ خالدِ بنِ عَديٍّ بنِ مَجْدَعةَ.

أبو عبدِ الله، وقيل: أبو عبدِ الرحمنِ، الأنصاريُّ الأوسيُّ.

من نجباءِ الصحابةِ، شهدَ بدراً والمشاهدَ معَ رسولِ الله ﷺ.

وحديثُنا عن محمدِ بنِ مسلمةَ رضي الله عنه سيكونُ عن مناقبهِ ومواقفهِ.

أما مناقبُه رضي الله عنه فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: أنه رضي الله عنه مِنْ خيرةِ الأنصارِ.

- وقد أثنى اللهُ في كتابهِ على الأنصارِ وفي مُقدمتهم محمدُ بنُ مسلمةَ رضي الله عنه.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر].

وسمّى اللهُ عز وجل الأنصارَ أنصاراً.

(قال رجلٌ لأَنَسٍ رضي الله عنه: أَرَأَيْتَ اسْمَ الأَنْصَارِ، كُنْتُمْ تُسَمَّوْنَ بِهِ أَمْ سَمَّاكُمُ الله؟ قَالَ: بَلْ سَمَّانَا اللهُ)[1].

- وأثنى رسولُ الله ﷺ في سنته على الأنصارِ، وفي مقدمتهم، محمدُ بنُ مسلمةَ رضي الله عنه.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٧٦)

قال ﷺ: «**آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ**»[1].

وقال ﷺ: «**الأَنْصَارُ لاَ يُحِبُّهُمْ إِلاَّ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يُبْغِضُهُمْ إِلاَّ مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ الله، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ الله**»[2].

• الأنصارُ أحبُّ الناسِ إلى رسولِ الله ﷺ وفي مقدمتهم محمدُ بنُ مَسلمةِ رضي الله عنه.

يقول أنسٌ رضي الله عنه: (جَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَكَلَّمَهَا رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ**». مَرَّتَيْنِ)[3].

وقال ﷺ: «**لَوْلاَ الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَءًا مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ وَادِيًا، أَوْ شِعْبًا - لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ، أَوْ شِعْبَ الأَنْصَارِ**»[4].

وقال ﷺ: «**اللهمَّ اغْفِرْ لِلأَنْصَارِ، وَلأَبْنَاءِ الأَنْصَارِ**»[5].

ثانياً: ومن مناقبهِ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ أخبرَ أن الفتنةَ لا تضرُّه.

• يقول حذيفة بنُ اليمانِ رضي الله عنه: (مَا مِن أَحَدٍ إلا وأنا أخافُ عليه الْفِتْنَةَ إِلَّا ما كان مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**لاَ تَضُرُّكَ الْفِتْنَةُ**»)[6].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٧)، ومسلم (٧٤).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٨٦).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٧٢٤٤)

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٩٠٦)، ومسلم (٢٥٠٦).

(٦) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٦٣)، وابن أبي شيبة (٣٧٢٣٨)، والحاكم (٥٨٣٧)، [«المشكاة»(٦٢٣٣)].

• وإنه لَـمّا وَقَعَتْ الفتنةُ اعْتَزَلَهَا.

قال الإمامُ الذهبيُّ : (.. وكان رضي الله عنه ممن اعتزلَ الفتنةَ، ولا حضرَ الجملَ، ولا صفّين، بل اتخذَ سيفاً من خشبٍ وتحوَّلَ إلى الرّبذةِ، فأقامَ بها مُدَيْدَةً)[1].

ثالثاً: ومن مناقبهِ رضي الله عنه : أنه كان إذا شُكِيَ إلى عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه عامِلٌ، أرسلَ محمدَ بنَ مسلمةَ للتحقيقِ في القضيةِ -أي كانَ يرسلُه في المهماتِ الصعبةِ-.

(شَكَا أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عُمَرَ رضي الله عنه فَعَزَلَهُ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَوْا -أي سعداً- حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّي فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هَؤُلاَءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لاَ تُحْسِنُ تُصَلِّي. قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا وَاللهِ فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاَةَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَا أَخْرِمُ عَنْهَا، أُصَلِّي الْعِشَاءَ فَأَرْكُدُ فِي الأُولَيَيْنِ وَأُخِفُّ فِي الأُخْرَيَيْنِ.

قَالَ عمر: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ.

فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلاً -وهو محمدُ بنُ مسلمةَ- إِلَى الْكُوفَةِ؛ فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ، وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلاَّ سَأَلَ عَنْهُ وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ قَالَ: أَمَا إِذْ نَشَدْتَنَا، فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ.

قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللهِ لأَدْعُوَنَّ بِثَلاَثٍ: اللهمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمُرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ لِلْفِتَنِ.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٣٠)

قَالَ عَبْدُ الْـمَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِـنَ الْكِـبَرِ، وَإِنَّـهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ

وَكَانَ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ)[1].

فاحذَرْ يا عبدَالله أن تكذبَ أو أن تظلِمَ.

فاحذرْ أن تكتبَ تقريراً كاذباً عن إنسانٍ.

فاحذر أن تَصِلَ إلى منصبٍ بظلمِ الآخرين.

فهذا الرجل كذبَ على سعدٍ وظلَمه، فلما دعـا عليـه اسـتجابَ اللهُ لـه، لأنـه مظلومٌ.

والظالمُ لا ينسَى أبداً ما فعلَ في حياته وقوته.

الشاهدُ أنَّ الذي حققَ في القضيةِ هو محمدُ بنُ مسلمةَ.

أما مواقفُه فهي كثيرةٌ منها:

موقفُه رضي الله عنه في قتلِ كعبِ بنِ الأشرفِ اليهوديّ الذي آذى اللهَ ورسولَه.

يقولُ اللهُ عز وجل في عـداوةِ اليهـودِ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة:٨٢].

وكعبُ بنُ الأشرفِ اليهوديُّ من أشدِّ اليهودِ حُنْقاً على الإسـلامِ والمسلمينَ، ومن أشدِّهم إيذاءً لرسولِ اللهِ ﷺ، وكانَ مُظاهِراً بالدعوة إلى حربهِ ﷺ.

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٧٥٥).

وهذا اليهوديُّ كانَ من يهودِ بني النضيرِ، وكان غنيًّا مُترَفاً معروفاً بجمالِه في العربِ، وكانَ شاعراً من شعرائها.

ولما بلغَه أولُ خبرٍ عن انتصارِ المسلمينَ، وعن مقتلِ صناديدِ قريشٍ في بدرٍ قال: أحقٌّ هذا؟! هؤلاءِ أشرافُ العربِ، وملوكُ الناسِ.

واللهِ! إن كانَ محمدٌ أصابَ هؤلاءِ القومَ، لبطنُ الأرضِ خيرٌ منْ ظهرِها!

ولما تأكدَ لديه الخبرُ، انبعث عدوُّ اللهِ يهجو رسولَ اللهِ ﷺ والمسلمين، ويمدحُ عدوَّهم ويحرِّضُهم عليهم.

ولم يكتفِ بهذا القدرِ، بل ركبَ إلى قريشٍ فنزلَ على أحدِ أشرافِها، وجعلَ يُنشدُ الأشعَار يبكي فيها على أصحابِ القليبِ من قتلى المشركينَ؛ يثيرُ بذلك حَفائظَهم، ويُذْكي حقدَهم على النبيِّ ﷺ، ويدعوهم إلى حربه.

ولما رجَع كعبُ بنُ الأشرفِ اليهوديُّ إلى المدينةِ على تلكَ الحالِ، وأخذ يتغزّلُ في أشعارِه بنساءِ الصحابةِ، ويؤذيهم بسلاقَةِ لسانهِ أشدَّ الإيذاءِ.

عندَها قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: («**مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ؟ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللهَ وَرَسُولَهُ**».

فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟

قَالَ ﷺ: «**نَعَمْ**».

قَالَ: فائْذَنْ لِي أن أقولَ شيئاً -وهذا من حسن الأدبِ والتربيةِ- قَالَ ﷺ: «**قُلْ**».

فَأَتَاهُ -أي ذهبَ محمد بـنُ مـسلمةَ إلى كعـبِ بـنِ الأشرفِ- فَقَـالَ : إِنَّ هَـذَا الرَّجُلَ -يعني رسولَ الله ﷺ- قَدْ سألنا صَدَقَةً و إنـه قَـدْ عَنَّانَـا -أي: أوقعَنـا في العنتِ والحرَجِ وكلّفنا ما لم نجدْ-.

فقالَ كعبُ بنُ الأشرفِ: -وقد بدى البِشْرُ على وجهه- وَاللهِ! لَتَمَلُّنَّهُ.

قَالَ محمدُ بنُ مسلمَة: إِنَّا قَدْ اتَّبَعْنَاهُ، وَنريدُ أن نرجِعَ عنه حتـى نـرى إلى مـاذا ينتهي أمرهُ وشأنهُ، فَسَلِّفْنِي وَسْقاً أو وَسْقَينِ

قَالَ كعبُ بنُ الأشرفِ: نعم، إرهِنوني.

قال محمدُ بنُ مسلمةَ: ماذا تريدُ أن نُرهِنَك؟

قَالَ كعبٌ: ارهنوني نساءَكم.

قَالَ محمدُ بنُ مسلمةَ: كيف نُرْهِنُك نساءَنا، وأَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ؟!

قَالَ كعبٌ: فارهنوني أبناءَكم

قَالَ محمدُ بنُ مسلمةَ: كيف نُرْهِنُك أبناءَنـا ، فيُـسَبُّ أحـدُهم، فَيُقَـالُ: رُهِـنَ بوَسْقٍ أو وسقين – أي: هذا عارٌ علينا-

قال كعبٌ: فماذا تُرهنوني؟

قال ابنُ مسلمةَ: نَرْهَنُكَ اللَّأْمَةَ -يَعْنِي السِّلَاحَ- وأرادَ ابنُ مسلمةَ بـذلكَ أنـه إذا جاءَه بعدَ ذلك والسلاحُ في يدِه لا يُنكرِهُ، ويكونُ اعتقـادُه أنـه جـاءَ بالـسلاحِ ليضعه عنده رهناً -قَالَ اليهودي: نعم.

ثم وعده محمدُ بنُ مسلمةَ أن يأتيَه في الليلةِ القادمةِ ببعضِ رجالٍ على مثلِ ما هو عليه في محمدٍ ﷺ

فجاءوا في الليلةِ التاليةِ وهم متسلّحون، فدعوه ليلاً لينزلَ إليهم.

قَالَتْ امْرَأَتُهُ: إِنِّي لَأَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ صَوْتُ دَمٍ!

قَالَ كعبٌ لها: إِنَّمَا هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَرَضِيعِي – أي أخي في الرَّضاعة– أَبُو نَائِلَةَ، ولَوْ دُعِيَ الفتى لطَعْنَةٍ لَيْلًا لَأَجَابَ، فنزلَ – أي: كعبٌ–

فقَالَ مُحَمَّدُ بنُ مسلمةَ لأصحابه قبلَ أن ينزلَ إليهم: إِنِّي سأمدُّ يَدِي إِلَى رَأْسِهِ فَإِذَا اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فَدُونَكُمْ فاقتُلوه.

فَلَمَّا نَزَلَ إليهم كعبُ نَزَلَ وَهُوَ مُتَوَشِّحاً تفوحُ منه رائحةُ الطيبِ فَقَالُوا: نَجِدُ مِنْكَ رِيحَ الطِّيبِ؟! قَالَ كعبٌ: نَعَمْ، عندي أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ.

قَالَ محمدُ بنُ مسلمةَ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشُمَّ ؟ فوضعَ يدَه في رأسِه فمسحَ رأسَه بيده ليأخذ من طيبِ رأسِهِ ثم شَمَّها.

ثم ساروا قليلاً ثم عادَ محمدُ بنُ مسلمةَ فقال: أتأذنُ لي أعودَ فأشمّ؟

قال كعبٌ: نعم شمّ، فوضعَ يدَه في رأسِه ، فلما اسْتَمْكَنَ مِنْ رَأْسِهِ قَالَ لأصحابه : دُونَكُمْ، فاقْتُلوهُ، فَقَتَلُوهُ)[1].

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٠٣٧)، ومسلم (١٨٠١) واللفظ له.

نزلتِ السيوفُ على جسدِ هذا اليهوديّ المجرمِ الذي آذى اللهَ ورسولَه، فوقَع عدوُّ الله قتيلاً وقد صاحَ صيحةً شديدةً أفزعَتْ مَنْ حولَه من اليهود.

فلم يبقَ حصنٌ إلا أوقدَ النارَ -أي: أنهم استيقظوا من نومِهم- وفي الصباحِ علمتِ اليهودُ بمصرَعِ طاغيتِها كعبِ بنِ الأشرفِ، فدبَّ الرعبُ في قلوبهم.

وهكذا قَتَلَ محمدُ بنُ مسلمةَ رضي الله عنه كعبَ بنَ الأشرفِ، اليهوديَّ الذي آذى اللهَ ورسولَه.

وفي هذا الموقفُ فوائدُ:

الأولى: حقدُ اليهودِ وعداوتُهم للإسلامِ والمسلمينَ:

ويظهرُ ذلكَ من عداوةِ كعبِ بنِ الأشرفِ عندما قال ما قال بلسانه، ووقفَ بجوارِ كفارِ مكةَ ضدَّ رسولِ الله ﷺ. كيفَ لا والله عز وجل يقول: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾ [المائدة:٨٢].

الثانية: جُبنُ اليهودِ:

ويظهرُ ذلكَ عندما قُتِل طاغيتُهم كعبُ بنُ الأشرفِ فلم يخرجْ إليهِ أحدٌ منهم، وعندما وجدوه مقتولاً في الصباحِ لم يتكلمْ أحدٌ منهم بكلمةٍ واحدةٍ لأنهم علموا أنَّ القوةَ للمسلمينَ، وأن النصرَ ببدرٍ ليسَ منهم ببعيد.

كيفَ لا؟! واللهُ عز وجل يقول: ﴿لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ

جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ١٤﴾ [الحشر].

الثالثة: أدبُ الصحابةِ معَ رسولِ الله ﷺ ومحبتُهم له:

ويظهرُ ذلك في محمدِ بنِ مسلمَة رضي الله عنه عندما قالَ ﷺ: «**مَنْ لكعبِ بنِ الأشرفِ؟ فقد آذى اللهَ ورسولَه**».

قال محمدٌ بنُ مسلمةَ: أنا يا رسولَ الله، أتحبُّ أن أقتلَه ثم قال -متأدِّباً مع رسولِ الله ﷺ: أتأذنُ لي أن أقولَ شيئاً. فقالَ له: «**قلْ**».

الرابعةُ: شجاعةُ محمدِ بنِ مسلمةَ رضي الله عنه:

ويظهرُ ذلكَ من طريقةِ قتلهِ لكعبِ بنِ الأشرفِ وأنه ذهبَ إلى بيتِ كعبِ بنِ الأشرفِ فقتلَه هناك.

وإن دلّ هذا على شيءٍ دلَّ على أنهم رجالٌ صدَقوا ما عاهدوا الله عليه.

الخامسةُ: أن يَحْذَرَ الشبابُ الذين يتّخذون منْ هذا الموقفِ دليلاً، فيجعلونه طريقاً الى القتلِ والاغتيالاتِ نقولُ لهم:

أولاً: أنَّ الذي أمرَ بقتلِ كعبِ بنِ الأشرفِ هوَ رسولُ الله ﷺ الذي لا ينطقُ عن الهوى، إنْ هوَ إلا وحيٌ يوحى.

الأمرُ الثاني: أنه لم تترتّبْ ولا مفسدةٌ واحدةٌ بعدَ قتلِ كعبِ بنِ الأشرفِ، والرسولُ ﷺ هو مَنْ قدّر وعلِمَ ذلك، ونقولُ لأولئكَ الذين يقومونَ

باغتيالاتٍ لبعضِ الشخصياتِ في البلادِ الإسلاميةِ ويقتلونَ المسلمينَ، كم من المفاسدِ التي وقعت بسببِ فعلِهم ذلك، من سجنٍ وتعذيبٍ وقتلٍ وغيرِ ذلكَ؟

ونقولُ للشبابِ احذروا أن تفعلوا ذلك، إلا أن تكونَ هناك قوةٌ ووليٌّ أمرٍ للمسلمينَ يأمرُ بذلك، وأن لا يترتّبَ على ذلكَ مفسدةٌ، فإنكَ إن قتلتَ إنساناً قُتِلَ مقابله المئاتُ، وانتُهكَتِ الأعراضُ، وامتلأتِ السجونُ، فكم من مفسدةٍ وقعَتْ بهذا الفعلِ المخالفِ؟ فليتّق اللهَ الشبابُ المتحمّسُ الذي يمكن أن يتّخذَ منْ هذا الموقفِ سبيلاً إلى اغتيالِ الشخصياتِ المسلمةِ في بلادِ المسلمينَ.

اللهم ردّ المسلمين إلى دينك ردًّا جميلاً.

٤٩

خُبيبُ بنُ عَديّ رضي الله عنه

عبادَ الله! قالَ اللهُ تعالى في كتابه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾ [الفتح].

وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ﴾ [النمل:٥٩].

وهؤلاءِ الرجالُ الذينَ اختارَهُمُ اللهُ واصطفاهم؛ لصحبةِ نبيِّه، ونصرةِ دينِه.

حبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ.

مَنْ أحبهم أحبه اللهُ، ولا يحبُّهم إلا مؤمنٌ.

ومن أبغضهم أبغضَه اللهُ، ولا يبغضُهم إلا منافقٌ زنديقٌ.

وموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى معَ رجلٍ منْ هؤلاءِ الرجالِ، وصحابيّ منَ الصحبِ الكرامِ.. أتدرونَ مَنْ هوَ يا عبادَ الله؟

إنه: خُبَيْبُ بن عَدِيّ رضي الله عنه .. أتعرفونَه يا أمةَ الإسلام؟

هو خُبيبُ بنُ عَديٍّ بنِ عامرٍ بنِ مجدعةَ الأنصاريُّ البدريُّ.

وحديثُنا عن خبيبِ بنِ عديٍّ رضي الله عنه سيكونُ عن مناقبِهِ رضي الله عنه فمنها:

أولاً: أنه رضي الله عنه منَ الأنصارِ الذين رضي الله عنهم، الأنصارُ الذينَ فتحوا قلوبَهم وبيوتَهم لإخوانِهمُ المهاجرين.

فقال الله عنهم: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ﴾ [الحشر:٩].

الأنصارُ الذين قال فيهم رسولُ الله ﷺ: «**لولا الهجرةُ لكنتُ امرءاً منَ الأنصارِ**».

وقال ﷺ فيهم: «**لَوْ سَلَكَ الأَنْصَارُ شِعْبًا، وسلكَ الناسُ شِعباً لسلكتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ**»[1].

وَلَـمَّا قال لهم النبيُّ ﷺ في غزوةِ بدرٍ: «**أشيروا علي أيها الناس؟**»

قامَ سيدهم فقال: واللهِ! لكأنك تريدُنا يا رسولَ الله؟

قال ﷺ: «**أجل**».

فقالَ: فقد آمنا بكَ وصدّقناك، وشهدنا أن ما جئتَ به الحق، وأعطيناكَ على ذلكَ عهودَنا ومواثيقَنا على السمعِ والطاعةِ، فامضِ يا رسولَ اللهِ لِما أردتَ فنحنُ معَك.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٣٣٣)، ومسلم (١٠٥٩).

فوالذي بعثَكَ بالحقِّ لو استعرضْتَ بنا هذا البحرَ فخُضْتَهُ لخضْناه معك ما تخلف منّا رجلٌ واحدٌ، وما نكرَه أن نلقى عدوَّنا غداً، إنّا لَصُبُرٌ في الحرب، صُدُقٌ عندَ اللقاء، ولعلَّ الله يُريكَ منا ما تقرُّ به عينُك، فسِرْ بنا على بَركةِ الله)[1].

وخبيبُ بن عَديٍّ رضي الله عنه في مقدِّمةِ هؤلاءِ الأنصارِ.

ثانياً: ومن مناقبِهِ رضي الله عنه أنه شهدَ بدراً وأبلى فيها بلاءً حسناً، وقتلَ مِنَ المشركينَ وفي مقدّمتهم الحارثُ بنُ عامرٍ وكانَ من صناديدِ قريشٍ. والنبيُّ صلى الله عليه وسلم يقولُ في أهلِ بدرٍ: «**لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»[2].

ثالثاً: ومن مناقبِهِ رضي الله عنه أنه كانَ حريصاً على سنةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حتى قبلَ موتهِ بلحظاتٍ.

- (لما أجمعَ بنو الحارثِ على قتلِ خبيبٍ استعارَ -أي خبيبٌ- موسى -أي موسى حلاقة- من إحدى بناتِ الحارثِ ليستحدّ -أي ليحلِقَ عانته- بها فأعارته)[3].

رابعاً: ومن مناقبهِ رضي الله عنه أنه أولُ من سنّ الركعتين عندَ القتلِ. وذلك لما خرجَ كفارُ مكةَ بخبيبٍ منَ الحرمِ ليقتلوه، فقالَ لهم: (دَعُونِي أُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، فصلى الركعتين.. فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ عِنْدَ الْقَتْلِ)[4].

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٣٤) وانظر «السيرة النبوية الصحيحة» لأكرم ضياء العمري (ص٣٥٨-٣٥٩).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٨٩٠)، ومسلم (٢٤٩٤).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٤٠٨٦).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٤٠٨٦).

• أما مواقفُه وشجاعتُه فتعالَوا بنا لنستمع مأساةَ يومِ الرجيع ففيها يتبيّنُ لنا غدرَ الكفارِ بالمسلمينَ، وشجاعةَ أصحابِ رسولِ الله ﷺ وفي مقدمتهم خبيبٌ ابنُ عدِيٍّ رضي الله عنهم أجمعين.

• يقولُ أبو هريرةَ رضي الله عنه: (بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ سَرِيَّةً عَيْنًا -لتأتي بأخبارٍ من أخبارِ الكفارِ- وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ، وَهُوَ جَدُّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ نُزُولاً، ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ، يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو لِحْيَانَ، فَتَبِعُوهُمْ بِقَرِيبٍ مِنْ مِئَةِ رَجُلٍ رَامٍ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ، حَتَّى نَزَلُوا مَنْزِلاً نَزَلُوهُ، فَوَجَدُوا فِيهِ نَوَى تَمْرٍ، تَزَوَّدُوهُ مِنْ تَمْرِ الْمَدِينَةِ، فَقَالُوا: هَذَا مِنْ تَمْرِ يَثْرِبَ، فَاتَّبَعُوا آثَارَهُمْ حَتَّى لَحِقُوهُمْ، فَلَمَّا أَحَسَّهُمْ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَصْحَابُهُ لَجَئُوا إِلَى فَدْفَدٍ، وَجَاءَ الْقَوْمُ فَأَحَاطُوا بِهِمْ، وَقَالُوا: لَكُمُ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ إِنْ نَزَلْتُمْ إِلَيْنَا أَنْ لاَ نَقْتُلَ مِنْكُمْ رَجُلاً.

فَقَالَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ: أَمَّا أَنَا فَلاَ أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ، اللهمَّ أَخْبِرْ عَنَّا رَسُولَكَ.

قَالَ: فَقَاتَلُوهُمْ، فَرَمَوْهُمْ، فَقَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةِ نَفَرٍ، وَبَقِيَ خُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ وَزَيْدُ بْنُ الدَّثِنَةِ وَرَجُلٌ آخَرُ، فَأَعْطَوْهُمُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ إِنْ نَزَلُوا إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ حَلُّوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ فَرَبَطُوهُمْ بِهَا.

فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ الَّذِي مَعَهُمَا: هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ.

فَأَبَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ، فَجَرُّوهُ فَأَبَى أَنْ يَتْبَعَهُمْ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبِ ابْنِ عَدِيٍّ وَزَيْدِ بْنِ الدَّثِنَةِ، حَتَّى بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ فَاشْتَرَى خُبَيْبًا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ ابْنِ نَوْفَلٍ، وَكَانَ قَدْ قَتَلَ الْحَارِثَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَمَكَثَ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا.

حَتَّى إِذَا أَجْمَعُوا قَتْلَهُ اسْتَعَارَ مُوسَى مِنْ إِحْدَى بَنَاتِ الْحَارِثِ لِيَسْتَحِدَّ بِهَا، فَأَعَارَتْهُ.

قَالَتْ: فَغَفَلْتُ عَنْ صَبِيٍّ لِي، فَدَرَجَ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَاهُ.

قَالَتْ: فَأَخَذَهُ فَوَضَعَهُ عَلَى فَخِذِهِ، فَلَـمَّا رَأَيْتُهُ فَزِعْتُ فَزَعًا عَرَفَهُ، وَالْـمُوسَى فِي يَدِهِ.

فَقَالَ: أَتَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ مَا كُنْتُ لأَفْعَلَ إِنْ شَاءَ الله.

قَالَ: وَكَانَتْ تَقُولُ: مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ، قَدْ رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ، وَمَا بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ ثَمَرَةٌ، وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ فِي الْحَدِيدِ وَمَا كَانَ إِلاَّ رِزْقًا رَزَقَهُ الله إِيَّاهُ.

قَالَ: ثُمَّ خَرَجُوا بِهِ مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ.

فَقَالَ: دَعُونِي أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ. ثُمَّ قَالَ: لَوْلاَ أَنْ تَرَوْا مَا بِي جَزَعًا مِنَ الْمَوْتِ لَزِدْتُ.

قَالَ: وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ عِنْدَ الْقَتْلِ هُوَ.

ثُمَّ قَالَ: اللهمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، وأَنْشَد:

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ لله مَصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ عُقْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ فَقَتَلَهُ، وَبَعَثَتْ قُرَيْشٌ إِلَى عَاصِمٍ لِيُؤْتَوْا بِشَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ يَعْرِفُونَهُ، وَكَانَ قَتَلَ عَظِيمًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَبَعَثَ الله عَلَيْهِ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ، -أي الدبابير- فَحَمَتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ)[1].

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٠٨٦)، وأحمد (٢/ ٣١٠) واللفظ له.

وأما زيدٌ فقد اشتراه صفوانُ بنُ أميةَ؛ ليقتلَه بأبيه أمية بنِ خلفٍ. وكان أميةُ ابنُ خلفٍ قد قُتِلَ يومَ بدر فلما أخذوه إلى الحلِّ لِيُقتلَ خارجَ الحرمِ؛ اجتمعَ عليه رهطٌ من قريشٍ فيهم أبو سفيانَ بنُ حربٍ.

(فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يازيدُ! أُنشِدُكَ اللهَ! أَتُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا مَكَانَكَ الآنَ تُضْرَبُ عُنُقُهُ وَأَنتَ جالسٌ فِي أَهْلِكَ؟

فَقَالَ زيدٌ: وَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنْ مُحَمَّدًا فِي مَكَانِهِ الذي هو فيه تصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ، وَأَنا فِي أَهْلِي

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: مَا رَأَيْتُ أحداً مِنَ النَّاسِ يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا)[1].

وفي هذا يقولُ القائلُ:

أسَرتْ قريشٌ مسلماً	فمضى بلا وجلٍ إلى السّيَّاف
سألوه هل يُرضيكَ أنك سالمٌ	ولك النبيُّ فدىً من الإتلافِ
فأجابَ: كلا، لا سلمتُ من الردى	ويُصابُ أنفُ محمدٍ برُعافِ

نعمْ والله! إنهم رجالٌ اختارهم الله لصحبةِ نبيِّه ونصرةِ دينهِ فرضيَ اللهُ عنك يا خبيبُ! وجمعَنا بكَ مع رسولِنا ﷺ في جناتِ النعيم.

(١) رواه أبو نعيم الأصبهاني في «معرفة الصحابة» (٢٩٩٥، ٢٩٩٩).

• أما الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذُ من قصةِ مقتلِ خُبيب ﵁ فهي:

أولاً: الغدرُ والخيانةُ منْ أخلاقِ الكفارِ واليهودِ وليست منْ أخلاقِ المسلمينَ، ويظهرُ ذلكَ مما فعلَه المشركونَ بالصحابةِ في حادثةِ يومِ الرجيعِ فهذا أكبرُ دليلٍ على أنَّ المشركينَ لا يرقبونَ في مؤمنٍ إلاً ولا ذمة.

أما المسلمونَ فلا يغدُرون ولا يخونون ويظهرُ ذلكَ من فعلِ خبيبِ بنِ عديّ ﵁ عندما كانَ سجيناً عند بني الحارثِ وَدَرَجَ الغلامُ الصغيرُ حتى وصلَ إلى خبيبٍ، فأخذَه خبيبٌ ووضعَه على فخذِه والموسى في يدِه.

فلما خافتْ أمُّ الغلامِ على غلامِها. قال لها خبيبٌ: أتخشَين أن أقتلَه؟ ما كنتُ لأفعَل ذلك إنْ شاءَ الله.

مع أن خبيباً كان يعلم أن بني الحارثِ سيقتلوه بعد ساعاتٍ قليلة لكنَّهُ الإسلامُ يربّي أتباعَهُ على الوفاءِ وعدمِ الغدرِ وعدم الخيانة.

ثانياً: إثباتُ كراماتِ الأولياءِ:

ويظهرُ ذلكَ مما حدثَ لخبيبٍ ﵁ عندما كان مسجوناً عند بني الحارث.

تقولُ إحدى بناتِ الحارثِ: (ما رأيتُ أسيراً قطُّ خيراً من خبيبٍ؛ لقد رأيتُه يأكلُ من قطفِ عنبٍ وما بمكةَ يومئذٍ ثمرةٌ وإنه لموثَقٌ في الحديدِ، وما كانَ إلا رزقاً رزقَهُ الله).

وكراماتُ الأولياءِ ثابتةٌ بالكتابِ والسنةِ:

ولكنْ يجبُ على المؤمنِ أن يميزَ بينَ أولياءِ الرحمنِ وأولياءِ الشيطانِ، فأولياءُ الرحمنِ همُ الذين آمنوا باللهِ واتَّقَوْهُ في السرِّ والعلَنِ وتمسكوا بسنةِ رسولهِ ﷺ.

قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس].

وإذا ظهرت خارقةٌ على يدِ رجلٍ ما، فإننا ننظرُ في حالِه، فإذا كان من المؤمنينَ الصادقينَ المتقينَ المتمسكينَ بسنةِ رسولِ اللهِ ﷺ فهي كرامةٌ له وهو من أولياءِ الرحمنِ.

وإن كانَ من المشعوذينَ الدجّالين المخالفينَ للكتابِ والسنةِ فهي خدعةٌ منه، وهو منْ أولياءِ الشيطانِ.

ثالثاً: جوازُ الدعاءِ على الكَفرَة والمشركينَ بالعمومِ:

ويؤخَذُ ذلكَ من دعوةِ خبيبٍ رضي الله عنه على المشركينَ عندما عزموا على قتلهِ.

فقال: اللهمَّ احصِهِمْ عدداً.

ويؤخَذُ ذلكَ أيضاً من فعلِ النبيِّ ﷺ عندما دعا شهراً كاملاً على الذين قتلوا السبعينَ منَ القرّاء.

رابعاً: تَمَسُّكُ الصحابةِ رضي الله عنهم بسنةِ رسولِ اللهِ ﷺ حتى عندَ الموتِ، ويظهرُ ذلكَ من فعلِ خبيبٍ رضي الله عنه.

فمع أنه في أَسْرِ المشركينَ، ويعلمُ أنه سيقتلُ بين عشيةٍ وضُحاها فإنه كان حريصاً على سنةِ الاستحدادِ، فاستعارَ الموسى لذلكَ، وإنَّ هذا واعظٌ لمن يستهينُ بكثيرٍ منَ السننِ، بل بكثيرٍ منَ الواجباتِ، بحجةِ أنه لا ينبغي أن ينشغلَ المسلمونَ بذلك للظروفِ التي تمرُّ بها الأمةُ.

وفي الواقعِ أنه لا منافاةَ بين تعظيمِ السنةِ والدخولِ في شرائعِ الإسلامِ كافّة، وبينَ السعيِ لإقامةِ شرعِ اللهِ.

قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾ [محمد].

ونصرُ الله عز وجل هو: نصرُنا لدينه، وعَمَلُنا بشرعِهِ.

٥٠

زيدُ بنُ حارثةَ رضي الله عنه

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور].

وهؤلاءِ الرجالُ همْ أصحابُ محمدٍ ﷺ، قومٌ اختارَهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّه، ونُصرةِ دينهِ.

حبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ.

من أحبهم أحبه الله، ولا يحبهم إلا مؤمن.

ومن أبغضهم أبغضه الله، ولا يبغضهم إلا منافقٌ زنديقٌ.

وموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى معَ رجلٍ من هؤلاءِ الرجالِ، وصحابيٍّ منَ الصحبِ الكرامِ.. أتدرون من هو يا عباد الله؟

إنه: **زيدُ بنُ حارثةَ** رضي الله عنه .. أتعرفونه يا أمةَ الإسلام؟

هو زيدُ بنُ حارثةَ بنِ شُرحْبيلِ بنِ كعبٍ بنِ عبدِ العُزّى بنِ النعمانِ، الأميرُ الشهيدُ، المسمى في سورةِ الأحزابِ ولم يُسمِّ اللهُ تعالى في كتابهِ صحابياً باسمهِ إلا زيداً.

أبو أسامةَ، سيدُ الموالي، منَ السابقينَ الأولينَ إلى الإسلامِ، حِبُّ رسولِ اللهِ ﷺ، وأبو حبِّه، وما أحبَّ رسولُ اللهِ ﷺ إلا طيباً.

وحديثُنا عن زيدِ بنِ حارثةَ رضي الله عنه سيكونُ عن زواجِهِ، ومناقبِهِ، ومواقفِهِ.

أما زواجُه رضي الله عنه:

• كانَ زيدٌ رضي الله عنه مولىً لخديجةَ رضي الله عنها، فلما تزوجتْ بالنبيِّ ﷺ أهدَتْه له، فأعتقَه النبيُّ ﷺ وتَبَناه وكان يُدعى بزيدِ بنِ محمدٍ، وجاءَ أهلُه إلى رسولِ اللهِ ﷺ يطلبونه فخيَّر النبيُّ ﷺ زيداً بينَ أن يذهبَ إلى أهلِهِ أو يبقى عنده فاختارَ زيدٌ رسولَ اللهِ ﷺ.

فلما أنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ قولَه: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الأحزاب:٤-٥].

فدُعيَ بزيدِ بنِ حارثةَ رضي الله عنه.

ولما بُعِثَ النبيُّ ﷺ كان أولَ منْ أسلمَ من الموالي زيدُ بنُ حارثةَ رضي الله عنه، وذهبَ النبيُّ ﷺ يخطبُ زينبَ بنتَ جحشٍ رضي الله عنها لمولاهُ زيدٍ، فرفضَتْ أنْ تتزوجَ من زيدٍ، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب].

فقالت: أترضاهُ لي زوجاً يا رسولَ اللهِ؟ قال: نعم.

قالت: إذن لا أعصي اللهَ ولا رسولَه. فوافقَتْ على الزواجِ من زيدٍ.

فتزوجها زيدٌ وعاشَ معها، ولما ساءتْ بينهما العلاقةُ طلقَها زيدٌ، فلما انتهتْ عدتُها تزوجَها رسولُ اللهِ ﷺ بأمرٍ منَ اللهِ.

• يقولُ أنسٌ رضي الله عنه: (لَـمَّا انْقَضَتْ عِدَّةُ زَيْنَبَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِزَيْدٍ: فَاذْكُرْهَا عَلَيَّ.

قَالَ: فَانْطَلَقَ زَيْدٌ حَتَّى أَتَاهَا وَهِيَ تُخَمِّرُ عَجِينَهَا، قَالَ: فَلَـمَّا رَأَيْتُهَا عَظُمَتْ فِي صَدْرِي حَتَّى مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَهَا، فَوَلَّيْتُهَا ظَهْرِي، وَنَكَصْتُ عَلَى عَقِبِي.

فَقُلْتُ: يَا زَيْنَبُ! أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَذْكُرُكِ.

قَالَتْ: مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئًا حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي، فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا وَنَزَلَ الْقُرْآنُ، وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ..)[1].

• يقولُ أنسٌ رضي الله عنه: ..فَكَانَتْ زَيْنَبُ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ تَقُولُ: (زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ)[2].

وأنزلَ اللهُ تعالى في ذلك قرآناً يُتلى إلى يومِ القيامةِ.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٤٢٨).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٧٤٢٠).

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب].

وبهذا الزواجِ حرّمَ اللهُ التبنّي الذي كانَ معروفاً في الجاهلية.

أما مناقبهُ رضي الله عنه فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: أنه رضي الله عنه مِنْ أحبِّ الناسِ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم.

• قال عبدُ الله بنُ عمرَ رضي الله عنهما: (بَعَثَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بَعْثًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «**إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمْرَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمْرَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَايْمُ اللهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلإِمْرَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَه**»)[1].

• وقالَ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: (فَرَضَ عُمَرُ لأُسَامَةَ بنِ زَيْدٍ أَكْثَرَ مِمَّا فَرَضَ لِي، فَكَلَّمْتُهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ:

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٧٣٠)، ومسلم (٢٤٢٦).

إِنَّهُ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُوْلِ اللهِ ﷺ مِنْكَ، وَإِنَّ أَبَاهُ - أي زيداً- كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُوْلِ اللهِ ﷺ مِنْ أَبِيْكَ)(١).

ثانياً: ومن مناقبِهِ رضي الله عنه أنه كانَ خليقاً للإمارةِ وجديراً بها.

قال ﷺ: «**وَأَيْمُ اللهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلإِمَارَةِ** -يعني زيدَ بنَ حارثةَ- **وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ**»(٢).

• وتقولُ عائشةُ رضي الله عنها: (مَا بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ فِي جَيْشٍ قَطُّ إِلاَّ أَمَّرَهُ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ بَقِيَ بَعْدَهُ اسْتَخْلَفَهُ)(٣).

• ويقولُ مسلمةُ بنُ الأكوعِ: (غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَبْعَ غَزَوَاتٍ، وَمَعَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ تِسْعَ غَزَوَاتٍ يُؤَمِّرُهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْنَا)(٤).

ثالثاً: ومن مناقبِهِ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال له: «**أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلاَنَا**»(٥).

• يقولُ البراءُ رضي الله عنه: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ لزيدٍ: «**أَمَّا أَنْتَ يَا زَيْدُ فَأَخُونَا وَمَوْلاَنَا**»(٦).

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٨١٣)، وابن سعد في «الطبقات» (٤/ ٧٠)، ابن حبان (٧٠٤٣) [وصححه شعيب الأرناؤوط].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٧٣٠)، ومسلم (٢٤٢٦).

(٣) **حسن**: رواه أحمد (٦/ ٢٢٦)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٨٢)،والحاكم (٤٩٥٣)، [«محققو المسند»].

(٤) رواه ابن حبان (٧١٧٤)، والحاكم (٦٣٨٣) واللفظ له، وأصله عند البخاري (٤٢٧٢)، ومسلم (١٨١٥)

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٢٦٩٩).

(٦) **حسن لشواهده**: رواه النسائي في «الكبرى» (٨٥٧٩)، وأحمد (١/ ٩٨)، وأبو يعلى (٥٢٦) وأصله عند البخاري كما تقدم آنفاً، [«إرواء الغليل» (٧/ ٢٤٦)].

• وعن عبدِ الله بنِ عمرَ رضي الله عنه: (أَنَّ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم مَا كُنَّا نَدْعُوهُ إِلاَّ زَيْدَ بْنَ مُحَمَّدٍ حَتَّى نَزَلَ الْقُرْآنُ ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب:٥])[1].

رابعاً: ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم شهدَ له بالجنةِ.

• قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**دَخَلْتُ الجَنَّةَ، فَاسْتَقْبَلَتْنِي جَارِيَةٌ شَابَّةٌ. فَقُلْتُ: لِمَنْ أَنْتِ؟ قَالَتْ: أَنَا لِزَيْدِ بنِ حَارِثَةَ**»[2].

خامساً: ومن مناقبِهِ رضي الله عنه أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم شهدَ له بالشهادةِ. يقولُ أبو قتادةَ رضي الله عنه:

(بَعَثَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم جَيْشَ الْأُمَرَاءِ فقَالَ: عَلَيْكُمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَإِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ، فجَعْفَرُ بنُ أَبِي طالبٍ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ فعَبْدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ الْأَنْصَارِيُّ. فَانْطَلَقَوا، فَلَبِثُوا مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم صَعِدَ الْمِنْبَرَ، وَأَمَرَ أَنْ يُنَادَى: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: نَابَ خَيرٌ أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ جَيْشِكُمْ هَذَا الْغَازِي؟

إِنَّهُمُ انْطَلَقُوا فَلَقَوُا الْعَدُوَّ، فَأُصِيبَ زَيْدٌ شَهِيدًا، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ - فَاسْتَغْفَرَ لَهُ النَّاسُ..)الحديث[3].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٤٨٢)، ومسلم (٢٤٢٥).

(٢) **صحيح**: رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٩/ ٣٧١)، [«السلسلة الصحيحة» (١٨٥٩)].

(٣) **حسن**: رواه أحمد (٥/ ٢٩٩)، والنسائي في «الكبرى» (٨٢٤٩) وابن حبان (٧٠٤٨)، [«أحكام الجنائز» (ص ٣٢)].

الشاهدُ أنه ﷺ شهدَ له بالشهادةِ.

سادساً: ومن مناقبه رضي الله عنه أن اللهَ لم يُسَمِّ أحداً منَ الصحابةِ باسمه في كتابه إلا هو:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب:٣٧].

سابعاً: ومن مناقبِهِ رضي الله عنه أنَّ اللهَ أنزلَ فيه قرآناً يُتلى إلى يومِ القيامةِ.

• قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [الأحزاب:٤].

نزلَتْ في شأنِ زيدِ بنِ حارثةَ رضي الله عنه مولى النبيِّ ﷺ، حيثُ كانَ النبيُّ ﷺ قد تبنّاه قبلَ النبوةِ، وكان يُقالُ له: زيدُ بنُ محمدٍ فأرادَ اللهُ تعالى أن يقطعَ هذا الإلحاقَ، وهذه النسبةَ.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب:٣٧]

نزلت في زيدِ بنِ حارثةَ رضي الله عنه.

ثامناً: ومن مناقبه رضي الله عنه حُزنُ النبيِّ ﷺ عليه عندما أصيبَ في مؤتة.

• قال أنسٌ رضي الله عنه: قال النبيُّ ﷺ: «**أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ ثمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ -وَإِنَّ عَيْنَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ- لَتَذْرِفَانِ، ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مِنْ غَيْرِ إِمْرَةٍ فَفُتِحَ لَهُ**»[1].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٢٤٦)

• أما مواقفُهُ رضي الله عنه فهي كثيرةٌ جداً منها:

موقفُه في غزوةِ مؤتةَ التي لقي اللهَ فيها شهيداً.

جهزَ رسولُ الله ﷺ جيشاً يتكونُ من ثلاثةِ آلافِ مقاتلٍ وأمَّرَ على هذا الجيشِ زيدَ بنَ حارثةَ رضي الله عنه.

وقال ﷺ للجيشِ: «**إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ**»[1].

ووصَّى رسولُ الله ﷺ الأميرَ في خاصةِ نفسهِ بتقوى الله، وبمن معه منَ المسلمينَ خيراً.

وكان ﷺ يفعلُ ذلك دائماً إذا أرسلَ جيشاً في سبيلِ الله.

عن بُريدةَ رضي الله عنه قالَ: (كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى الله، وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْـمُسْلِمِينَ خَيْرًا.

ثُمَّ قَالَ: «**اغْزُوا بِاسْمِ الله فِي سَبِيلِ الله، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِالله، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا..**» الحديث)[2].

وودَّعَ المسلمونَ الجيشَ، وسلَّموا على الأمراءِ.

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٢٦١)

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٣١).

وقالوا للجيش: صحبكُمُ اللهُ بالسلامةِ، ودفعَ عنكم، وردّكم إلينا صالحين -أي: سالمين-.

وتحرّك جيشُ المسلمينَ بقيادةِ زيدِ بنِ حارثةَ ﵁ قاصدينَ أرضَ الشامِ، فلما وصلوا إلى «معان» وصلتهمُ الأخبارُ أنَّ الرومَ قد تجهّزوا لهم بمئتي ألف مقاتلٍ لقتالِهم.

باتَ جيشُ المسلمينَ بمعانٍ ليلتين يتشاورون في الأمرِ، أيتقدّمونَ للهجومِ على عدوّهم على بركةِ الله، معتصمينَ بالله، واثقينَ بالله؟

أم يبعثونَ إلى رسولِ الله ﷺ من يخبرُه الخبرَ؛ فيرى رأيه، فإما أنْ يمُدَّهم بمدَدٍ مِنْ عندِه، وإما أن يأمرَهم بأمرِه، فيمضونَ له، فقامَ عبدُ الله بنُ رواحةَ ﵁ خطيباً في الجيشِ.

فقالَ: (يَا قَوْمُ! وَالله إِنَّ الَّذِي تَكْرَهُونَ لَلَّتِي خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ -الشَّهَادَةَ-، وَمَا نُقَاتِلُ النَّاسَ بِعَدَدٍ وَلا قُوَّةٍ وَلا كَثْرَةٍ، ما نُقَاتِلُهُمْ إلا بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي أَكْرَمَنَا الله بِهِ، فَانْطَلِقُوا، فَإِنَّمَا هِيَ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ، إِمَّا ظَفَرٌ -أي: نصرٌ- وَإِمَّا شَهَادَةٌ)[1].

فقالَ الناسُ: صدقَ واللهِ ابنُ رواحةَ، ثم تشجّعوا وتحرّكوا نحوَ العدوِّ[2].

وصلَ جيشُ المسلمينَ إلى «مؤتةَ» وعسكروا هناك، وتعبّأوا للقتالِ في ثلاثةِ آلافِ مقاتل، ووصَلَ جيشُ الرومِ في مئتي ألفِ مقاتلٍ.

---

(١) رواه الطبراني (١٨/ ٤٧١/ الجزء المفقود)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١١٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٤/ ٣٦٠).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٥٠)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٢٤)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٨٢).

• يقولُ أبو هريرةَ رضي الله عنه : -وهو ممن أسلَمَ بعدَ صلحِ الحديبية، وكانت مؤتةُ أولَ غزوةٍ يحضرُها-: (شهدتُ مؤتةَ فلما دنا منا المشركونَ -أي: الرومُ- رأيتُ ما لا قِبَلَ لأحدٍ به، رأيتُ عدداً وعُدَّةً وسلاحاً، وخَيلاً، وديباجاً، وحريراً، وذهباً، فَبَرِقَ بصري فقال لي ثابتُ بنُ أقرمَ: يا أبا هريرةَ كأنك ترى جموعاً كثيراً؟

قلت: إيْ والله!

فقالَ له ثابتٌ: إنك لم تشهدْ بدراً إنا لا نُنْصرُ بالكثرةِ)(١).

وهناكَ في مؤتةَ التقى الجمعانِ، وبدأَ القتالُ المريرُ، أخذَ الرايةَ زيدُ بنُ حارثةَ رضي الله عنه حِبُّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وجعلَ يقاتلُ بضراوةٍ بالغةٍ، وبسالةٍ ليسَ لها نظيرٌ، فلم يزل يقاتلُ ويقاتِلُ حتى شاطَ في رماحِ القومِ -أي سالَ دمُه- فقُتِلَ رضي الله عنه شهيداً.

«ثُمَّ أَخَذَ الرايةَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَشَدَّ عَلَى الْقَوْمِ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا، أَشْهَدُ لَهُ بِالشَّهَادَةِ، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ، ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَأَثْبَتَ قَدَمَيْهِ حَتَّى قُتل شَهِيدًا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ.

ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ -وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْأُمَرَاءِ؛ هُوَ أَمَّرَ نَفْسَهُ- ففتحَ اللهُ على يديه..» الحديث(٢).

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٣٦٢)

(٢) **حسن**: رواه أحمد (٥/ ٢٩٩)، والنسائي في «الكبرى» (٨٢٤٩) وابن حبان (٧٠٤٨)، [«أحكام الجنائز» (ص ٣٢)].

إنهم واللهِ رجالٌ اختارهُمُ اللهُ؛ لصحبةِ نبيّه ولنصرةِ دينهِ.

إنهم والله الرجالُ الذين إن تمسّكنا بمنهجهم سعِدنا في الدنيا والآخرة.

اللهم رُدَّ المسلمين إلى دينك ردًّا جميلاً.

٥١

أسامةُ بنُ زيدٍ رضي الله عنهما

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عز وجل في كتابـه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ﴾ [النمل:٥٩].

قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ﴾ هم أصحابُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم[١].

هؤلاءِ الرجالُ الذين اصطفاهُم اللهُ واختارَهم لصحبةِ نبيِّه، ولنصرةِ دينهِ؛ هم أصحابُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم.

مَن أحبهم أحبه اللهُ، ولا يحبّهم إلا مؤمنٌ.

ومَن أبغضهم أبغضهُ اللهُ، ولا يُبغضهم إلا منافقٌ زنديقٌ.

• قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله تعالى: قالَ حمادُ بنُ سلمةَ عـن أيـوبَ الـسختيانيِّ أنـه قال: (مَنْ أَحَبَّ أَبَا بَكْرٍ فَقَدْ أَقَامَ الدِّينَ، وَمَنْ أَحَبَّ عُمَرَ فَقَدْ أَوْضَحَ السَّبِيلَ، وَمَنْ أَحَبَّ عُثْمَانَ فَقَدِ اسْتَنَارَ بِنُورِ الله، وَمَنْ أَحَبَّ عَلِيّاً فَقَدِ اسْتَمْسِكْ بِالْعُرْوَةِ الْـوُثْقَى، وَمَنْ قَالَ الْحُسْنَى فِي أَصْحَابِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ)[٢].

(١) رواه ابن أبي حاتم (١٧٢٥٣)، والطبري (١٩/ ٤٨٢) في تفسيريهما.

(٢) رواه أبو بكر الشافعي في الغيلانيات (٦٣)

• وقال الإمامُ الطحاويُّ رحمه الله تعالى في عقيدةِ أهلِ السنةِ والجماعةِ: (ونحبُّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ؛ ولا نُفرِّط في حبِّ أحدٍ منهم، ولا نتبرّأُ منْ أحدٍ منهم، ونُبغضُ من يُبغضهم، وبغيرِ الخيرِ يذكرُهم، ولا نذكرُهم إلا بخير، وحبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ)[1].

وموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى معَ رجلٍ من هؤلاءِ الرجالِ، وصحابيٍّ من الصحبِ الكرامِ.. أتدرونَ من هو يا عبادَ الله؟

إنه: **أسامةُ بنُ زيدٍ** رضي الله عنهما .. أتعرفونَه يا أمةَ الإسلامِ؟

هو أسامةُ بنُ زيدِ بنِ حارثةَ حِبُّ رسولِ الله ﷺ وابنُ حِبّه.

• أبوه زيدُ بنُ حارثةَ رضي الله عنه المسمّى في سورةِ الأحزابِ.

• أمُّه هي: أمُّ أيمنَ حاضنةُ النبيِّ ﷺ.

تزوجَتْ زيدَ بنَ حارثةَ رضي الله عنه فأنجبتْ منه أسامةَ بنَ زيدٍ، وكانَ النبيُّ ﷺ يزورُها في حياتِه.

• يقولُ أنسٌ: قال أبو بكرٍ بعدَ وفاةِ الرسولِ ﷺ لعُمر:

(انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يزورها، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ فَقَالَا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ مَا عِنْدَ الله خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ. فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ الله خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ. فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا)[2].

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٤٦٧).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٥٤).

وحديثُنا عن أسامةَ بنِ زيدٍ رضي الله عنهما سيكونُ عن مناقبِهِ ومواقفِه.

• أما مناقبُه فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: حبُّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم له.

كان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يحبُّ أسامةَ بنَ زيدٍ رضي الله عنهما حباً عظيماً ومنَ الأدلةِ على ذلك:

١- قولُه صلى الله عليه وسلم: «**وَأَيْمُ اللهِ إِنْ كَانَ -يعني: زيد بن حارثة- خَلِيقًا لِلإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا -يعني: أسامةَ بنَ زيدٍ- لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَه**»[1].

٢- وقال أسامةُ بنُ زيدٍ رضي الله عنهما: كانَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم يأخذُني والحسن فيقول: «**اللهمَّ أَحِبَّهُمَا فَإِنِّي أُحِبُّهُمَا**»[2].

٣- وقال صلى الله عليه وسلم: «**أُسَامَةُ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ**»[3].

٤- (ونَظَرَ ابْنُ عُمَرَ يَوْمًا -وَهْوَ فِي الْـمَسْجِدِ- إِلَى رَجُلٍ يَسْحَبُ ثِيَابَهُ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ الْـمَسْجِدِ، فَقَالَ: انْظُرْ مَنْ هَذَا؟ لَيْتَ هَذَا عِنْدِي. قَالَ لَهُ إِنْسَانٌ: أَمَا تَعْرِفُ هَذَا يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ أُسَامَةَ. قَالَ فَطَأْطَأَ ابْنُ عُمَرَ رَأْسَهُ وَنَقَرَ بِيَدَيْهِ فِي الأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: لَوْ رَآهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لأَحَبَّه)[4].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٧٣٠)، ومسلم (٢٤٢٦).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٣٥).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٩٦)، والطيالسي (١٨١٢)، والحاكم (٦٥٣٠)، [«صحيح الجامع» (٩٢٤)].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٣٤)

٥- وتقولُ عائشةُ ﵂: (أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُنَحِّيَ مُخَاطَ أُسَامَةَ. قَالَتْ عَائِشَةُ: دَعْنِي حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّذِي أَفْعَلُ. قَالَ ﷺ: «**يَا عَائِشَةُ أَحِبِّيهِ فَإِنِّي أُحِبُّهُ**»)[1].

٦- وعن عائشةَ ﵂ قالت: (عَثَرَ أُسَامَةُ بِعَتَبَةِ الْبَابِ فَشُجَّ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَمِيطِي عَنْهُ الأَذَى، فَقَذَّرْتُهُ، قالت: فَجَعَلَ رسولُ الله ﷺ يَمُصُّ الدَّمَ وَيَمُجُّهُ عَنْ وَجْهِهِ،ويقولُ: لَوْ كَانَ أُسَامَةُ جَارِيَةً لكَسَوْتُهُ وحَلَّيْتُهُ حَتَّى أُنَفِّقَهُ**»)[2].

٧- وعنْ عائشةَ ﵂: (أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّتْهُمُ الْمَرْأَةُ الْمَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فيها رَسُولَ الله ﷺ، وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بنُ زيدٍ حِبُّ رَسُولِ الله ﷺ؟

وهذا هو الشاهدُ في هذا الحديثِ أنهم كانوا يلقبونَ أسامةَ بِحِبِّ رسولِ الله ﷺ -أي محبوبهِ- لما يعرفونَ من منزلتهِ عندَه.

فَكَلَّمَ رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله؟ ثُمَّ قَامَ ﷺ فَخَطَبَ فقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ؛ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَأَيْمُ الله لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ، لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»)[3].

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٣٨١٨)، وابن حبان (٧٠٥٨)، [«المشكاة» (٦١٦٧)].

(٢) **حسن لغيره**: رواه ابن ماجه (١٩٧٦)، وأحمد (٦/ ٢٢٢)، وأبو يعلى (٤٥٩٧)، [«السلسلة الصحيحة» (١٠١٩)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨).

ثانياً: ومن مناقبِه رضي الله عنه دعاء النبيّ ﷺ له.

وعن محمدِ بنِ أسامةَ بنِ زيدٍ، عن أبيه قالَ: (لَـمَّا ثَقُلَ رَسُـولُ الله ﷺ هَبَطْـتُ وَهَبَطَ النَّاسُ الْمَدِينَةَ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ وَقَدْ أَصْمَتَ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ، فَجَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَضَعُ يَدَيْهِ عَلَيَّ وَيَرْفَعُهُمَا، فَأَعْرِفُ أَنَّهُ يَدْعُو لِي)(1).

• وعن أسامةَ بنِ زيدٍ قال: (كَانَ نبيُّ الله ﷺ يَأْخُـذُنِي فَيُقْعِـدُنِي عَـلَى فَخِـذِهِ، وَيُقْعِدُ الْحَسَنَ بنَ علي عَلَى فَخِذِهِ الأُخْرَى، ثُمَّ يَضُمُّنا ثُمَّ يَقُولُ اللهمَّ ارْحَمْهُـمَا فَـإِنِّي أَرْحَمُهُمَا)(2).

ثالثاً: ومن مناقبِه رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ أمَّره لأنه أهلاً للإمارة.

• قال ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: (أَمَّرَ رَسُولُ الله ﷺ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ عَلَى قَوْمٍ فَطَعَنُـوا فِي إِمَارَتِهِ، فَقَالَ ﷺ: «**إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَأَيْمُ الله لَقَدْ كَانَ خَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَـبِّ النَّـاسِ إِلَيَّ مِنْ بَعْدِهِ**»)(3).

وَلـمّا أمَّرَ النبيُّ ﷺ أسامةَ بنَ زيدٍ على ذلك الجيشِ كـانَ عمـرُه ثـماني عَـشْرَةَ سنةً، وكان في الجيشِ عمرُ بنُ الخطابِ ولذلك (لَمْ يَلْقَ عمرُ بنُ الخطابِ أُسَامَةَ بـنَ

---

(1) **حسن**: رواه الترمذي (٣٨١٧)، والبزار (٢٥٧٧)، والطبراني في «الكبير» (٣٧٧)، [«المشكاة» (٦١٦٦)].

(2) **صحيح**: رواه البخاري (٦٠٠٣).

(3) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٧٣٠)، ومسلم (٢٤٢٦).

زيدٍ قَطُّ إِلاَّ قَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الأَمِيْرُ وَرَحْمَةُ الله، تُوُفِّيَ رَسُوْلُ الله ﷺ وَأَنْتَ عَلَيَّ أَمِيْرٌ)[1].

وأمَّر النبيُّ ﷺ أسامةَ بنَ زيدٍ على جيشٍ عظيمٍ إلى مؤتةَ في آخرِ حياتـهِ ﷺ، فمات ﷺ قبلَ أن يتوجَه فأنفذَه أبو بكرٍ رضي الله عنه .

وعندما اقترحَ بعضُ الصحابةِ رضي الله عنهم علـى أبي بكـرٍ الـصديقِ رضي الله عنه أن يُبقـيَ جيشَ أسامةَ ولا يُنفِذُه.

فقالَ لهم: (أنا أحبسُ جيشاً بعثَهُ رسولُ الله ﷺ؟ لقد اجترأتُ على أمرٍ عظيمٍ، والذي نفسي بيده لأَن تميلَ العربُ أحبُّ إليّ من أن أحبسَ جيشاً بعثه رسولُ الله ﷺ).

وفي روايةٍ قالَ لهم: (والذي نفسُ أبي بكرٍ بيدِه، لو ظننتُ أنَّ السباعَ تَخْطِفُني لأنفذْتُ بعثَ أسامةَ كما أمرَ بهِ رسولُ الله ﷺ، ولو لم يبقَ في القرى غيري لأنفذْتُه)[2].

رابعاً: ومن مناقبه رضي الله عنه سرورُ النبيِّ ﷺ لدفعِ الشُّبهةِ عنه.

كانتِ الجاهليةُ تقدَحُ في نسبِ أسامةَ رضي الله عنه لكونهِ أسودَ شديدَ السوادِ، وكان زيدٌ -أبوه- أبيضَ.

---

(١) ذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٥٠١).

(٢)رواه الطبري « تاريخه » (٤/ ٤٥)، وابن كثير في «البداية والنهاية» (٦/ ٣٣٥).

• تقولُ عائشةُ ﵂: (دَخَلَ عَلَيَّ قَائِفٌ -وهو الذي يعرفُ الشَّبهَ ويُمَيِّزُ الأثرَ- وَالنَّبِيُّ ﷺ شَاهِدٌ وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ مُضْطَجِعَانِ فَقَالَ -أي القائفُ-: إِنَّ هَذِهِ الأَقْدَامَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، قَالَ: فَسُرَّ بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَعْجَبَهُ فَأَخْبَرَ بِهِ عَائِشَةَ)(١).

خامساً: ومن مناقبه ﵁ أن النبيَّ ﷺ اختارَه للزواجِ من فاطمةَ بنتِ قيسٍ.

• تقولُ فاطمةُ بنتُ قيسٍ: (..فَلَمَّا حَلَلْتُ -أي: مِنْ عدتي- ذَكَرْتُ لَهُ -أي رسول الله ﷺ- أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ وَأَبَا جَهْمٍ خَطَبَانِي فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ؛ إِنْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ**»، تقول: فَكَرِهْتُهُ ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**انْكِحِي أُسَامَةَ**» فَنَكَحْتُهُ، فَجَعَلَ الله فِيهِ خَيْرًا وَاغْتَبَطْتُ)(٢).

سادساً: ومن مناقبه ﵁ حرصُه على العبادة التي تعلمَها منْ رسولِ الله ﷺ.

• عن مولى أسامةَ بنِ زيدٍ: (أَنَّهُ انْطَلَقَ مَعَ أُسَامَةَ إِلَى وَادِي الْقُرَى فِي طَلَبِ مَالٍ لَهُ، فَكَانَ يَصُومُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَقَالَ لَهُ مَوْلَاهُ: لِمَ تَصُومُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ وَأَنْتَ شَيْخٌ كَبِيرٌ؟

فَقَالَ: إِنَّ نَبِيَّ الله ﷺ كَانَ يَصُومُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، وَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: **إِنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ تُعْرَضُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ**)(٣).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٧٣١)، ومسلم (١٤٥٩).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٤٨٠).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٤٣٦)، والدارمي (١٧٥٠)، والنسائي في «الكبرى» (٢٧٨١)، وأحمد (٥/ ٢٠٠) والطيالسي (٦٣٢)، [«إرواء الغليل» (٩٤٨)].

سابعاً: ومن مناقبه رضي الله عنه قُربُه منَ النبيِّ ﷺ.

كانَ أسامةُ بنُ زيدٍ رضي الله عنه قريباً جداً منْ رسولِ الله ﷺ، يدخلُ عليهِ ويركبُ خلفه، ويجلسُ معَه، ومن الأدلةِ على ذلك:

١ - يقولُ أسامةُ رضي الله عنه: (دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ وَعَلَيْهِ الْكَآبَةُ، فَسَأَلْتُهُ مَا لَهُ؟

فَقَالَ: لَمْ يَأْتِنِي جِبْرِيلُ مُنْذُ ثَلَاثٍ.

قَالَ: فَإِذَا جِرْوُ كَلْبٍ بَيْنَ بُيُوتِهِ، فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ، فَبَدَا لَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَهَشَّ إِلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ رَآهُ، فَقَالَ: لَمْ تَأْتِنِي! فَقَالَ: إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا تَصَاوِيرُ)[1].

٢- وعن أسامةَ: (أنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَفَاضَ مِنْ عَرَفَةَ وَرَدِيفُهُ أسامةُ، فَجَعَلَ يَكْبَحُ رَاحِلَتَهُ حَتَّى أَنَّ ذِفْرَاهَا - أصلُ أذنيها- لَيَكَادُ يُصِيبُ قَادِمَةَ الرَّحْلِ، وَهُوَ يَقُولُ: « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ! عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ فِي إِيضَاعِ الإِبِلِ** »- وإيضاع الإبل: إسراعها)[2].

• أما مواقفُه رضي الله عنه فهي كثيرةٌ جداً منها:

موقفهُ في الشجاعةِ والإقدامِ.

• يقولُ أسامةُ بنُ زيدٍ رضي الله عنهما: (بَعَثَنَا رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الْحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ.

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٢٠٣)، والبزار (٢٥٩٠)، والطبراني في «الكبير» (٣٨٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٠٦)].

(٢) **صحيح**: رواه النسائي (٣٠١٨)، وأحمد (٥/ ٢٠٧،٢٠١)، [«صحيح الجامع» (٧٨٨٥)].

قَالَ: فَصَبَّحْنَاهُمْ فَقَاتَلْنَاهُمْ، فَكَانَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِذَا أَقْبَلَ الْقَوْمُ كَانَ مِنْ أَشَـدِّهِمْ عَلَيْنَا، وَإِذَا أَدْبَرُوا كَانَ حَامِيَتَهُمْ.

قَالَ: فَغَشِيتُهُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ -وهذا هو الشاهدُ في شجاعتهِ وإقدامِه-

قَالَ: فَلَمَّا غَشِينَاهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَكَفَّ عَنْهُ الْأَنْصَارِيُّ وَقَتَلْتُهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا أُسَامَةُ! أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟!

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا مِنَ الْقَتْلِ. فَكَرَّرَهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ إِلَّا يَوْمَئِذٍ)(١).

وفي روايةٍ أخرى: قال لهُ رسولُ الله ﷺ: (**مَنْ لَكَ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟!**

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّمَا قَالَهَا مَخَافَةَ السِّلاَحِ والقتلِ!

فقَالَ: **أَلاَ شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَالَهَا أَمْ لاَ!**

مَنْ لَكَ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟!

فَمَا زَالَ يَقُولُ ذلكَ حَتَّى وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أُسْلِمْ إِلاَّ يَوْمَئِذٍ)(٢).

أما موقفُه في الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ وموعظةِ الناسِ.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٨٧٢)، ومسلم (٩٦) وأحمد (٥/ ٢٠٠) واللفظ له

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٦٤٣)، [«صحيح سنن أبي داود»].

• عن أسامةَ بن زيدٍ قالَ: قـالوا لي: (أَلَا تَـدْخُلُ عَـلَى هـذا الرجـلِ فَتُكَلِّمَـهُ؟ - يعني عثمانَ بنَ عفان- قلت: أَتَرَوْنَ أَنِّي لَا أُكَلِّمُهُ إِلَّا أُسْمِعُكُمْ؟ وَاللهِ لَقَدْ كَلَّمْتُـهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، دُونَ أَنْ أَفْتَحَ أَمْرًا لا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ.

وَلَا أَقُولُ لِأَحَدٍ يَكُونُ عَلَيَّ أَمِيرًا إِنَّهُ خَيْرُ النَّـاسِ، بَعْـدَمَا سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَـا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحى، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِإليه فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ! أما كنتَ تَأْمُرُنـا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَانا عَنْ الْمُنْكَرِ؟! فَيَقُولُ: بَـلَى! قَـدْ كُنْـتُ آمُـرُ بِـالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيـهِ، وَأَنْهَى عَنْ الْـمُنْكَرِ وَآتِيهِ)[1].

تعلمَ أسامةُ بنُ زيدٍ رضي الله عنه كيفَ يأمرُ وينهى ولاةَ الأمرِ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ.

وكذلك لم يخالفْ بفعلِهِ قولَه خوفاً من عذابِ اللهِ.

لأنَّ الله تعـالى قـال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف].

وكذلكَ كان خوفُه رضي الله عنه من أن يكونَ هو أولُ من يفتحُ بابَ الفتنة.

إنهـم ﴿رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ۝٢٣﴾ [الأحزاب].

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٨٩).

٥٢

عبدُ اللهِ بنُ عمرَ رضي الله عنهما

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عز وجل: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

وهؤلاءِ الرجالُ همْ أصحابُ محمدٍ ﷺ، قومٌ اختارَهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّه، ونصرةِ دينِهِ.

حبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ.

من أحبهم أحبه الله، ولا يحبهم إلا مؤمنٌ.

ومن أبغضهم أبغضه اللهُ، ولا يُبغضهم إلا منافقٌ زنديقٌ.

وموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع رجلٍ منْ هؤلاءِ الرجالِ، وصحابيّ من الصحبِ الكرامِ.. أتدرون من هو يا عباد الله؟

إنه: **عبدُ الله بنُ عمرَ** رضي الله عنهما .. أتعرفونه يا أمةَ الإسلام؟

هو: عبدُ اللهِ بنُ عمرَ بنِ الخطابِ بنِ نُفَيلٍ القرشيُّ، العدويُّ، المكيُّ ثمَّ المدنيُّ.

أبو عبدِ الرحمن.

أبوه: الفاروقُ عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه .

الذي قالَ فيه ﷺ: «**لَوْ كَانَ نَبِيٌّ بَعْدِي لَكَانَ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ**»[1].

وقال فيه ﷺ: «**إِنَّ اللهَ جَعَلَ الحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ**»[2].

يقول ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: (مَا نَزَلَ بِالنَّاسِ أَمْرٌ قَطٌّ فَقَالُوا فِيهِ، وَقَالَ فِيهِ عُمَرُ بْنُ الخطابِ، إِلاَّ نَزَلَ فِيهِ القُرْآنُ عَلَى نَحْوٍ مما قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه)[3].

وأما أمّه: فهي زينبُ بنتُ مظعونٍ، أختُ عثمانَ بنِ مظعونٍ الجُمحيِّ.

وحديثُنا عنِ ابنِ عمرَ رضي الله عنهما سيكونُ عنْ مناقبِه، ومواقفِه، ومواعظِه.

أما مناقبُه فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: ثناءُ النبيِّ ﷺ عليه.

• يقولُ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: (كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا فَأَقُصَّهَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، وَكُنْتُ غُلاَمًا شَابًّا، وَكُنْتُ أَنَامُ فِي المَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ، فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ -أي مبنيةُ الجوانبِ- كَطَيِّ الْبِئْرِ،

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٣٦٨٦)، وأحمد (٤/ ١٥٤)، والحاكم (٤٤٩٥)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٢٧)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٦٨٢)، وأحمد (٢/ ٥٣)، وابن حبان (٦٨٩٥)، [«صحيح الجامع» (١٧٣٦)].

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٦٨٢)، وأحمد (٢/ ٩٥)، وابن حبان (٦٨٩٥)، [«صحيح الترمذي» (٢٩٠٨)].

وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ -أي جانبان- وَإِذَا فِيهَا أُنَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ.

قَالَ: فَلَقِيَنَا مَلَكٌ آخَرُ فَقَالَ لِي: لَمْ تُرَعْ -أي: لم تخف- فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ، فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ.

فَكَانَ بَعْدُ لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلاَّ قَلِيلاً)[1].

• وعن سالمٍ عنِ ابنِ عمرَ عن أختهِ حفصةَ أنَّ النبيَّ ﷺ قال لها: «**إِنَّ عَبْدَ اللهِ رَجُلٌ صَالِحٌ**»[2].

• وقالَ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: (رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ فِي يَدِي قِطْعَةَ إِسْتَبْرَقٍ، وَلَيْسَ مَكَانٌ أُرِيدُ مِنْ الْجَنَّةِ إِلَّا طَارَتْ إِلَيْهِ، قَالَ: فَقَصَصْتُهُ عَلَى حَفْصَةَ .فَقَصَّتْهُ حَفْصَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَرَى عَبْدَ اللهِ رَجُلًا صَالِحًا)[3].

ثانياً: ومن مناقبه رضي الله عنهما قرْبُه منَ النبيِّ ﷺ وانتفاعُه منه.

يقول ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: (أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**».

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١١٢١).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٤٠).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٧٨).

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الْـمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ)[1].

• ويقولُ رضي الله عنهما: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ، يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلاَّ وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ**»[2].

قال ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: (مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ ذَلِكَ إِلَّا وَعِنْدِي وَصِيَّتِي)[3].

ويقولُ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: (مَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ وَفِي إِزَارِي اسْتِرْخَاءٌ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ الله! ارْفَعْ إِزَارَكَ فَرَفَعْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: زِدْ فَزِدْتُ، فَمَا زِلْتُ أَتَحَرَّاهَا بَعْدُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: إِلَى أَيْنَ؟ فَقَالَ: أَنْصَافِ السَّاقَيْنِ)[4].

ويقولُ رضي الله عنه: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاَءَ لَمْ يَنْظُرِ الله إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[5].

ويقولُ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: (كُنَّا نَعُدُّ لِرَسُولِ الله ﷺ فِي الْـمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: «**رَبِّ اغْفِرْ وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ، أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**»)[6].

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤١٦).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٧٣٨)، ومسلم (١٦٢٧).

(٣) **صحيح**: رواه ومسلم (١٦٢٧).

(٤) **صحيح**: رواه ومسلم (٢٠٨٦).

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٦٥)، ومسلم (٢٠٨٥) واللفظ للبخاري

(٦) **صحيح**: رواه أبو داود (١٥١٦)، وأحمد (٢/ ٦٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦١٨)، [«صحيح سنن أبي داود»].

ثالثاً: ومن مناقبهِ ﭬ أنه كانَ كثيرَ البكاءِ من خشيةِ الله.

• قال نافعٌ: (كَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد:١٦]، بَكَى حَتَّى يَغْلِبَهُ الْبُكَاءُ)[1].

• وقال نافعٌ أيضاً: (ما قرأَ ابنُ عُمَرَ هاتين الآيتين قطُّ منْ آخرِ سورةِ البقرةِ إلا بكى ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ [البقرة:٢٨٤] ثم يقولُ: إنَّ هَذَا لإحْصَاءٌ شَدِيدٌ)[2].

• (الْتَقَى عَبْدُ الله بْنُ عَمْرٍو وَعَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ وَهُوَ يَبْكِي، فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟

قَالَ: الَّذِي حَدَّثَنِي هَذَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِنْسَانٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ**»)[3].

• وحدّثَ عبدُ الله بنُ عمرٍو عبدَ الله بنَ عمرَ فقالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ، سَمَّعَ اللهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ، وَصَغَّرَهُ وَحَقَّرَهُ**» قَالَ: فَذَرَفَتْ عَيْنَا عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ)[4].

---

(١) رواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤٣٠٢).

(٢) رواه أحمد في «الزهد» (١٠٥٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٠٥).

(٣) **حسن**: رواه أحمد (٢/ ١٦٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٥٨١)، الطبراني في «مسند الشاميين» (٦٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٩٠٩)].

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ١٦٢، ١٩٥)، والطبراني في «الأوسط» (٤٩٨٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥)].

رابعاً: ومن مناقبهِ ﷺ أنه كان بارّاً بوالدِه عمرَ، في حياتِه وبعدَ موتِه.

• ففي حياتِه: يقولُ ابنُ عمرَ ﷺ: (كَانَتْ تَحْتِي امْـرَأَةٌ وَكُنْـتُ أُحِبُّهَـا، وَكَـانَ عُمَرُ يَكْرَهُهَا فَقَالَ لِي: طَلِّقْهَا. فَأَبَيْـتُ، فَـأَتَى عُمَـرُ رسـولَ الله ﷺ فَـذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ لِي رسولُ الله ﷺ: «**طَلِّقْهَا**»)[1].

• وعندَ موتِهِ: لما نامَ عمرُ في فراشِ الموتِ قال: (يَا عَبْدَ الله بْـنَ عُمَـرَ! انْظُـرْ مَـا عَلَيَّ مِنَ الدَّيْنِ، فَحَسَبُوهُ، فَوَجَدُوهُ سِتَّةً وَثَمانِينَ أَلْفًا أَوْ نَحْوَهُ.

قَالَ: إِنْ وَفَّى لَـهُ مَـالُ آلِ عُمَـرَ فَـأَدِّهِ مِـنْ أَمْـوَالِهِمْ، وَإِلاَّ فَـسَلْ فِي بَنِـي عَـدِيِّ ابْنِ كَعْبٍ، فَإِنْ لَمْ تَفِ أَمْوَالُهُمْ فَسَلْ فِي قُـرَيْشٍ وَلاَ تَعْـدُهُمْ إِلَى غَـيْرِهِمْ، فَـأَدِّ عَنِّـي هَذَا الْـمَالَ.

ثم قال عمرُ: انْطَلِقْ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْـمُؤْمِنِينَ فَقُلْ: يَقْرَأُ عَلَيْـكِ عُمَـرُ الـسَّلاَمَ، وَلاَ تَقُلْ أَمِيرَ الْـمُؤْمِنِينَ؛ فَإِنِّي لَسْتُ الْيَوْمَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَمِيرًا.

وَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ.

فَسَلَّمَ وَاسْتَأْذَنَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا، فَوَجَدَهَا قَاعِدَةً تَبْكِي.

فَقَالَ: يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ السَّلاَمَ، وَيَسْتَأْذِنُ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ.

فَقَالَتْ كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي، وَلأُوثِرَنَّه بِهِ الْيَوْمَ عَلَى نَفْسِي. فَلَـمَّا أَقْبَلَ قِيـلَ: هَـذَا عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ قَدْ جَاءَ.

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٥١٣٨)، والترمذي (١١٨٩)، وأحمد (٢/ ٤٢)، والطيالسي (١٨٢٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٨٧)].

قَالَ: ارْفَعُونِي فَأَسْنَدَهُ رَجُلٌ إِلَيْهِ.

فَقَالَ: مَا لَدَيْكَ؟ قَالَ: الَّذِي تُحِبُّ يَا أَمِيرَ الْـمُؤْمِنِينَ، أَذِنَتْ.

قَالَ عمرُ: الْحَمْدُ لله، مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ أَهَمُّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ.

فَإِذَا أَنَا قَضَيْتُ فَاحْمِلُونِي، ثُمَّ سَلِّمْ فَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَإِنْ أَذِنَتْ لِي فَأَدْخِلُونِي، وَإِنْ رَدَّتْنِي رُدُّونِي إِلَى مَقَابِرِ الْـمُسْلِمِينَ)(1).

• وعن عثمانَ بنِ عفانَ رضي الله عنه قال: (أَنَا آخِرُكُمْ عَهْدًا بِعُمَرَ، دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِ ابْنِهِ عَبْدِ الله.

فَقَالَ لَهُ: ضَعْ خَدِّي بِالأَرْضِ.

قَالَ ابن عمر: فَهَلْ فَخِذِي وَالأَرْضُ إِلاَّ سَوَاءٌ؟

قَالَ له عمرُ: ضَعْ خَدِّي بِالأَرْضِ لاَ أُمَّ لَكَ، فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الثَّالِثَةِ وسَمِعْتُهُ يَقُولُ: وَيْلِي وَوَيْلَ أُمِّي إِنْ لَمْ يَغْفِرِ الله لِي! حَتَّى فَاضَتْ - أي: روحه-)(2).

• أما بعدَ موته: يقولُ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ رضي الله عنهما: (أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بن عمر، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ، وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ.

فَقَالَ ابْنُ دِينَارٍ: فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ الله! إِنَّهُمْ الْأَعْرَابُ وَإِنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ!

---

(1) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٠٠).

(2) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٣٦٠).

فَقَالَ عَبْدُ الله بن عمر: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ)(١).

• وعن أبي بردةَ قال: (قَدِمْتُ الْـمَدِينَةَ، فَأَتَانِي عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ فقَالَ: أَتَدْرِي لِمَ أَتَيْتُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لاَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصِلَ أَبَاهُ فِي قَبْرِهِ، فَلْيَصِلْ إِخْوَانَ أَبِيهِ بَعْدَهُ -يعني أحبابَه وأصدقاءَه- وَإِنَّهُ كَانَ بَيْنَ أَبِي عُمَرَ وَبَيْنَ أَبِيكَ إِخَاءٌ وَوُدٌّ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَصِلَ ذَلِكَ**»)(٢).

• أما مواقفُه رضي الله عنه فهي كثيرةٌ جداً نذكرُ منها:

• موقفُه رضي الله عنه معَ أهلِ البدعِ والأهواءِ.

كان عبدُ الله بنُ عمرَ رضي الله عنهما حرباً على البدعِ وأهلِ البدعِ والأهواءِ، فهو الذي قالَ: (كلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وإنْ رآها الناسُ حسنةً)(٣).

ومنَ الأمثلةِ على ذلكَ:

١- (سمعَ ابنُ عمرَ رجلاً عطسَ، فقال: الحَمْدُ لله، الصلاةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ له: ما هَكَذَا عَلَّمَنَا رَسُولُ الله ﷺ! بلْ قال: إذا عطَسَ أحدكم، فليحمَدِ الله ولم يقلْ: وليصلِّ على رسولِ الله)(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٥٢).

(٢) **حسن**: رواه أبو يعلى (٥٦٩٩)، وابن حبان (٤٣٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٠٦)].

(٣) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١٢٦)، والهروي في «ذم الكلام» (٢٧٦).

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٧٣٨)، والحاكم (٧٦٩١)، [«إرواء الغليل» (٧٨٠)].

لو فعلَ ذلكَ رجلٌ الآنَ فأنكرْنا عليه، لقالَ: اللهُ أكبرُ، الصلاةُ على رسولِ اللهِ حرامٌ؟!

٢- ولما خرجَ أهلُ المدينةِ بقيادةِ عبدِ الله بنِ مُطيعٍ على يزيدَ بنِ معاويةَ ليخلعوه، قامَ عبدُ الله بنُ عمرَ رضي الله عنهما وذهبَ إليه في بيتِهِ، فقال عبدُ الله بنُ مطيعٍ: (أَخرِجوا لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وِسَادَةً، فَقَالَ عبد الله بن عمر: إِنِّي لَمْ آتِيكَ لِأَجْلِسَ، أَتَيْتُكَ لِأُحَدِّثَكَ حَدِيثًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُهُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)(١).

• ويقولُ نافعٌ: (لَـمَّا خَلَعَ الناسُ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ؛ جَمَعَ ابْنُ عُمَرَ بنيه وأهله، ثم تشهَّد، ثم قَالَ: أما بعدُ؛ فإننا بَايَعْنَا هَذَا الرَّجُلَ عَلَى بَيْعِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنِّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **إنَّ الغادرَ يُنصَبُ له لواءٌ يومَ القيامةِ، يقال: هذا غدرةُ فلانٍ، وإنَّ مِن أَعْظَمَ الغدرِ- إلا أن يكونَ الإشراكُ باللهِ- أن يُبايعَ رجلٌ رجلاً على بَيعِ اللهِ وبيع رسولِهِ، ثم ينكثُ بَيْعتَه فلا يخلعنَّ أحدٌ منكم يزيدَ، ولا يُسرِفَنّ أحدٌ منكم في هذا الأمرِ فيكون الفيصلُ بيني وبينه »**)(٢).

٣- وحينَ اعتُرِضَ على عثمانَ رضي الله عنه في أحوالِه الشخصيةِ -مثلِ تَغَيُّبِهِ يومَ بدرٍ، وفِرارِهِ في أحدٍ، وعدمِ شهودهِ بَيْعةَ الرضوانِ- كانَ الذي ردَّ على تلكَ

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٥١).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٧١١١).

الاعتراضاتِ هو عبدُ الله بـنُ عمـرَ رضي الله عنهما، ولقـد وردَ ردُّه في نـصٍّ صـحيحٍ رواهُ البخاريُّ من طريقِ عثمانَ بن وهبٍ.

قال: (جَاءَ رَجُلٌ مَنْ أَهْلِ مِصْرَ حَجَّ الْبَيْتَ فَرَأَى قَوْمًا جُلُوسًا.

فَقَالَ: مَنْ هَؤُلاَءِ الْقَوْمُ؟

قَالَ : هَؤُلاَءِ قُرَيْشٌ؟

قَالَ: فَمَنِ الشَّيْخُ فِيهِمْ؟

قَالُوا: عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ.

قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ! إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ شَيْءٍ فَحَدِّثْنِي عنه.

هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: هل تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ وَلَمْ يَشْهَدْ ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: هل تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ الرجلُ: اللهُ أَكْبَرُ.

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: تَعَالَ أُبَيِّنْ لَكَ: أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَفَا عَنْهُ وَغَفَرَ لَـهُ - يـشير إلى قولـه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٥٥) ﴾ [آل عمران]

وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ؛ فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ الله ﷺ وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ.

وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ، فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَه رَسُولُ الله ﷺ.

وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرُّضْوَانِ بَعْدَمَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ بِيَدِهِ الْيُمْنَى: هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ، فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: هَذِهِ لِعُثْمَانَ

فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: اذْهَبْ بِهَا الآنَ مَعَكَ)[1].

٤- (جاءَ رجلٌ إلى ابنِ عمرَ رضي الله عنهما فقالَ: إني أحبُّك في اللهِ!

قال: فاشهدْ عليَّ أني أبغضُك في اللهِ!

قال: ولِـمَ؟! قال: لأنك تَلْحَنُ في أذانِك، وتأخذُ عليهِ أجراً)[2].

فرضيَ اللهُ عنكَ يا ابنَ عمرَ، وجمَعنا اللهُ وإياكم به معَ نبيِّنا ﷺ في جناتِ النعيم.

• أما مواعظُه رضي الله عنه فهي كثيرةٌ جداً منها:

١- قالَ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ رضي الله عنهما: (لاَ يَكُونُ الرَّجُلُ عَالِمًا حَتَّى لاَ يَحْسُدَ مَنْ فَوْقَهُ، وَلاَ يَحْقِرَ مَنْ دُونَهُ، وَلاَ يَبْتَغِي بِعِلْمِهِ ثَمَنًا)[3].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٩٨).

(٢) **صحيح** : رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٨٥١)، [«السلسلة الصحيحة» (٤٢)].

(٣) رواه الدارمي (٢٩٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٦٢٩).

٢- وقال رضي الله عنهما: (والله! لو صُمْتُ النهارَ لا أفطرُه، وقمتُ الليلَ لا أنامُه، وأنفقتُ مالي غَلْقاً غَلْقاً في سبيلِ الله، أموتُ يومَ أموتُ وليسَ في قلبي حبٌّ لأهلِ طاعةِ الله وبغضٌ لأهلِ معصيةِ الله، ما نفعَني ذلكَ شيئاً)[١].

وصدقَ والله رضي الله عنه؛ فإنَّ رسولَ الله ﷺ يقول: «**أوثقُ عُرى الإيمانِ: الْـمُوَالاةُ فِي اللهِ، وَالْـمُعَادَاةُ فِي اللهِ، وَالْـحُبُّ فِي اللهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللهِ**»[٢].

٣- وكانَ رضي الله عنهما يُحذِّر الناسَ من حبِّ الدنيا وطولِ الأملِ فيقول رضي الله عنهما: (يا ابنَ آدم! صاحبِ الدنيا ببدنِك، وفارِقْها بقلبِكَ وهَمِّك، فإنكَ موقوفٌ -أي: يومَ القيامةِ- على عمَلك، فخذْ مما في يدَيك لما بينَ يَدَيك، عندَ الموتِ يأتيكَ الخَبَرُ)[٣].

أي: اجعلِ الدنيا في يَدَيك ولا تجعلْها في قلبك، فإنك إنْ كانَتِ الدنيا في يَديك قلتَ بها: هكذا وهكذا في سبيلِ الله، وأما إذا دخلَ حبُّ الدنيا في قلبِكَ فإنه سيقتلُك ويدمرُك وستخرجُ منها وقد تركتَ المالَ خلفك.

ولأجلِ ذلكَ كان يحذِّر ابنُ عمرَ من طولِ الأملِ الذي جعلَ الناسَ يعبدونَ الدنيا وينسَون الآخرةَ.

---

(١) «فيض القدير» (٣/ ٢٦٤)، و«إحياء علوم الدين» (٢/ ٢٤٦).

(٢) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في «الكبير» (١١٥٣٧) من حديث أبي ذر، ورواه أحمد (٤/ ٢٨٦)، والطيالسي (٧٤٧) والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٩٣) من حديث البراء بن عازب، واللفظ للطبراني [«الصحيحة» (٩٩٨)، «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٣٠)].

(٣) رواه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٠٦).

ويقولُ رضي الله عنهما: (إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الْـمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ)(١).

صدقَ واللهِ! فإنَّ الدنيا لا تبقى لأحدٍ، ولا يبقي لـها أحدٌ.

قـال تعـالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنبياء].

وقال جبريلُ عليه السلام لرسولِنا صلى الله عليه وسلم: «**يَا مُحَمَّدُ! عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبِبْ مَنْ شئتَ فَإِنَّكَ مَفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ**»(٢).

وكما قالَ القائلُ:

لا شيءَ مما تـرى تبقـى بـشاشتُه	يبقـى الإلـهُ ويفنـى المـالُ والولـدُ
لمن تغنِ عـن هرمـزٍ يومـاً خزائنُـه	والخلدَ قد حاوَلت عادٌ فما خَلَـدوا
ولا سـليمانَ إذ تجـري الريـاحُ لـه	والإنـسُ والجـنُّ فـيما بينهـا تـرِدُ
أيـنَ الملـوكُ التـي كانـت لعزتِهـا	مِـنْ كُـلِّ أَوبٍ إليهـا وافـدٌ يفِـدُ
حوضٌ هنالك مورودٌ بـلا كـذبٍ	لابـدَّ مِـنْ وِرده يومـاً كـما وردوا

٤- وكانَ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما يُثني على أصحابِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم ويأمرُ باتباعِهم يقـولُ رضي الله عنهما: (مَنْ كان مستَنّاً فليستَنَّ بمَنْ قد ماتَ، أولئك أصحابُ محمـدٍ صلى الله عليه وسلم، كـانوا

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤١٦).

(٢) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٢٧٨)، والحاكم (٧٩٢١)، [«السلسلة الصحيحة» (٨٣١)].

خيرَ هذه الأمةِ، أبرَّها قلوباً، وأعمقَها علماً. وأقلَّها تكلفاً، قومٌ اختارَهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيه ﷺ، ونقلِ دينهِ، فتشبّهوا بأخلاقِهم وطرائِقهم، فهمْ أصحابُ محمدٍ ﷺ كانوا على الهدى المستقيم، واللهِ ربِّ الكعبةِ)[1].

٥- وكان رضي الله عنهما يحذِّرُ من آفاتِ اللسان.

فيقولُ رضي الله عنهما: (أحقُّ ما طهّرَ العبدُ لسانُهُ)[2].

صدقَ واللهِ! فإنَّ حصائدَ اللسانِ هي التي تكبُّ الناسَ في النارِ على وجوهِهم.

كما قالَ ﷺ لمعاذِ بنِ جبلٍ رضي الله عنه: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**» وأشارَ إلى لسانه، فقال معاذٌ: وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ؟!

فَقَالَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»[3].

اللهم وسّع لنا في الدنيا وزهّدنا فيها.

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٠٥).

(٢) رواه ابن أبي عاصم في «الزهد» (٢٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٠٥).

(٣) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٦٦)].

٥٣

عبدُ اللهِ بنُ رواحةَ رضي الله عنه

عبادَ الله! أصحابُ محمدٍ ﷺ قومٌ اختارَهُمُ اللهُ واصطفاهم لصحبةِ نبيِّه وإقامةِ دينِه.

يقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ؛ فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ)(١).

• أصحابُ محمدٍ ﷺ همُ الرجالُ.

قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور].

• أصحابُ محمدٍ ﷺ همُ الصادقونَ.

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (١/ ٣٧٩)، والبزار (١٨١٦)، والطبراني في «الكبير» (٨٥٨٢)، [«السلسلة الضعيفة» (٥٣٣)].

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجُرات].

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر].

• أصحابُ محمدٍ ﷺ همُ المؤمنونَ حقاً.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال].

• أصحابُ محمدٍ ﷺ حبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ.

وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ.

قال الإمامُ الطحاويُّ رحمهُ اللهُ: (ونحبُّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ ولا نفرِّطُ في حبِّ أحدٍ منهم، ولا نتبرّأُ من أحدٍ منهم، ونبغضُ من يبغضُهم، وبغيرِ الخيرِ يذكرُهم، ولا نذكرُهم إلا بخير).

من أحبَّهم أحبَّهُ اللهُ، ولا يحبهم إلا مؤمنٌ.

ومن أبغضَهم أبغضَه اللهُ، ولا يبغضِهُم إلا منافقٌ.

• أصحابُ محمدٍ ﷺ مَنْ أحبَّهم وسلكَ سبيلَهم سعدَ في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

• أصحابُ محمدٍ ﷺ مَنْ أبغضَهم وسلكَ سبيلاً غيرَ سبيلِهم شقيَ في الدنيا والآخرةِ.

قال تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾**﴾ [النساء].

وموعدُنا في هذا اليومِ -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- معَ رجلٍ منْ هؤلاءِ الرجالِ، وصحابيٍّ منَ الصحبِ الكرامِ.. أتدرونَ من هو يا عبادَ الله؟ إنه: **عبدُ الله بنُ رواحةَ** رضي الله عنه.. أتعرفونه يا أمةَ الإسلام؟

هو: عبدُ اللهِ بنُ رواحةَ بنِ ثعلبةَ بنِ امرئِ القيسِ.

الأميرُ الشهيدُ الأنصاريُّ الخزرجيُّ البدريُّ الشاعرُ.

وحديثُنا عنْ عبدِ الله بن رواحةَ رضي الله عنه سيكونُ عن مناقبِهِ، ومواقفِهِ.

أما مناقبهُ رضي الله عنه فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: اجتهادُه في العبادةِ سفَراً وحضراً.

• يقولُ أبو الدرداءِ ﷺ: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي سَفَرٍ وَإِنَّ أَحَدَنَا لَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ، وَمَا مِنَّا صَائِمٌ إِلَّا رَسُولُ الله ﷺ وَعَبْدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ)[1].

• وقالَ ابنُ أبي ليلى: تزوجَ رجلٌ امرأةَ ابنِ رواحةَ.

فقال لها: (تَدْرِيْنَ لِمَ تَزَوَّجْتُكِ؟ لِتُخْبِرِيْنِي عَنْ صَنِيْعِ عَبْدِ الله فِي بَيْتِهِ، فَذَكَرَتْ لَهُ شَيْئاً لاَ أَحْفَظُهُ، غَيْرَ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهِ، صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، وَإِذَا دَخَلَ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، لاَ يَدَعُ ذَلِكَ أَبداً)[2].

ثانياً: ومن مناقبِه ﷺ أنه كانَ حريصاً على الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ حتى في مرضِه الشديدِ.

• يقولُ النعمانُ بنُ بشيرٍ: (أُغْمِيَ عَلَى عَبْدِ الله بْنِ رَوَاحَةَ ﷺ، فَجَعَلَتْ أُخْتُهُ عَمْرَةُ تَبْكِي: وَاجَبَلاَهْ وَاكَذَا وَاكَذَا، تُعَدِّدُ عَلَيْهِ، فَقَالَ حِينَ أَفَاقَ: مَا قُلْتِ شَيْئًا إِلاَّ قِيلَ لِي: آنْتَ كَذَلِكَ؟ فَلَمَّا مَاتَ لَمْ تَبْكِ عَلَيْهِ)[3].

وهذا دأبُ السلفِ الصالحِ ﷺ.

ثالثاً: ومن مناقبِه ﷺ أن النبيَّ ﷺ أثنى عليه وعلى شِعْرِه.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٩٤٥)، ومسلم (١١٢٢)، وأحمد (٥/ ١٩٤) واللفظ له.

(٢) **صحيح**: رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٢٨٣)، [«الإصابة لابن حجر» (٤/ ٨٤)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٤٢٦٨،٤٢٦٧).

• سمعَ رجلٌ أبا هريرةَ رضي الله عنه في قَصصه يذكرُ النبيَّ ﷺ يقولُ: إِنَّ أَخًا لَكُمْ لاَ يَقُولُ الرَّفَثَ - يَعْنِي بِذَلِكَ عَبْدَ اللهِ بْنَ رَوَاحَةَ - قالَ(١):

وَفِينَا رَسُولُ اللهِ يَتْلُو كِتَابَهُ ... إِذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الْفَجْرِ سَاطِعُ
أَرَانَا الْهُدَى بَعْدَ الْعَمَى فَقُلُوبُنَا ... بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ
يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ ... إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ

• ويقولُ البراءُ بنُ عازبٍ رضي الله عنه: (لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ حَفْرِ الْخَنْدَقِ، وَهُوَ يَنْقُلُ مَعَ النَّاسِ التُّرَابَ، وَهُوَ يَتَمَثَّلُ كَلِمَةَ ابْنِ رَوَاحَةَ:

اللهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا
إِنَّ الْأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا ... وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

يَمُدُّ بِهَا صَوْتَهُ)(٢).

• ويقول أنس رضي الله عنه: (دَخَلَ النبيُّ ﷺ مَكَّةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ رضي الله عنه يَمْشِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ ... الْيَوْمَ نَضْرِبْكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ ... وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا ابْنَ رَوَاحَةَ! بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفِي حَرَمِ اللهِ عزَّ وجلَّ تَقُولُ الشِّعْرَ ؟!

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١١٥٥).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨٣٧)، ومسلم (١٨٠٣) وأحمد (٤/ ٢٨٢) واللفظ له.

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: خَلِّ عَنْهُ يَا عُمَرُ! فَلَهُوَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ)[1].

وفي لفظٍ: (فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَكَلَامُهُ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ وَقْعِ النَّبْلِ)[2].

رابعاً: ومن مناقبِهِ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ عاده في مرضِهِ.

• عن عبادةَ بنِ الصامتِ رضي الله عنه: (أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَادَ عَبْدَ اللهِ بْنَ رَوَاحَةَ، فَمَا تَحَوَّزَ لَهُ عَنْ فِرَاشِهِ -أي: ما تنحّى- فَقَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَنْ شُهَدَاءُ أُمَّتِي؟**»

قَالُوا: قَتْلُ الْـمُسْلِمِ شَهَادَةٌ.

قال: «**إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ، قَتْلُ الْـمُسْلِمِ شَهَادَةٌ، وَالطَّاعُونُ شَهَادَةٌ، وَالْـمَرْأَةُ يَقْتُلُهَا جَمْعَاءَ**» -أي: تموتُ وفي بطنها ولدٌ-)[3].

خامساً: ومن مناقبِهِ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ شهدَ له بالشهادةِ في سبيلِ اللهِ.

(بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَيْشَ الْأُمَرَاءِ فَقَالَ: عَلَيْكُمْ بزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، فَإِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ فعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ الْأَنْصَارِيُّ ، فَوَثَبَ جَعْفَرُ فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ! مَا كُنْتُ أَرْهَبُ أَنْ تَسْتَعْمِلَ عَلَيَّ زَيْدًا. قَالَ: امْضِهْ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَيُّ ذَلِكَ خَيْرٌ . فَانْطَلَقُوا، فَلَبِثُوا مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، وَأَمَرَ أَنْ يُنَادَى: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ.

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٨٤٧)، والنسائي (٢٨٧٣) وابن حبان (٥٧٨٨)، وابن خزيمة (٢٦٨٠)، [«صحيح مختصر الشمائل» (٢١٠)].

(٢) **صحيح**: رواه النسائي (٢٨٩٣)، وابن خزيمة (٢٦٨٠)، وأبو يعلى (٣٤٤٠)، [«صحيح سنن النسائي»].

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٢٠١)، والطيالسي (٥٨٢)، [«أحكام الجنائز» (٣٨-٣٩)].

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَابَ خَيرُ، أَوْ بَاتَ خَيرُ، أَوْ ثَابَ خَيرُ -شَكَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ (يعني ابنَ مهدي)- أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ جَيْشِكُمْ هَذَا الْغَازِي؟ إِنَّهُمْ انْطَلَقُوا فَلَقُوا الْعَدُوَّ، فَأُصِيبَ زَيْدٌ شَهِيدًا، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ -فَاسْتَغْفَرَ لَهُ النَّاسُ- ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَشَدَّ عَلَى الْقَوْمِ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا، أَشْهَدُ لَهُ بِالشَّهَادَةِ، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ، ثُمَّ أَخَذَ الراية عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَأَثْبَتَ قَدَمَيْهِ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ.

ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ -وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْأُمَرَاءِ، هُوَ أَمَّرَ نَفْسَهُ-» ثُمَّ رَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُصْبُعَيْهِ فَقَالَ: «اللهُمَّ هُوَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِكَ، فَانْصُرْهُ - فَمِنْ يَوْمِئِذٍ سُمِّيَ خَالِدٌ سَيْفَ اللهِ-» ثُمَّ قَالَ: «انْفِرُوا فَأَمِدُّوا إِخْوَانَكُمْ وَلَا يَتَخَلَّفَنَّ أَحَدٌ، فَنَفَرَ النَّاسُ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، مُشَاةً وَرُكْبَانًا» الحديث)[1].

أما مواقفهُ رضي الله عنه فهي كثيرةٌ جداً منها:

موقفُه في غزوةِ مؤتةَ التي استُشهدَ فيها.

أمّر رسولُ اللهِ ﷺ على جيشِ المسلمينَ زيدَ بنَ حارثةَ رضي الله عنه.

وقالَ ﷺ للجيشِ: «إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ»[2].

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (٥/ ٢٩٩، ٣٠٠)، والنسائي في «الكبرى» (٨٢٤٩)، وابن حبان (٧٠٤٨)، [«أحكام الجنائز» (ص٣٢)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٢٦١)

• ووصَّى رسولُ اللهِ ﷺ الأميرَ في خاصةِ نفسِه بتقوى اللهِ، وبمن معَه من المسلمينَ خيراً.

ثم قالَ لهم: «**اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ.**

أُغْزُوا، وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا..الحديث»[1].

وودّعَ المسلمونَ الجيشَ، وسلّموا على الأمراءِ، فبكى عبدُ اللهِ بنُ رواحةَ رضي الله عنه فقالوا له: (مَا يَبْكِيكَ يَا ابْنَ رَوَاحَةَ؟

فقَالَ: وَاللهِ مَا بِيَ حُبُّ الدُّنْيَا، ولا صبابةً بكم.

وَلَكِنِّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقْرَأُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ يَذْكُرُ فِيهَا النَّارَ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم] فَلَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ بِالصَّدْرِ بَعْدَ الوُرُودِ؟

وقَالَ المُسْلِمُونَ للجيشِ: صَحِبَكُمُ اللهُ بالسلامةِ، وَدَفَعَ عَنْكُمْ، وَرَدَّكُمْ إِلَيْنَا صَالِحِينَ- أي: سالمين-.

فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ رَوَاحَةَ يَردُّ على هذا الوداعُ:

ولَكِنَّنِي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً ... وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا

أَوْ طَعْنَةً بِيَدَيْ حَرَّانَ مُجْهِزَةً ... بِحَرْبَةٍ تَنْفُذُ الأَحْشَاءَ وَالْكَبِدَا)[2]

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٣١).

(٢) رواه الطبراني (١٨/ ٤٦٩/ الجزء مفقود)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٣٥٩).

حتى قالَ:

إذا مرّوا على جَدَثي -أي قبري- قالوا   يا أرشدَ اللهُ من غازٍ وقدْ رشَدا

تحرّكَ جيشُ المسلمينَ بقيادةِ زيدِ بنِ حارثةَ ﵁ قاصدينَ أرضَ الشامِ، فلما وصلوا إلى «معانَ» وصلتهم الأخبارُ أنَّ الرومَ قد تجهّزوا لهم بمئتي ألفِ مقاتلٍ.

وكانَ جيشُ المسلمينَ يتكونُ منْ ثلاثةِ آلافِ مقاتلٍ.

باتَ الجيشُ بمعانَ ليلتين يتشاورونَ في الأمرِ، أيتقدمونَ للهجومِ على عدوِّهم على بركةِ اللهِ، معتصمينَ باللهِ، واثقينَ باللهِ؟ أم يبعثونَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ مَنْ يُخبرهُ الخبرَ فيرى رأيَه، فإما أن يُمدَّهم بمدَدٍ منْ عندِه، وإما أن يأمرَهم بأمرٍ فَيَمضوا له.

فقامَ عبدُ اللهِ بنُ رواحةَ ﵁ خطيباً في الجيش.

فقال: (يَا قَوْمُ! وَاللهِ إِنَّ الَّذِي تَكْرَهُونَ لِلَّتِي خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ -الشَّهَادَةَ-، وَمَا نُقَاتِلُ النَّاسَ بِعَدَدٍ وَلا قُوَّةٍ وَلا كَثْرَةٍ، ما نُقَاتِلُهُمْ إلا بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللهُ بِهِ، فَانْطَلِقُوا، فَإِنَّمَا هِيَ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ، إِمَّا ظَفَرٌ -أي: نصرٌ- وَإِمَّا شَهَادَةٌ)[١].

فقالَ الناسُ: صدقَ واللهِ ابنُ رواحةَ، ثم تشجَّعوا وتحرَّكوا نحوَ العدو[٢].

وهناكَ في «مؤتةَ» التقى الجمعانِ، وبدأ القتالُ، ودخلَ ثلاثةُ آلافِ مقاتلٍ مِن المسلمينَ في مئتي ألفِ مقاتلٍ منَ المشركينَ.

---

(١) رواه الطبراني (١٨/ ٤٧١/ الجزء مفقود)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١١٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٤/ ٣٦٠).

(٢) «زاد المعاد» (٣/ ٣٨٢). «مختصر سيرة ابن هشام» (ص٢١٥).

أخذ الرايةَ زيدُ بنُ حارثةَ رضي الله عنه -حِبُّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم- فقاتلَ حتى قُتِلَ شهيداً.

ثم أخذَ الرايةَ جعفرُ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه، فقاتلَ حتى قُتلَ شهيداً.

ثم أخذَ الرايةَ عبدُ اللهِ بنُ رواحةَ -الأميرُ الثالثُ، المعَيَّنُ بأمرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم- فوجدَ في نفسِه تردّداً عن الاقتحامِ، فأكرَهَها على النزولِ وقال:

أقسمْتُ يا نفسُ لَتَنزِلنّه ... إن أجلَبَ الناسُ وشَدُّوا الرنّة

لَتَنزِلنّهُ أو لتُكرَهنّه ... ما لي أراكِ تكرَهين الجنّة

وقالَ أيضاً:

يا نفسُ إلا تُقتَلي تموتي! ... هذا حِمامُ الموتِ قد صَليتِ!

وما تمنيتِ فقد أُعطيتِ! ... إنْ تفعلي فِعلَهْما هُديتِ!

ثم نزلَ فأتاه ابنُ عمرَ بعرْقٍ من لحمٍ فقالَ: شُدَّ بهذا صُلْبَك، فقد لقيتَ ما لقيتَ، فنهسَ منه نهسةً ثم سمعَ جَلَباً -أي: صوتاً- فقال: وأنتَ في الدنيا -يعني القتالَ دائرٌ بينَ المسلمين والمشركين وأنتَ يا ابنَ رواحةَ في الدنيا- ثم رمى بقطعةِ اللحمِ، وأخذَ سيفه، ودخلَ في صفوفِ المشركين فقاتلَ حتى قُتِلَ رضي الله عنه [1].

إنهم واللهِ ﴿رِجَالٌ﴾ [النور:٣٧].

فرضي اللهُ عنكَ يا ابنَ رواحةَ، وجمعَنا بكَ مع نبيِّنا صلى الله عليه وسلم في جناتِ النعيمِ.

(١) «السيرة النبوية» (٥/ ٣٠).

ومن مواقفه رضي الله عنه.

موقفُه في مواجهةِ زعيمِ المنافقينَ عبدِ الله بنِ أُبيّ بنِ سلولٍ.

• عن عروةَ بنِ الزبيرِ قالَ: أَخبَرَنِي أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَكِبَ حِمَارًا عَلَيْهِ إِكَافٌ تَحْتَهُ قَطِيفَةٌ فَدَكِيَّةٌ، وَأَرْدَفَ وَرَاءَهُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، وَهْوَ يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، وَذَلِكَ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، حَتَّى مَرَّ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ أَخْلاَطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ وَالْيَهُودِ، وَفِيهِمْ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، وَفِي الْمَجْلِسِ عَبْدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ، فَلَمَّا غَشِيَتِ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ خَمَّرَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ أَنْفَهُ بِردَائِهِ ثمَّ قَالَ: لاَ تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا. فَسَلَّمَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ؛ فَدَعَاهُمْ إِلَى الله، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ. فَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ بْنُ سَلُولٍ: أَيُّهَا الْمَرْءُ! لاَ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا؟ إِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَلاَ تُؤْذِنَا فِي مَجَالِسِنَا وَارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ، فَمَنْ جَاءَكَ مِنَّا فَاقْصُصْ عَلَيْهِ.

قَالَ ابْنُ رَوَاحَةَ: اغْشَنَا فِي مَجَالِسِنَا؛ فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ.

فَاسْتَبَّ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَتَوَاثَبُوا، فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حتى سكتوا، ثُمَّ رَكِبَ دَابَّتَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ.

فَقَالَ: أَيْ سَعْدُ! أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ؟ -يُرِيدُ عَبْدَ الله بْنَ أُبَيٍّ- قَالَ: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: اعْفُ عَنْهُ يَا رَسُولَ الله وَاصْفَحْ؛ فَوَالله لَقَدْ أَعْطَاكَ اللهُ الَّذِي أَعْطَاكَ، وَلَقَدِ اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ الْبَحْرَةِ -أي القريةِ- عَلَى أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُونَهُ بِالْعِصَابَةِ،

فَلَـمَّا رَدَّ اللهُ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ، شَرِقَ بِـذَلِكَ -أي بقـيَ في حلقـهِ لا يـصعدُ ولا ينزلُ- فَذَلِكَ فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ. فَعَفَا عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ)[1].

اللهم رُدَّ المسلمينَ إلى دينِكَ رداً جميلاً.

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٢٥٤)، ومسلم (١٧٩٨).

٥٤

سلمانُ الفارسيُّ رضي الله عنه

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عز وجل في كتابـه: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

وهؤلاءِ الرجالُ همْ أصحابُ محمدٍ ﷺ، قومٌ اختارَهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّه ونصرةِ دينِه.

حبهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ.

من أحبهم أحبه اللهُ، ولا يحبهم إلا مؤمنٌ.

ومن أبغضهم أبغضَهُ اللهُ، ولا يبغضُهم إلا منافقٌ زنديقٌ.

وموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع رجلٍ منْ هؤلاءِ الرجالِ، وصحابيٍّ منَ الصحبِ الكرامِ.. أتدرونَ مَنْ هو يا عبادَ الله؟

إنه: **سلمانُ الفارسيُّ** رضي الله عنه .. أتعرفونَه يا أمةَ الإسلام؟

هو: سلمانُ بنُ الإسلامِ.

هو سلمانُ الخيرِ، أبو عبدِ الله، سابقُ الفُرْسِ إلى الإسلامِ.

صحِبَ النبيَّ ﷺ وخدَمه، وحدَّثَ عنه.

وحديثُنا عنْ سلمانَ ﷺ سيكونُ عنْ إسلامِه، ومناقبِهِ، ومواعظِهِ.

أما إسلامهُ ﷺ، فتعالَوا بنا لنستمعَ إليه وهو يَروي لنا أحداثَ قصةِ إسلامِهِ.

قال سلمانُ ﷺ: (كُنْتُ رَجُلًا فَارِسِيًّا مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ مِنْهَا يُقَالُ لَهَا: جَيَّ، وَكَانَ أَبِي دِهْقَانَ قَرْيَتِهِ -أي: رئيسَها- وَكُنْتُ أَحَبَّ خَلْقِ الله إِلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حُبُّهُ إِيَّايَ حَتَّى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ كَمَا تُحْبَسُ الْجَارِيَةُ.

واجْتَهَدْتُ فِي الْـمَجُوسِيَّةِ حَتَّى كُنْتُ قَطَنَ النَّارِ -أي: خازنَها وخادمَها- الَّذِي يُوقِدُهَا لَا يَتْرُكُهَا تَخْبُو سَاعَةً.

قَالَ: وَكَانَتْ لِأَبِي ضَيْعَةٌ عَظِيمَةٌ، فَشُغِلَ فِي بُنْيَانٍ لَهُ يَوْمًا، فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ! إِنِّي قَدْ شُغِلْتُ فِي بُنْيَانٍ هَذَا الْيَوْمَ عَنْ ضَيْعَتِي، فَاذْهَبْ فَاطَّلِعْهَا، وَأَمَرَنِي فِيهَا بِبَعْضِ مَا يُرِيدُ.

فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضَيْعَتَهُ، فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كَنَائِسِ النَّصَارَى، فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَكُنْتُ لَا أَدْرِي مَا أَمْرُ النَّاسِ؛ لِحَبْسِ أَبِي إِيَّايَ فِي بَيْتِهِ، فَلَـمَّا مَرَرْتُ بِهِمْ، وَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ، دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُونَ.

قَالَ: فَلَـمَّا رَأَيْتُهُمْ أَعْجَبَنِي صَلَاتُهُمْ، وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ.

وَقُلْتُ: هَذَا وَالله خَيْرٌ مِنَ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ.

فَوَالله مَا تَرَكْتُهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَتَرَكْتُ ضَيْعَةَ أَبِي وَلَمْ آتِهَا، فَقُلْتُ لَهُمْ: أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ؟

قَالُوا: بِالشَّامِ.

قَالَ: ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَبِي، وَقَدْ بَعَثَ فِي طَلَبِي وَشَغَلْتُهُ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ فَلَـمَّا جِئْتُهُ، قَالَ: أَيْ بُنَيَّ! أَيْنَ كُنْتَ؟ أَلَمْ أَكُنْ عَهِدْتُ إِلَيْكَ مَا عَهِدْتُ؟

قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتِ، مَرَرْتُ بِنَاسٍ يُصَلُّونَ فِي كَنِيسَةٍ لَهُمْ فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ دِينِهِمْ، فَوَاللهِ مَازِلْتُ عِنْدَهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ.

قَالَ: أَيْ بُنَيَّ! لَيْسَ فِي ذَلِكَ الدِّينِ خَيْرٌ، دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ خَيْرٌ مِنْهُ.

قَالَ: قُلْتُ: كَلَّا، وَاللهِ إِنَّهُ لَخَيْرٌ مِنْ دِينِنَا.

قَالَ: فَخَافَنِي، فَجَعَلَ فِي رِجْلَيَّ قَيْدًا، ثُمَّ حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ.

قَالَ: وَبَعَثْتُ إِلَى النَّصَارَى فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ -تُجَّارٌ مِنَ النَّصَارَى- فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ.

فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ؛ تُجَّارٌ مِنَ النَّصَارَى.

قَالَ: فَأَخْبَرُونِي بِهِمْ.

فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَضَوْا حَوَائِجَهُمْ وَأَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ فَآذِنُونِي بِهِمْ. قَالَ: فَلَـمَّا أَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ أَخْبَرُونِي بِهِمْ، فَأَلْقَيْتُ الْحَدِيدَ مِنْ رِجْلَيَّ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ.

فَلَـمَّا قَدِمْتُهَا، قُلْتُ: مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ؟

قَالُوا: الْأَسْقُفُ فِي الْكَنِيسَةِ، قَالَ: فَجِئْتُهُ.

فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِي هَـذَا الـدِّينِ، وَأَحْبَبْـتُ أَنْ أَكُـونَ مَعَـكَ أَخْـدِمُكَ فِي كَنِيسَتِكَ، وَأَتَعَلَّمُ مِنْكَ وَأُصَلِّي مَعَكَ.

قَالَ: فَادْخُلْ فَدَخَلْتُ مَعَهُ.

قَالَ: فَكَانَ رَجُلَ سَوْءٍ يَأْمُرُهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُهُمْ فِيهَا، فَإِذَا جَمَعُـوا إِلَيْـهِ مِنْهَـا أَشْيَاءَ، اكْتَنَزَهُ لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِهِ الْمَسَاكِينَ، حَتَّى جَمَعَ سَبْعَ قِلَالٍ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقٍ.

قَالَ: وَأَبْغَضْتُهُ بُغْضًا شَدِيدًا لِمَا رَأَيْتُهُ يَصْنَعُ، ثُمَّ مَاتَ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ النَّصَارَى لِيَدْفِنُوهُ، فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا كَانَ رَجُلَ سَوْءٍ، يَأْمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُكُمْ فِيهَا، فَإِذَا جِئْتُمُوهُ بِهَا اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ مِنْهَا شَيْئًا.

قَالُوا: وَمَا عِلْمُكَ بِذَلِكَ؟

قُلْتُ: أَنَا أَدُلُّكُمْ عَلَى كَنْزِهِ.

قَالُوا: فَدُلَّنَا عَلَيْهِ، قَالَ: فَأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَهُ.

قَالَ: فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ سَبْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا وَوَرِقًا، ثُمَّ جَـاؤوا بِرَجُـلٍ آخَـرَ، فَجَعَلُوهُ بِمَكَانِهِ.

قال سلمانُ: فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا لَا يُصَلِّي الْخَمْسَ، أُرَى أَنَّهُ أَفْـضَلُ مِنْـهُ وأَزْهَـدُ فِي الدُّنْيَا وَلَا أَرْغَبُ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا أَدْأَبُ لَيْلًا وَنَهَارًا مِنْهُ.

قَالَ: فَأَحْبَبْتُهُ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مَنْ قَبْلَهُ، فَأَقَمْتُ مَعَهُ زَمَانًا، ثُمَّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ إِنِّي كُنْتُ مَعَكَ وَأَحْبَبْتُكَ حُبًّا شديداً لَمْ أُحِبَّهُ مَنْ قَبْلَكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ أَمْرِ اللهِ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي وَمَا تَأْمُرُنِي؟

قَالَ: أَيْ بُنَيَّ! وَاللهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا الْيَوْمَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، لَقَدْ هَلَكَ النَّاسُ وَبَدَّلُوا وَتَرَكُوا أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ، إِلَّا رَجُلًا بِالْمَوْصِلِ وَهُوَ فُلَانٌ، فَهُوَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، فَالْحَقْ بِهِ.

قَالَ سلمانُ: فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ، لَحِقْتُ بِصَاحِبِ الْمَوْصِلِ.

فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ! إِنَّ فُلَانًا أَوْصَانِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ أَلْحَقَ بِكَ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّكَ عَلَى أَمْرِهِ.

قَالَ: فَقَالَ لِي: أَقِمْ عِنْدِي، فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ، فَوَجَدْتُهُ خَيْرَ رَجُلٍ عَلَى أَمْرِ صَاحِبِهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ.

فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ! إِنَّ فُلَانًا أَوْصَى بِي إِلَيْكَ، وَأَمَرَنِي بِاللُّحُوقِ بِكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا تَرَى، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي، وَمَا تَأْمُرُنِي؟

قَالَ: أَيْ بُنَيَّ! وَاللهِ مَا أَعْلَمُ رَجُلًا عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ إِلَّا رَجُلاً بِنِصِّيبِينَ وَهُوَ فُلَانٌ، فَالْحَقْ بِهِ.

قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ نَصِيبِينَ، فَجِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِي وَمَا أَمَرَنِي بِهِ صَاحِبِي.

قَالَ: فَأَقِمْ عِنْدِي. فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ، فَوَجَدْتُهُ عَلَى أَمْرِ صَاحِبَيْهِ فَأَقَمْتُ مَعَ خَيْرِ رَجُلٍ، فَوَاللهِ مَا لَبِثَ أَنْ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَلَمَّا حُضِرَ، قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ! إِنَّ فُلَانًا كَانَ أَوْصَى بِي إِلَى فُلَانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي، وَمَا تَأْمُرُنِي؟

قَالَ: أَيْ بُنَيَّ! وَاللهِ مَا نَعْلَمُ أَحَدًا بَقِيَ عَلَى أَمْرِنَا آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ إِلَّا رَجُلًا بِعَمُّورِيَّةَ، فَإِنَّهُ عَلَى مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَأْتِهِ، قَالَ: فَإِنَّهُ عَلَى أَمْرِنَا.

قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ عَمُّورِيَّةَ، وَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِي.

فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي، فَأَقَمْتُ مَعَ رَجُلٍ عَلَى هَدْيِ أَصْحَابِهِ وَأَمْرِهِمْ.

قَالَ: وَاكْتَسَبْتُ حَتَّى كَانَ لِي بَقَرَاتٌ وَغُنَيْمَةٌ.

قَالَ: ثُمَّ نَزَلَ بِهِ أَمْرُ اللهِ، فَلَمَّا حُضِرَ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ! إِنِّي كُنْتُ مَعَ فُلَانٍ، فَأَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ، وَأَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي، وَمَا تَأْمُرُنِي؟

قَالَ: أَيْ بُنَيَّ! وَاللهِ مَا أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظَلَّكَ زَمَانُ نَبِيٍّ هُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ، يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ، مُهَاجِرًا إِلَى أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ بَيْنَهُمَا نَخْلٌ، بِهِ عَلَامَاتٌ لَا تَخْفَى، يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ فَافْعَلْ.

قَالَ: ثُمَّ مَاتَ وَغُيِّبَ، فَمَكَثْتُ بِعَمُّورِيَّةَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ أَمْكُثَ، ثُمَّ مَرَّ بِي نَفَرٌ مِنْ كُلْبٍ تُجَّارًا، فَقُلْتُ لَهُمْ: تَحْمِلُونِي إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ، وَأُعْطِيكُمْ بَقَرَاتِي هَذِهِ

وَغُنَيْمَتِي هَذِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ. فَأَعْطَيْتُهُمُوهَا وَحَمَلُونِي، حَتَّى إِذَا قَدِمُوا بِي وَادِي الْقُرَى ظَلَمُونِي فَبَاعُونِي إِلى رَجُلٍ مِنْ يَهُودَ عَبْدًا، فَكُنْتُ عِنْدَهُ، وَرَأَيْتُ النَّخْلَ وَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ الْبَلَدَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي، وَلَمْ يَحِقْ لِي فِي نَفْسِي فَبَيْنَمَا أَنَا عِنْدَهُ، قَدِمَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمٍّ لَهُ مِنَ الْـمَدِينَةِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ فَابْتَاعَنِي مِنْهُ، فَاحْتَمَلَنِي إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا فَعَرَفْتُهَا بِصِفَةِ صَاحِبِي، فَأَقَمْتُ بِهَا وَبَعَثَ اللهُ رَسُولَهُ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ مَا أَقَامَ لَا أَسْمَعُ لَهُ بِذِكْرٍ مَعَ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ شُغْلِ الرِّقِّ.

ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْـمَدِينَةِ، فَوَاللهِ إِنِّي لَفِي رَأْسِ عَذْقٍ لِسَيِّدِي -أي رأسِ نخلةٍ لسيدي- أَعْمَلُ فِيهِ بَعْضَ الْعَمَلِ، وَسَيِّدِي جَالِسٌ، إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: قَاتَلَ اللهُ بَنِي قَيْلَةَ، وَاللهِ إِنَّهُمُ الْآنَ لَمُجْتَمِعُونَ بِقُبَاءَ عَلَى رَجُلٍ قَدِمَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَكَّةَ الْيَوْمَ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ.

قَالَ سلمانُ: فَلَـمَّا سَمِعْتُهَا أَخَذَتْنِي الْعُرَوَاءُ -أي: الرِّعدَةُ- حَتَّى ظَنَنْتُ سَأَسْقُطُ عَلَى سَيِّدِي، قَالَ: وَنَزَلْتُ عَنِ النَّخْلَةِ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ لِابْنِ عَمِّهِ ذَلِكَ: مَاذَا تَقُولُ؟ مَاذَا تَقُولُ؟

قَالَ: فَغَضِبَ سَيِّدِي فَلَكَمَنِي لَكْمَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ قَالَ: مَا لَكَ وَلِهَذَا! أَقْبِلْ عَلَى عَمَلِكَ، قَالَ: قُلْتُ: لَا شَيْءَ، إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَثْبِتَهُ عَمَّا قَالَ.

قال سلمانُ: وَقَدْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ قَدْ جَمَعْتُهُ، فَلَـمَّا أَمْسَيْتُ أَخَذْتُهُ ثُمَّ ذَهَبْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِقُبَاءَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ. فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ، وَمَعَكَ أَصْحَابٌ لَكَ غُرَبَاءُ ذَوُو حَاجَةٍ، وَهَذَا شَيْءٌ كَانَ عِنْدِي لِلصَّدَقَةِ، فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ.

قَالَ: فَقَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِأَصْحَابِهِ: كُلُوا وَأَمْسَكَ يَدَهُ فَلَمْ يَأْكُلْ، قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذِهِ وَاحِدَةٌ. ثُمَّ انْصَرَفْتُ عَنْهُ فَجَمَعْتُ شَيْئًا، وَتَحَوَّلَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ ثُمَّ جِئْتُهُ بِهِ فَقُلْتُ: إِنِّي رَأَيْتُكَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتُكَ بِهَا.

قَالَ: فَأَكَلَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْهَا، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَكَلُوا مَعَهُ.

قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَاتَانِ اثْنَتَانِ.

قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ.

قَالَ: وَقَدْ تَبِعَ جَنَازَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، عَلَيْهِ شَمْلَتَانِ لَهُ وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ فَسَلَّمْتُ، ثُمَّ اسْتَدَرْتُ أَنْظُرُ إِلَى ظَهْرِهِ، هَلْ أَرَى الْخَاتَمَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي؟ فَلَمَّا رَآنِي رَسُولُ الله ﷺ اسْتَدَبَرْتُهُ، عَرَفَ أَنِّي أَسْتَثْبِتُ فِي شَيْءٍ وُصِفَ لِي.

قَالَ سلمان: فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ، فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ فَعَرَفْتُهُ، فَانْكَبَبْتُ عَلَيْهِ أُقَبِّلُهُ وَأَبْكِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: تَحَوَّلْ، فَتَحَوَّلْتُ، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي كَمَا حَدَّثْتُكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ: فَأَعْجَبَ رَسُولَ الله ﷺ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ.

ثُمَّ شَغَلَ سَلْمَانُ الرِّقُّ حَتَّى فَاتَهُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بَدْرٌ وَأُحُدٌ وساعدَ النبيُّ ﷺ والصحابةُ سلمانَ حتى أَعتقَ نفسَه وأصبحَ حراً.

يقولُ سلمان: فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ وَعُتِقْتُ، فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ الْخَنْدَقَ، ثُمَّ لَمْ يَفُتْنِي مَعَهُ مَشْهَدٌ)(1).

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (٥/ ٤٤١)، والبزار (٢٥٠٠)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٩٢)، [«السلسلة الصحيحة» (٨٩٤)].

أما مناقبهُ رضي الله عنه فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: ثناءُ النبيِّ ﷺ عليه.

• قال أبو هريرةَ رضي الله عنه: (كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ فَلَمَّا قَرَأَ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ [الجمعة:٣]

قَالَ رَجُلٌ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا رَسُولَ اللهِ؟

فَلَمْ يُرَاجِعْهُ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى سَأَلَهُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا.

قَالَ: وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ.

قَالَ: فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ ثُمَّ قَالَ: «**لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلَاءِ**»)[(١)].

ثانياً: ومن مناقبِه رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ صدّقَ قولَه.

• عن أبي جُحيفة رضي الله عنه قال: (آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً -أي: لابسةً ثيابَ المهنة، تاركةً ثيابَ الزينة-.

فَقَالَ: مَا شَأْنُكِ؟

قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا -أي في النساءِ- فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فَقَالَ له: كُلْ فَإِنِّي صَائِمٌ.

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٨٩٧)، ومسلم (٢٥٤٦).

قَالَ -أي سلمانُ- مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ فقَالَ له: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ.

فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ: قُمِ الآنَ، فَصَلَّيَا جميعاً.

فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِن لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ.

فَأَتَى -أي: أبو الدرداء- النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: صَدَقَ سَلْمَانُ)[1].

ثالثاً: ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ أخبرَ أنَّ منْ أغضبَ سلمانَ فقد أغضبَ ربَّه وهذا يدلُّ على أنَّ لسلمانَ الفارسيِّ شأناً عند الله.

• (عَنْ عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو؛ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ. فَقَالُوا: وَاللهِ! مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللهِ مَأْخَذَهَا -وهذا قبلَ إسلامِ أبي سفيان-.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ ؟

فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ؟

فَقَالَ ﷺ: يَا أَبَا بَكْرٍ! لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ.

فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهْ! أَغْضَبْتُكُمْ؟

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٩٦٨).

قَالُوا: لَا! يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أُخَيَّ)[1].

رابعاً: ومن مناقبه ﷺ زهدُه في الدنيا.

• يقول أنسٌ ﷺ: (اشْتَكَى سَلْمَانُ، فَعَادَهُ سَعْدٌ فَرَآهُ يَبْكِي، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا يُبْكِيكَ يَا أَخِي؟

أَلَيْسَ قَدْ صَحِبْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، أَلَيْسَ، أَلَيْسَ؟

قَالَ سَلْمَانُ: مَا أَبْكِي وَاحِدَةً مِنَ اثْنَتَيْنِ.

مَا أَبْكِي ضَنّاً لِلدُّنْيَا وَلاَ كَرَاهِيَةً لِلآخِرَةِ، وَلَكِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَهِدَ عَهْدًا، فَمَا أُرَانِي إِلاَّ قَدْ تَعَدَّيْتُ.

وَأَمَّا أَنْتَ يَا سَعْدُ! فَاتَّقِ اللهَ عِنْدَ حُكْمِكَ إِذَا حَكَمْتَ، وَعِنْدَ قَسْمِكَ إِذَا قَسَمْتَ، وَعِنْدَ هَمِّكَ إِذَا هَمَمْتَ.

قَالَ ثَابِتٌ: فَبَلَغَنِي أَنَّهُ مَا تَرَكَ إِلاَّ بِضْعَةً وَعِشْرِينَ دِرْهَمًا مِنْ نُفَيْقَةٍ كَانَتْ عِنْدَهُ)[2].

ابن آدم!

تزودْ منْ معاشِكَ للمعادِ ... وقمْ لله واجمعْ خيرَ زادِ
ولا تجمعْ منَ الدنيا كثيراً ... فإنَّ المالَ يُجمعُ للنفادِ

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٠٤).

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٤١٠٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٢٢٥)].

أتــرضى أن تكــونَ رفيــقَ قــومٍ ... لهـــمْ زادٌ وأنــتَ بغــيرِ زادِ

خامساً: ومن مناقبهِ رضي الله عنه علمُه الكثيرُ الذي تعلَّمَه من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم.

• (لَـمَّا حَضَرَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ الْـمَوْتُ، قِيلَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ! أَوْصِنَا.

قَالَ: أَجْلِسُونِي.

فَقَالَ: إِنَّ العِلْمَ وَالإِيمَانَ مَكَانَهُمَا، مَنْ ابْتَغَاهُمَا وَجَدَهُمَا -يَقُولُ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ-

فالتَمِسُوا العِلْمَ عِنْدَ أَرْبَعَةِ رَهْطٍ: عِنْدَ عُوَيْمِرٍ أَبِي الدَّرْدَاءِ، وَعِنْدَ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ، وَعِنْدَ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ، وَعِنْدَ عَبْدِ الله بْنِ سَلاَمٍ الَّذِي كَانَ يَهُودِيًّا ثم أَسْلَمَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: إِنَّهُ عَاشِرُ عَشَرَةٍ فِي الجَنَّةِ)(١).

أما مواعظُه رضي الله عنه فهي كثيرةٌ جداً منها:

١- قالَ سلمانُ رضي الله عنه: (أَكْثَرُ النَّاسِ ذُنُوبًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ كَلاَماً فِي مَعْصِيَةِ الله عزّ وجل)(٢).

وصدقَ والله سلمانُ رضي الله عنه! فإنَّ أكثرَ الذنوبِ من اللسانِ، ولذلكَ قال صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أَوْ لِيَصْمُتْ**»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٨٠٤) والنسائي في «الكبرى» (٨٢٥٣)، وأحمد (٥/ ٢٤٢)، [«المشكاة» (٦٢٣١)].

(٢) رواه أحمد في «الزهد» (٨٠٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٦٥٩)

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦١٣٦)، ومسلم (٤٧).

وقال ﷺ: «**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَـحْيَيْهِ** -أي اللسان- **وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْـجَنَّةَ**»[1].

وقال ﷺ لمعاذِ بنِ جبلٍ رضي الله عنه بعدَ أن دلَّه على أبوابِ الخيرِ: «**أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمَلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ**».

قُلْتُ: بَلَى يَا رسولَ اللهِ!

فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**».

فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ! وَإِنَّا لَـمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟

فَقَالَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»)[2].

وقال رجلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**»[3].

٢- (جاءَ رجلٌ إلى سلمانَ رضي الله عنه فقالَ: أوصِني؟

قال: لا تكلّمْ.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤٧٤).

(٢) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٦٦)].

(٣) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٤٠٦)، وأحمد (٥/ ٢٥٩)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٧١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٧٤١)].

قال الرجلُ: ما يستطيعُ مَنْ عاش في الناسِ أن لا يتكلّمَ.

قال: فإن تكلمتَ فتكلمْ بحقٍّ أو اسكُتْ.

قال: زِدني. قال: لا تغضبْ.

قال الرجلُ: أنه ليغشاني ما لا أملكُه.

قال: فإن غضبتَ فأمسكْ لسانَك ويدَك.

قال: زدني.

قال: لا تُلابِسِ الناسَ -أي تُخالِطْهم-.

قال الرجلُ: لا يستطيعُ مَنْ عاشَ في الناسِ أن لا يُلابِسَهم.

قال سلمانُ: فإنْ لابستَهم فاصدُقِ الحديثَ، وأدِّ الأمانةَ)[1].

٣- كتب سلمانُ إلى أبي الدرداءِ رضي الله عنهما:

أما بعدُ:

فإنك لن تنالَ ما تريدُ إلا بتركِ ما تشتهي.

ولن تنالَ ما تأملُ إلا بالصبرِ على ما تكْرَهُ.

فليكنْ كلامُك ذكراً، وصمتُك فكراً، ونظرُك عِبَراً.

فإنَّ الدنيا تتقلبُ، وبهجتُها تتغيرُ، فلا تغترَّ بها.

وليكنْ بيتُك المسجدَ. والسلامُ[2].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٦١٠).

(٢) «العقد الفريد» (٣/ ١١٠).

٤- وقالَ سلمانُ رضي الله عنه: (لاَ يَزَالُ النَّـاسُ بِخَـيْرٍ مَـا بَقِـيَ الأَوَّلُ حَتَّـى يَـتَعَلَّمَ الآخِرُ، فَإِذَا ذهبَ الأَوَّلُ قَبَلَ أَنْ يُتعَلِّمَ فذاكَ حين هلكوا)[1].

فرضيَ اللهُ عنك يا سلمانُ! وجمعنا اللهُ بك مع نبيِّنا ﷺ في جناتِ النعيمِ.

(١) رواه الدارمي (٢٤٢، ٢٤٩)، والخطيب في «تالي التلخيص» (١/ ١٥).

٥٥

عمرُو بنُ العاصِ رضي الله عنه

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عز وجل في كتابـه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

وهؤلاءِ الرجالُ همْ أصحابُ محمدٍ ﷺ، قومٌ اختارَهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّه ونصرةِ دينِه، حبهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ، من أحبهم أحبَّهُ اللهُ، ولا يحبهم إلا مؤمنٌ.

ومن أبغضَهم أبغضَه اللهُ، ولا يبغضهمْ إلا منافقٌ زنديقٌ.

وموعدُنا في هذا اليوم إن شاءَ اللهُ تعالى مع رجلٍ مِنْ هؤلاءِ الرجالِ، وصحابيٍّ من الصحبِ الكرامِ.. أتدرونَ من هو يا عباد الله؟

إنه: **عمرُو بنُ العاصِ** رضي الله عنه .. أتعرفونه يا أمةَ الإسلام؟

هو: عمرُو بنُ العاصِ بنِ وائلٍ القرشيُّ السهميُّ.

أبو عبدِ الله، ويقالُ: أبو محمدٍ.

قال البخاريُّ: (ولاَّهُ النبيُّ ﷺ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلاَسِلِ)[1].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

نزلَ المدينةَ، ثم سكنَ مصرَ وبها مات.

وحديثُنا عنْ عمرِو بنِ العاصِ ﷺ سيكونُ عنْ إسلامِه، ومناقبِه ومواعظِه.

أما إسلامُه ﷺ، فتعالَوا بنا لنستمعَ إليه وهو يُخبِرُنا عن قصةِ إسلامِهِ.

قال -أي: عمرُو بنُ العاصِ-: (لَـمَّا انْـصَرَفْنَا مِـنَ الْأَحْـزَابِ عَـنِ الْخَنْـدَقِ، جَمَعْتُ رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا يَرَوْنَ مَكَانِي، وَيَسْمَعُونَ مِنِّي.

فَقُلْتُ لَهُمْ: تَعْلَمُونَ وَاللهِ إِنِّي لَأَرَى أَمْرَ مُحَمَّدٍ يَعْلُو الْأُمُورَ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَإِنِّي قَـدْ رَأَيْتُ رَأْيًا، فَمَا تَرَوْنَ فِيهِ؟

قَالُوا: وَمَا رَأَيْتَ؟

قَالَ: رَأَيْتُ أَنْ نَلْحَقَ بِالنَّجَاشِيِّ فَنكُونَ عِنْدَهُ، فَإِنْ ظَهَرَ مُحَمَّدٌ عَـلَى قَوْمِنَـا، كُنَّـا عِنْدَ النَّجَاشِيِّ، فَإِنَّا أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدَيْهِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَـدَيْ مُحَمَّـدٍ، وَإِنْ ظَهَرَ قَوْمُنَا فَنَحْنُ مَنْ قَدْ عُرِفُوا، فَلَنْ يَأْتِيَنَا مِنْهُمْ إِلَّا خَيْرٌ.

فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الرَّأْيُ.

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُمْ: فَاجْمَعُوا لَهُ مَا نُهْدِي لَهُ، وَكَانَ أَحَبَّ مَا يُهْدَى إِلَيْهِ مِـنْ أَرْضِـنَا الْأَدُمُ، فَجَمَعْنَا لَهُ أُدُمًا كَثِيرًا، فَخَرَجْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ.

فَوَاللهِ إِنَّا لَعِنْدَهُ إِذْ جَاءَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ بَعَثَـهُ إِلَيْهِ فِي شَأْنِ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ.

قَالَ: فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ.

قَالَ: فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي: هَذَا عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ، لَوْ قَدْ دَخَلْتُ عَلَى النَّجَاشِيِّ فَسَأَلْتُهُ إِيَّاهُ فَأَعْطَانِيهِ، فَضَرَبْتُ عُنُقَهُ، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي قَدْ أَجْزَأْتُ عَنْهَا حِينَ قَتَلْتُ رَسُولَ مُحَمَّدٍ.

قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَسَجَدْتُ لَهُ كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ.

فَقَالَ: مَرْحَبًا بِصَدِيقِي، أَهْدَيْتَ لِي مِنْ بِلَادِكَ شَيْئًا؟

قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ أَيُّهَا الْـمَلِكُ! قَدْ أَهْدَيْتُ لَكَ أُدُمًا كَثِيرًا.

قَالَ: ثُمَّ قَدَّمْتُهُ إِلَيْهِ، فَأَعْجَبَهُ وَاشْتَهَاهُ.

ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: أَيُّهَا الْـمَلِكُ! إِنِّي رَأَيْتُ رَجُلًا خَرَجَ مِنْ عِنْدِكَ، وَهُوَ رَسُولُ رَجُلٍ عَدُوٍّ لَنَا، فَأَعْطِنِيهِ لِأَقْتُلَهُ، فَإِنَّهُ قَدْ أَصَابَ مِنْ أَشْرَافِنَا وَخِيَارِنَا.

قَالَ: فَغَضِبَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَضَرَبَ بِهَا أَنْفَهُ ضَرْبَةً ظَنَنْتُ أَنَّه قَدْ كَسَرَهُ.

فَلَوِ انْشَقَّتْ لِي الْأَرْضُ لَدَخَلْتُ فِيهَا فَرَقًا مِنْهُ -أي خوفاً منه-

ثُمَّ قُلْتُ: أَيُّهَا الْـمَلِكُ! وَاللهِ لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَكْرَهُ هَذَا مَا سَأَلْتُكَهُ.

فَقَالَ: أَتَسْأَلُنِي أَنْ أُعْطِيَكَ رَسُولَ رَجُلٍ يَأْتِيهِ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ -أي: الوحيُ- الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى لِتَقْتُلَهُ؟

قَالَ: قُلْتُ: أَيُّهَا الْـمَلِكُ! أَكَذَاكَ هُوَ؟

فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا عَمْرُو! أَطِعْنِي وَاتَّبِعْهُ؛ فَإِنَّهُ وَاللهِ لَعَلَى الْحَقِّ، وَلَيَظْهَرَنَّ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ كَمَا ظَهَرَ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ.

قَالَ: قُلْتُ: فَبَايِعْنِي لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ.

قَالَ: نَعَمْ. فَبَسَطَ يَدَهُ وَبَايَعْتُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ.

ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى أَصْحَابِي وَقَدْ حَالَ رَأْيِي عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ -أي: تحول- وَكَتَمْتُ أَصْحَابِي إِسْلَامِي.

ثُمَّ خَرَجْتُ عَامِدًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ لِأُسْلِمَ، فَلَقِيتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ -وَذَلِكَ قُبَيْلَ الْفَتْحِ- وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ.

فَقُلْتُ: أَيْنَ يَا أَبَا سُلَيْمَانَ؟

قَالَ: وَاللهِ لَقَدِ اسْتَقَامَ الْـمَنْسِمُ -أي: تبينَ الطريقُ- وَإِنَّ الرَّجُلَ لَنَبِيٌّ، أَذْهَبُ وَاللهِ أُسْلِمُ، فَحَتَّى مَتَى؟

قَالَ: قُلْتُ: وَاللهِ مَا جِئْتُ إِلَّا لِأُسْلِمَ.

قَالَ: فَقَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَدِمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَأَسْلَمَ وَبَايَعَ.

ثُمَّ دَنَوْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ تَغْفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي، وَلَا أَذْكُرُ وَمَا تَأَخَّرَ.

قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا عَمْرُو، بَايِعْ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَجُبُّ -أي: يمحو- مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَإِنَّ الْهِجْرَةَ تَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا.

قَالَ: فَبَايَعْتُهُ ثُمَّ انْصَرَفْتُ)[1].

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (٤/ ١٩٨)، والبيهقي في «الدلائل» (٤/ ٣٤٦)، [«إرواء الغليل» (١٢٨٠)].

• ويقول رضي الله عنه: (لَـمَّا أَلْقَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَلْبِي الْإِسْلَامَ، قَـالَ: أَتَيْـتُ النَّبِـيَّ صلى الله عليه وسلم لِيُبَايِعَنِي، فَبَسَطَ يَدَهُ إِلَيَّ.

فَقُلْتُ: لَا أُبَايِعُكَ يَا رَسُولَ اللهِ حَتَّى تَغْفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي.

فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**يَا عَمْرُو! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْهِجْرَةَ تَجُـبُّ مَـا قَبْلَهَـا مِـنَ الذُّنُوبِ؟**»

يَا عَمْرُو، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الذُّنُوبِ؟)[1].

أمّا مناقبهُ رضي الله عنه فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: شهادةُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم له بالإيمانِ.

• عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**ابْنَا الْعَاصِ مُؤْمِنَـانِ: عَمْـرٌو وَهِشَامٌ**»[2].

• وعن عقبةَ بنِ عامرٍ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**أَسْلَمَ النَّاسُ، وَآمَنَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ**»[3].

ثانياً: ومن مناقبهِ رضي الله عنه حُبُّه للإسلامِ، وحرصُه على القربِ منْ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم.

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٢٠٥)، [«إرواء الغليل» (١٢٨٠)].

(٢) **حسن**: رواه أحمد (٢/ ٣٠٤)، والبزار (٨٠٠٥)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٧٩٥)، [«السلسلة الصحيحة» (١٥٦)].

(٣) **حسن**: رواه الترمذي (٣٨٤٤)، وأحمد (٤/ ١٥٥)، ومحمد بن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٥٦٦)، [«السلسلة الصحيحة» (١٥٥)].

• يقولُ عمرُو بنُ العاصِ ﷺ : (بَعَثَ إِلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «**خُذْ عَلَيْكَ ثِيَابَكَ وَسِلاَحَكَ، ثُمَّ ائْتِنِي**» فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَصَعَّدَ فِيَّ النَّظَرَ ثُمَّ طَأْطَأَهُ، فَقَالَ: «**إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ فَيُسَلِّمَكَ الله وَيُغْنِمَكَ، وَأَزْعُبُ -أي: أدفعُ- لَكَ مِنَ الْـمَالِ رَغْبَةً صَالِحَةً**»

قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! مَا أَسْلَمْتُ مِنْ أَجْلِ الْـمَالِ، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ رَغْبَةً فِي الإِسْلاَمِ، وَأَنْ أَكُونَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ.

فَقَالَ: «**يَا عَمْرُو، نِعْمًا بِالْـمَالِ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ**»)[1].

ثالثاً: ومن مناقبِهِ ﷺ حرصُه على التمسكِ والعملِ بما تعلَّم منْ رسولِ الله ﷺ.

كان عمرُو بنُ العاصِ ﷺ منْ أحرصِ الناسِ على التمسكِ والعملِ بما تعلمَ من رسولِ الله ﷺ ومن الأمثلةِ على ذلك:

١- (سَمِعَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَجُلاً يَقْرَأُ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ، فَقَالَ: مَنْ أَقْرَأَكَهَا؟ قَالَ: رَسُولُ الله ﷺ. قَالَ: فَقَدْ أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ الله ﷺ عَلَى غَيْرِ هَذَا! فَذَهَبَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: يَا رَسُولَ الله! آيَةُ كَذَا وَكَذَا! ثُمَّ قَرَأَهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**هَكَذَا أُنْزِلَتْ**».

فَقَالَ الآخَرُ: يَا رَسُولَ الله! فَقَرَأَهَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، وَقَالَ: أَلَيْسَ هَكَذَا يَا رَسُولَ الله!

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ١٩٧)، وأبو يعلى (٧٣٣٦)، والطبراني في «الأوسط» (٣١٨٩)، [«محققو المسند»].

قَالَ ﷺ: «**هَكَذَا أُنْزِلَتْ**».

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَأَيَّ ذَلِكَ قَرَأْتُمْ فَقَدْ أَصَبْتُمْ، وَلاَ تَمَارَوْا فِيهِ، فَإِنَّ الْمِرَاءَ فِيهِ كُفْرٌ أَوْ آيَةُ الْكُفْرِ**»)[1].

٢- (اسْتَأْذَنَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَى فَاطِمَةَ، فَأَذِنَتْ لَهُ.

قَالَ: ثَمَّ عَلِيٌّ؟، قَالُوا: لَا، قَالَ: فَرَجَعَ.

ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عَلَيْهَا مَرَّةً أُخْرَى، فَقَالَ: ثَمَّ عَلِيٌّ؟

قَالُوا: نَعَمْ. فَدَخَلَ عَلَيْهَا.

فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَدْخُلَ حِينَ لَمْ تَجِدْنِي هَاهُنَا؟

قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ نَهَانَا أَنْ نَدْخُلَ عَلَى الْـمُغِيبَاتِ)[2].

والمغيبةُ منَ النساءِ: منْ غابَ عنها زوجُها، والمرادُ من الغَيبة: هو أن لا يكونَ في البيتِ، لا أن يكونَ غائباً عن البلدةِ، أفلا يتقي اللهَ المسلمون الذين يدخلونَ البيوتَ في غيابِ الأزاوجِ؟! فكم من بيوتٍ دُمّرت بسببِ الدخولِ على النساءِ في غيابِ أزواجهن.

ولقد قالَ النبيُّ ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ!**» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ -أي: أقاربُ الزوجِ- قَالَ: «**الْـحَمْوُ الْـمَوْتُ**»[3].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٢٠٥)، [«السلسلة الصحيحة» (١٥٢٢)].

(٢) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٤/ ١٩٦، ٢٠٥)، وأبو يعلى (٧٣٤٨)، [«محققو المسند»].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢).

رابعاً: ومن مناقبه ﷺ حرصُه على الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكر.

١- (دخلَ رجلٌ معَ عبدِ الله بنِ عمرِو بنِ العاصِ على أبيه عمرِو بـنِ العـاصِ فَقَرَّبَ إِلَيْهِمَا طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ.

قَالَ الرجلُ: إِنِّي صَائِمٌ.

قَالَ عَمْرٌو: كُلْ؛ فَهَذِهِ الْأَيَّامُ الَّتِي كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَأْمُرُنَا بِفِطْرِهَا، وَيَنْهَـى عَنْ صِيَامِهَا.

قَالَ مَالِكٌ: وَهِيَ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ)[١].

٢- وقالَ ﷺ وهو على المنبرِ للناسِ: (مَا أَبْعَـدَ هَـدْيَكُمْ مِـنْ هَـدْيِ نَبِـيِّكُمْ ﷺ؛ أَمَّا هُوَ، فأَزْهَدُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، وَأَمَّا أَنْتُمْ، فَأَرْغَبُ النَّاسِ فِيهَا)[٢].

• وقال ﷺ: (لَقَدْ أَصْبَحْتُمْ وَأَمْـسَيْتُمْ، تَرْغَبُـونَ فِـيمَا كَـانَ رَسُـولُ الله ﷺ يَزْهَدُ فِيهِ، أَصْبَحْتُمْ تَرْغَبُونَ فِي الدُّنْيَا، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَزْهَـدُ فِيهَـا، وَالله مَـا أَتَتْ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ لَيْلَةٌ مِنْ دَهْرِهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِمَّا لَهُ)[٣].

أما مواعظُه ﷺ فهي كثيرةٌ جداً.

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٤١٨)، والدارمي (١٧٦٧) وأحمد (٤/ ١٩٧) وابن خزيمة (٢١٤٩)، [«صحيح سنن أبي داود»].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ١٩٨، ٢٠٤)، والحاكم (٧٩٢٧)، [«محققو المسند»].

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٢٠٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٢٩٤)].

نكتفي بمواعظِهِ رضي الله عنه وهو في فراشِ الموتِ.

عباد الله! تعالَوا بنا لنستمعَ إلى عمرِو بنِ العاصِ رضي الله عنه وهو يعظُ أهلَه ومَن حولَه من الناسِ:

• (لَـمَّا حَضَرَتْ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ الْوَفَاةُ بَكَى.

فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ عَبْدُ الله: لِمَ تَبْكِي، أَجَزَعًا عَلَى الْمَوْتِ؟

فَقَالَ: لاَ وَالله، وَلَكِنْ مِمَّا بَعْدُ.

فَقَالَ لَهُ: قَدْ كُنْتَ عَلَى خَيْرٍ، فَجَعَلَ يُذَكِّرُهُ صُحْبَةَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم وَفُتُوحَهُ الشَّامَ.

فَقَالَ عَمْرٌو: تَرَكْتَ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، شَهَادَةَ أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ الله، إِنِّي كُنْتُ عَلَى ثَلاَثَةِ أَطْبَاقٍ لَيْسَ فِيهَا طَبَقٌ إِلاَّ قَدْ عَرَفْتُ نَفْسِي فِيهِ: كُنْتُ أَوَّلَ شَيْءٍ كَافِرًا، وَكُنْتُ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم، فَلَوْ مِتُّ حِينَئِذٍ وَجَبَتْ لِي النَّارُ.

فَلَـمَّا بَايَعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم كُنْتُ أَشَدَّ النَّاسِ حَيَاءً مِنْهُ، فَمَا مَلأَتُ عَيْنِي مِنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم، وَلاَ رَاجَعْتُهُ فِيمَا أُرِيدُ حَتَّى لَحِقَ بِالله عَزَّ وَجَلَّ؛ حَيَاءً مِنْهُ، فَلَوْ مِتُّ يَوْمَئِذٍ قَالَ النَّاسُ: هَنِيئًا لِعَمْرٍو! أَسْلَمَ وَكَانَ عَلَى خَيْرٍ، فَمَاتَ فَرُجِيَ لَهُ الْجَنَّةُ.

ثُمَّ تَلَبَّسْتُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالسُّلْطَانِ وَأَشْيَاءَ، فَلاَ أَدْرِي عَلَيَّ أَمْ لِي؟ فَإِذَا مِتُّ فَلاَ تَبْكِيَنَّ عَلَيَّ، وَلاَ تُتْبِعْنِي مَادِحًا وَلاَ نَارًا، وَشُدُّوا عَلَيَّ إِزَارِي فَإِنِّي مُخَاصَمٌ، وَسُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ سَنًّا، فَإِنَّ جَنْبِيَ الأَيْمَنَ لَيْسَ بِأَحَقَّ بِالتُّرَابِ مِنْ جَنْبِيَ الأَيْسَرِ.

وَلاَ تَجْعَلَـنَّ فِي قَـبْرِي خَـشَبَةً وَلاَ حَجَـرًا، فَـإِذَا وَارَيْتُمُـونِي فَاقْعُـدُوا عِنْـدِي قَدْرَ نَحْرِ جَزُورٍ وَتَقْطِيعِهَا؛ أَسْتَأْنِسُ بِكُـمْ)[1]، وهـذه سُـنَّةٌ غابـت عـن كثـيرٍ مـنَ المسلمين.

(جَزِعَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ﷺ عِنْدَ الْمَوْتِ جَزَعًا شَدِيدًا، فَلَـمَّا رَأَى ذَلِكَ ابْنُـهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ! مَـا هَـذَا الْجَـزَعُ وَقَـدْ كَـانَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ يُدْنِيكَ وَيَسْتَعْمِلُكَ؟!

قَالَ: أَيْ بُنَيَّ! قَدْ كَانَ ذَلِكَ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ ذَلِكَ: إِنِّي وَاللهِ مَا أَدْرِي أَحُبًّا كَـانَ ذَلِكَ، أَمْ تَأَلُّفًا يَتَأَلَّفُنِي به؟ وَلَكِنِّي أَشْهَدُ عَلَى رَجُلَيْنِ أَنَّهُ قَدْ فَارَقَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُمَا: ابْنُ سُمَيَّةَ وَابْنُ أُمِّ عَبْدٍ.

فَلَـمَّا حَدَّثَهُ وَضَعَ يَدَهُ مَوْضِعَ الْغِلَالِ مِنْ ذَقْنِـهِ، وَقَـالَ: اللهُـمَّ أَمَرْتَنَـا فَتَرَكْنَـا، وَنَهَيْتَنَا فَرَكِبْنَا، وَلَا يَسَعُنَا إِلَّا مَغْفِرَتُكَ، وَكَانَتْ تِلْكَ هِجِّيرَاهُ -أي: دأبـه وشـأنه- حَتَّى مَاتَ)[2].

(قال عبدُ الله بنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ : كـان أبي كثـيراً مـا يقـولُ: ....إني لأَعَجَبُ منَ الرجلِ الذي ينزلُ بِهِ الْمَوْتُ، وَمعه عَقْلُهُ ولـسانُه، فكَيْـفَ لاَ يَـصِفُهُ! قال: ثمَّ نزلَ به الموتُ، فقلتُ: يا أبتِ! صِفْ لنا الموتَ!

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٢١)، وأحمد (٤/ ١٩٩) واللفظ له.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ١٩٩) [«محققو المسند»].

فَقَالَ: يَا بُنَيَّ! الْمَوْتُ أَعظمُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ، وَلَكِنِّي سَأَصِفُ لَكَ مِنْهُ شَيْئًا، والله لكَأَنَّ عَلَى كتفي جِبَالُ رَضْوَى وتهامةَ، وَلكَأَنَّ روحي تَخْرُجُ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ، ولكأنَّ فِي جَوْفِي شوكةُ عوسج، ولكأن السماءَ أطبقَت على الأرضِ، وأنا بينهما)[1].

عبادَ الله! ها هو عمرُو بنُ العاصِ يقول عند موته: (اللهمَّ لاَ بَرِيءٌ فَأَعْتَذِرَ، وَلاَ عَزِيزٌ فَأَنْتَصِرَ، وَإِلاَّ تُدْرِكْنِي منكَ رَحْمَةٌ أَكُنْ مِنَ الْهَالِكِينَ)[2].

نعم! إنه الموتُ وسكراتُه.

قال تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩﴾ [ق].

و لقد كانَ رسولُنا ﷺ حين حضَرَتْه الوفاةُ -وقد غُفِرَ له ما تقدمَ من ذنبِهِ وما تأخرَ- يضعُ يدَه في الماءِ البارِدِ ويمسحُ على جبينه، ويقول: «**لاَ إِلَهَ إِلَّا الله إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ**»[3].

اللهمَّ توفَّنا على الإيمان وألحقنا بالصالحين.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٥٩١٥)

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٤/ ٢٥٩).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٤٤٤٩).

٥٦

خالدُ بنُ الوليد رضي الله عنه

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عز وجل: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

وهؤلاءِ الرجالُ هم أصحابُ محمدٍ ﷺ، قومٌ اختارهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّه ونصرةِ دينِه.

حبهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ.

من أحبهم أحبه اللهُ، ولا يحبهم إلا مؤمنٌ.

ومن أبغضهم أبغضَهُ اللهُ، ولا يبغضهُمْ إلا منافقٌ زنديقٌ.

وموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ الله تعالى معَ رجلٍ منْ هؤلاءِ الرجالِ، وصحابيّ من الصحبِ الكرامِ.. أتدرونَ مَنْ هو يا عبادَ الله؟

إنه: **خالدُ بنُ الوليدِ** رضي الله عنه.. أتعرفونَه يا أمةَ الإسلامِ؟

هو: خالدُ بنُ الوليدِ بنِ المغيرةِ القرشيُّ المخزوميُّ المكّيُّ.

أبو سليمانَ، سيفُ اللهِ تعالى، وفارسُ الإسلامِ، وليثُ الـمَشاهِدِ.

الإمامُ الأميرُ الكبيرُ، قائدُ المجاهدينَ.

• خَالدُ بنُ الوليدِ في الجاهليةِ قبلَ الإسلامِ- في مقدِّمة جيوشِ الكفرِ لمحاربةِ الإسلامِ والمسلمينَ، وإن ما فعلَه بالمسلمين في غزوةِ أحدٍ لا يخفى على أحدٍ.

ثم ها هو في طريقهِ من مكةَ إلى المدينةِ ليُسلِمَ؛ فقد شرحَ اللهُ صدرَه للإسلامِ.

• يقولُ عمرُو بنُ العاصِ ﷺ: (خَرَجْتُ -أي منَ الحبشةِ- عَامِدًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ لِأُسْلِمَ، فَلَقِيتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ -وَذَلِكَ قُبَيْلَ الْفَتْحِ- وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ.

فَقُلْتُ: أَيْنَ يَا أَبَا سُلَيْمَانَ؟

قَالَ: وَاللهِ! لَقَدِ اسْتَقَامَ الْـمَنْسِمُ -أي: تبينَ الطريقُ- وَإِنَّ الرَّجُلَ -يعني النبيَّ ﷺ- لَنَبِيٌّ، أَذْهَبُ وَاللهِ أُسْلِمُ، فَحَتَّى مَتَى؟

قَالَ: قُلْتُ: وَاللهِ مَا جِئْتُ إِلَّا لِأُسْلِمَ.

قَالَ: فَقَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَدِمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَأَسْلَمَ وَبَايَعَ...)[1].

وما أنْ أسلمَ ﷺ حتى قدَّم روحَه ونفسَه ومالَه في خدمةِ الإسلامِ والمسلمينَ.

وأما حديثُنا عنْ خالدِ بنِ الوليدِ فسيكونُ عن مناقبِهِ ومواقفِه.

أما مناقبُه فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: أنَّ النبيَّ ﷺ أخبرَ أنه ﷺ سيفٌ من سيوفِ اللهِ، سلَّه اللهُ على رؤوسِ الكافرينَ.

• قال ﷺ: (أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ -وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ- حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ، حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ)[2].

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (٤/ ١٩٨)، والبيهقي في «الدلائل» (٤/ ٣٤٦)، [«إرواء الغليل» (١٢٨٠)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٢٦٢).

• وقال ﷺ: (نَابَ خَيرٌ، أَوْ ثَابَ خَيرٌ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ جَيْشِكُمْ هَذَا الْغَازِي؟ إِنَّهُمْ انْطَلَقُوا حَتَّى لَقُوا الْعَدُوَّ، فَأُصِيبَ زَيْدٌ شَهِيدًا، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ. فَاسْتَغْفَرَ لَهُ النَّاسُ.

ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ جَعْفَرٌ فَشَدَّ عَلَى الْقَوْمِ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا، أَشْهَدُ لَهُ بِالشَّهَادَةِ، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ.

ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ عَبْدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ فَأَثْبَتَ قَدَمَيْهِ حَتَّى أُصِيبَ شَهِيدًا، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ، ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْأُمَرَاءِ، هُوَ أَمَّرَ نَفْسَهُ.

فَرَفَعَ النبيُّ ﷺ أُصْبُعَيْهِ وَقَالَ: «**اللهُمَّ هُوَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِكَ فَانْصُرْهُ**»، وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مَرَّةً: «**فَانْتَصِرْ بِهِ**» فَيَوْمَئِذٍ سُمِّيَ «**خَالِدٌ سَيْفُ الله**»)[1].

• وقال ﷺ: «**لَا تُؤْذُوا خَالِدًا؛ فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ الله، صَبَّهُ الله عَلَى الْكُفَّارِ**»[2].

(وَلما عقدَ أبو بكر لِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الرِّدَّةِ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: نِعْمَ عَبْدُ الله وَأَخُو الْعَشِيرَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَسَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ الله، سَلَّهُ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ)[3].

(١) **حسن**: رواه أحمد (٥/ ٢٩٩)، والنسائي في «الكبرى» (٨٢٤٩)، وابن حبان (٧٠٤٨)، [«أحكام الجنائز» (ص ٣٢)].

(٢) **صحيح**: رواه البزار (٣٣٦٥)، وابن حبان (٧٠٩١)، والطبراني في «الكبير» (٣٨٠١)، [صححه شعيب الأرناؤوط]

(٣) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (١/ ٨)، والطبراني في «الكبير» (٣٧٩٨) والحاكم (٥٢٩٤)، [«السلسلة الصحيحة» (١٢٣٧)].

• (ولما اسْتَعْمَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَبَا عُبَيْدَةَ بْـنَ الْجَـرَّاحِ، عَـلَى الـشَّامِ، وَعَـزَلَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، قَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: بُعِـثَ عَلَـيْكُمْ أَمِـينُ هَـذِهِ الْأُمَّـةِ؛ سَـمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: خَالِدٌ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ الله عَـزَّ وَجَلَّ، وَنِعْمَ فَتَى الْعَشِيرَةِ)[1].

ثانياً: ومن مناقبهِ رضي الله عنه قربُه منَ النبيِّ ﷺ.

• وعنِ ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما أنه أخبره أن خَالِدَ بْنَ الْوَلِيـدِ أَخْـبَرَهُ أَنَّـهُ دَخَـلَ مَـعَ رَسُولِ الله ﷺ عَلَى مَيْمُونَةَ بنتِ الحارثِ - وَهْيَ خَالَتُهُ - فقـدّمَت إلى رسـولِ الله ﷺ لحم ضَبٍّ...

وَكَانَ رسولُ الله ﷺ لا يأكلُ شيئاً حتى يعلمَ ما هو.

فَقَالَ بعضُ النِّسْوَةِ: أَلا تخبرنَّ رسولَ الله ﷺ ما يأكلُ؟

فأخبرته أنه لحمُ ضَبٍّ، فترَكه.

فَقَالَ خَالِدٌ: سألتُ رَسُولَ الله: أحـرامٌ هـو؟ قَـالَ: «**لَا وَلَكِنَّـه طعـامٌ لـيس في قَوْمِي، فَأَجِدُنِي أَعَافُهُ**».

قَالَ خَالِدٌ: فَاجْتَرَرْتُهُ إِلَيّ، فَأَكَلْتُهُ وَرَسُولُ الله ﷺ يَنْظُرُ)[2].

(١) رواه أحمد (٤/ ٩٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٢٦٤)، [قال محققو المسند: **صحيح لغيره** دون قوله (ونعم فتى العشيرة) فهو **حسن لغيره**].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٣٩١)، ومسلم (١٩٤٥) واللفظ للبخاري.

• (وشَرِبَ النَّبِيُّ ﷺ وَابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ يَمِينِهِ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَنْ شِمَالِهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ -أي لابنِ عباسٍ-: «**الشَّرْبَةُ لَكَ، وَإِنْ شِئْتَ آثَرْتَ بِهَا خَالِدًا**»

قَالَ ابنُ عباسٍ: مَا أُوثِرُ على سُؤْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَدًا)[1].

ثالثاً: ومن مناقبه رضي الله عنه خوفُه منَ اللهِ عزَّ وجلَّ، ورجوعُه إلى الحقِّ.

• يقولُ خالدُ بنُ الوليدِ رضي الله عنه: (كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ كَلَامٌ، فَأَغْلَظْتُ لَهُ فِي الْقَوْلِ، فَانْطَلَقَ عَمَّارٌ يَشْكُونِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، قال: فَجَاءَ خَالِدٌ وَهُوَ يَشْكُوهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ. قَالَ: فَجَعَلَ يُغْلِظُ لَهُ، وَلَا يَزِيدُهُ إِلَّا غِلْظَةً، وَالنَّبِيُّ ﷺ سَاكِتٌ لَا يَتكَلَّمُ، فَبَكَى عَمَّارٌ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَلَا تَرَاهُ؟

فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَأْسَهُ، وقَالَ: «**مَنْ عَادَى عَمَّارًا عَادَاهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَ عَمَّارًا أَبْغَضَهُ اللهُ**»

قَالَ خَالِدٌ: فَخَرَجْتُ، فَمَا كَانَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رِضَا عَمَّارٍ فَلَقِيتُهُ فَرَضِيَ)[2].

رابعاً: ومن مناقبِهِ رضي الله عنه ثناءُ النبيِّ ﷺ عليه.

• يقولُ أبو هريرةَ رضي الله عنه: (خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى إِذَا كُنَّا تَحْتَ ثَنِيَّةِ لَفْتٍ، طَلَعَ عَلَيْنَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مِنَ الثَّنِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي

(١) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٣٤٥٥)، وأحمد (١/ ٢٢٠)، والطيالسي (٢٧٢٣)، [«السلسلة الضعيفة» (٥٧٣٤)].

(٢) **صحيح**: رواه النسائي في «الكبرى» (٨٢٦٩)، وأحمد (٤/ ٨٩)، وابن حبان (٧٠٨١)، [«صحيح الجامع» (٦٣٨٦)].

هُرَيْرَةَ: انْظُرْ مَنْ هَذَا؟ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**نِعْمَ عَبْدُ الله هَذَا**»[(١)].

• وقال ﷺ: (نِعْمَ عَبْدُ الله وَأَخُو الْعَشِيرَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَسَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ الله، سَلَّهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْكُفَّارِ وَالْـمُنَافِقِينَ)[(٢)].

خامساً: ومن مناقبِهِ رضي الله عنه أنه احتبسَ أدراعَه وأَعتُدَهُ في سبيلِ الله.

• قال أبو هريرةَ رضي الله عنه: (أَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بِالصَّدَقَةِ، فَقِيلَ: مَنَعَ ابْنُ جَمِيلٍ وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا يَنْقِمُ ابْنُ جَمِيلٍ إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا فَأَغْنَاهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَأَمَّا خَالِدُ فَإِنَّكُمْ تَظْلِمُونَ خَالِدًا، قَدِ احْتَبَسَ أَدْرَاعَهُ وَأَعْتُدَهُ فِي سَبِيلِ الله، وَأَمَّا الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَعَمُّ رَسُولِ الله ﷺ فَهِيَ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ وَمِثْلُهَا مَعَهَا)[(٣)].

سادساً: ومن مناقبه رضي الله عنه أنه قتَلَ العُزّى.

عن أبي الطفيل قال: (لَـمَّا فَتَحَ رَسُولُ الله ﷺ مَكَّةَ بَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى نَخْلَةٍ وَكَانَتْ بِهَا الْعُزَّى، فَأَتَاهَا خَالِدُ بنُ الوليدِ وَكَانَتْ عَلَى تلالِ السَّمُرَاتِ فَقَطَعَ السَّمُرَاتِ، وَهَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهَا، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: ارْجِعْ فَإِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ شَيْئًا.

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٣٨٤٦)، وأحمد (٢/ ٣٦٠)، [«محققو المسند»].

(٢) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (١/ ٨)، والطبراني في «الكبير» (٣٧٩٨)، والحاكم (٥٢٩٤)، [«السلسلة الصحيحة» (١٢٣٧)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٦٨)، ومسلم (٩٨٣).

فَرَجَعَ خَالِدٌ، فَلَـمَّا نظرَتْ إليه السَّدَنَةُ وَهُـمْ حُجَّابهَـا أَمْعَنُـوا فِي الْجَبَـلِ وَهُـمْ يَقُولُونَ: يَا عُزَّى خَبِّليه، ياعُزَّى عَوِّريه، وإلا فموتي برَغمٍ. قال: فَأَتَاهَا خَالِـدُ فَـإِذَا امْرَأَةٌ عُرْيَانَةٌ نَاشِرَةٌ شَعْرَهَا تحثو التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهَا، فَعَمَّمَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّـى قَتَلَهَـا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: تِلْكَ الْعُزَّى)[1].

سابعاً: ومن مناقبِه رضي الله عنه عدلُه.

عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ عَنْ الْمُخَارِقِ بن عَبْدِ الله قَالَ: سَمِعْتُ طَارِقَ بن شِـهَابٍ يَقُـولُ: (لَطَمَ عَمّ خَالِدِ بن الْوَلِيدِ رَجُلاً مِنَّا. فَجاءَ عَمُّهُ إِلَى خَالِدٍ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُـرَيْشٍ إِنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ لِوُجُوهِكُمْ فَضْلا عَلَى وُجُوهِنَا إِلا مَا فَضَّلَ الله بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ.

فَقَالَ خَالِدٌ: اقْتَصَّ.

فَقَالَ الرَّجُلُ لابْنِ أَخِيهِ: الْطُمْ، واشدُدْ فَلَـمَّا رَفَعَ يَدَهُ، قَالَ: دَعْهَا لله)[2].

ثامناً: ومن مناقبِهِ رضي الله عنه أنه شربَ السمَّ فلم يضُرَّه.

- (أُتِيَ خَالِدٌ بِسُمٍّ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟

قَالَ: سُمٌّ. فَشَرِبَهُ -فلم يَضُرَّه-)[3].

---

(١) رواه النسائي في «الكبرى» (١١٥٤٧)، وأبو يعلى (٩٠٢)

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٨٠٣٠)، ومن طريقه الطبراني في «الكبير» (٣٨٠٥)، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٤٨٢).

أما مواقفُه رضي الله عنه فهي كثيرةٌ جداً منها.

١- موقفُه في الدفاعِ عنْ رسولِ الله ﷺ:

عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قالَ: (بَعَثَ عَلِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ بِذَهَبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ -أي مدبوغٍ بالقرظ- لَمْ تُحَصَّلْ مِنْ تُرَابِهَا فَقَسَمَهَا رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ أَرْبَعَةٍ: بَيْنَ زَيْدِ الْخَيْرِ، وَالأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ، وَعُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ، وَعَلْقَمَةَ بْنِ عُلاَثَةَ، أَوْ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ -شَكَّ عُمَارَةُ- فَوَجَدَ مِنْ ذَلِكَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ وَالأَنْصَارُ وَغَيْرُهُمْ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَلاَ تأمنوني وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرٌ مِنَ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً**».

ثُمَّ أَتَاهُ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، نَاشِزُ الْجَبْهَةِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، مُشَمَّرُ الإِزَارِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ.

فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ يَا رَسُولَ الله!

قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «**وَيْحَكَ، أَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ أَنَا؟**» ثُمَّ أَدْبَرَ.

فَقَالَ خَالِدٌ: يَا رَسُولَ الله! أَلاَ أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**فَلَعَلَّهُ يَكُونُ يُصَلِّي**».

فَقَالَ: إِنَّهُ رُبَّ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أُنَقِّبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ، وَلاَ أَشُقَّ بُطُونَهُمْ**».

ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ مُقَفٍّ فَقَالَ: «**إِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»)[1].

• موقفه رضي الله عنه في الشجاعةِ والإقدامِ.

فما تخلّفَ رضي الله عنه عن غزوةٍ غزاها النبيُّ ﷺ، وقد بَرَزَتْ شجاعته وخبرتـهُ في القتال يومَ مؤتة.

حيثُ أخذَ الرايةَ، ونَظَّم الجيشَ، فأبلى بلاءً حسناً حتى نصرَهُ اللهُ.

حتى أنه قال: (لَقَدِ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُوتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ، فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلاَّ صَفِيحَةٌ يَمَانِيَة)[2].

اللهمَّ رُدَّ المسلمينَ إلى دينك ردًّا جميلاً.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤)، وأحمد (٣/ ٤) واللفظ له.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٣٥١).

٥٧

مُصعبُ بنُ عُميرٍ رضي الله عنه

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

وهؤلاءِ الرجالُ همْ أصحابُ محمدٍ ﷺ، قومٌ اختارَهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّه ونصرةِ دينِهِ.

حبّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ.

مَن أحبَّهم أحبَّ اللهَ، ولا يحبُّهم إلا مؤمنٌ، ومَنْ أبغضَهم أبغضَهُ اللهُ، ولا يبغضهم إلا منافقٌ زنديقٌ.

وموعدُنا في -هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى- معَ رجلٍ منْ هؤلاءِ الرجالِ، وصحابيٍّ منَ الصحبِ الكرامِ.. أتدرونَ من هو يا عبادَ الله؟

إنه: **مصعبُ بنُ عميرٍ** رضي الله عنه .. أتعرفونَه يا أمةَ الإسلام؟

هو: مصعبُ بنُ عميرٍ بنِ هاشمٍ بنِ عبدِ منافٍ بنِ عبدِ الدارِ بنِ قصيٍّ بنِ كلابٍ.

الشهيدُ السابقُ البدريُّ القرشيُّ العبدريُّ.

وحديثُنا عن مصعبِ بنِ عميرٍ رضي الله عنه سيكونُ عن مناقبِهِ ومواقفِهِ.

أما مناقبُه رضي الله عنه فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: أنه رضي الله عنه من السابقينَ إلى الإسلامِ والهجرةِ.

كان مصعبُ بنُ عميرٍ رضي الله عنه أنعمَ غلامٍ بمكةَ، وأجودَه حُلَّةً، وكانَ أبواه يُحبّانه، وكانتْ أمُّه مليئةً كثيرةَ المالِ، تكسوهُ أحسنَ ما يكونُ منَ الثيابِ، وكان أعطرَ أهلِ مكةَ، يلبسُ الحضرميَّ منَ النعالِ[1].

ولما علمَ أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلامِ في دارِ الأرقمِ بنِ أبي الأرقمِ دخلَ عليهِ فأسلمَ وصدّق به، وخرجَ فكتمَ إسلامَه خوفاً من أمّه وقومِه، فكانَ يختلفُ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم سِرًّا، فلما وصلَ الخبرُ إلى أمّه وقومِه أخذوهُ وحبسوهُ، وكانَ رضي الله عنه منَ السابقينَ إلى الإسلامِ.

وفي موسمِ الحجِّ لقي النبيُّ صلى الله عليه وسلم ستةَ نفرٍ منَ الأنصارِ كلُّهم منَ الخزرجِ، فدعاهم إلى الإسلامِ فأسلموا، ثمَّ رجعوا إلى المدينةِ فدَعَوْهم إلى الإسلامِ، ففشا الإسلامُ فيها حتى لم يبقَ دارٌ إلا وقد دخَلها.

فلما كانَ العامُ المقبلُ جاءَ منهم إثنا عشرَ رجلاً، فلما انصرفوا بعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم معهم مُصعبُ بنُ عميرٍ رضي الله عنه وأمرَه أن يُقرِءَهُم القرآنَ، ويُعلِّمهَمُ الإسلامَ، ويفقهَهُمْ في الدينِ.

• يقولُ البراءُ بنُ عازبٍ رضي الله عنه: (أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا -أي: بالمدينةِ- مُصْعَبُ ابْنُ عُمَيْرٍ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَكَانُوا يُقْرِئَانِ النَّاسَ، فَقَدِمَ بِلاَلٌ وَسَعْدٌ وَعَمَّارُ بْنُ

(١) ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ١١٦).

يَاسِرٍ، ثُمَّ قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ الله ﷺ، حَتَّى جَعَلَ الإِمَاءُ يَقُلْنَ: قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ، فَمَا قَدِمَ حَتَّى قَرَأْتُ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى] فِي سُوَرٍ مِنَ الْمُفَصَّلِ)[1].

ثانياً: ومنْ مناقبِهِ رضي الله عنه شهادةُ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ -وهو أحدُ العشرةِ المبشرينَ بالجنةِ- له بأنه خيرٌ منه.

• (أُتِيَ عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ رضي الله عنه بطَعَامٍ -وَكَانَ صَائِمًا- فَقَالَ: قُتِلَ مُصْعَبُ ابْنُ عُمَيْرٍ -وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي- كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلاَهُ، وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلاَهُ بَدَا رَأْسُهُ، وَقُتِلَ حَمْزَةُ -وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي- ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ، أَوْ قَالَ: أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا -وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا- ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ)[2].

ثالثاً: ومن مناقبه رضي الله عنه أنَّ أجرَه كاملاً وقعَ على الله يأخذُهُ يومَ القيامةِ.

• يقولُ خبابُ رضي الله عنه في مرضِهِ: (هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نُرِيدُ وَجْهَ الله، فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى الله، فَمِنَّا مَنْ مَضَى لَمْ يَأْخُذْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا، مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ نَمِرَةً فَكُنَّا إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ بَدَتْ رِجْلاَهُ، وَإِذَا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ بَدَا رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا رَسُولُ الله ﷺ أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ وَنَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ شَيْئًا مِنْ إِذْخِرٍ، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهْوَ يَهْدِبُهَا -أي: يجتنيها-)[3].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٩٢٥).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (١٢٧٥).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٨٩٧)، ومسلم (٩٤٠)، واللفظ للبخاري.

أما مواقفهُ في الإسلامِ فهي كثيرةٌ جداً منها.

أولاً: موقفُه في الدعوةِ إلى الله.

ومِن أروعِ ما يُروى، وأحسنِ ما يُستفادُ منه في الدعوةِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، ما كانَ من هذا الداعيةِ الشابِّ، الذي كانَ من أترفِ شبابِ مكةَ، ولكنه سبقَ إلى الإسلامِ، وتخرّجَ من عندِ رسولِ الله ﷺ، واختارَه ﷺ سفيراً لهُ في المدينةِ يُطيِّبها بالإسلامِ، ويُعلِّمُها القرآنَ، ويُجهِّزها لهجرةِ النبيِّ ﷺ. روى ابنُ هشامٍ عن ابن إسحاقَ، قال: وحدّثني عبيدُ الله بنُ مصعبٍ وعبدُ الله بنُ أبي بكرٍ ومحمدُ بنُ عمرِو بن حزمٍ: أن أسعدَ بنَ زُرارةٍ خرجَ بمصعبِ بنِ عميرٍ يريدُ دار بني عبد الأشهلِ، ودارَ بني ظفر، وكانَ سعدُ بنُ معاذٍ بنُ عبدِ الأشهلِ ابنُ خالةِ أسعدَ بنِ زرارةَ فدخلَ به حائطاً -أي: بستاناً- من حوائطِ بني ظفر.

قالا: على بئرٍ يقالُ لها: بئرُ مَرَق، فجلسا في الحائطِ واجتمعَ إليهما رجالٌ منْ أسلمَ، وسعدُ بنُ معاذٍ وأُسيدُ بنُ حُضيرٍ يومئذٍ سيدا قومِهما من بني عبدِ الأشهلِ وكلاهُما مشركٌ على دينِ قومِهِ، فلما سمعا به قالَ سعدُ بنُ معاذٍ لأسيدِ بنِ حُضَيرٍ: لا أبا لكَ انطلِقْ إلى هذين الرجلينِ اللَّذَينِ قد أتيا ديارَنا ليُسفِّها ضعفاءَنا؛ فازجُرْهما وانهَهما عن أن يأتيا ديارَنا، فإنه لولا أنَّ أسعدَ بنَ زُرارةَ مني حيثُ قدْ علمَتَ كفيتُك ذلك، هو ابنُ خالتي ولا أجدُ عليه مَقْدَماً.

قال: فأخذَ أُسيدُ بنُ حضيرٍ حربَته ثم أقبلَ إليهما، فلما رآه أسعدُ بنُ زرارةَ قال لمصعبِ بنِ عميرٍ: هذا سيدُ قومِهِ قد جاءَك فاصدُقِ اللهَ فيه.

قال مصعبُ: إن يجلِسْ أُكلِّمْه.

قال: فوقفَ عليهما مُتشمِّتاً فقالَ: ما جاءَ بكما إلينا، تُسفِّهان ضعفاءَنا؟ اعتزِلانا إن كانَتْ لكما بأنفسِكما حاجةٌ.

فقالَ مصعبُ: أوَتجلسُ فتسمعَ، فإن رضيتَ أمراً قبلتَه، وإن كرهتَه كُفَّ عنك ما تكْرَهُ.

قال: انصفْتَ، ثم ركَزَ حربتَه وجلسَ إليهما فكلّمه مصعبُ بالإسلامِ وقرأَ عليه القرآنَ.

فقالا: واللهِ لعرفْنا في وجهِ الإسلامَ قبل أن يتكلمَ؛ في إشراقهِ وتسهُّلِه.

ثم قالَ: ما أحسنَ هذا الكلامَ وأجمَلَهُ!! كيف تصنعونَ إذا أردتمْ أن تدخلوا في هذا الدينِ؟

قالا: تغتسلُ فَتَطَهَّرَ، وتُطهِّرُ ثوْبَيْك، ثم تشهدُ شهادةَ الحقِّ، ثم تصلي، فقام فاغتسلَ وطهّرَ ثوبَيْه وتشهّدَ شهادةَ الحقِّ ثم قامَ فركع ركعتين ثم قالَ لهما: إنَّ ورائي رجلاً إنِ اتّبَعَكما لم يتخلفْ عنه أحدٌ منْ قومِه وسأرسلُه إليكما الآنَ: سعدَ بنَ معاذٍ، ثم أخذَ حربَته وانصرفَ إلى سعدٍ وقومِهِ وهمْ جلوسٌ في ناديهم، فلما نظرَ إليه سعدُ بنُ معاذٍ مقبلاً.

قال: أحلِفُ باللهِ لقد جاءكُمْ أسيدٌ بغيرِ الوجهِ الذي ذهبَ به من عِندِكم. فلما وقف على النادي قالَ له سعدٌ: ما فعلْتَ؟

قال: قد كلمتُ الرجلين، فواللهِ ما رأيتُ بهما بأساً.

وقد نهيتُهما فقالا: نفعلُ ما أحببتَ، وقد حُدِّثتُ أنَّ بني حارثَة قد خرجوا إلى أسعدِ بنِ زرارَة ليقتلوه، وذلكَ أنهم قد عرفوا أنه ابنُ خالتِك ليَخْفروكَ.

قال: فقامَ سعدُ مغضَباً مبادراً تخوُّفاً للذي ذُكِرَ له من بني حارثةَ، فأخذَ الحربة من يده ثم قالَ: واللهِ ما أراكَ أغنيتَ شيئاً، ثم خرج إليهما، فلما رآهما سعدٌ مطمئنين عرفَ سعدٌ أنَّ أسيداً إنما أرادَ منه أن يسمعَ منهما.

فوقفَ عليهما مُتشمِّتاً ثم قالَ لأسعدَ بنِ زُرارة: يا أبا أمامةَ! لولا ما بيني وبينكَ من القرابةَ ما رُمْتَ هذا مني، أتغشانا في ديارِنا بما نكرَهُ.

وقد قالَ أسعدُ بنُ زرارةَ لمصعبِ بنِ عميرٍ: أيْ مصعب! جاءك واللهِ سيِّدٌ من ورائه قومُه إن يتّبعْك لا يتخلّفْ عنك منهمُ اثنان.

قال: فقالَ له مصعبٌ: أوَ تقعُدُ فتسمعَ، فإنْ رضيتَ أمراً ورغبتَ فيه قبلتَه، وإن كرهتَه عزلنا عنكَ ما تَكْره.

قال سعدُ: أنصفْتَ، ثم ركزَ الحربة وجلسَ فعرضَ عليه الإسلامَ وقرأَ عليه القرآنَ.

قالا: فعرفنا واللهِ في وجههِ الإسلامَ قبل أن يتكلمَ لإشراقهِ وتسهُّله.

ثم قالَ لهما: كيف تصنعونَ إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدينِ؟

قالا: تغتسلُ فتطهرَ وتُطَهِّرُ ثَوبيك، ثم تشهدُ شهادةَ الحقِّ ثم تصلي ركعتين.

قال: فقام فاغتسَل وطهّر ثوبَيه، وتشهّد شهادةَ الحقِّ، ثم ركع رَكعتين، ثـم أخـذَ حربتَه فأقبلَ عامداً إلى نادي قومِهِ ومعهم أسيدُ بنُ حُضيرٍ، فلما رآه قومُه مقبلاً قـالوا: نحلفُ باللهِ لقد رجَع إليكم سعدُ بغيرِ الوجهِ الذي ذهبَ بهِ من عندِكم.

فلما وقفَ عليهم قالَ: يا بني عبدِ الأشهلِ! كيفَ أمري فيكم؟

قالوا: سيدُنا وأفضلُنا رأياً وأيمنُنا نقيبةً.

قال: فإنَّ كلامَ رجالِكم ونسائِكم عليّ حرامٌ حتى تؤمنوا باللهِ وبرسولِهِ.

قالا: فواللهِ مـا أمـسى في دار بنـي عبـدِ الأشـهلِ رجـلٌ ولا امـرأةٌ إلا مـسلماً ومسلمةً.

ورجعَ أسعدُ ومصعبُ إلى منزلِ أسعدَ بنِ زرارةَ، فأقامَ عنده يدعو النـاسَ إلى الإسلامِ حتى لم تبقَ دارٌ من دورِ الأنصارِ إلا وفيها رجالٌ ونساءٌ مـسلمونَ إلا مـا كان من دارِ بني أميةَ بنِ زيدٍ[1].

هذا مصعبُ بنُ عميرٍ رضي الله عنه، الداعيةُ الـشابُّ الـذي اختـاره رسـولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لفتحِ قلوبِ وديارِ أهلِ المدينةِ بالإسلامِ. كيفَ نجحَ رضي الله عنه -أيّما نجـاحٍ- في هـذه المهمة؟! حتى ظهرتْ آثارُ الدعوةِ المباركةِ في عامٍ واحدٍ، فلم يبقَ بيتٌ إلا ودخلَـه الإسلامُ، إما آمنَ بعضُه أو آمنَ كُلُّه إلا ما ذكرَه ابنُ إسحاقٍ، وهذا يدلُّ على فضلِ الصحابةِ عموماً، وفضلِ هذا الداعيةِ المباركِ الذي عرفَ كيفَ تكـون الـدعوةُ إلى اللهِ عزَّ وَجلَّ خصوصاً.

(١) «الروض الأُنف مع سيرة ابن هشام» (٢/ ١٨٦، ١٨٧).

وكذلك فضلُ أسعدَ بنِ زرارةَ، وكيفَ كانَ له نعمَ الناصرُ والناصحُ، واستمِعوا له وهو يقول لمصعبٍ: (هذا سيدُ قومِه قد جاءَك، فاصدُقِ اللهَ فيه) فكان من جزاءِ الصدقِ وبركتِه أن آمنَ بدعوتهِ رجُلان كانا سبباً في إسلامِ قومِهما، سعدُ بنُ معاذٍ رضي الله عنه الذي اهتزّ عرشُ الرحمنِ لوفاتهِ، وأُسيدُ بنُ حُضيرٍ الذي نزلَتِ الملائكةُ تسمَعُ لقراءتَه، وقالَ له النبيُّ ﷺ: «**لَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحْتَ ينظر إليها النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ**»[1].

وكانَ جميعُ ذلكَ في ميزانِ مصعبٍ وأسعدَ بنِ زُرارةَ رضي الله عنهما وقد قالَ النبيُّ ﷺ: «**لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**»[2].

ثانياً: موقفُه رضي الله عنه في الولاءِ والبراءِ.

قال ابنُ إسحاقَ: وحدَّثني نبيهُ بن وهبٍ أخو بني عبدِ الدارِ (أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ أَقْبَلَ بِالْأُسَارَى فَرَّقَهُمْ فِي أَصْحَابِهِ، وقَالَ: اسْتَوْصُوا بِالْأُسَارَى خَيْرًا.

قال: و كَانَ أَبُو عَزِيزِ بن عُمَير بنِ هشام أَخُو مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ فِي الْأُسَارَى.

قال: فَقَالَ أَبُو عَزِيزٍ: مَرَّ بِي مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَأْسِرُنِي، فَقَالَ: شُدَّ يَدَكَ به، فَإِنَّ أُمَّهُ ذَاتُ مَتَاعٍ، لَعَلَّهَا تَفْتَدِيهِ مِنْكَ. قَالَ: وَكُنْتُ فِي رَهْطٍ مِنَ

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٧٩٦)

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦).

الْأَنْصَارِ حِينَ أَقْبَلُوا بِي مِنْ بَدْرٍ، فكَانُوا إِذَا قَدَّمُوا غَـدَاءَهُمْ أَوْ عَـشَاءَهُمْ خَـصُّونِي بِالْخُبْزِ وَأَكَلُوا التَّمْرَ، لَوَصِيَّةِ رَسُولِ الله ﷺ إِيَّاهُمْ بِنَا، مَا تقَـعُ فِي يَـدِ رَجُـلٍ مِـنْهُمْ كِسْرَةُ خُبْزٍ إِلَّا نفحَنِي بِهَا.

قَالَ: فَأَسْتَحِي فَأَرُدُّهَا عَلَى أَحَدِهِمْ. فَيَرُدُّهَا عَلَيَّ مَا يَمَسُّهَا)[1].

قال ابنُ هشامٍ: وكان أبو عزيزٍ صاحبَ لواءِ المشركينَ ببـدرٍ بعـدَ النَّـضْرِ بـن الحارثِ، فلما قالَ أخوهُ مصعبُ بنُ عميرٍ لأبي اليسر -وهو الذي أَسَره- مـا قـال، قال له أبو عزيزٍ: يا أخي هذه وصاتُك لي؟!

فقال له مصعبٌ: إنه أخي دونَك.

فسَأَلَتْ أمُّه عن أغلى ما فدَى به قريشٌ، فقيلَ لها: أربعةُ آلافِ درهـمٍ، فبعثـت بأربعةِ آلافِ درهمٍ، ففدَتْه بها[2].

وقولُ مصعبٍ رضي الله عنه: إنه أخي دونَك؛ حقٌّ وصدقٌ، فإنَّ أُخُوَّةَ الإيمان مقدَّمةٌ على أُخوةِ الرحمِ.

والعلاقةُ الدينيةُ مقدمةُ على علاقةِ النسبِ.

ثالثاً: موقفُه في الشجاعةِ في غزوةِ أحدٍ التي أكرمَهُ الله بالشهادةِ فيها.

في غزوةِ أُحُدٍ قاتلَ مصعبُ بنُ عميرٍ رضي الله عنه دونَ رسولِ الله ﷺ حتى قُتِلَ، قتلـه ابن قمِئةِ الليثي، وهو يظنُّه رسولَ الله ﷺ، فرجعَ إلى قريشٍ، فقال: قتلتُ محمداً.

(١) رواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦٢٩٨).

(٢) «سيرة ابن هشام مع الروض الأنف» (٣/ ٥٤).

فلما قُتِلَ مصعبُ، أعطى رسولُ الله ﷺ اللواءَ عليَّ بنَ أبي طالبٍ رضي الله عنه[1].

ومنَ الدروسِ والفوائدِ التي تؤخذُ من مواقفِ مصعبِ بنِ عميرٍ رضي الله عنه.

أولاً: أهميةُ الدعوةِ إلى اللهِ.

كان مصعبُ بنُ عميرٍ في المدينةِ لا شاغلَ له إلا أن يدعوَ الناسَ إلى اللهِ، حتى وهو جالسٌ في داخلِ البستانِ.

وقد جاءتِ الأدلةُ في الكتابِ والسنةِ تبينُ فضلَ الدعوةِ إلى اللهِ.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فُصِّلَت].

وقال ﷺ: «**لأَنْ يَهْدِيَ الله بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرِ النَّعَمِ**»[2].

ثانياً: صدقُ الإخلاصِ في الدعوةِ إلى اللهِ سببٌ لنجاحِ الداعيةِ.

فهذا أسعدُ بنُ زرارةَ رضي الله عنه يقولُ لمصعبِ بنِ عميرٍ رضي الله عنه -عندما رأى أسيدَ بنَ حُضيرٍ قادماً عليهم-: هذا سيدُ قومِهِ قد جاءَك، فاصدُقِ اللهَ فيه.

فلما صدقَ مصعبُ في دعوتِهِ آمنَ أسيدُ رضي الله عنه.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/ ١٤٨).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦).

ثالثاً: الحكمةُ واللينُ في الدعوةِ سببٌ لنجاحِها.

ويؤخذُ هذا من قولِ مصعبٍ لأُسيدِ بنِ حُضيرٍ وسعدِ بنِ معاذٍ: أوَ تجلسُ فتسمَعَ، فإن رضيتَ أمراً قبْلتَه، وإن كرهْتَه كفَّ عنكَ ما تكره.

رابعاً: الحثُّ على العلمِ.

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٠٨) ﴾ [يوسف].

اللهمَّ أرنا الحقَّ حقًّا وارزقنا اتباعَه، وأرنا الباطلَ باطلاً وارزقنا اجتنابَه.

الفهارس العامة

فهرس الآيات

سورة النساء

سورة التوبة

سورة يونس

سورة هود

سورة يوسف

سورة الحجر

سورة النحل

سورة الإسراء

سورة الكهف

سورة مريم

سورة القمر

سورة الحديد

سورة المجادلة

سورة الحشر

سورة الممتحنة

سورة الصف

سورة الجمعة

سورة المنافقون

سورة التحريم

سورة القلم

سورة الحاقة

سورة النازعات

سورة الأعلى

سورة الفجر

سورة الليل

سورة النصر

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة

فهرس الآثار

فهرس الفوائد

الفائدة | الصفحة

الفهرس الموضوعي

كتبٌ صدرت للمؤلف:

١ - العقيدةُ أولاً لو كانوا يعلمون	٤ مجلدات
٢- أحسن البيان	مجلد واحد
٣- الدعاء النافع	مجلد واحد
٤- سبل السلام في صحيح سيرة خير الأنام	مجلد واحد
٥- الصحابة رضي الله عنهم	مجلد واحد
٦- تبصرة الأنام بالحقوق في الإسلام	مجلد واحد
٧- حياة السعداء	مجلد واحد
٨- الفرقان من قصص القرآن	مجلد واحد
٩- البيان من قصص القرآن	مجلد واحد
١٠- البرهان من قصص القرآن	مجلد واحد
١١- ثمرات السيرة النبوية	مجلد واحد
١٢- البشارات النبوية	مجلد واحد
١٣- المبشرون بالجنة	مجلد واحد
١٤- السبيل في فقه الدعوة	مجلدان
١٥- وسائل الثبات عل الدين	مجلد واحد
١٦- محبة علي بن أبي طالب بين الغلو والجفاء	غلاف